



كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش

ⵜⴰⴷⴰⵢⵜ ⵜⴰⵎⴰⵔⴰⵏⵜ ⵜⴰⵎⴰⵔⴰⵏⵜ ⵜⴰⵎⴰⵔⴰⵏⵜ ⵜⴰⵎⴰⵔⴰⵏⵜ - ⵎⴰⵔⴰⵎⴰⵏⵜ

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Marrakech

مركز دراسات الدكتوراه - Centre d'Etudes Doctorales

تكوين الدكتوراه

مدارك الاجتهاد في المستجدات الانسانية المعاصرة

أطروحة جامعية

لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

الاجتهاد الإسلامي ودوره في تعزيز المحافظة على البيئة

تحت إشراف: الأستاذ الدكتور

ابراهيم رضا

من إعداد الطالب الباحث:

مولاي عبد القادر النوهايدي

الموسم الجامعي: 1442-1443 هـ (2021 – 2022 م)

الإهداء

إلى أستاذي المشرف فضيلة الدكتور إبراهيم رضا - حفظه الله - إلى كل أساتذتي الذين كان لهم الفضل علي بعد الله لإخراجي من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

إلى من كلفه الله بالهبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل إسمه بكل افتخار، والذي الحنون، أطال الله في عمره وخلد ذكره في الصالحين.

إلى ملاكي في الحياة، إلى منبع الحب والمعنى الحقيقي للحنان والتفاني إلى بسمه الحياة وسر الوجود، إلى كل من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، أُمي الحبيبة، متمتعاً بالله بالصحة والعافية وجعلها من أهل الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب.

إلى من ضحت بالغالي والنفيس من أجلي، إلى من شاركتني حياتي وتربية أبنائي، إلى من كانت سنداً لي خلال بحثي العلمي؛ زوجتي الغالية - أم عدنان - حفظها الله بما حفظ به الذكر الحكيم، وغفر لها ما تقدم من ذنبها وما تأخر.

إلى فلذات كبدي: ابنتي آية، الشيخ عدنان ومولاي يوسف، حفظهم الله وأبنتهم نباتا حسنا.

إلى أشقائي الأعزاء: الدكتور مولاي شعيب، الأستاذ مولاي عمر، مولاي عبد الوهاب، أم عمران الزهراء، أم رغد مريم والدكتورة حانة، حفظهم الله وألف بين قلوبهم.

إلى كل من يحمل لقب النوهايدي من أهل مولاي دحمان.

إلى صديقي العزيز وأخي الذي لم تلده لي أُمي الدكتور البشير بومدين أسعده الله دنيا وأخرى.

إلى من ربطني بهم شرف البحث العلمي، وكانوا سنداً لي بعد الله لإنجاز هذه الدراسة، الإخوة: الأستاذ الكنتي الكنتاوي، الدكتور محمد كرمات، الأستاذ إسماعيل أوراشي والأستاذ حسن إدبوش.

لكل هؤلاء أهدي هذا العمل، راجياً المولى جل وعلا أن يجعله خالصاً لوجهه سبحانه، وأن يكتب لي به الأجر والثواب. والحمد لله رب العالمين.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولاً وآخراً، ثم أشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لي يد المساعدة، خلال هذه الفترة، و في مقدمتهم **أستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الدكتور إبراهيم رضا**، الذي لم يدخر جهداً في مساعدتي، فقد فتح لي بيته العامر، كما هي عادته مع طلبة العلم، وكنت أجلس معه الساعات الطوال أقرأ عليه ولا يجد في ذلك حرجاً، وكان يحثني على البحث، ويرغبني فيه، و يقوي عزيمتي عليه، فكان بمثابة الأب والشيخ المعروف بالتواضع والخلق الحسن، فله من الله الأجر والثواب على ما يقدمه لطلاب العلم، ومني كل التقدير، كما أسأل الله أن يحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم وأن يمتعه بالصحة والعافية وأن ينفع بعلمه، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أحمده سبحانه وأثني عليه، فقد كرم بني آدم وفضلهم على سائر المخلوقات ورزقهم من الطيبات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الهادي البشير والسراج المنير سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، الذي أوضح للبشرية طرق الهداية والصلاح في معاشهم ومعادهم، فما ترك خيراً إلا ودل أمته عليه ولا شراً إلا وحذرها منه، وما توفي إلا ودين الله كامل، ونعمته تامة على العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد خلق المولى جل وعلا هذا الكون بنظام محكم، كل شيء فيه قائم بتكامل وترابط دقيقين، قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾¹، وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدَرًا تَقْدِيرًا﴾² وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾³

وجعل الخالق سبحانه سائر المخلوقات في هذا الكون مسخرة للإنسان، ومنحه التملك، وعارة الأرض، واستخلفه فيها إذ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁴، واستخلاف الإنسان في الأرض الهدف منه عمارتها والقيام بالاستثمار فيها واستغلالها لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي نُمَوِّدُ أَهْلَهُمْ ضُلُوعًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثَوَّبُوا إِلَيْهِ إِنِّي رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾⁵، إلا أن بعض بني البشر قد أساء فهم الخلافة، فأفسدوا في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وتلويث الهواء والمياه بمختلف الملوثات الكيماوية والإشعاعية والصناعية، وبموازاة مع ذلك، لو استقام الإنسان على شرع الله ومنهجه لصلح أمر الإنسان وأمر بيئته.

¹ القمر: 49.

² الفرقان: 2.

³ الرعد: 9.

⁴ البقرة: 29.

⁵ هود: 60.

فالبينة كائن حي نابض له أحاسيس كأحاسيس البشر، يقول سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ
السَّنُوعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
عَفُورًا 44﴾¹ وقوله سبحانه: ﴿فَمَا يَكُثُّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ 28﴾².

إن الحديث عن البيئة بمختلف مكوناتها أصبح من القضايا الملحة في زمننا المعاصر، ويمكن أن
نعزو ذلك إلى كثرة المخاطر والمشاكل التي تتعرض لها مكونات البيئة.

والثابت أن حياة المسلمين كانت بسيطة خالية من التعقيدات لم تعرف تطورا كما هو معروف
في عصرنا الحاضر، الذي عرف تطورا هائلا وبوتيرة متسارعة، وسبب ذلك كون النوازل كانت نادرة
مقارنة مع المستجدات والنوازل الكثيرة في هذا العصر، نتج عن ذلك أن الفقهاء لم يجتهدوا في مسائل
ونوازل غير موجودة أصلا، لأن (السكوت في معرض البيان بيان)³.

وفي عصرنا الحالي لم يقتصر تفعيل دور المقاصد الشرعية على الأحكام الشرعية الفقهية
فحسب، بل تعدى ذلك لمعالجة القضايا المعاصرة الفقهية والاجتماعية والاقتصادية.

ومن القضايا المعاصرة التي وجب على المختصين إيجاد حلول وأجوبة عاجلة لها : قضايا البيئة،
حيث اعتمد الفقهاء على ما جاء في الشريعة الإسلامية من نصوص تدعو إلى حماية المحيط الذي يعيش
فيه الانسان، وهذا ما دفع الفقهاء إلى استقراء النصوص وجمعها، وتبويبها لكونها تضم مجموعة متناسقة
من الأحكام الشرعية المختصة بالبيئة والعوامل المحيطة بها، وهو ما يمكن أن يطلق عليه المصطلح
المقاصدي، لأن رعاية البيئة من المقاصد العامة إذ عرفها ابن عاشور بقوله : (ما كان عائدا على عموم

¹الإسراء: 44.

²الدخان: 28.

³ درر الحکام شرح مجلة الأحكام، تأليف علي حيدر خواجه أمين أفندي (المتوفى: 1358هـ)، تعريب فهمي الحسيني، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م المادة 67

الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية تأليف الإمام جلال الدين للسيوطي المتوفى سنة 911 هـ، ص 142، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983م، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م، ص 154. ابن النجم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، (المتوفى 970 هـ)، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي المدخل المصادر الحكم الشرعي، محمد مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر 1427 هـ - 2006 م، غ 1/143،

الأمة عودا متاثلا وما كان عائدا على جماعة عظيمة من الأمة أو قطر¹ لأن حماية البيئة من المصالح التي لا تعود بالنفع على الفرد أو على عدد قليل من الأفراد، بل تعود المصلحة إلى عموم أفراد المجتمع .

لم تغفل الشريعة الإسلامية السمحة عن أي سبب يساهم في الحفاظ على صحة الانسان وكل ما يحيط به، لذلك اهتمت بالحفاظ على البيئة وحمايتها، مما جعل هذه الشريعة تزخر بمكنوزات كثيرة، يمكن الاستفادة منها لكونها صالحة لكل زمان ومكان. فقرر فقهاء المسلمين عدة مبادئ كانت في منتهى الدقة أثناء تقريرهم للقواعد الجزئية والكلية مما يزخر به تراثنا في هذا المضمار، كالقواعد الفقهية التي استنبطها الفقهاء من تعاليم القرآن الكريم والسنة المشرفة، هاته القواعد تسعى لتحقيق المصالح ودرء المفاسد وكل الأضرار التي قد تلحق الأفراد والمجتمعات بأسرها، كل ذلك يسهم في الحفاظ على البيئة.

وقد شرعت العديد من القوانين الوضعية في مختلف أقطار العالم، سعيا منها للحد من المشاكل البيئية المنتشرة في كل زمان ومكان، وبموازاة مع ذلك كانت شريعة الإسلام التي تهدف إلى إسعاد الانسان مساهمة في الحفاظ على البيئة، إذ نظمت علاقة الانسان بربه ومجتمعه، ونظمت علاقته بالكون من حوله، وذلك وفق أحكام شرعية تكليفية، وبالاعتماد على تطبيقات واجتهادات فقهية وأصولية.

إذن فالحديث عن المحافظة على البيئة في شريعة الإسلام ومساهمة الاجتهاد الإسلامي المعاصر، ليس مجرد إقام للعلوم الشرعية في مجال لا صلة له بالشريعة، أو مجرد ترف فكري لا مبرر له، بل الباحث في شريعة الإسلام سيدرك لا محالة أنها تستوعب قضايا العصر ومشكلاته كلها، بما في ذلك قضايا البيئة، ويمكن أن نعزو ذلك إلى ما يتصف به هذا الدين الحنيف من الشمولية والثبات وفق نظام متكامل يجب الإيمان والعمل به جملة وتفصيلا، يقول جل جلاله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾².

¹ ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، ط 1 عمان، دار النفائس، كواليمبور 1999 م، ص 228

² المائدة: 3.

دواعي اختيار الموضوع:

أولا - دواعي ذاتية:

1 - انتماي بيئة فيها اهتمام بالبيئة.

2 - انخراطي بنادي البيئة بالمؤسسة التعليمية التي أشتغل بها.

3 - زيارة العديد من المؤطرين والمختصين في البيئة للمؤسسة وتقديم دورات تكوينية ودروس تحت على الحفاظ على البيئة بالاعتماد على مرجعية قانونية، مما حرك في الباحث الرغبة في إثارة الانتباه أن شريعة الإسلام هي السبابة للدعوة للحفاظ على البيئة.

4 - تقديم دروس تربوية للمتعلمين للحفاظ على البيئة بالمدرسة الإيكولوجية التي اشتغل بها بعد فوزها باللواء الأخضر.

5 -اهتامي بالبيئة، والبحث عن سبل الحفاظ عليها وفق ما دعت له شريعة الاسلام.

ثانيا - دواعي موضوعية:

1 - السياقات التي تجعل البحث في هذا الموضوع، أن العالم كله يتحدث عن البيئة كونها من القضايا المعاصرة.

2 - التأكيد على أن شريعة الإسلام حازت السبق على الحكومات والمؤسسات الدولية، وسائر القوانين السابقة واللاحقة في رعاية البيئة والحفاظ عليها.

3 - بيان الأحكام التي زخرت بها شريعة الإسلام والتي تساهم مساهمة فعالة في المحافظة على البيئة.

4 - التأكيد على أهمية الاجتهاد الإسلامي ودوره الفعال في المحافظة على البيئة، وضرورة اللجوء إليه من طرف أهل الاختصاص، بحسب مستجدات و نوازل القضايا البيئية.

5 - وجوب إبراز معالم الشريعة الإسلامية في المجال البيئي من طرف العلماء وأهل الاختصاص، بمناقشة ذلك وفق مرجع شرعي، والعمل على نشر الوعي الديني بالحفاظ على البيئة بين

الناس، لأن الباعث الديني من أقوى البواعث لحمل النفس على الاستجابة والامتثال لما أمر به المشرع.

6 - موضوع البيئة من القضايا المعاصرة التي عقدت من أجلها العديد من الندوات والمؤتمرات، ووقعت من أجله العديد من الاتفاقيات وصيغت العديد من القوانين للحفاظ على البيئة، مما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن شريعة الإسلام لن تستطيع إيجاد حلول لبعض القضايا المعاصرة كقضية البيئة وسبل حمايتها والحفاظ عليها .

7- الحاجة الملحة لدراسة أكاديمية متخصصة في مثل هذا الموضوع.

8 - إبراز أهمية الاجتهاد الإسلامي ودوره في المساهمة في الحفاظ على البيئة.

أهداف الدراسة:

1. معرفة موقف الشريعة من قضية حماية البيئة، والوقوف على مساهمة الاجتهاد الإسلامي المعاصر في الحفاظ على البيئة.
2. معرفة الآليات العملية التطبيقية لتطبيق المنهج الشرعي لحماية البيئة.
3. طرح إمكانية إعمال التعيد الأصولي والفقه في حماية البيئة.
4. رغبة الباحث في الكشف عن جانب من أحكام الشريعة الإسلامية خاص بالبيئة، لاسيما بعد أن أخذ الاهتمام بشؤون البيئة وقضاياها يتزايد عالميًا منذ أواخر القرن الماضي؛ حيث عُقدت لذلك عدّة مؤتمرات دولية، تهدف لإنقاذ البيئة من التدهور، والحفاظ عليها من جميع أصناف التلوث الذي أصابها بفعل عوامل عديدة.
5. اعتبار قضية البيئة مدخلًا ضروريًا لإقامة علاقات دولية على أسس إنسانية مشتركة؛ خصوصًا حينما تكون البيئة -في النهاية- قاسم مشترك بين شعوب الأرض كلها، والبشر إما أن يكونوا شركاء في الإنسانية، أو جيرانًا في عالم واحد، وذلك كله يفرض إعادة تأسيس العلاقة بينهم، على ضوء التحديات والمخاطر التي يتعرضون لها.

6. كل باحث في البيئة سيلاحظ أن مستوى الوعي البيئي عندنا في العالم العربي والإسلامي متدهور للغاية، سواء على المستوى المادي أو الثقافي، وهو أمر يشكل خطورة على إنسان المنطقة؛ إذ البيئة في جانبها تُعدُّ من أخطر المؤثرات في حياة البشر.
7. أن الباحث في الفقه الإسلامي سيُصاب بالدهشة، حينما يجد ذلك الاهتمام المبالغ فيه بمسائل البيئة لدى الفقهاء المسلمين في مختلف عصورهم، ثم ينظر إلى الواقع، فلا يجد أثراً لذلك في حياة المسلم المعاصر.

أهمية الموضوع:

1. بيان الدور المشرق للشريعة الإسلامية في الحفاظ على البيئة ورعايتها.
2. إبراز أهم القواعد الفقهية الداعية لحماية البيئة وإعمارها وتنميتها والضوابط الشرعية الضابطة للتصرفات مع البيئة وحدودها.
3. بيان مساهمة الاجتهاد الإسلامي المعاصر في الحفاظ على البيئة.
4. إثراء المكتبة الإسلامية بموضوعات تسهم في توظيف الاجتهاد الإسلامي في حل القضايا البيئية التي تواجه المسلم في عصرنا الحالي.

➤ الإشكالية: إلى أي حد استطاع الاجتهاد الإسلامي المعاصر أن يسهم في الحفاظ على البيئة؟

➤ التساؤلات الفرعية:

- ماهي التعاريف اللغوية والاصطلاحية للبيئة والاجتهاد المتعارف عليها لدى أهل الاختصاص؟
- ما هو موقف الشريعة الإسلامية من قضية حماية البيئة؟
- ما هي الآليات العملية التطبيقية لتطبيق المنهج الشرعي لحماية البيئة؟
- هل يمكن إعمال التقعيد الأصولي والفقه في حماية البيئة؟

دراسات سابقة حول حماية البيئة في الإسلام:

بفعل خطورة القضايا البيئية المعاصرة و تهديدها للأمن الإنساني، فإن الباحث في المجال البيئي سيقف على العديد من البحوث و الدراسات التي تطرقت للشأن البيئي، وذلك بطرق مختلفة ومرجعيات عديدة، إذ سالت أقلام كثيرة في هذا المجال وتناولت المشاكل البيئية المعاصرة، وتطرقت لرأي الشريعة الإسلامية في ذلك، وسأقتصر على ذكر بعض هذه الدراسات التي تناولته من وجهة نظر شرعية و فقهية و أكاديمية ومنها على سبيل المثال، لا الحصر، هناك :

1. **رعاية البيئة في شريعة الإسلام**، للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق- القاهرة، ط 1421هـ-2001م.

استطاع الدكتور القرضاوي أن يتحدث بشكل مطول عن البيئة ومكوناتها، وقام بالتأصيل الشرعي لحماية البيئة، وأطال النفس في ذكر الركائز الإسلامية لرعاية البيئة من التعمير والتشجير وغيرها، وحاول أن يحيط بالعديد من الأخطار المحدقة بالبيئة، وبموازاة مع ذلك اقترح الوسائل المعاصرة للتقليل من هذه الأخطار أو منعها، وعلى الرغم من ذلك فالدراسة على قيمتها العلمية لم تركز بشكل كبير على الأمور المترتبة على مخالفة الشريعة في موضوع حماية البيئة، وعلى المسؤولية الناشئة في هذا المجال في الشريعة الإسلامية.

2. **المحافظة على البيئة من منظور إسلامي**، للدكتور قطب الريسوني، دراسة تأصيلية في ضوء الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، دار ابن حزم 2008م

حاول الدكتور الريسوني استجلاء المنظور الإسلامي في المجال البيئي نابعاً من حاجة عصرية ملحة أملت لها تحديات التلوث ومخاطر الاستنزاف، ومحكوماً برغبة في استكمال لبنات هذا الموضوع وإثراء مباحثه بعد أن وطأت أكنافه أعمالاً رائدة هي بمثابة الصورة الهادفة إلى المقصد المرجو تحقيقه. تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول: عمل فيه على تجلية مفهوم البيئة في الإسلام، واستهل ذلك بتعريف للمفردات التي انبنت عليها الدراسة.

الفصل الثاني: تم فيه بيان الدور الإسلامي في المحافظة على البيئة، ولتحقيق ذلك تمت معالجة أربعة مباحث: التأصيل الإسلامي للمحافظة على البيئة، بيان آداب الإسلام في المحافظة على البيئة بمختلف أصنافها المائية، النباتية والحيوانية. الرد على كل الشبهات التي تزعم عدا الإسلام على بعض الكائنات، أما المبحث الرابع ففيه بيان لموقف الإسلام من التلوث.

الفصل الثالث: فبين فيه ملامح المنهج الإسلامي في المحافظة على البيئة.

3. رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، عبد الله شحاته

يضم هذا الكتاب دراسة حول رؤية الدين الإسلامي للحفاظ على البيئة، فقد كان الإسلام سباقاً في إعطاء نظرة متكاملة لهذا الكون الرحيب، فهو آثار قدرة الله، يجب على الإنسان تقديره واحترامه، والتعاون على سلامته ونظافته، وحسن استخراجه، والبعد عن الفساد فيه، فهو البيئة الواسطة التي حبانا الله بها.

فهو دراسة عن رؤية الإسلام في الحفاظ على البيئة وقد كان الإسلام سباقاً في إعطاء نظرة متكاملة لهذا الكون الرحيب الذي هو أثر من آثار قدرة الله تعالى ولا بد علينا أن نحافظ على البيئة كما جاء في الإسلام.

ومن الدراسات الأكاديمية التي وقفت عليها:

1. أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، للدكتور عبد الله بن عمر السحيباني:

رسالة دكتوراه في الفقه الإسلامي ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، 1426 هـ ، اجتهد الباحث في جمع المعلومات البيئية ، ولا يأتي بالحكم في المسألة إلا بعد معرفة تامة بكل الجوانب المحيطة بالقضية ، حاول أن يحيط بكل مكونات البيئة والأحكام الفقهية المتعلقة بها وعليه أقول: إنَّ هذا البحث يلتقي مع ما سبقه في عددٍ من الجوانب، لكنَّه يتميز بإظهار الاجتهاد الإسلامي المعاصر و مساهمته الفعالة في حماية البيئة ورعايتها ، والحديث عن دور الاجتهاد الإسلامي في تعزيز المحافظة على البيئة في دراسة واحدة مفصلة، وهذا ما لم يجتمع في أيٍّ من الدراسات السابقة.

2. فقه الحفاظ على البيئة في ضوء المقاصد الشرعية من خلال نوازل الغرب الاسلامي من خلال نوازل الغرب الإسلامي:

أطروحة دكتوراه للباحث مصطفى البعزوي سنة 2016م. ركز الباحث على البيئة من منظور النوازل الفقهية وذلك لأهمية النوازل الفقهية بصفة عامة، والنوازل الفقهية المالكية بصفة خاصة، لارتباطها الوثيق بقضايا الناس، فرسمت صورة واضحة عن خصوصيات المجتمعات المغاربية خلال فترة زمنية محددة وعمل الباحث على نقض الغبار عن جزء من قضايا النوازل الفقهية المتعلقة بالبيئة والمبثوثة في تراث فقهاء الغرب الإسلامي.

3. أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، للدكتور عدنان ضاهر:

رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2009م. تتميز هذه الدراسة بمقدمتها التي تضمنت تعريفاتٍ وحديثٍ عن منهج الشريعة في حماية البيئة، أما البقية الباقية من الدراسة فهي عبارة عن أحكام فقهية تناولت أحكام الاعتداء على مصادر المياه ونحوها، ولم تتعرض للجانب الرقائي والعقابي والآليات التي وضعتها الشريعة لحماية البيئة.

4. أهمية الاستفادة من القواعد الفقهية في مجال حماية البيئة.

للدكتور عبد الرشيد غلام بحث ألقى بندوة رعاية البيئة في الشريعة 13 - 15 أبريل 2002م. تناول الباحث أبعاد العلاقة بين القواعد الفقهية وحماية البيئة، بين خلال بحثه إمكانية الاستفادة الساهرين على حماية البيئة من القواعد الفقهية، عمل الباحث على تقديم نماذج من القواعد الفقهية ذات الارتباط بمجال حماية البيئة، وأمثلة على تطبيقاتها في التراث الإسلامي، وذلك في سبيل إعادة الاستفادة من هذه القواعد في مجال حماية البيئة في عصرنا الحالي.

5. تدابير رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية، للدكتور سري زيد الكيلاني،

مجلة دراسات بالجامعة الاردنية، علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، العدد 2، سنة 2014م. وهذا البحث على قد اقتصر بعد المقدمة والحديث عن فلسفة رعاية البيئة في الإسلام والتدابير

الشرعية الخاصة برعاية البيئة، ولم يجعل للجانب الرقابي والعقابي مكاناً في بحثه، وربما أتى عليه الباحث في أبحاث أخرى.

منهج البحث:

01. اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي، حيث قمت بتتبع ما يتعلق بموضوع البيئة من وجهة نظر إسلامية، واستقراء النصوص الشرعية، والقواعد الفقهية، والتشريعات والنظم التطبيقية والأفكار المتعلقة بالبيئة، والتي شرعها الإسلام لحماية البيئة وذلك من مصادرها والاطلاع على آراء العلماء فيها، ثم تحليلها ومناقشتها؛ وصولاً لمنهج متكامل لحماية البيئة ورعايتها في الشريعة الإسلامية.
02. قمت بالتأصيل للمفاهيم الأساسية للموضوع.
03. قمت باستقراء أهمية الحفاظ على البيئة من المنظور الاجتهادي من كتب الفقه والتفسير والحديث والفتاوى المعاصرة.
04. عزو الآيات إلى موطنها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية، برواية ورش عن نافع.
05. تخرج الأحاديث النبوية من مراجعها الأصلية وبيان درجتها صحة وضعفاً.
06. التعريف بالأعلام غير المشهورين وذلك بحسب اجتهادي.
07. التعريف بالمصطلحات وشرح المفاهيم المبهمة، وذكر المعلومات المفيدة، مما له علاقة بالبحث، ليس من الضرورة عزوها إلى أصلها.
08. الحرص على إتباع الرسالة بالفهارس المتعارف عليها.

خطة البحث:

قمت بتقسيم الدراسة إلى مقدمة وباين وخاتمة، حيث اشتملت المقدمة على الإطار العام للدراسة، إذ بينت الدواعي الذاتية والموضوعية لاختيار الموضوع، ثم حددت أهمية الدراسة والأهداف التي تسعى لتحقيقها، وذلك بعد طرح الإشكالية المحورية للدراسة والتساؤلات الفرعية، وحاولت الوقوف على الدراسات السابقة وبيان الجديد الذي ستأتي به هذه الدراسة.

أما الباب الأول، فقد اشتمل على المفاهيم الأساسية للدراسة، ضم الفصل الأول ثلاثة مباحث، كل مبحث تم تقسيمه إلى مطالب، أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن رعاية البيئة في شريعة الإسلام، قسمته إلى ثلاثة مباحث ضمت عدة مطالب.

أما الباب الثاني، فقد وسمته بتطبيقات الاجتهاد الإسلامي في المحافظة على البيئة، قسمته إلى فصلين، تحدث خلال الفصل الأول عن التقعيد الأصولي والفقهية وأهميته في المحافظة على البيئة، قسمته إلى مبحثين، كل مبحث ضم عدة مطالب. أما الفصل الثاني، فقد تحدث فيه عن الحفاظ على البيئة في الاجتهاد الإسلامي المعاصر، قسمته إلى ثلاثة مباحث، كل مبحث ضم عدة مطالب.

وختمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت لها، إضافة إلى الفهارس المتعارف عليها في البحوث الأكاديمية، وبعض الملاحق.

هذه هي الخطة التي سرت عليها في هذه الدراسة وقد حاولت تقريبها من علوم البيئة، والبحث في كل ما يتعلق بالبيئة ومكوناتها ومشاكلها، والتركيز على الاجتهاد الإسلامي المعاصر لبيان مساهمته ودوره الفعال في الحفاظ على البيئة.

ولما كان موضوع الدراسة يتعلق بالاجتهاد المعاصر وبيان مدى إسهامه في المحافظة على البيئة، فإن أولى العقبات التي واجهتني هي ندرة الكتابات حول هذا الموضوع، لذلك وجدت في البداية صعوبة في تحديد معالم الموضوع، وبفعل الأسباب السابقة الذكر، فإنه من الطبيعي عدم الإحاطة بسائر العلوم، لقوله سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁸⁵، لكنني بعد ذلك وبتوفيق من الله ثم مساعدة أستاذي المشرف، تمكنت من جمع المادة العلمية التي ستساعدني على الإحاطة بالموضوع، وتمكيني من الإتيان بالجديد في هذه الدراسة.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان - بعد شكر الله سبحانه - لأستاذي المشرف فضيلة الدكتور إبراهيم رضا - حفظه الله تعالى - الذي لم ييخل علي بالتوجيه والنصح والإرشاد، والعمل على تنقيح هذه الدراسة والنظر في صفحاتها نظرة المتأمل منذ البداية وصولاً إلى النهاية، وأسأل الله العظيم أن ينفع بعلمه، وأن يوفقه دنيا وأخرى، وأن يجزيه عني

⁸⁵ الإسراء: 85.

وعن جميع أبناء المسلمين خيرا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، لمساهمته الفعالة في تكثير رواد المعرفة الشرعية، ومضاعفة الأبحاث والدراسات المعاصرة الأصيلة، والله ذو الفضل العظيم.

أخيرا أسأل الله أن يوفقني للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجعلني من الذين يسلكون طريقا للعلم ابتغاء وجه الله، وأن يحسن خاتمتي في الأمور كلها إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الباب الأول: المفاهيم الأساسية للموضوع:

يكتسي عرض هذا الباب أهمية بالغة، لكونه يعتبر مفتاحا لهذه الدراسة، فقسّمته إلى فصلين: حاولت خلال الفصل الأول الإحاطة بالمفاهيم المتعلقة بالبيئة، وأهم العناصر المكونة لها، لأقوم بطرح المشاكل البيئية، أما الفصل الثاني فسأتطرق فيه لمظاهر حماية البيئة في شريعة الإسلام، لأثبت في الأخير أن ديننا الإسلامي له السبق في سن شرائع تحث على الحفاظ على البيئة.

الفصل الأول: مفاهيم ومكونات البيئة ومشاكلها:

قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، حاولت خلال المبحث الأول بسط المفاهيم المتعلقة بالبيئة، كما عرفت بالاجتهاد لارتباطه بموضوع الدراسة، أما المبحث الثاني، فخصصته للوقوف على مكونات البيئة، بعد تحديد هذه المكونات، طرحت خلال المبحث المشاكل البيئية المرتبطة بكل عنصر من عناصرها.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي:

للإحاطة بالموضوع، لابد من الوقوف على الكلمات المفتاح، لذلك خصصت هذا المبحث للتعريف بالمصطلحات التي لها صلة بالعنوان وبموضوع الدراسة، أسأل الله أن يلهمني العون والسداد لتحقيق المراد.

المطلب الأول: تعريف الاجتهاد:

إن المتمعن في الواقع المعاصر سيقف لا محالة على مجموعة من الظروف والتحديات لتكنولوجيا المعلومات التي تفرض فيها جديدا لكل العلوم، إلى درجة أن الانسان سيصبح مقيدا بضوابط مرتبطة بالمنهجية العلمية، إذ نتج عن ذلك أن الانسان أصبح يبني ملكاته على النقد والتحليل والبحث المرتبط أساسا بما هو متحقق منه، ليصبح الاجتهاد المعاصر غير مقتصر على تأويل نصوص الكتاب والسنة، بل يخترق كل أبعاد التكوين الفكري المعاصر.

وبفعل ما ذكر سابقا فالمستجدات الراهنة تستدعي رسم سبل أخرى لمفهوم الاجتهاد إذ أن النص إن كان يمثل المرجعية الثابتة للاجتهاد المعاصر، فالواقع هو الصورة الحقيقية للاجتهاد المعاصر، والمحور الذي تتمحور حوله كل جزئية من جزئياتها والأهداف التي سطرته الأمة لنفسها ورسمها الوحي لها.

واستنادا إلى ما طرأ على الواقع الإسلامي المعاصر من تطور في سائر مناحي الحياة، واعتبارا لدور الاجتهاد الإسلامي والمتمثل أساسا في الإسهام في توجيه نوازل العصر ومستجداته، ما حتم ضرورة جعل الاجتهاد الإسلامي المعاصر هما فكريا يستطيع استيعاب جميع القضايا والمسائل الاجتماعية والإنسانية بمختلف المناحي.

هكذا سيصبح للاجتهاد دور فعال في إعطاء الشريعة الإسلامية خصوصيتها وراثتها وتمكينها من أخذ زمام الحياة وذلك وفق ما يحبه الله ويرضاه، لنقترب من الموضوع أكثر، سنحاول تعريف الاجتهاد لغة واصطلاحاً.

1- الاجتهاد لغة:

الاجتهاد مشتق من مادة (ج - ه - د) وهو مصدر (جهد) والجهد بالضم في لغة أهل الحجاز، وبالفتح في لغة غيرهم هو بذل الوسع والطاقة، وقيل: المضموم الطاقة، وبالفتح فقط النهاية والغاية واجتهد على وزن (افتعل) وهذا البناء يأتي غالباً للطلب، فكأن طالب للجهد وساع له، وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ 79 الَّذِينَ يُلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 80﴾¹، وفي الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جهد المقل)²، أي: قدر ما يحتمله حال قليل المال³.

ويقول ابن منظور في اللسان: (الاجتهاد مأخوذ من الجهد بفتح الجيم وضما وهو الطاقة والاجتهاد و التجاهد بذل الوسع والمجهود)⁴ و(التجاهد بذل الوسع كالاجتهاد)⁵، وفي المعجم الوسيط: (جهد في الأمر أي طلب حتى وصل إلى الغاية وبلغ المشقة، واجتهد بذل ما في وسعه، والاجتهاد من الفقيه استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي)⁶.

ويتضح من كلام أهل اللغة العموم الذي يفيد المعنى اللغوي للاجتهاد فهو يشمل بذل الجهد في أي أمر من الأمور الصعبة سواء كان هذا الأمر حسياً أو معنوياً، فحسباً كبذل الجهد في حمل حجر عظيم، أو معنوياً كبذل الجهد في استخراج حكم من الأحكام سواء كان ذلك الحكم عقلياً أو لغوياً أو شرعياً فالمعنى اللغوي للاجتهاد أعم من المعنى الاصطلاحي كما سيتضح من تعريف الاجتهاد في

¹ التوبة: 79-80.

² أبو داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في خروج الرجل من ماله، رقم: 1679. وقال الألباني: صحيح، (صحيح سنن أبي داود 1303)

³ الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ علي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، دون ذكر رقم وتاريخ الطبعة، ص 25

⁴ ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ط 1، دار صادر، بيروت 32/ 133

⁵ الفيروز بادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بدون ذكر التاريخ ودار النشر، ص 251

⁶ المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1 / 143

الاصطلاح. إذ من المتعارف عليه بصفة عامة أن تكون التعاريف اللغوية أعم من التعاريف الاصطلاحية.

2 - الاجتهاد اصطلاحاً:

تعددت تعاريف علماء الأصول للاجتهاد واختلفت عباراتهم وصياغتهم في ذلك فمنهم من عرف الاجتهاد بأنه: (بذل الوسع في طلب العلم بحيث يثبت من نفسه بالعجز عن مزيد مطلب)¹، وعرفه الشيرازي بقوله: (استفراغ الوسع وبذل المجهود في طلب الحكم الشرعي)².

أما الإمام الشاطبي فقد عرفه بقوله: (سمو في التفكير وعلو في النفس والعلم، ليكون في مكان النبي صلى الله عليه وسلم، فيبين لنا شرع الله كما ورد في القرآن، وكما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم)³.

وعرفه الآمدي بقوله: (الاجتهاد استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه)⁴.

ويلاحظ في هذه التعاريف أن بعضها جعل قيد العلم في التعريف بما يشتمل عليه من العلم الظني والقطعي مثل تعريف الغزالي. وبعضها فيه تعميم لشموله على الحكم الشرعي العملي وغيره من الأحكام مثل الشيرازي والشاطبي وبعضها جعل الظن قيداً في الاجتهاد مثل تعريف الآمدي.

أما التعريف الذي أراه مناسباً للاجتهاد فهو: بذل الوسع والطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي عملي ظني على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد⁵.

وعند استخراج محترزات التعريف نلاحظ الآتي:

1 - بذل الوسع والطاقة: يخرج به ما يحصل بالتقصير فمن قصر لا يكون عماء اجتهداً

¹ أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ط1 المطبعة الأميرية القاهرة 1423 هـ / 2 / 350

² الشيرازي، أبو إسحاق بن إبراهيم، طبعة دار الفكر، بيروت 1400 هـ / 1980 م ص 12

³ الإمام الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، شرح الشيخ محمد عبد الله دراز و تخرّج إبراهيم رمضان، ط1، دار المعرفة، بيروت 1994 م / 1 / 95 .

⁴ الآمدي، سيف الدين، طبعة مؤسسة النور ، الرياض ، دون ذكر رقم وتاريخ الطبعة ، 4 / 162

⁵ مرعي د. حسن أحمد، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، طبعة إدارة الثقافة و النشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، 1404 هـ / 1984 م

ص 14 .

- 2 - من الفقيه خرج به بذل الوسع والطاقة من غير الفقيه والمراد من عنده ملكة يقتدر بها على استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.
- 3 - في تحصيل حكم شرعي يخرج به الحكم اللغوي والعقلي والحسي.
- 4 - ظني تخرج به المسائل القطعية من دائرة الاجتهاد كوجوب الصلاة وحرمة الزنا، فالعلم بها من أدلتها القطعية في دلالتها وفي سندها لا يسمى اجتهادا لأنه يحصل لكل عالم باللغة ومدرّك للأحكام.
- 5 - على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه، خرج به اجتهاد المقصر مع إمكان البحث والتحري فوق ما بذل فهذا لا يكون اجتهادا معتبرا شرعا¹.

ويتضح أيضا أن الاجتهاد ليس دليلا مستقلا بذاته في إثبات الأحكام كالشأن في الكتاب والسنة، ولكنه يجري في إطار القواعد الكلية التي جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله، ومن ثم فلا يجوز للمجتهد أن يخالف نصا صريحا في الكتاب أو السنة باجتهاده.

إن الاجتهاد ليس وظيفة بل هو مسؤولية دينية، وليس بحثا ترفيهيا ولكنه عمل عظيم يبرز مرونة الشريعة الإسلامية وصلاحياتها لكل زمان ومكان، والمسلمون مأمورون بربط حياتهم في جميع الميادين بنظام الإسلام، بعد وقوفنا على التعريف بالاجتهاد الإسلامي، ومن أجل بسط موضوع البحث محل الدراسة، لابد من الإحاطة بمصطلح البيئة من الناحية اللغوية والاصطلاحية والقانونية، ذلك ما سنقوم ببسطه في المطلب اللاحق.

المطلب الثاني: ماهية البيئة:

01 - البيئة لغة:

نظرا لأهمية التعريف بالأشياء و أثره في فهم الموضوع المراد معالجته سأقوم بالوقوف على التعريف اللغوي للبيئة، إذ تتفق معظم معاجم اللغة على أن البيئة هي المكان، فالأصل اللغوي لكلمة البيئة في اللغة العربية يعود إلى فعل "باء"، و في هذا السياق يرى ابن منظور أن البيئة في لسان

¹ المرجع السابق، ص 15

العرب: (باء إلى الشيء بيوء، أي : رجع، و بواً بتضعيف الواو أي : سدد، و منه قولهم : بواً الرمح ونحوه أي : سدده نحوه و قابله به)¹ . قال الشاعر :

وبوئت في صميم معشرها * وتم في قومها مبوؤها**

أي نزلت من الكرم في صميم النسب، والاسم البيئة².

وتبوأه نزل وأقام، تقول: (تبواً فلان بيتاً أي اتخذ منزلاً، أي: اتخذ منزلاً وذلك إذا نظر إلى أسهل ما يراه وأكثره استواء وأفضله لمبيته فاتخذ منزلاً، ويقال: (أبأه منزلاً) أي: هيأه له وأنزله فيه. وكلمة البيئة والمباءة تعني المنزل.

أما الفيروزآبادي فيرى أن البيئة لغة: بوأه منزلاً، وفيه: أنزله، كأبأه والاسم البيئة بالكسر، والرمح نحوه، قابله به، والمكان حله، وأقام، كأبأه به وتبوأ، والمباءة: المنزل كالبينة والباءة وبيت النحل في الجبل ومتبوأ الولد من الرحم وأبأه بالإيل ردها إليه، وأجابوا عن بواء واحد، أي: بجواب واحد بالكسر: الحالة³.

بواً فلانا منزلاً، وفيه: أنزله، والمنزل له: أعده، تبواً المكان: نزله وأقام به، البيئة (بكسر الباء)، المنزل وما يحيط بالفرد أو المجتمع ويؤثر فيها، يقال: بيئة طبيعية وبيئة اجتماعية وبيئة سياسية⁴.

وذكر الزبيدي في تاج العروس أن معنى كلمة (باء) اشتقت منها بيئة، فيقال: باء إليه، رجع، ومنه قوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ إِنْ هِيَ إِلَّا حِسَابُهُمْ فَلَمَّا سَأَلْتُمُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ 60⁵، أي: رجعوا ...، وبواً المكان حله و أقام به، والبيئة بالكسر : الحالة ، والمباءة متبوأ الولد من الرحم⁶.

¹ ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، مادة بواً بيروت ، دار صادر ، ج 1 ص 67 .

² المصدر السابق ، ج 1 ص 36

³ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت 97/1

⁴ أعضاء جمع اللغة العربية مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ص 67 ، ط 1989

⁵ البقرة: 60

⁶ الزبيدي (محيي الدين أبي الفيض الحسيني الواسطي) ، شرح تاج العروس من جواهر القاموس ، ص 46 - 47 ط 1 إحياء التراث العربي ، مصر، الخيرية 1306 هـ

والظاهر أن كلمة البيئة تأتي بمعنى المكان والمحل والمنزل وكل ما يكون مأوى للحياة. وكلام ابن منظور السابق يبين أن كلمة (تبوأ) تدل على معنيين:

- أ- إصلاح المكان وتهيبته للمبيت فيه (تبوأه) أصلحه وهياه وجعله ملائماً لمبيته ثم اتخذه محلاً له.
- ب- بمعنى النزول والإقامة كأن تقول: تبوأ المكان أي حله و نزل فيه و أقام به، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرًا لِلْعَمِلِينَ 58﴾¹، و قال جل جلاله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ بِأَهْلِي وَائِمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْبَابِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ 31﴾².

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)³.

أما المعاجم غير العربية، فقد وردت كلمة بيئة (Environment) في اللغة الإنجليزية بمعجم (Longman) أنها: (مجموعة الظروف الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها الناس، أما من حيث الوجهة العملية فهي المكان الذي يحيط بالشخص، ويؤثر على مشاعره وأخلاقه وأفكاره)⁴

أما في اللغة الفرنسية فقد جاء في معجم (Larousse) أن (Environnement) هي: (مجموع العناصر الطبيعية للمكان من هواء و ماء و أرض و كائنات حية والتي تحيط بالإنسان، وتشمل كذلك ما يقيمه الانسان من منشآت اصطناعية تشكل إطار حياة الفرد)⁵

وفي المعجم الإسباني فقد وردت (Midio-Amdiente) وتعني الوسط الطبيعي.

¹المنكوت: 58.

²المائدة: 31.

³ صحيح مسلم ، 2 / 829 رقم الحديث 140

⁴ حمد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ط 2، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1984 ، ص 14

⁵ حمد صباريني ، المرجع السابق ، ص 15

وانطلاقاً مما سبق ذكره، يتبين لي كباحث عن المعنى اللغوي لكلمة بيئة، أن هذا المعنى يكاد يكون واحداً وإن اختلفت اللغات، لأخلص بذلك إلى أن البيئة لغة: هي الوسط المحيط الذي يحيا فيه الإنسان مع كل ما يلزم من مقومات حياته ويمارس فيه علاقاته مع غيره من بني البشر.

02 – البيئة اصطلاحاً:

أكد معظم الباحثين في البيئة، وكما ثبت في جل التوصيات الصادرة عن المؤتمرات المنعقدة حول البيئة أن مصطلح البيئة هو: الوسط المحيط بالإنسان الذي يتأثر به ويؤثر فيه¹ وتبين لي أثناء بحثي عن التعريف الاصطلاحي للبيئة أن تعريفات البيئة من حيث الاصطلاح العلمي لها، جاءت ضمن حدود هذا العلم. لذلك تعددت تعريفات البيئة من حيث الاصطلاح العلمي لها.

ومن العلماء الذين تناولوا المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة:

- ابن عبد ربه² (ت 328 هـ) في كتابه العقد الفريد في القرن الثالث الهجري، الذي يعد أقدم من تناول هذه الكلمة أي الإشارة إلى الوسط الطبيعي الجغرافي، المكاني والإحيائي في كتابه: الحكمة.
 - الأصمعي³ (ت 830م)، الذي درس بعض أصناف الحيوانات البرية والبحرية والمتوحشة.
 - الجاحظ¹ (ت 869م) وهو أول من تحدث عن أسس المكافحة الحيوية في كتابه: الحيوان.
- اختلف هؤلاء العلماء من موسع لهذه التعريفات، في حين أن البعض جعلها ضمن إطار معين ومن هذه التعريفات :

¹ ينظر مجلة أخبار البيئة ، عدد 31 بتاريخ 9 يونيو 2009 ، مقال بعنوان : البيئة و مفهومها و علاقتها بالإنسان

² أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، أبو عمر. من أهل العلم والأدب والشعر ، وقد زواج ابن عبد ربه أثناء التحصيل العلمي بين الثقافتين الدينية والأدبية ، فانعكس ذلك على تأليفه لكتاب العقد ، حيث نجد الثقافة الدينية حاضرة فيه بقوة ، إلى جانبها ، نجد حضور الثقافة الأدبية كذلك ، بمعية أخبار الغناء والموسيقى. لكن على الرغم من ذلك ، فإن المصنف تعمق في التحصيل والدرس ، حتى عد من فقهاء الأندلس. ويذهب النارسون إلى أن من أسباب اعتناء ابن عبد ربه بأدب المشاركة ، ما تلقاه عن شيوخه في الأندلس مثل بقي بن مخلد و محمد بن عبد السلام الخشني و محمد بن وضاح ، وجميعهم من رجال المعرفة العميقة و الرحلة الواسعة في أقطار المشرق و الشهرة الناعمة في الأندلس وأقطار المغرب. توفي ابن عبد ربه سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة، ومولده سنة ست وأربعين ومائتين. ينظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي ، حققه وعلق عليه : بشار عواد معروف و محمد بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط : 1 ، 1429هـ/2008م ، ص : 151 و 152

³ عبد المالك بن علي بن أصمعي الباهلي الأصمعي، ولد في البصرة ونشأ فيها، ونبت في مدرسة البصرة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، أحد أئمة العلم باللغة والشعر والرواية والبلدان، و قد اشتهر بروايته المحفوظ من أشعار العرب و نوادرهم. كان كثير الترحال بالبوادي، يقتبس علومها، ويتلقى أخبارها ، وكان جمعه من مادة لغوية دور كبير في تأليف المعاجم العربية القديمة . من مؤلفاته غريب القرآن ، نوادر العرب ، القلب والإبدال ، الإبل ، و الخيل توفي في خراسان. ينظر على الشاذلي: Alaam > http://www.mqatel.com بتاريخ 2020/03/22

- 01 - البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الانسان ويؤثر فيه ويتأثر به، وتمثل البيئة بما يحيط بالإنسان من هواء وماء وتربة وضوء الشمس ومعادن في باطن الأرض والنبات والحيوان على سطحها وفي بحارها ومحيطاتها وأنهارها.²
- يتبين أن هذا التعريف شامل لكل الموارد الطبيعية الموجودة على سطح الأرض وباطنها ويشمل أيضاً كل الكائنات الحية عليها بما فيها الانسان.
- 02 - عرفت البيئة كذلك بالإطار الذي يعيش فيه الانسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بين البشر.³
- 03 - وهناك تعريف آخر ربط البيئة بالأرض وبما فيها من مختلف الأبعاد، والتي قدر لها أن تعيش مع غيره من كائنات ودواب وجناد.⁴
- 04 وقد تكون مجموعة من العوامل البيولوجية والكيمائية والطبيعية، والجغرافية والمناخية المحيطة بالإنسان والمحيطة بالمساحة التي يقطنها والتي تحدد نشاط الانسان واتجاهاته وتؤثر في سلوكه ونظام حياته.⁵
- 05 - البيئة هي الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الانسان بما يضم من ظواهر طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها.⁶

¹ عمرو بن بحر بن محبوب الكنايني بالولاء، الميثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة.

مولده ووفاته في البصرة. فليح في آخر عمره. وكان مشوه الحلقه. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها:

«الحيوان - ط» أربعة مجلدات، و «البيان والتبيين - ط» و «سمعر البيان - خ» و «التاج - ط» ويسمى أخلاق الملوك، و «البخلاء - ط» و «الحاسن والأضداد - ط» و «التبصر بالتجارة - ط» رسالة نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي، و «مجموع رسائل - ط» اشتمل على أربع، هي: المعاد والمعاش، وكتان السر وحفظ

اللسان، والجد والهزل، والحسد والعداوة. وله «دم القواد - ط» رسالة صغيرة، و «تنبيه الملوك - خ» في ٤٤٠ ورقة، و «الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير - ط» و «فضائل الأتراك - ط» و «العرفاء والفراسة - خ» و «الربيع والحريف - ط» و «الحنين إلى الأوطان - ط» رسالة. ينظر على الشابكة

<https://shamela.ws/author/787> بتاريخ 2020/11/14

² نجحي وزيري، العارة الإسلامية و البيئة، عالم المعرفة عدد 97/04 ص 7

³ أحمد إبراهيم شبلي، البيئة و المناهج المدرسية ص 6 الرياض، مؤسسة الخليج العربي 1984 .

⁴ ينظر على الشابكة Ecology > <https://www.feedo.net> بتاريخ 2021/02/22

⁵ ممدوح حامد عطية، إنهم يقتلون البيئة، الناشر: مكتبة الأسرة، تاريخ النشر 1998/01/01، ط 1 ص 17

⁶ الزوكة محمد حميس، البيئة و محاور تدهورها و آفاتها على صحة الانسان، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1430 هـ 2010 م ص 19

06 وقد تكون البيئة عبارة عن سلسلة التواصل بين دورات طاقات الحياة في مجال الانسان

الحيوي والممثل في الأرض مستقر الانسان وموطنه.¹

07 ويمكن للبيئة أن تمثل مجموعة العوامل الطبيعية المحيطة التي تؤثر على الكائن الحي أو التي تحدد

نظام حياة مجموعة من الكائنات الحية في مكان وتؤلف إيكولوجية مترابطة وبعبارة أخرى فإن

البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان أو هي مختلف العناصر الطبيعية التي تؤثر تأثيراً مباشراً على

الكائنات الحية بما فيها الانسان.²

08 المحيط أو المكان الذي تعيش فيه الكائنات الحية والذي يتضمن معناه الواسع بطبيعته الاجتماعية

والثقافية والإنسانية التي تؤثر على أفراد وجماعات الكائنات الحية وتحديد مشكلاتها وعلاقاتها

وبقاءها³

09 وقد عرفها مؤتمر ستوكهولم سنة 1973 م بكل شيء يحيط بالإنسان، وقد يتسع هذا المفهوم

ليشمل كل ما هو خارج عن جسم الإنسان وما هو بداخله.⁴

قال جل جلاله: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَنْهَا مُنْكَرِينَ ۚ﴾⁵ وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْلَشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۚ﴾⁶.

وقد هيأ سبحانه وتعالى مسببات المعاش وأساسيات الحياة في البيئة لتكون بيتاً للإنسان

ومستقره، إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿وَعَايَةً لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَكِينَةُ ۖ أَخْبِثْنَا مِنْهَا خَبَأً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۚ﴾⁷

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ۚ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۚ﴾⁸.

¹ المسلم يوسف ، البيئة والتنمية والرياض ، مكتبة العيكان ، 1417 هـ / 1995 م ص 10 .

² فريد سمير ، حماية البيئة ومكافحة التلوث ونشر الثقافة البيئية ، دار الحامد للنشر والتوزيع ط 1 1424 هـ - 2012 م ص 39 .

³ سلطان أبو عراي ، البيئة والتلوث ، الأردن ، مركز البحث والتطوير ، 1988 ، ص 50

⁴ هشام السبع ، دور المجتمع المحلي في المحافظة على البيئة من التلوث ، دار الحامد للنشر والتوزيع ط 1 1436 هـ - 2015 م . ص 24 .

⁵ هود: 59-60.

⁶ الأعراف: 9.

⁷ يس: 32-34.

وانطلاقاً من التعريفات السابقة، فالتعريف الذي فضلته اعتماده هو الذي يعتبر البيئة مجموعة من العناصر المتنوعة تربطها عوامل لها علاقة بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه تبعاً لقدرته ومستواه الاقتصادي ومكوناته الشخصية وفق النظام الذي يعيشه.

وارتباطاً بموضوع الدراسة التي اشتغل عليها، أرى أن التعريف الأول هو الأقرب، فالمعنى المبحوث عنه للبيئة يشمل كل الموجودات التي تحيط بالإنسان من ماء وهواء وتراب وحيوانات ونبات، وهي بهذا المعنى الشمولي الشديدة الالتصاق بالإنسان يؤثر فيها ويتأثر بها مباشرة ويستمد منها عناصر السلامة لبقائه واستمراره.

فالبيئة إذن هي وحدة متكاملة تتجمع فيها كثير من العلوم التي اكتشفها الإنسان من سياسة واجتماع واقتصاد وغير ذلك¹.

ولما كانت البيئة تدل على جميع الأشياء التي تحيط بالكائنات الحية في هذا العالم، فلا تحصر بشكل كامل ودقيق ونظراً لأهمية هذه العوامل وتأثيراتها المختلفة على الأحياء جميعاً وفي مقدمتها الإنسان، فقد أصبحت الحاجة ماسة إلى دراستها، ومن هنا نشأ ما يعرف بعلم البيئة (Ecologie) ويعد هذا العلم أحد أقسام العلوم الإحيائية الرئيسية، حيث يختص بدراسة العلاقات و التفاعلات المشتركة التي تحدث بين الكائنات الحية بعضها ببعض و بينها وبين مختلف ظروف البيئة المحيطة بها²

وقد وضع كلمة (Ecologie) عالم الحياة الألماني (أرنست هيكل)³، حيث عمل على دمج كلمتين يونانيتين (Oikos) ومعناها (مسكن أو منزل) و (Logos) ومعناها علم وعرفها بأنها: (العلم الذي يدرس علاقة الكائنات الحية بالوسط الذي يعيش فيه، كما يبحث أيضاً في العلاقة المتبادلة فيما بينها وتأثير بعضها على البعض الآخر)⁴.

وعليه فإن البيئة هي المكان الذي يمارس الإنسان فيه مختلف أنشطته حياته.

¹ محمد الحسيني الشيرازي، الفقه البيئية، ص 14، بيروت، مؤسسة الوعي الإسلامي، ط 1.

² عبد الحكيم العبيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، ص 17، القاهرة، البار المصرية ط 2.

³ عالم حياة، ولد في بوسندام عام 1834 م وتوفي عام 1919 م.

⁴ د. محمد الفقي، البيئة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1993 م، ص 18

03 - المفهوم القانوني للبيئة:

اعتمد الفقه القانوني للبيئة في تعريفه على ما يقدمه علماء البيولوجيا والطبيعة من تحديد مكونات البيئة، حيث قال بعضهم: إنها ذات مفهومين يكمل كل منهما الآخر.

أولها: البيئة الحيوية: وهي كل ما يختص بعلاقة الانسان بال مخلوقات الحية الحيوانية والنباتية التي تعيش في صعيد واحد.

وثانيها: البيئة الطبيعية، فتشمل موارد المياه والفضلات والتخلص منها وتربة الأرض والمسكن والهواء وتلوثه، والكائنات الحية، وغير ذلك من الخصائص الطبيعية للبيئة¹.

فيقصد باصطلاح القانون البيئي، القانون الذي يعنى أو يختص بالبيئة بهدف المحافظة عليها ورعايتها، وقد أقر مؤتمر ستوكهولم للبيئة البشرية (1972م) ومؤتمر تيليسي للتعليم البيئي لعام (1978 م) هذا المفهوم عندما عرفاه بأنه:

(مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الانسان والكائنات الأخرى، ويعتمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطهم).²

وقد اخترت بعض التعاريف القانونية لبعض البلدان للوقوف على اختلافها من بلد لآخر. إذ عرف المشرع المغربي البيئة (بمجموعة العناصر الطبيعية والمنشآت البشرية والعوامل الاقتصادية والثقافية التي تساعد على وجود وتغيير وتتمية الوسط الطبيعي والكائنات الحية والأنشطة البشرية).³

أما المشرع الفرنسي فقد حدد كلمة البيئة في: (تلك الناتجة عن علوم الطبيعة والمطبعة على المنتجات الإنسانية).⁴

¹ دارا محمد أمين سعيد حماية البيئة في ضوء الشريعة الإسلامية و الصكوك الدولية و القوانين الوطنية، دار الفتح للدراسات و النشر ط 1 1438 هـ - 2015 م ص32

² بدرية عبد الله العوضي، دور المنظمات الدولية في تطوير القانون الدولي البيئي، مجلة الحقوق الكويتية، المجلد 9 عدد 2 : سنة 1885 ص 40 .

³ ظهير شريف رقم 1-03-60 صادر في 12 ماي 2003 بتنفيذ القانون رقم 12، 03، المتعلق بدراسات التأثير على البيئة .

⁴ محمد سهيل محمد العزام، دراسة المفهوم القانوني للبيئة، ط 1 أريد 2010 ص 27 .

واعتبر المشرع الفرنسي هذه العناصر تراثاً مشتركاً للأمة واجب الحماية وهي الفضاء والموارد والوسط الطبيعي والمناظر والمشاهد الطبيعية، نقاء الهواء، أنواع الحيوانات والنبات، التنوع والتوازن البيولوجي، كلها تشكل جزءاً من تراث الأمة المشترك¹.

أما المشرع المصري فقد توسع في مفهوم البيئة وعرفها في قانون البيئة رقم 4 لسنة 1994، والمعدل بالقانون رقم 9 لعام 2009، المادة الأولى بأنها: (المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات وما يحتويه من موارد وما يحيط به من هواء وماء وتربة وما يقيمه الانسان من منشآت)².

في حين عرف المشرع السوري البيئة بأنها: (المحيط الذي تعيش فيه الأحياء من إنسان وحيوان ونبات ويشمل الماء والهواء والأرض وما تحويه من مواد وما يؤثر على ذلك المحيط)³.

وانطلاقاً من التعريفات السابقة يتضح أن أقلام الفقهاء القانونيين لم تتفق على تعريف واحد للبيئة ولعل ذلك يعزى أساساً لاختلاف وجهات نظر الباحثين، كما أن المشرع نفسه يعطي عدة تعريفات لذات المصطلح، نظراً لاختلاف المجال القانوني الذي يشرع من أجله، سواء كان مدنياً أو جزائياً أو إدارياً.

فقواعد القانون البيئي أياً كان مصدرها تلتقي عند هدف واحد، يتمثل في ضمان استدامة عناصر البيئة والمحافظة على توازنها وحمايتها من كافة أشكال التدهور والتلوث والتدمير⁴.

والذي يبدو لي أن القانون البيئي يعنى بحماية البيئة الطبيعية والبشرية على حد سواء، وهو قانون نشأ جديداً وتطور سريعاً، وهو يحاول الحد من كل التصرفات التي تؤدي إلى الإخلال بالبيئة وتحدد أحكام مسؤولية الملوثة، وتجرم المخالفين، وتنظم السلوكيات التي تضر بالبيئة لضمان حماية عناصر البيئة واستدامتها.

لذلك ساهم بروز الوعي البيئي لدى الفاعلين الدوليين في جعل الاهتمامات البيئية بمثابة محددات أساسية في السياسة الدولية، هذه الاهتمامات التي تم التعبير عنها في مجموعة من الاتفاقيات¹.

¹ قانون البيئة الفرنسي رقم 914 الصادر في 18 شتنبر 2000 .

² مازن ليلو ، الحماية الإدارية للبيئة ، مجلة المستقبل العراقي ، العدد 18 سنة 2008 ص 5 .

³ المادة الأولى من قانون حماية البيئة السوري ، رقم 12 لعام 2012

⁴ عبد الناصر هياجنة ، القانون البيئي النظرية العامة للقانون البيئي مع شرح التشريعات البيئية ، ص 22 .

ونحن بصدد الحديث عن البيئة من الناحية القانونية، نذكر أن إحساس الإنسان بالخطر البيئي الذي يهدده من كل حذب وصوب حتم عليه سن العديد من التشريعات القانونية لحماية البيئة.

المطلب الثالث: مفهوم البيئة في المنظور الإسلامي:

لا يخفى على الباحثين عموماً أن هناك فرقاً بين المصطلح و المفهوم ، فالمفهوم يحاكي الفكرة ، والمصطلح يحاكي اللفظ الذي يعبر عن هذه الفكرة، و ينبغي أن نقرر بداية أن البيئة من حيث المصطلح، لفظ " البيئة " لا وجود له في الأدبيات الإسلامية، فلم يرد لفظ " البيئة " في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، و لا يعني غياب مصطلح " البيئة " عن الاستخدام في الشريعة الإسلامية، غياب جوهره عن الفقه الإسلامي و التاريخ الفكري للمسلمين فالبيئة من حيث المفهوم ومن حيث الفكرة، لا غبار على أنها موجودة، بل حاضرة و بشدة في النصوص الشرعية و الأدبيات الإسلامية .

إن تحديد مفهوم البيئة في شريعة الإسلام يحتم علينا معرفة الأصل الاصطلاحي للبيئة، أي المصطلح المرادف لدلالاتها في شريعة الإسلام، والحدود المختلفة لاستخدامه، إذ في ضوءها يتم تحديد المفهوم الإسلامي للبيئة.

01 - التأصيل الشرعي لمصطلح البيئة:

سأحاول الوقوف على مصطلح البيئة وبعض مشتقاته من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أ – البيئة في القرآن الكريم:

من خلال استقراء الآيات القرآنية الكريمة، ورد فعل (بواً) ومشتقاته 14 مرة بصيغ مختلفة، وبدلالتين أساسيتين، فالأولى بمعنى: الرجوع بالشيء والاعتراف به والإقرار به، وهي على وزن فعل.

¹ د.الحسين شكراني و د.عبد الرحيم خالص، الإنسان و البيئة ، مقاربات دينامية لدرء مخاطر التغيرات المناخية ،، فضاء آدم للنشر ط 1 ، 2018 ص 32 .

أما الدلالة الثانية: وهي الأكثر شيوعاً، فتدل على النزول والإقامة بمكان أو منزل وهي على وزن فعل¹ وقد ورد هذا المصطلح - بوا - مقترناً بالجدر (فسد) مشتقاته المختلفة 24 مرة سواء على سبيل وصفه واقعاً أو على سبيل النهي عن إيقاعه². وبالبحث في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. نجد أن مدلول لفظ "البيئة" كان مرتبطاً بكلمة "الأرض"، والفعل "بوا" قرن بالأرض مباشرة ليتم تحديد مفهوم البيئة بأنه: (الأرض وما تضمنه من مكونات غير حية في مظاهر سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان، وصخور ومعادن وتربة وموارد مياه ومكونات حية ممثلة في النباتات والحيوانات البرية والنشأة، سواء كانت على اليابسة أو في الماء و ما يحيط بالأرض من غلاف غازي يضم الكثير من العناصر الأساسية اللازمة لوجود الحياة على سطح الأرض)، نجد أن البيئة بهذا المفهوم (الأرض وما عليها وما حولها) قد ورد ذكرها في القرآن الكريم في 199 آية في سور مختلفة³. منها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾⁴ 10، وقوله جل جلاله: ﴿وَأُخْرِجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾⁵ 2، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾⁶ 60.

ومن يتدبر القرآن الكريم يتعجب، سيقف على العناية الربانية بالبيئة بكل مكوناتها، والتأكيد على أهميتها البالغة، ومن ثم حتمية حمايتها والمحافظة عليها، وقد وسم القرآن الكريم العديد من الأمم بأنهم مفسدون في الأرض.

تجدر الإشارة أن علماء المسلمين لم يستخدموا كلمة (البيئة) استخداماً اصطلاحياً إلا بعد القرن الثالث الهجري، وربما كان ابن عبد ربه صاحب كتاب (العقد الفريد)، هو أقدم من نجد عنده المعنى الاصطلاحي للكلمة في كتاب (الجمانة)، ويقصد به الإشارة إلى الوسط الطبيعي، والجغرافي،

¹ إيمان قشوش، موقف الشريعة الإسلامية موضوع حماية البيئة، أطروحة مقدمة في إطار الواجبات لنيل لقب الماجستير في الآداب، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حيفا، 2007 ص 9.

² المرجع السابق، إيمان قشوش، ص 9 - 10.

³ البيئة من منظور إسلامي، ينظر على الشابكة www.islaist.com بتاريخ 2022/04/12.

⁴ البقرة: 10.

⁵ الزلزلة: 2.

⁶ هود: 60.

والمكاني، والأحيائي الذي يعيش فيه الكائن الحي بما في ذلك الانسان، وللإشارة إلى الجانب الاجتماعي، والسياسي، والأخلاقي والفكري المحيط بالإنسان¹.

فالقيم الدينية والثقافية والاجتماعية لها أثرها في النظرة إلى البيئة والموارد الطبيعية واستخدامها وإدارتها، وهي الأرض الخصبة والمكون الأساس لثقافة الشعوب في قضية البيئة، والسبب في ذلك هو الدور الذي يمكن أن يلعبه الدين في عقول الناس وتأثيره الخاص على ثقافتهم وحياتهم.

ولعل نقطة الانطلاق نحو فهم طبيعة الدين الإسلامي في تعامله مع الأنظمة البيئية تتمثل في النظرة القرآنية لهذه الأنظمة التي يعتبرها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة أنها مسخرة للإنسان من جهة وأنها من صنع الله وخلقته وتديره من جهة أخرى.

فإذا كان سبحانه وتعالى قد خلق البيئة وسخرها لخدمة الانسان، فمن الطبيعي أن يسن تشريعات تكفل حفظ التوازن البيئي، وترشد الانسان إلى طريقة حماية البيئة وكيفية التعااطي مع أنظمتها وقوانينها، وقد شرع الإسلام الضوابط ووضع السلوكيات وأنتج الأدبيات التي تكفل عملية التعااطي بين الانسان وبيئته، وكان المبدأ الأساس والحاكم فيه هو عدم الإفساد في الأرض والدعوة إلى البناء لا إلى الدمار، وإلى العمران بدل الخراب وإلى الصيانة بدل الإفساد².

ويمكن حصر مكونات البيئة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في العناصر التالية:

● السماء:

ذكرت السماء في القرآن الكريم 120 مرة³، وهي زينة لفضاء الأرض ومصدر للجمال، قال جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ⁴﴾

¹ محمد عبد الله المسيكان ، حماية البيئة : دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية و البيئة ، ص 20

² الشيخ خليل رزق ، الإسلام و البيئة ، دار الهادي ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1427 هـ ، 2006 م ، ص 47

³ محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ط 2 ، 1988 م .

⁴ المالك: 5.

والمتنصف للقرآن الكريم سيجد أن السماء من أكثر المكونات ذكرا، وهي العنصر الأول من عناصر التسخير، كما أنها السقف المحفوظ الذي يحيط بالأرض من جميع الجهات إحاطة السوار بالمعصم ، ليحميها من الإشعاعات الكونية الضارة ، و ليجعل الحياة صالحة وممكنة على هذه الأرض¹.

قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ 32 ²، وهي مصدر الماء الذي به حياة كل شيء، إذ قال جل جلاله: ﴿أَمْنَ خَلْقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَاءً ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ آله مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ³ 62 ⁴.

والسواء تحتضن غيرها من المكونات، إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ 6 ⁴، ويقول سبحانه: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ 3 واختلاف الليل والنهار وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضَرِّفُ الرِّيحُ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⁵ 4 ⁵ تؤكد هذه الآيات أن الله تعالى جعل السماء وما فيها مسخرة للإنسان و هي حماية له و لرزقه ومعاشه، ومن ثم فإن محاولة إفسادها إفساد للحياة على الأرض و لذلك أمرنا الله سبحانه بالحفاظ عليها .

● الأرض:

هي البيئة الطبيعية وهي مأوى الإنسان والحيوان والنبات، جعلها الله عز وجل ذلولا تأتي بمختلف الثمار، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ 16 ⁶، والأرض هي مخازن المياه حيث أشار القرآن إلى ذلك، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ 18 ⁷، وهي تقوم بعمل المصفاة التي تصفي المياه من الشوائب العالقة فيها، لتخرج من باطنها ماء نقيا فراتا وتكون قشرة الأرض من معادن متعددة تدخل في حياة الإنسان من أوسع أبوابها، فالكثير منها يدخل في بناء المادة الحية في جسم الإنسان كالحديد والكالسيوم، فضلا عن كونها عصب عملية التصنيع والتشديد، وأشار القرآن إلى ما أصاب التربة

¹ محمد عبد الله المسيكان ، حماية البيئة : دراسة مقارنة بين الشريعة و القانون الكويتي ، 2012 ص 21

² الأنبياء: 32

³ النمل: 62.

⁴ الصافات: 6.

⁵ الحج: 4-3.

⁶ الملك: 16.

⁷ المؤمنون: 18.

من تلوث و نقص ما فيها من معادن لقوله سبحانه: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ بِإِذْنِ رَبِّهِ نَبَاتًا وَذُرًّا خَبِيثًا لَا يَخْرِجُ إِلَّا تُكَدُّ كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيْتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾¹، فالأرض جيدة التربة يخرج نباتها بإذن ربها، وتلك التي تلوثت وخبثت لا يخرج نباتها إلا قليلا بسبب المواد الغريبة التي اختلطت بها، وخبث الأرض قد يدخل في معناه ندرة المعادن والأملاح الضرورية لحياة النبات ونحوه².

● الماء:

الماء عصب الحياة ويتشكل منه جسم الإنسان والحيوان والنبات ولا يمكن أن تستمر الحياة والحضارة بدون الماء يؤكد ذلك قول الخالق جل جلاله: ﴿وَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾³ ومن المعلوم أنه ما كان للإنسان أن يولد ولا لجمهرة الكائنات ان توجد، وللحياة أن تستمر وتزدهر لو غاض الماء و انقطع خير الساء، والماء ينزل من السماء بقدر، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾⁴ إذ بحكمة الخالق سبحانه لا ينذر بحيث يعجز عن إحياء الأرض، ولا يزيد بحيث يغرق الأرض، ويقضي على الحرث والنسل، فهو ينزل بقدر يسلم معه الناس من المضرة ويصلون إلى المنفعة في الزرع والغرس والشرب⁵.

إلا أنه يشترط الحفاظ عليه وشكر الخالق الرازق على هذه النعمة، فبالرغم من وجوده بكثرة إذ يغطي 71 % من سطح الأرض إلا أن المياه العذبة منه لا تزيد نسبتها عن 2 % بما فيها من مياه متجمدة على هيئة ثلج و جليد في القطبين، فالمياه التي تنزل من السماء تستخدم للشرب ولإنبات الزرع وأصناف الأشجار والثمار و لهذا فإن إفسادها كفر بنعمة الله عز وجل ومنذر بزوالها إذ يقول سبحانه في ذلك: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٥٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْتَهُ أَجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾⁶، والماء هو الحياة لكل كائن، جعله الله سبحانه حقا شائعا بين بني آدم وكل المخلوقات، قال صلى الله عليه و سلم: (الناس شركاء في ثلاث : الماء و النار

¹ الأعراف: 57.

² عبد العلم عبد الرحمن خضر، هندسة النظام البيئي في القرآن الكريم، دار الحكمة، البحرين ط 1 ص 86.

³ الأنبياء: 30.

⁴ المؤمنون: 18.

⁵ الإمام الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت 1993، مجلد 14 ج 27.

⁶ الواقعة: 58-70.

و الكلاً¹)، وقال ابن الأثير في جامع الأصول : (وقوله : الناس شركاء في ثلاث، في الماء والكلاً والنار، أراد بالماء : ماء السماء والعيون التي لا مالك لها، وأراد بالكلاً مراعي الأرضين، التي لا يملكها أحد، وأراد بالنار : الشجر الذي يحتطب به الناس فينتفعون به)²، وعلى هذا فإن إفساد الماء من قبل بعض الناس يعني أسقاط حق الآخرين فيه، وتضييع ما أعد الله لعباده ومكنهم فيه وهذا ما أخبرنا به القرآن الكريم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾³.

● الهواء:

الهواء من نعم الخالق التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُفْسِمْ بِمَا تَبِصُرُونَ 38 وَمَا لَا تَبْصُرُونَ 39﴾⁴ وحكمة بالغة، جعله الله تعالى ملكاً للجميع، و لو أمكن للإنسان التسلط على الهواء لباعه واشتراه وتقاتل عليه كما فعل في كثير من الأشياء التي سخرها المولى له وجعلها أمانة في عنقه، والهواء هو مادة النفس (يفتح الفاء) الذي لو انقطع لحظات عن الانسان أو الحيوان لمات ولولاها لما جرت الفلك في البحار والأنهار⁵. كما أن الهواء يحيط بالأرض من جميع أطرافها، ويرتفع فوقها إلى مسافة 16 كلم تقريباً، وهو خليط غازي مؤلف من الأوكسجين والنيتروجين والأرغون وثاني أوكسيد الكربون والهيدروجين وغازات أخرى بنسب في غاية من الدقة⁶ ، وقد ذكر الهواء في القرآن الكريم بلفظ الريح والرياح وهي الهواء المتحرك في الطبقات المحيطة بالأرض⁷، قال الله سبحانه: ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ؕ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁸، فهي تارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمععه وتارة تفرقه وتارة تصرفه مع اختلاف

¹ سنن ابن ماجه ، تحقيق خليل شحبا ، دار المعرفة ، بيروت ط 1 / 1996 د 3 / 176 رقم الحديث 2472 .

² ابن الأثير الجزري ، جامع الأصول ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار البيان ، ط 1 / 1969 ، 1 / 485 الروم: 40.

³ الخافقة: 39-38.

⁴ مرجع سابق ، مفاتيح الغيب ، 4 / 223 .

⁵ عدنان الشريف ، علوم الأرض القرآنية ، دار العلم بيروت ط 2 / 1994 ص 83 .

⁶ مرجع سابق ، معجم ألفاظ القرآن الكريم 1 / 522 .

⁷ المجانية: 4.

جهاً¹. وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ 21﴾²، والذي يحضر صلاة الفجر مع الجماعة يكتشف الفرق الكبير بين الهواء النقي والهواء الملوث، فالهواء الخالي من الغازات الملوثة، استنشاقه يريح النفس، ويبعث فيها الطمأنينة في حين أن الهواء الذي اختلط بالملوثات يصيبها بالضيق والاختناق.

ب - البيئة في السنة المشرفة:

ورد الجدر (بوا) ومشتقاته في السنة النبوية المطهرة بأسلوبين مختلفين: فالأول بصيغة المصدر، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)³، كما ورد الثاني بصيغة فعلين مضارعين، فجاء الأول مقيدا بمفعوله كقوله صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي متعمدا فليتبوأ - لينزل منزلة من النار - مقعده من النار)⁴. أما الفعل المضارع الثاني، فقد جاء مكثفيا بفاعله، و منه قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك وأنا على عهدك و وعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي " رجع .. ب..، وأقر .. ب..، " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)⁵.

وعلى ضوء ما سبق يتبين أن البيئة في المصطلح الإسلامي هي الأرض وما يتصل بها ويؤثر فيها، باعتبارها منزل إقامة الانسان.

02 - مميزات البيئة في المنظور الاسلامي:

إن مفهوم البيئة في المنظور الإسلامي يعني أكثر من مجرد سرد لمكونات البيئة أو النظام البيئي فهو يربط هذه المكونات بالنفس البشرية، لأن شريعة الإسلام لا تقف بالإنسان عند حدود الماديات وشكلها وإنما تجعلها وسيلة لبلوغ الهدف الأسمى، وهو تزكية النفس وتطهيرها، وإعادة صياغتها على نحو

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، إحياء التراث الإسلامي، الكويت، 1/ 355.

² إبراهيم: 21.

³ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجري الخراساني، أبو بكر البهقي، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، شعب الإيمان، باب تحريم الفروج وما يجب من التعفف منها، ج 7، ط 1 الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند 1423هـ / 2003 م، ص 333

⁴ أبو زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي، رياض الصالحين، مكتبة الصفاء، القاهرة، 2003 م ص 343.

⁵ أبو الفضل أحمد شهاب الدين بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني، فتح الباري، باب الدعوات، ج 11، دار الحديث، القاهرة، 1998م، ص 116

خال من العقد والاتصامات وهو ما تنفرد به الحنفية السمحة عما سواها من شرائع البشر وقوانينهم الوضعية¹، ومن هنا ففهوم البيئة في المنظور الإسلامي يتميز بالأمور التالية.

أ- فالبيئة تعني الكون كله حيث يشمل جميع المكونات المادية الحية وغير الحية²، وذلك استنادا للتعريف التي سبق ذكرها فلا يمكن الإحاطة بالبيئة إلا بشموليتها، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ 1 خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ 2 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ 3 وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ 4 وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ 5 أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ 6 وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ 7 وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ 8 فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ 9 وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ 10 فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ 11 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ 12 وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ 13﴾³، فالحق سبحانه وتعالى يبين في هذه الآيات القرآنية أن البيئة تشمل العديد من العناصر والمكونات، كالإنسان والسماء والأرض، وغيرها من العناصر.

ب- كما تبين الآيات القرآنية قوة الارتباط بين مكونات الكون والعلاقة السببية التي تجمع بين عناصره، يقول الحق عز وجل: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ 18 وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ 19﴾⁴، فالحق سبحانه وتعالى يثبت لمخلوقاته وبالأدلة الملموسة، أنه سبحانه وتعالى القادر على إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، وذلك دليل قوي على الترابط الثابت بين العناصر المكونة للكون والبيئة، هذا بالإضافة إلى أن كل مكونات الكون يكمل بعضها البعض لتصبح هذه البيئة صالحة للحياة.

ج - ولما خلق الله سبحانه وتعالى هذه البيئة بمعطيات ومكونات ذات مقادير محددة، وبصفات وخصائص معينة بحيث تكفل لها هذه الخصائص القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للبشر، وباقي الكائنات الحية الأخرى التي تشاركه الحياة على الأرض، وذلك من أجل عيش كريم للإنسان، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى

¹ عبد الحكيم الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الاجتماعي الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994، ص 103،

² عمر الديب، مبادئ البيئة في الشريعة الإسلامية، الأزهر، 2007 ص 196.

³ الرحمن: 1-13.

⁴ الروم: 18-19.

كثير مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا 70¹، وكل اختلال تراه في هذا الكون سببه الانسان، الذي سبب فعله غير المتزن في العديد من المشاكل التي تعاني منها البيئة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا 2²﴾، ويقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ 49³﴾، هاتان الآيتان الكريمتان توضحان أن البيئة الطبيعية في حالتها العادية دون تدخل مدمر ومخرب من جانب الانسان تكون متوازنة على أساس أن كل عنصر من عناصر البيئة الطبيعية قد خلق بصفات محددة وبحجم معين بما يكفل للبيئة توازنها، ويؤكد ذلك قوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ 19⁴﴾. وكل استغلال لمكونات البيئة لا يتناسب والتوازن الذي خلقها عليها الخالق سبحانه سينج عنه لامحالة اختلال بيئي.

د- لما خلق الله سبحانه وتعالى السماء والأرض، أمر سبحانه السماء أن تطلع بما خلق فيها من شمس وقمر ونجوم، وأمر سبحانه الأرض أن تخرج ما خلق فيها من أشجار وثمار ونبات وأنهار، فكانت الإجابة أنها طاعتين أمر خالقها⁵، يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ لِيُتَيَّا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ 10 فَفَضَّلْنَهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْجَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ 11⁶﴾، فكل مكونات البيئة بعناصرها الحية والجامدة، العاقلة وغير العاقلة، خاضعة ومنتقدة لأمر الله، وهي تشترك مع الانسان في سجودها لله تعالى، والإذعان لسنننه في الخلق، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُونَا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ 48 وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ 49⁷﴾ وهي كذلك تشترك مع الانسان في تسبيحها لله رب العالمين، يثبت ذلك قوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ 1⁸﴾.

¹الإسراء: 70.

²الفرقان: 2.

³القم: 49.

⁴الحجر: 19.

⁵ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 477.

⁶فصلت: 10-11.

⁷الحل: 48-49.

⁸التغابن: 1.

هـ - بينت كثير من نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة بأن البيئة كائن حي ونابض له من الأحاسيس والانفعالات ما يصل إلى حد الفرح برؤية عباد الله الصالحين، أو الحزن والبكاء عند فقدهم، لما اعتادته منهم من عمل الخير فيها.¹ كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾²، كما أنها لا تأبه بفقد الطالحين أو هلاكهم لما يرتكبونه عليها من سفه وحقاقة، إذ يقول المولى جل وعلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾³ 28 وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ إِسْرَءِيلَ مِنْ الْعَذَابِ الْمُهِينِ 29 ﴿³، تشير هذه الآية إلى قوم فرعون الذين لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد منهم خير إلى الله عز وجل، فلذلك لم تبك عليهم السماء والأرض.⁴ وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد جبل أحد رفقة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهم، فرجف بهم الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان⁵، وعن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاها فالتمزه فسكن⁶، هكذا يتبين لنا أن مكونات البيئة الجامدة كانت لها أحاسيس كأحاسيس الإنسان من فرح وحزن.

المطلب الرابع: المحافظة على البيئة في الاجتهاد الإسلامي:

ومن المعلوم أنه ما من حادثة إلا وللإسلام فيها حكم بالحل أو الحرمة، ومبادئ الإسلام ونصوصه تمكن الفقيه القادر على فهمها من استنباط الحكم الشرعي المناسب لها ولا يكون هذا الاستنباط إلا بالاجتهاد، فالاجتهاد مطلوب شرعا وإلا وقع المسلمون في الحرج والإثم.

أولى فقهاءنا موضوع البيئة والقضايا المتعلقة بها اهتماما كبيرا، وهذا الاهتمام يترجم ما أمر به القرآن الكريم في نصوص تشريعية تناولت قضايا متعددة ذات صلة بالأرض واستغلالها والحيوانات وحمايتها، و غير ذلك من الأمور التي تحقق كل نفع للإنسان و تمنع عنه كل ضرر، و إذا جاز لنا أن نذكر أمثلة فإننا نذكر ما صاغه الإمام مالك و الإمام أبو حنيفة من مبادئ حول عدم شرعية ممارسة الحق

¹ الصعيدي ، البيئة في الفكر الإنساني و الواقع الالهامي ، ص 103

² الفرقان: 63.

³ الدخان: 28-29

⁴ ابن كثير ، مختصر تفسير ابن كثير دار المعرفة بيروت ، 3 / 303

⁵ البخاري (ت 256) صحيح البخاري 3675 ، حديث صحيح

⁶ الترمذي (ت 279) سنن الترمذي 505 ، حسن غريب

المؤدي إلى ضرر، وخاصة فيما يتعلق بملاك الأراضي، واستعمالهم لها المؤدية إلى الإضرار بالآخرين، وكذلك ما وضعه أبو يوسف¹ من قيود على حقوق الأفراد والسلطات في زراعة الأرض البكر حين تسفر عن ضرر بالغ، و مثل ذلك ما وضعه ابن قدامة من قيود على استخراج المياه الجوفية إذ ليس للإنسان الحق في أن يؤثر على بئر جاره تأثيراً سيئاً عن طريق خفض النطاق المائي أو تلويث الطبقة الصخرية المائية²، وتحدث الفقهاء بتفصيلات دقيقة عن المياه والطهارة بجميع أنواعها شخصية كانت أو بيئية، كما تحدثوا عن النباتات والزروع وما يتعلق بها من أحكام تحميها من القطع والإفساد، وتحدثوا عن إحياء الأرض الموات وما يؤدي إلى ذلك من حاية للنظام البيئي وتوازنه، و تناولوا أيضاً الكثير من القضايا التي تعالج مسألة التلوث و آثارها الضارة بالإنسان والمجتمع ومن ذلك مثلاً التلوث السمعي الذي عالجته الفقهاء كأحد الأضرار التي يجب أن تدفع عن الإنسان حيث يقول محمد عبد القادر الفقهري³ في ذلك: " وقد قسم الفقهاء الضرر الناتج عن الأصوات إلى قسمين: ضرر يجب درؤه، و ضرر يمكن احتماله، ومثال القسم الأول: الأصوات و الذبذبات الناتجة عن البوابات إذ إنها تؤثر على سلامة المباني المجاورة، يروي ابن الرامي⁴ في كتابه الإعلان بأحكام البنين، أن مجموعة من الناس أقاموا بوابة لحارثهم، يفتح بابها على حائط جار لهم، فقاضاهم هذا الرجل، بدعوى أن فتح الباب وغلقه المستمرين قد أضرا به وأقلقا راحته، فتحرى ابن الرامي الأمر، ووجد الحائط يتذبذب من جراء فتح الباب و غلقه، فأمر القاضي بهدم البوابة وإزالة بابها. أما القسم الثاني: من الضرر فينتج عن الأصوات التي تسبب الضيق دون الضرر. وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه، فلم يعتبره الفقهاء الأوائل ضرراً يجب درؤه. فالمطرف⁵ وابن الماجشون⁶ رأوا عدم إيقاف الغسال والضراب لمجرد أن ضوضاء عملها تقلق الجيران بل

¹ هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي. من حلفاء الأنصار، شهد الخندق وغيرها. مولد أبي يوسف في سنة ثلاث عشرة ومائة. وحدث عنه: يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن الجعد، وأسد بن الفرات، وأحمد بن منيع، وعلي بن مسلم الطوسي، وعمرو بن أبي عمرو الحراني، وعمرو الناقد، وعدد كثير. وقال النسائي في طبقات الحنفية: وأبو يوسف ثقة. توفي أبو يوسف يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين ومائتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، الطبعة السابعة ج 8 ص 536.

² ضياء الدين سيدار، نحو نظرية إسلامية عن البيئة، تركية البطراوي، مجلة المسلم المعاصر، السنة 15 عدد 59، عام 1994 ص 87 و ما بعدها.

³ باحث مصري من مواليد 1978م بالقاهرة، حنفي المذهب

⁴ محمد بن إبراهيم اللخمي عرف بابن الرامي من أبناء تونس و بها نشأ و درس في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، أخذ ن أعلام ذلك العصر، اختاره قضاة زمانه خبيراً في البناء توفي سنة 734هـ، ينظر الإعلان بأحكام البنين، 119/1، تحقيق و دراسة عبد الرحمن بن صالح الأطرم، ط 1، 1416هـ / 1995م، دار إشبيلية، الرياض

⁵ مطرف الفقيه صاحب مالك، هو ابن أخته، وكان مطرف أحم. روى عن مالك وأبي الزناد وعبد الرحمن بن أبي المولى وعبد الله بن عمر العمري، وروى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وإبراهيم بن المقدّر والنهلي ويعقوب بن شعبة والبخاري، وخرج عنه في صحيحه. قال الشيرازي: تفقه بمالك، ينظر على الشاكلة

<http://islampoint.com/w/trj/Web/280/128.htm> بتاريخ 2020/02/12

⁶ قال محمد بن سعد والدارقطني: هو يعقوب بن أبي سلمة، أخو عبد الله. قال الباجي: والماجشون المورد، بالفارسية. قال البارقطني: سمي بذلك لحرمة في وجهه. وحكى ابن خلد أن أحدهم يلقى الآخر يقول: شؤون، شؤون يعني كيف أنت. وحكى ابن حارث: أن ماجشون موضع بخراسان نسبوا إليه، وكان عبد

ذهب ابن القطان¹ إلى عدم جواز منع أحد من ضرب الحديد في منزله، وإن كان يفعله ليل نهار بشرط أن يعتمد معاشه على ذلك، أما من لحقهم من الفقهاء فقد كان لهم رأي مغاير، فاعتبروا الصوت والصدى ضوضاء ومصدراً للضرر يجب درؤه، فقد وضع قضاة طليطلة - حسب رواية ابن الرامي - قواعد صارمة لمنع وجود الكمادين لما يسببون من ضرر و ضيق للجيران بما يصدر عنهم من أصوات، كما أعرب ابن عبد الرافع² في تونس عن تفضيله منع بناء حضائر للحيوانات محاذية للمباني، لما تسببه حركة الحيوانات الدائمة أثناء الليل والنهار من إزعاج قد يمنع الجيران من النوم³.

المطلب الخامس: علاقة البيئة بالطبيعة:

تبعاً للتعاريف المشار إليها سابقاً، لاحظنا أنها تركز على الطبيعة، إذ تشكل هذه الأخيرة الجزء الأكبر من مفهوم البيئة، كما يظهر مصطلح التلوث كلما أثّرت مسألة حماية البيئة، بالإضافة إلى الترابط الوثيق بين البيئة وكذا الفكرة التي جاء بها مؤتمر ريودي جانيرو والمتمثلة في التنمية المستدامة⁴، لأجل ذلك يتعين إبراز علاقة البيئة بالمفاهيم المذكورة أعلاه.

تعتبر الطبيعة كل ما يحيط بالإنسان من موارد الحياة المختلفة والفصائل الحيوانية والنباتية والموارد الطبيعية و ما يترتب على استغلالها من آثار سلبية أو إيجابية، ولذلك وجب عدم الخلط بين البيئة Environment والطبيعة Nature لأن الطبيعة هي الأساس لكل ما هو بيئي، إذ البيئة وصف لما هو أشمل وأعم من الطبيعة المكونة من عناصر وجدت مجالها، فالبيئة تضيف إلى فكرة الطبيعة أوضاعاً وعناصر جديدة استحدثها الإنسان وبصفة خاصة المنشآت الحضرية⁵ إذا فهو يشمل الوسط

الملك فقيهاً فصيحا، دارت عليه الفتوى في أيامه إلى موته، وعلى أبيه قبله فهو فقيه ابن فقيه. قال مصعب: عبد الملك مفتي أهل المدينة في زمانه، خرج عنه البخاري ومسلم، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل: سنة أربع عشرة. سير أعلام النبلاء، الطبعة الحادية عشرة، ابن ماجشون.

¹ الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد المجدد القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم الحنبري الكنايني المغربي الفاسي المالكي المعروف بابن القطان. قال الحافظ جمال الدين ابن مسدي: كان من أئمة هذا الشأن، قصري الأصل، مراكشي البار، كان شيخ شيوخ أهل العلم في الدولة الموحية، فتمكن من الكتب وبلغ غاية الأمانة، وولي قضاء الجماعة في أثناء تقلب تلك الدول فنسخت أواخره الأول، وقمت عليه أغراض انتهكت فيها أعراض. وسمع أبا عبد الله بن الفخار، وأكثر عنه، وأبا الحسن بن النقرات، والحظيب أبا جعفر بن يحيى، وأبا ذر الحشني. وقال الأبار كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأساء رجاله، وأشدّهم عناية بالرواية، رأس طلبة العلم بمراكش وقال بخدمة السلطان دنيا عريضة، وله تصانيف، درس وحدث، قال: وتوفي في ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وستائة وهو على قضاء سبيلاسة. علق من تأليفه كتاب "الوهم والإيهام" فوائد تدل على قوة ذكائه، وسيلان ذهنه، وبصره بالعلل، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، الطبعة 33، ج 22 ص 307.

² -قاضي الجماعة إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد الرفيع الربيعي توفي سنة 734هـ، وقيل: سنة 732هـ، من القضاة التونسيين الذين لقبهم ابن الرامي وعمل معهم وذكرهم في كتابه الإعلان بأحكام البنيان.

³ محمد عبد القادر الفقيهي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، البيئة، مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، رؤية إسلامية، ص 86

⁴ مؤتمر ريودي جانيرو: ثاني مؤتمر دولي حول البيئة، انعقد في مدينة ريودي جانيرو البرازيلية في يونيو 1998 وهو ما يعرف بقمة الأرض

⁵ محمد حسين عبد القوي، الحماية الجنائية للبيئة الهوائية، القاهرة، دار النشر الذهبي، 2002، ص 8

الطبيعي بعناصره الطبيعية التي وجدت قبل أن يوجد الانسان، فضلا عن الوسط الصناعي المشيد بفعل الانسان وما استحدثه من عناصر، و الحديث عن البيئة هو حديث عن حماية الطبيعة في المجالات الحيوانية والنباتية والتوازن البيئي، ولعل تطور حياة الانسان زاد من رغبته وحاجته في استغلال الطبيعة، و عليه فإن المحافظة على البيئة يعني صيانة كل ما هو مصدر من مصادر الطبيعة¹ فالبيئة الطبيعية تتكون من أربعة نظم مرتبطة ارتباطا وثيقا وهي الغلاف الجوي والغلاف المائي واليابسة والمحيط الحيوي بما تشمله هذه الأنظمة من ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة، فضلا عن الحيوانات والنباتات وهذه تمثل الموارد التي أتاحها الله سبحانه وتعالى للأشياء كي يحصل منها على مقومات حياته من غذاء ودواء ومسكن، وتعد البيئة البيولوجية التي تشمل الانسان وكذا الكائنات الحية في المحيط الحيوي جزءا من البيئة الطبيعية.² وكذا تدهور السواحل إذ نشهد من خلاله وضعية مزرية بسبب تراكم المواد السامة الملوثة الناتجة عن عمليات تفريغ الملوثات الصناعية والنفايات الحضرية ونهب الرمال، إضافة إلى خطر التنوع البيولوجي، ويزر الخطر الذي يهدد التنوع البيولوجي من خلال انقراض بعض الأنواع من النباتات أو الحيوانات مما يؤدي إلى خسائر عديدة منها فقدان مصادر المعرفة العلمية، ذلك أن معظم الابتكارات مستوحاة من العالم الحي، وكذا خسارة مصادر معتبرة من الأدوية التي تنقذ الكائن البشري من الأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى أن الإنتاج الوفير بحاجة إلى مواد خام لعملية الإنتاج، فالاستهلاك الكثير للسلع لإشباع الرغبات غير المتناهية أدى إلى استنزاف الموارد الطبيعية، إضافة إلى أن الإنتاج يحتاج إلى طاقة وغالبا ما تكون من باطن الأرض، وكلما كانت الطاقة متفاوتة في الجودة ازدادت الأبحرة التي أدت إلى التلوث بأشكاله المختلفة.

المطلب السادس: حماية البيئة والاهتمام بها في الإسلام:

حرصت شريعة الإسلام على حماية البيئة بكافة مكوناتها، و ذلك بإنشاء تصور كامل للحياة و نظامها وما تتطلبه من نهضة وتطور، وفق قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع تغير الزمان و المكان، وهذا ما يعطي المبادئ البيئية الإسلامية صفة الصلاحية المطلقة التي تحقق لأفرادها السعادة والرخاء في الدنيا والآخرة، والمبادئ الإسلامية للبيئة لم تكن ضربا من الخيال، وإنما هي جزء من الفطرة التي فطر الله

Commenté [H1]:

Commenté [H2R1]:

Commenté [H3R1]:

Commenté [H4R1]:

Commenté [A5R1]:

¹ د. يسري - د. عيسى، سلسلة المعارف الاقتصادية، 1996 ص 13-18

² ندوات مشروع الحزام الأخضر لدول شمال افريقيا بعنوان: وقف التصحر لدول شمال افريقيا من إداد المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، مراكش، أيام دراسية من 7 إلى 11 أكتوبر 1985 ص 49.

عليها الناس أجمعين، في توجيه صادق إلى خالق الخلق كله، يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹.

وقد قمت بتلخيص لبعض الجوانب التي تظهر فيها عناية شريعة الإسلام، وعلماء المسلمين بالبيئة بصفة عامة سواء كانت عناية عقدية، أو عملية سلوكية، أو علمية تطبيقية و ذلك وفق النقاط التالية :

1 - ورد ذكر البيئة بوصفها أو ذكر بعض مكوناتها في آيات كثيرة من القرآن الكريم و في أحاديث نبوية شريفة، فالبيئة و مكوناتها الأساسية قد جعلها الله سبيلا و طريقا سهلا موصلا للإيمان بأن هذه البيئة لها خالق مبدع، لذلك فالتفكير في مكونات البيئة عبادة، فالمتدبر في آيات القرآن يقف على حديث مفصل عن الكون و مكوناته، و كثيرة هي الآيات التي تبين تسخير ما في الأرض للإنسان، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ أَنْثِينَ يُغَشَّى اللَّيْلَ اللَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾².

أما الأحاديث النبوية الواردة في البيئة والتي تؤكد على ضرورة المحافظة على مكونات البيئة وحمايتها من التلوث فكثيرة، وهناك دراسات تخصصت في هذا المجال، وأكدت حث السنة النبوية على رعاية البيئة³.

2 - أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد حرصا على ضرورة وجود وسط بيئي ملائم صالح للحياة، فاعترفا بحق الانسان في الحياة والصحة والأمن، وهذه الحقوق ترتبط بالبيئة ارتباطا لا يقبل التجزئة.

¹الروم: 30.

²الرعد: 3-4.

³ من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع : الأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية و تطويرها ، جمع و تحقيق و دراسة ، و هي رسالة مقدمة ليل درجة الماجستير بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية .و رسالة بعنوان : حماية البيئة و الموارد الطبيعية في السنة النبوية لفهد الحمودي ، رسالة ماجستير في قسم السنة بجامعة الإمام .

3 - عملت الشريعة الإسلامية على تحقيق التوازن بين المصالح المتعارضة، بالقدر الذي يمنع أن يجوز حق الملكية على حق الإنسان في بيئته، لذا جاءت كثير من القواعد الفقهية التي أرساها علماء الشريعة من خلال النظر في النصوص ومقاصدها تبين هذا المعنى، فمن ذلك قاعدة "الضرر يزال"، وقاعدة "يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام"، وقاعدة "درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح"، وغيرها من القواعد الفقهية التي يتم تطبيقها على قضايا البيئة ومشكلاتها، من أجل حماية البيئة وسكانها من كل ضرر وفساد.

4 - توجب شريعة الإسلام على ولاية الأمور ومعاونتهم في السلطات القضائية والتنفيذية حماية البيئة ورعاية مواردها ومكوناتها للحفاظ عليها، وقد ثبت عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)¹ ويقصد بهذا الأثر أن الذي يمتلك السلطة قد يمنع و يردع مرتكب الجريمة في حق البيئة أو البشرية أكثر من القرآن الكريم، لأن بعض الناس ضعيف الإيمان لا تؤثر فيه زواجر القرآن، بل يقدم على ما نهى عنه القرآن ولا يبالي، لكن متى علم أن هناك عقوبة من صاحب السلطة فإنه سيكف و ينتهي عن ارتكابه للمخالفة.

وقد زخرت كتب الفقهاء بنصوص كثيرة تعالج هذه القضايا، بل دونت في هذا السياق كتب خاصة لبيان هذا الحق الشرعي²، فالحفاظ على البيئة كالحفاظ على حياة الناس وحقوقهم، يقول الإمام ابن القيم: (ومن له ذوق في الشريعة، واطلاع على كمالاتها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل، الذي يفصل بين الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح تبين له معرفة بمقاصدها ووضعها، وحسن فهمه فيها لم ينجح إلى سياسة غيرها البتة)³.

5 - إن الباحث في البيئة وعلومها، سيقف لا محالة على تأليفات متتالية لعلمائنا الأجلاء وذلك في مختلف المجالات المتعلقة بالبيئة وعلومها، هذا يؤكد اهتمام ديننا الإسلامي بالبيئة، نذكر من تلك المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر:

¹ ابن باز (ت 1419 هـ) مجموع فتاوى ابن باز 1/134 مشهور

² من هذه الكتب على سبيل المثال: الأحكام السلطانية للماوردي، الأحكام السلطانية لأي يعل، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية لابن القيم، و معالم القرية في معالم الحسبة لمحمد القرشي، و نهاية القرية في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيرازي.

³ ابن القيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ص 4

أ - مؤلفات في الظواهر الجوية:

كالكتب المؤلفة فيما يصلح الجو وما يفسده والكتب المؤلفة في الغيوم والمد والجزر، من ذلك: رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، رسالة في المد والجزر للكندي، رسالة في آلات لمقاييس ارتفاع الغيوم والأبخرة للتبريزي، كتاب مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء لمحمد التميمي.¹

ب - مؤلفات في علم الحيوان: يمكن تقسيمها إلى قسمين:

- كتب مؤلفة في حيوانات خاصة، كالمؤلفات في الخيل، أو الإبل، أو الشاة والغنم أو النحل أو الجراد.
- كتب عامة في مجموعة من الحيوانات، كالكتب المؤلفة في الوحوش أو الحشرات أو الطيور.²

ج - مؤلفات في علم النبات:

تخصص عدد من علماء المسلمين في التأليف في علم النبات والزراعة والفلاحة بصفة عامة، و مما ورد ذكره في هذه المؤلفات الفوائد الطبية و العلاجية لهذه النباتات باختلاف أنواعها، إضافة إلى وضعهم للأسس العلمية لحفظ و تخزين النباتات، ليكون لهم السبق في اكتشاف النظرية العلمية التي تبين تأثير الضوء على خواص النباتات، ذلك ما أهلهم لمعرفة خواص التربة و المياه المستخدمة في الري^{3،4}

المبحث الثاني: مكونات البيئة وعناصرها:

قسم الدكتور يوسف القرضاوي البيئة إلى قسمين: **جامدة وحية**، فالبيئة الجامدة تشمل الطبيعة التي خلقها الله، والصناعية التي صنعها الإنسان، كما تشمل البيئة الأرضية والبيئة الفلكية أو

¹ أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص 43

² من الكتب المؤلفة حول الخيل، ذكر ابن النديم أربعة و عشرين كتابا بعنوان: الخيل، ذكر كذلك خمسة عشر كتابا بعنوان الإبل، و من المؤلفات حول الطيور ما ألفه أحمد بن حاتم، و أبي حاتم السجستاني.

³ و من الكتب المؤلفة في ذلك: كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، و كتاب البلاد و الزرع للمفضل بن سلمة، و كتاب البستان لمحمد بن عبد ربه، و الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، و المنية في الزراعة لأبي عمرو الإشبيلي.

⁴ أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص 45

الساوية من الشمس والقمر والنجوم والبيئة الصناعية تشمل: ما يحفره الانسان من أنهار، وما يغرسه من أشجار وما يعبد من طرق، وما ينشئه من أبنية، وما يصنعه من أدوات وآلات تصغر أو تكبر، للسلم أو الحرب والبيئة الحية تشمل الإنسان والحيوان والنبات¹.

ويرى الدكتور فرحانة محمد شويته أن البيئة ثلاثة أنواع: بيئة مائية، بيئة برية، بيئة جوية².

فالبيئة المائية تنقسم إلى:

أ - المياه العذبة:

تشكل المياه العذبة نسبة ضئيلة من المجموع العام للمياه على الأرض الذي يقدر بنحو 1400 مليون كلم مكعب، فقراة 97% من هذه الكمية مياه صالحة متركزة في المحيطات والبحار، غير صالحة لمعظم الاستخدامات البشرية، أما المياه العذبة فمعظمها مخزون في الكتل الجليدية بالمناطق القطبية والمجمعات الجوفية بنسبة 70 %، انطلاقا من المعدل الذي يشمل نسبة هذه المياه السالف الذكر³.

إذن فالمياه العذبة هي التي لم تتغير خصائصها من لون أو طعم أو رائحة وتكون صالحة للإنسان والحيوان والنبات، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾⁴ وهي التي تتكون بشكل طبيعي على سطح الأرض، ومن أهم موارد المياه العذبة، المستنقعات والبرك والأنهار والبحيرات والجداول والخزانات الجوفية والينابيع، إذ تتميز بشكل عام بوجود تراكيز منخفضة من الأملاح الذاتية الصلبة المذابة، وتكون المياه عذبة عندما تكون نسبة الملوحة فيها قليلة بحيث لا تزيد على 0.5 جزء من الألف . فالماء يلعب دورا رياديا في حياة الأمم فوق هذه الأرض، وإن فقدانه بالقدر الذي يشعر فيه الانسان بالحاجة إليه، إنما هو نوع من الخروج عن المعهود الفطري والسنة الكونية العامة⁵.

¹ د. يوسف القرضاوي ، رعاية البيئة في شريعة الإسلام ، دار الشروق ، ط 1 ، 1421هـ-2006 م ص 12 .

² د.فرحانة علي محمد شويته ، مقاصد الشريعة في الحفاظ على البيئة ، دار الفكر الجامعي ، ط 1 ، 2010 م ص 63 .

³ المهندس محمد بن جلون ، قضايا البيئة والتنمية المستدامة ، شركة النشر و التوزيع للمدارس ، ط 1 ، 2019 ، ص 106

⁴ السجدة: 27.

⁵ د . فؤاد عبد اللطيف السرطاوي ، البيئة و البعد الإسلامي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، الطباعة ، عمان ط 1 1420 هـ- 1999م ص 97 .

والمؤكد أن الصفة التي تعرف بها المياه في العالم بأسره هي الندرة ويعبر القرآن الكريم عن هذه المشكلة بقول الله سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾¹، وفي اللغة فإن الغور مصدر لفعل غار، يقال غار الماء إذا نضب وذهب في الأرض.

ب- مياه البحار والمحيطات:

المحيط هو الذي يضم البحر وحيواناته و الشاطئ و حركات الأمواج و المد و الجزر ولون ماء البحر و رماله فاللون مياه البحر تتغير من منطقة إلى أخرى²، وقد تحدث القرآن الكريم عن الأمواج التي تحدث في أعماق البحار، كما تحدث عن الظلمة الشديدة التي توجد في قاع المحيطات، فقال سبحانه: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾³، وقضت حكمة الله تعالى أن تكون هذه البحار والمحيطات هي المسؤولة عن تقديم 70% من الأوكسجين اللازم للكائنات الحية الموجودة على الكرة الأرضية بينما تقدم النباتات المزروعة فقط 30 % من الأوكسجين اللازم لهذه الكائنات⁴.

ج - المياه الجوفية: ويشمل المياه الموجودة في باطن الأرض.

أما البيئة البرية: فالمقصود بها الكوكب الأرضي الذي نعيش عليه أو الطبقات الخارجية المفككة من سطح الأرض التي تحتوي على مجموعات كثيرة من الكائنات الحية الدقيقة⁵.

البيئة الجوية: فهي الهواء الذي في الكون، وهي أثنى من أي شيء جعله الله مباحا في الكون على سعته، ولا غنى للكائنات الحية عن التنفس، لأن التوقف عنه يعد توقفا عن الحياة فالهواء شرط لحياة كل الأحياء على سطح الأرض⁶.

¹ المالك: 30.

² محمد بن جلون، قضايا البيئة، بحوث علمية وحقائق إسلامية، شركة النشر و التوزيع المدارس طبعة 1421 هـ - 2000 م ص 9

³ النور: 40-41.

⁴ د أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، دار و مكتبة الهلال ط 1 ص 98.

⁵ د.فرحانة علي محمد شويته، مقاصد الشريعة في الحفاظ على البيئة، دار الفكر الجامعي، ط 1، 2010 م ص 67

⁶ المصدر السابق ص 68.

المطلب الأول: حماية الشريعة الإسلامية للثروة المائية:

الماء عصب الحياة ومصدرها وضمان استمرارها بالنسبة لجميع المخلوقات الحية، فالحياة بدونها تنعدم، وبشحه وقلته تفسد، ولا تكاد مصالح الناس تسير بصورة صحيحة لذا ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة تنبها للإنسان بأهميته حتى يحافظ عليه نظيفا نقيًا كما أنزله الله، وأن يتصرف فيه بحذر، وأن يتجنب تلويثه أو استنزافه لأن هناك مخلوقات غيره تستمد حياتها من الماء، ومنها ما يعتمد عليه اعتمادا كليا في بقاءه، وإذا فقدته فقد الحياة كالأسماك والحيتان التي تعيش في البحار والأنهار.

ولهذا كان من أكبر النعم التي ذكر الله تعالى بها العباد، قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْتَهُ أَجْنَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝¹

ولحكمة بليغة أن جعل المولى جل وعلا نسبة الماء تزيد على 70 % من مساحة الكرة الأرضية، حتى لا يكون الاستئثار والتحكم فيه، فيقع المحذور ويهلك الحرث والنسل. وقد جعل الله الماء مصدر الإحياء

اعتمادا على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۚ² فالإنسان والحيوان والنبات يرتبط

وجودهم به، واستمرار حياتهم متوقف على وجود الماء، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَهُكَ مِنَ الْمَاءِ

فَاحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ³، وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية

، حيث يدخل في تكوين جميع خلايا الكائنات الحية بمختلف صورها وأشكالها وأحجامها وأنواعها و هو يكون نحو 90% من أجسام الأحياء الدنيا، ونحو 60-70 % من أجسام الأحياء الراقية بما في ذلك

الإنسان، ويتفق مع ما قاله المفسرون في سورة الأنبياء التي ورد ذكرها، حيث قالوا: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ

إِلَّا بَشَرًا مِثْلَ بَشَرٍ ۚ وَلِتُنْظِرَ فِيهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۚ⁴

ومن هنا اقتضى الأمر أن تكون المحافظة على الماء ومصادره ضرورة، بل إن الإسلام حرم احتكاره وحث على بذله لمن احتاج إليه، حتى تستمر الحياة، ولا تنقطع بانقطاعه، يقول الرسول صلى

¹ الواقعة: 72-68.

² الأنبياء: 30.

³ البقرة: 164.

⁴ الأفعال: 10.

الله عليه وسلم: (المسلمون شركاء في ثلاث، في الكلاً، والماء، والنار)¹، وفي ذلك يقول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (....، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة)² ويقول كذلك: (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاً) .

بالإضافة إلى هذه الوظيفة الحيوية الهامة هناك وظيفة اجتماعية دينية وهي تطهير البدن والملبس مما يعلق به من أوساخ ونجاسات ليصبح الإنسان المسلم مؤهلاً للوقوف بين يدي ربه، قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾³، ويصف المولى جل جلاله الماء في مواضع أخرى بأنه مبارك حيث يقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾⁴، وهو الذي جعله مباركا فيجب أن لا يفعل غير ذلك، ويصف الماء بأنه فرات، حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّاءً فُرَاتًا﴾⁵، والفرات هو الصافي النقي، وهذه هي حالة الماء عندما ينزل من السماء، فالذي يكدره ويرمي به الشوائب هو الانسان، ويصفه تعالى أنه مصدر الرزق للإنسان فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾⁶، وهذا الماء عندما ينزل من السماء يحيي الله به الأرض الميتة فينبت الزرع وتكثر الحيوانات ويدر ضرعها وتسقى المواشي فيبعث الله الحياة من جديد ومن هنا كانت صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة لطلب العباد السقي من الله تعالى، وذلك عند الحاجة إلى الماء في موضع لا يكون لأهله أودية أو أنهار أو آبار يشربون منها ويسقون مواشيهم و زروعهم، أو كان لهم ذلك ولكن لا يكفيهم، ففي صلاة الاستسقاء يكثر الإنسان الدعاء وهي ركعتان تؤدي كصلاة العيدين في التكبير والجماعة والقراءة والجهر والمكان والخطبتين بعدها غير أنه يبذل التكبير في خطبة العيدين بالاستغفار، ويندب أن يستقبل الإمام القبلة ويقلب رداءه ويدعو المصلون بدعاء الاستسقاء المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو: (اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا محق ولا بلاء ولا هدم، اللهم على

¹ أخرجه أبو داود وابن أبي شيبة من حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

أبو داود ، السنن ، كتاب البيوع ، باب في منع الماء ، م 3 ، ص 570 ، وابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد ، المصنف ، تقديم كمال الحرت ، دار التاج ، بيروت ، ط 1 ، 1409 هـ ، باب حمى الكلاً و بيعه ، م 5 ، ص 7 .

² الترمذي ، الجامع ، كتاب البر و الصلة ، باب صنائع المعروف ، م 4 ، ص 339

³ الأنفال: 11.

⁴ ق: 9.

⁵ المرسلات: 27.

⁶ غافر: 13.

الضراب¹ ومنابت الشجر وبطون الأودية، اللهم حوالينا لا علينا، اللهم اسقينا غيثا مغيثا² هنيئا مريئا مريعا³ غدقا⁴ مجللا⁵ سحقا طبقا⁶ دائما. اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والجوع والظنك ما لا نشكو إلا إليك، اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع وأنزل علينا من بركات الأرض واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا.

ولأهمية هذا العنصر فقد جعله الشرع شائعا بين الناس خاصة أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فحق الانتفاع به مكفول للجميع بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد ولا تعطيل قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾⁷، وتحفل الشريعة الإسلامية بكثير من النصوص التي تحث على حماية الماء من التلوث، فالإنسان وفقا لما تقرره هذه الآية الكريمة مطالب بعدم الفساد في الأرض لأن ذلك يؤثر في رزقه من المأكّل والمشرب، وللمحافظة على الماء واستثمار مصادره استخدمت شريعة الإسلام عدة أساليب منها:

01- النهي عن تلويث الماء:

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلويث الماء، إذ من المعلوم أن ذلك يؤدي إلى مخاطر جسيمة وأضرار بالغة تمنع أسباب الحياة.

حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتغطية الإناء وإيكاء السقاء فقال صلى الله عليه وسلم: (غطوا الإناء وأوكلوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء ولا يمر بإناء لم يغط أو سقاء لم يوكأ إلا وقع فيه من ذلك الوباء)⁸، (غطوا الإناء وأوكلوا السقاء وأغلقوا الأبواب، وأطلقوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح بابا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدهم إلا أن يعرض على إنائه عودا

¹ جمع ضرب وهي التلال الصغيرة .

² أي يغيث الناس و ينفعهم

³ ذريع و خصب .

⁴ كثير الماء

⁵ السحاب الذي يجلل بالمطر

⁶ أي طبق الأرض

⁷ غافر: 13.

⁸ الألباني ، محمد بن ناصر الدين . صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) بيروت المكتب الإسلامي، حديث 762/3 / 4159 _ 1406

ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيّتهم¹ (أطفتوا المصابيح إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوطئوا الاسقية، وخمروا الطعام والشراب، ولو يعود تعرضه عليه)²

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : (أوكئوا السقاء) أي اربطوا فوهات السقاء (ما يشرب منه) وذلك لحماية الماء وغيره من السوائل المشروبة من الملوثات التي قد تنتقل إليه، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يشرب من السقاء لأن ذلك يئتنه، والمعروف أن قيام مجموعة من الناس بالشرب من وعاء واحد يعرضهم جميعاً لانتقال العدوى بمرض أصاب أحد الذين شربوا من هذا الوعاء و لذلك تنهى تعاليم الدين عن أن يشرب مجموعة كبيرة من الناس من وعاء واحد منعاً لانتقال الميكروبات عن طريق لعاب الفم .

وذكرت الدراسات بأن الأمر بالتغطية لها فوائد متعددة منها: الفائدةان اللتان وردتا في الأحاديث السابقة وهما صيانة من الشيطان فإن الشيطان لا يقدر أن يكشف غطاء ولا يحل سقاء، وصيانة كذلك من الشيطان الوباء الذي ينزل عليه في ليلة من السنة، وصيانة من الأوساخ والقاذورات وصيانة من الحشرات والهوام، وربما وقع شيء منها فيه والانسان غافل فنشربه وتضرر به³. وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنفس والنفخ في الشراب والطعام. لأنه ربما حصل له تغير من أثر التنفس فيه، وقد يكون تفسيره العلمي أنه حيث يتنفس في الإناء فإن زفير الانسان المتكون من ثاني أكسيد الكربون مع ما يخالطه من روائح يتحد مع جراثيم رذاذته مع الماء فيعكر طعمه ورائحته ونقل فائدته، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم:

- (نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه)⁴.
- (نهى عن شرب من ثلثة القدح، وأن ينفخ في الشراب)⁵.
- (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، فإذا أراد أن يعود فلينجح الإناء ثم ليعد إن كان يريد)⁶.
- (وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الإناء ثلاثاً ويقول: هو أروى، وأبرأ، وأمرأ)¹.

¹ صحيح الجامع 2 / 762 / 4160

² صحيح الجامع 1 / 235 / 1525 .

³ العسقلاني ، ابن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . القاهرة دار لريان للتراث ، الطبعة الأولى ، 1986 ، ص 95

⁴ حديث صحيح : مختصر بيان أبي داود ، 5 / 3582 / 286 .

⁵ حديث صحيح : مختصر بيان أبي داود . 5 / 2576 / 284

⁶ حديث صحيح : صحيح الجامع ، 1 / 168 / 624

ويعتبر (الشراب في لسان العرب الماء وفي عرف الشرع الماء، ومعنى تنفسه في الشراب ثلاثاً هو إبانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشراب)²، وفي هذا الأسلوب من الشراب حكم وفوائد مهمة، وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافعها بقوله: إنه أروى وأمرأ وأبرأ، فأروى أي أشد رياً وأبلغه وأففعه، وأبرأ: من البر وهو الشفاء أي برباً من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملهبة دفعات، فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجرت عنه الثانية³.

وأمرأ: هو من مريء الطعام والشراب في بدنه إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة وفع، وقيل: معناه أنه أسرع انحداراً عن المريء بسهولة وخفته عليه، بخلاف الكثير فإنه لا يسهل على المريء انحداره⁴.

والشرب من ثلثة القدح⁵ فيه عدة مفاصد، أحدها أن ما يكون على وجه الماء من قذى أو غيره يجتمع إلى الثلثة بخلاف الجانب الصحيح⁶، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: (نهى عن الشرب من في السقاء)⁷.

وفي هذا آداب عديدة منها: (أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة، يعاف لأجلها، ومنها أنه ربما غلب عليه الداخل إلى جوفه من الماء فتضرر له، ومنها أنه ربما فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه، ومنها: أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب، فتلج جوفه)⁸.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلويث مصادر الماء بالمخلفات الإنسانية فقال عليه الصلاة والسلام:

¹ حديث صحيح : صحيح مسلم ، 13 / 199

² ابن القيم الجوزية . شمس الدين أبي عبد الله الزرعي ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق خسونة عبد القادر عرفان لعشا ، بيروت ، دار الفكر للطباعة ، عام 1415 هـ / 1995 م ج 4 ص 179

³ ابن القيم الجوزية ، (المرجع السابق) ص : 179

⁴ المرجع السابق ، ص : 180 .

⁵ ثلثة القدح أي موضع الكسر منه. وإنما نهى عن الشرب من ثلثة القدح لأنه إذا شرب منها تصبب الماء وسال قطره على وجهه ومؤذيه ، لأن الثلثة لا تتناسك غليظاً شقة الشارب ، وقيل : لأنها موضوع اجتماع الأوساخ ، وقيل : قد يجرح منها ، ينظر على الشبكة library > <https://www.islamweb.net> بتاريخ 2021/05/13

⁶ المرجع السابق ، ص : 181

⁷ حديث صحيح ، صحيح الجامع ، 1 / 47 / 112

⁸ ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر الزرعي . زاد المعاد في هدي خير العباد ، ص 182

- (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل)¹.
- (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه)².
- لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ فيه فإن عامة الوسواس منه)³.

وما ذكره النووي يحملنا على القول، بأن تلويث المياه النقية الصالحة، من الأمور المحرمة في شرع الله، ويجب بالمقابل العمل الجاد على الإبقاء على المياه صالحة غير ملوثة، سواء أكان ذلك في المحافظة على ماء البرك والآبار والمستنقعات، أم في المحافظة على ماء العيون والأنهار، والبحار، لا يعني جواز البول في الماء الجاري، وإنما هو زيادة عناية واهتمام بالراكد الساكن، حيث أن البول فيه أشد خطراً وأكثر ضرراً.

وقد أثبت العلم الحديث أن التبرز المباشر أو التبول المباشر أو إلقاء مخلفات الصرف الصحي في المصادر المائية ينتج عنه وصول عديد من الطفيليات الضارة بالصحة العامة ولو اتبعنا الحديث الشريف بعقيدة صادقة وإيمان تام ما أصيب مسلم بهذا المرض، ومن بين الطفيليات الضارة للبلهارسيا عدة أنواع أهمها بلهارسيا المجاري البولية وبلهارسيا المستقيم، حيث إنه بعد اكتمال نمو الإناث وتلقيحها في جسم الانسان تنتقل إلى المثانة أو إلى المستقيم، حيث تضع كميات هائلة من البيض الذي يخترق الشعيرات الدموية في المثانة أو المستقيم، مسببة خروج البيض و نزول كميات من الدم مع البول أو البراز، ويصل ما تضعه الأنثى من البيض إلى 10000 بيضة، وعندما يصل البيض إلى مصدر مائي راكد ينفق ليتحول إلى حيوانات صغيرة جدا تبحث عن قوقع بعينه يعيش في الماء الراكد حيث تدخل في جهازه التنفسي، لتتحول إلى حيوانات أخرى صغيرة تتكاثر ثم تخرج بعد تمام نموها لتسيح في الماء وتدخل جسم الانسان، حيث تتخلل بين أصابع القدم حين دخول الانسان الماء لتصل إلى الدم و منها تتحول في جميع أجزاء الجسم، ويمكنها أن تصل إلى القلب والرئتين والمخ، وفي النهاية تصل إلى المثانة أو المستقيم لتتكاثر وتعيد دورة حياتها، وبالتالي تعتبر عملية التبرز قرب المصادر المائية أهم وأخطر مصادر العدوى والإصابة .

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 47/1 / 112

² حديث صحيح، مختصر البخاري، 47/1 / 171

³ حديث صحيح، مختصر البخاري، 47/1 / 172

قال النووي: (والتغوط في الماء كالبول فيه وأقيح)¹، ثم قال: (وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجري إليه البول، فكله مذموم قبيح منهي عنه)².

ويعتبر التبرز بجوار المصادر المائية وفي الأراضي الرطبة أيضا من أهم العوامل التي تؤدي إلى سهولة انتشار طفيليات الدودة الكبدية وهي تعتبر من أخطر الطفيليات التي تصيب الكبد، وتسبب لها أمراضا خطيرة حيث تضع الدودة البيض في القنوات الحرارية في الكبد وتخرج البويضات مع البراز الخارج من الجسم، حيث تتكون يرقة تسمى ميراسيديوم تسبح لتهاجم نوعا من القواقع التي تعيش في المياه العذبة، حيث تمر بعدة تطورات وتتكاثر إلى أن يخرج من القواقع أعداد هائلة من السركاريا التي تسبح في الماء إلى أن تجد إحدى النباتات حيث تتحول إلى حوصلة، فإذا تغذى عليها الإنسان أو الماشية فإنها تصل مع الغذاء إلى الأمعاء حيث تهضم الحويصلات، ويخرج حيوان يخترق الأمعاء إلى تجويف الجسم، ثم إلى الكبد ليستقر في القنوات المرارية لتكون الدودة الكبدية، وهي تسبب في الإنسان أعراض المغص الكبدي مع حدوث سعال وقيء وآلام في الأمعاء وحمى منقطعة وإسهال مستمر وألم، وقد تصل الدودة إلى الدورة الدموية لتصل إلى القلب والرئتين أو قاعدة المخ أو قاع العين وتسبب أضرارا بالغة للإنسان³.

وقد كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يشرب إلا الماء الحلو النظيف النقي غير العكر (كان يعجبه الماء البارد)⁴ وهذا يحتمل به الماء العذب كياه العيون والآبار الخلوة⁵، ولما كان الماء البارد أففع من الذي يشرب وقت استقائه، حرص نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم على شربه، ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنه وإلا كرعنا، قال: والرجل يحول الماء في حائطه، قال فقال: يا رسول الله عندي ماء بائت، فانطلق إلى العريش، قال فانطلق بها فسكب في قدح، ثم حلب عليه من داجن له فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ النووي، المنهاج، م 3، ص 188

² المصدر السابق، ص 189

³ عبد الجواد أحمد عبد الوهاب، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، ص 41

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2/ 189، 4980

⁵ ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، زاد المعاد في هدي خير العباد، ص 177.

سلم، ثم شرب الرجل الذي معه¹، فالماء البائت ترسب الأجزاء الترابية الأرضية فتصفي الماء وتحليه. كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعذب له الماء.

- كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا، وفي لفظ: يستسقى له الماء العذب من بئر السقيا.²
- وعن عبد الله بن سلمة عن مالك عن إسحاق بن عبد الله أنه سمع أنسا بن مالك يقول: (كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب ماله بير حاء وكانت مستقبل المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب)³.
- (كان يبعث إلى المظاهر فيؤتى بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدي المسلمين)⁴.

كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم ماء زمزم، بأنها خير ماء على وجه الأرض ماء بوادي ترهوت. بقية حضرموت كرجل الجراد من الهوام، تصبح تتدفق وتسمي لا بلال لها)⁵.

هذه تعاليم و توجيهات إسلامية صريحة تنهى عن كل أمر يؤدي إلى تلويث الماء مهما كان نوعه ومصدره، فتلويثه يعني تعطيل على أداء وظائفه الحيوية، وبالتالي تعطيل الحياة بأسرها، خاصة إذا عرف أن حق الانتفاع مكفول للجميع بلا احتكار ولا عقب ولا فساد، وممكن للأجيال المقبلة، وهذا ينطبق الآن على جميع ملوثات المياه بأخطارها المختلفة والمتعددة التي تؤدي بحياة الكثير في البر والبحر بما جنته أيدي البشر والحياة الصناعية الحديثة، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁶.

02 - الحث على الاقتصاد في استخدام الماء:

الاقتصاد في استخدام الماء بعدم التبذير والإسراف، لأن الإسلام حرهما، بل دعا إلى الوسطية في كل شيء، فتبذير الماء يعد تجاوزا لحد الاعتدال، وينج عنه لا محالة تأثير على مجرى الحياة

¹ حديث صحيح، فتح الباري، 78/10

² حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 887 / 4591

³ حديث صحيح، فتح الباري، 2 / 881 / 4894

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 881 / 4894

⁵ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 637 / 3322

⁶ الروم: 40.

بصورة عامة وخاصة الجانب البيئي، وقد ثبت في محكم التنزيل تحريم الإسراف والتبذير في قوله جل جلاله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾¹

وقوله تعالى: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْنَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ مَالَكَ تَبْذِيرًا﴾²، والمتنبع لتعاليم الإسلام يلمس الدعوة الصريحة للوسطية والاعتدال في كل شيء ومن ثم النهي عن السرف في استخدام الماء والدعوة للأخذ بالقدر اللازم منه، وذلك من خلال ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- ما رواه مسلم، عن السائب مولى هشام بن زهرة، سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يغسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب) فقال -أي السائب- (كيف يفعل يا أبا هريرة؟ قال: يتناوله تناولاً)³، ومر على سعد وهو يتوضأ فقال له: (لا تسرف في الماء، فقال: وهل في الماء من إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار)⁴ فعدم الاعتسال في الماء الراكد يمنع من هدر الماء وضياعه، إذ أن الاعتسال في البرك والعيون يفسد كمية كبيرة من الماء ويضيع منفعته، قال النووي: (قال العلماء: يكره الاعتسال في الماء الراكد قليلاً كان أو كثيراً وكذا يكره الاعتسال في العين الجارية)⁵.

لنخلص إلى أن الصورة السليمة لاستخدام الماء هي التي تأخذ بمبدأ التحكم في الكمية المستخدمة وتضبط كمية وحجم الماء. ونضرب لذلك مثلاً فيما يقع بالحمامات الخاصة والعامة من تبذير وإسراف في استخدام الماء، وذلك أمر مكروه في الشرع الإسلامي.

¹الأعراف: 31.

²الإسراء: 26-27.

³مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الطهارة، باب النبي عن الاعتسال في الماء الراكد.

⁴إسناده صحيح، أخرجه ابن ماجه رقم الحديث (425)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم الحديث (2788)

⁵النووي، المنهاج، م 3 ص 189

■ ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثا، ثلاثا، ثم قال: هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى، وظلم)¹.

فالثابت شرعا أن الفرض في الوضوء هو غسل الأعضاء مرة واحدة، وغسلها ثلاثا في السنة، سن النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء ثلاثا ليتحقق غسل العضو ثلاثا ما لم يتحقق بالمرة الواحدة وليكون من تجاوز ذلك متعد.

والحديث يعطينا صورة مشرقة لديننا الحنيف، الذي جعل الوضوء عبادة يجب الامتنال فيها لأمر الله ورسوله، ولا يحق للقائم بهذا العمل التعبدى أن يزيد أو ينقص عما أمر به. إذ لو تعدى ذلك بزيادة فقد تعدى على حق من حقوق الله تبارك وتعالى.

03 - الحفاظ على مصادر المياه وقت الحرب :

على الرغم من عظم الجهاد الذي أمر به الله سبحانه، وحث عليه، فقد أمر الله بمراعاة مصالح العباد والالتزام بعدم الإضرار بها، وذلك انطلاقا من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه يقول: (كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين قال: انطلقوا باسم الله - فذكر الحديث- وفيه : لا تقتلوا وليدا (طفلا)، ولا امرأة ولا شيخا كبيرا ولا تغورن عينا، ولا تعقرن شجرة إلا شجرة يمنعكم قتالا، أو يحجز بينكم وبين المشركين، ولا تملأوا بآدمي ولا بهيمة ولا تغدروا ولا تغلوا)².

ففي هذا الحديث وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لجيش المسلمين (ولا تغورن عينا) فالتغوير جعل الماء يغور في الأرض أي يذهب في باطنها³، وإن كان التغوير يفيد ذهاب الماء فإن ذلك يمكن أن يقاس على كل صور الفساد وقت الحرب، كوضع المواد السامة فيه أو إلقاء المواد الضارة فيه بل هناك من يدفن العيون ويحرم الغير من الاستفادة من الماء الضروري للحياة.

¹ رواه أبو داود و النسائي ، كتاب الطهارة ، باب صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، م 1 ص 94 ، النسائي ، السنن الصغرى ، كتاب الطهارة ، باب الاعتداء في الوضوء ، م 1 ص 88 .

² البيهقي ، السنن الكبرى ، كتاب السير ، باب ترك قتال من لا قتال فيه ، م 9 ص 90 قال البيهقي : (في هذا الإسناد إرسال و ضعف ، و هو يشواهد مع ما فيه من الآثار يقوى ، و الله أعلم) .

³ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة غور ، م 6 ص 339

شرع المولى جل وعلا الجهاد ليكون رسالة ووسيلة لغاية عظيمة، تتمثل في حماية الناس لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولما كان الأمر كذلك، فقد وضعت شريعة الإسلام للجهاد قواعد وضوابط تركت صورته مشرقة مضيئة، فخلد التاريخ وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لجيوش المسلمين تحثهم على الحفاظ على مصالح العباد وعدم الإضرار بها.

المطلب الثاني: حماية الشريعة الإسلامية للثروة النباتية:

اقترن ذكر النبات في القرآن الكريم بالماء، وذلك دليل أن هناك ترابط كبير بين هذين المكونين، يقول الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ نُّنْزِلُهُ لِيَكُلُوا الثَّمَرَةَ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٩٩﴾^١، يعتمد الإنسان على النبات كمصدر للغذاء له ولماشيته، فما يعيش إما يتغذى على منتجات نباتية أو من منتجات حيوانية الذي يتغذى على النبات، لذلك كان الأكل من النبات هو أولى المنافع التي امتن الله عز و جل على عباده في القرآن الكريم ، إذ قال سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالرَّيْثُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ١٤٢﴾^٢.

وقد أثبت القرآن الكريم حقيقة علمية لم يعلمها العالم إلا حديثاً في علم النبات، وهي أنه لا يتفق نباتان من نوع واحد في صفاتها كل الاتفاق، ليكون من النبات الذكر والأنثى، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشَّى اللَّيْلِ لِلنَّهَارِ إِنَّا فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾^٣.

والنبات هو المصدر الأول للأوكسجين الذي لا يستغني عنه كائن، حينما ربط بين الشجر الأخضر والنار التي لا توجد إلا بالأوكسجين لقوله جل جلاله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ

^١ الأنعام: ٩٩.

^٢ الأنعام: ١٤٢.

^٣ الرعد: ٣.

الْأَخْضَرِ تَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٥﴾¹، وهو الذي يحمي التربة من الأثر المباشر للمطر الساقط ويستخدم خشبه في صناعات عديدة إضافة إلى أن الأوراق والفروع التي تسقط من الأشجار تزيد خصوبة التربة السطحية، والأشجار هي مأوى للطيور وحيوانات كثيرة، ولذلك فإن القرآن الكريم يتحدى أن يأتي مخلوق بشجرة من العدم. ليبين أهمية هذه النعمة وبالتالي ضرورة صيانتها وحفظها وتميئها². قال الله جل جلاله: ﴿وَأَنۢتُمْ أَنتَسَاءٌۭ شَجَرَكُمَا أَمْ تَخُنَّ الْمُنۢشِقُونَ ۖ﴾³.

وقد حرصت شريعة الإسلام حرصا شديدا على الاهتمام بالحياة الفطرية على الأرض من نباتات وأشجار، ودعت الانسان إلى الاهتمام بهذه الثروة الطبيعية وعدم إتلافها أو تدميرها حفظا للتوازن البيئي والذي يعود بالفائدة على الحياة على الأرض بفوائد جمّة في حفظ الحياة عموما وحياة الانسان على وجه الخصوص⁴.

ومما يدل على أهمية النباتات، فقد ذكرها الله تعالى في عدة مواضع من كتابه العزيز، لكونها نعمة جليلة أنعم بها الخالق على المخلوقات، وداعيا للانسان للنظر والتفكر في هذه النعمة الجليلة، لكونها آية من آيات الخالق الدالة على وجوده.

■ فأمر الإنبات بيد المولى جل وعلا، لقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ 66 ءَأَنتُمْ تُزْرِعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلَّذِينَ زَرَعُونَهُۥ 67 لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا۟ فَتَلَّكُم مِّمَّ تَكْفُهُۥُونَ 68 إِنَّا لَمَغْرُمُونَ 69 بَلۡ نَحْنُ مَحْرُومُونَ 70﴾⁵.

■ ومن الآيات التي ذكر الخالق سبحانه في النباتات، أنها تسقى بماء واحد وبترية واحدة إلا أنها مختلفة في الشكل والثمار والطعم لقوله سبحانه: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطْعٌۭ مُّتَجَبِّرَاتٌۭ وَجَنَّتٌۭ مِّنۢ أَعۡنَبٍۭ وَزُرُوعٍۭ وَنَخِيلٍۭ صُنُونٍۭ وَعَبَرٍۭ صُنُونٍۭ تُسۡقَىٰ بِمَآءٍۭ وَٰحِدٍۭ وَنُقۡضِلُ بَغۡضَهَا عَلَيۡ بَغۡضٍۭ فِى ٱلْأَكۡلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍۭ لِّقَوۡمٍۭ يَعۡقِلُونَ ۖ﴾⁶.

¹ يس: 80.

² هندسة النظام البيئي ص 89

³ الواقعة: 72.

⁴ الصباريني ، محمد سعيد ، الانسان و البيئة ، ص 43

⁵ الواقعة: 66-70.

⁶ الرعد: 4.

■ كما دعا المولى جل وعلا عبده الانسان للتفكر في خلق النبات، مما سيوصله لا محالة إلى عظمة

صنع الله، فقال سبحانه: ﴿قَلِيلٌ نَّظَرَ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِۦ ۚ 24 إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا 25 ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا 26 فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا 27 وَعِنَبًا وَقَضْبًا 28 وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا 29 وَحَدَائِقَ غُلْبًا 30 وَفَلَكِهَةً وَأَبًا 31 مَّتَعْنَا لَكُمْ وَلِأَعْلَمِكُمْ 32﴾¹.

والنباتات لها عدة فوائد فهي التي توفر الحماية للإنسان من الرياح والعواصف والأمطار والضوضاء، فتغطية الأرض بالأشجار والشجيرات والنباتات الخضراء تخفف من حدة تساقط الأمطار على الأرض، وكذلك أوراق الأشجار والنباتات المتعفنة التي تختلط بالتربة تزيد من قدرة امتصاص التربة للمياه والحفاظ على الرطوبة، مما يحول دون تأثر التربة بعوامل التعرية، وكذلك تخفف من توهج الضوء الشديد في أيام الصيف مما يقلل من الحرارة وتخفف من حدة الضوضاء المزعجة من تأثير المرور وغيره². وكذلك فإن للنباتات وظيفة تجميلية وزينية، فقد جعل الله سبحانه وتعالى فيها ما يثير البهجة والسرور في النفس حرصا على راحة الإنسان النفسية لما في ذلك من دفع له على العمل لأداء وظيفته في الحياة الدنيا. ذلك أن الاستمتاع بالطبيعة يشمل جانبها المادي والجمالي الذي ينعش المكروبين ويذكي قرائح المبدعين، وذلك ما استوقف شوقي فأنشده:

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري *** حتى أريك بديع صنع الباري

الأرض حولك والسماء اهترتا *** لروائع الآيات والآثار

فالطبيعة مرآة على صفائها يتجلى فيها كمال المبدع الصانع جل جلاله³.

كما تساعد النباتات على تخفيف التلوث الجوي الذي تعاني منه المدن، وتنظم الحرارة والرطوبة وتبعث الظلال التي تعرف قيمتها البلدان الحارة، وترشح الجو من الأتربة العالقة والغازات الضارة مثل ثاني أكسيد الكربون والذي بدوره يتحول إلى الأوكسجين فيتحسن جو البيئة، كما أنها توظف أحزمة خضراء تعد كمصدات للرياح، فتقي ساكني المدن والنباتات الصغيرة والحيوانات من الآثار الضارة للرياح. كما أن الفحم الحجري منشأ الشجر الأخضر الذي دفتته في داخل الأرض العوامل الطبيعية

¹ عيس: 24-32.

² منظمة المدن العربية، المعهد العربي لإنشاء المدن، التشجير وجميل المدن، الرياض، الطبعة الأولى، ص 47.

³ التهامي، نقره، حماية البيئة من تعاليم الإسلام، منار الإسلام، العدد 130، يونيو 1993 م، ص 87.

فتحول خلال ملايين السنين إلى أهم مورد للطاقة الحرارية في الأرض، إذ يقدر المخزون فيها بحوالي ثمانية آلاف مليار طن، ومخزون الأرض من البترول يقدر بحوالي ألفي مليار طن تقريباً كما أن الغاز الطبيعي مصدره على الأرجح النبات الأخضر ومخزون الأرض منه يصل إلى ستين مليار متر مكعب تقريباً، على ضوء ذلك نفهم البعد العلمي¹. لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنْ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٥٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْتَهُ أَجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٦١﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٦٢﴾ ٢.

كما أنه لا يفوتنا أن لهذه المخلوقات من النباتات والحيوانات وغيرها وظيفة أخرى قد لا نعلمها ولا نحسها ولكن القرآن بينها ونهنا إليها، وهي وظيفة العبودية القهرية لله وتسبيحه والسجود له³، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ٤ ، وقال سبحانه: ﴿ تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ٥. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ الْأَوَّلِ ﴿٥٠﴾ ٦.

النباتات من العناصر البيئية الحية المهمة، وقد خلقها سبحانه وتعالى لنفع الإنسان نفعاً جماً، فهي المصدر الرئيس لغذاء الإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٢﴾ ٧.

والنبات كعنصر من عناصر الطبيعة هو آية ناطقة عن قدرة الله العلي القدير، ورمز لعظمته و بديع صنعه الذي ينزل الماء من السماء، فيروي الأرض و يخرج منها أنواعاً وألواناً متنوعة من النباتات

¹ شريف عدنان ، من علوم الأرض القرآنية الثابت في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين .

² الواقعة: 68-73

³ باقادر ، أبو بكر أحمد وآخرون ، دراسة أساسية عن حماية البيئة بالسلام ، ص 17 .

⁴ الحج: 18.

⁵ الإسراء: 44.

⁶ الرعد: 15.

⁷ طه: 52.

من فواكه وخضراوات وأزهار ونخيل وغيرها، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾¹.

وقد حرص الإسلام على تنظيم علاقة الانسان بالنبات، شأنه في ذلك شأن جميع العناصر البيئية الطبيعية، وترتكز هذه العلاقة على عدة أسس ونظم إسلامية منها:

➤ الدعوة إلى استنبات الأرض وزراعتها:

من أهم الركائز للمحافظة على البيئة في شريعة الإسلام العناية بالتشجير، وذلك بغرس الأرض وزرعها، ويزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات القرآنية التي تدعو إلى استنبات الأرض وزراعتها، بغية التماس الرزق والعمل، وقد مهد سبحانه وتعالى الأرض وجعلها صالحة للحياة ليعمرها بني البشر بالزراعة والرعي، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾².³

وقال جل جلاله: ﴿وَأَيُّهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرِجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿١٨﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿١٩﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾﴾⁴.⁵

¹ الشعراء: 7-8.

² المملك: 15-16.

³ يفسر ابن كثير هذه الآية ، بأن الله سبحانه وتعالى يذكر نعمه على خلقه في تسخير الأرض لهم ، و تذليله إياها لهم ، بأن جعلها صالحة للسكن ، و أنبع فيها العيون ، و سلك فيها السبل ، و هيأ فيها المنافع و مواضع المزروعات و الثمار لزراعتها و التماس الرزق . ابن كثير ، مختصر ابن كثير ، ج 3 ، ص 528

⁴ يس: 33-36.

⁵ اختلف أهل التأويل في تفسير قوله تعالى : (و ما عملته أيديهم) ففي تفسير ابن كثير ، ذكر عن ابن عباس و قتادة رضي الله عنهما ، و ما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم ، لا بسعيهم و لا بكدهم و لا بمحطهم و قوتهم ، و في هذه الحالة فإن (ما) نافية بدليل قوله : (أفلا تشكرون) بينما جزم ابن جرير الطبري أن (ما) في قوله تعالى : (و ما عملته أيديهم) بمعنى : (الذي) و تقديره ليأكلوا من ثمره و ما عملته أيديهم أي غرسوه و نصبوه . نفس المصدر ج 3 ص 162

وتزداد هذه الدعوة وضوحاً في السنة النبوية، حيث تشجع التوجيهات المحمدية المسلمين على الغرس والزرع، فقال عليه الصلاة والسلام: (من كانت له أرض فليزرعها)¹.

فعن أنس بن مالك قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة)²، وروى مسلم عن جابر مرفوعاً: (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة)³.

و روى الإمام أحمد و البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها)⁴، تعكس هذه الأحاديث النبوية - السالفة الذكر - مدى أهمية الزراعة وغرس الأشجار، حيث يمنح صاحبها الصدقة الجارية والمثوبة، على ما أخذ من زرعه وثمره، واستفاد منه كل كائن حي، وبهذا الشكل فإن الشريعة الإسلامية تحبب في نفوس المسلمين الغرس و الزرع لما فيها من أجر وثواب عظيمين في الدنيا والآخرة.

وقد عني الصحابة بالغرس والتشجير، بفضل التوجيهات القرآنية والنبوية، التي حفزتهم على الزراعة، فروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غداً، فقال عمر: "أعزم عليك لتغرسها"، فقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي.⁵

وقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزراعة والمحاصيل اهتماماً كبيراً، كما حرص على بث هذا الاهتمام في نفوس المسلمين لئلا يغفلوا عن أهميتها في حياتهم، ولكيلا ينصرفوا عنها، وقد بلغ من اهتمامه بهذه الأمور أن وضع لها أحكاماً ونظماً ما يكفل لها الاستمرارية والبقاء، ومن هذه النظم:

أولاً: المزارعة:

¹ النسائي، السنن الكبرى، ج 3، ص 90

² مسلم بن الحجاج القشيري، (875 م - 261)، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الخير، 1994 م، 1 ص 165، محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1998 م، 3 ص 58

³ لا يرزؤه: أي لا ينقصه و يأخذ منه، القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 10، ص 164، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف 1958، ج 1، ص 11

⁴ الفسيلة: النخلة الصغيرة، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 1 ص 11

⁵ نفس المصدر، ج 1 ص 12

■ المزارعة لغة:

زرع الحب زرعاً وزراعة: أي بذره، والأرض: حرثها للزراعة، وزرع الله الحرث: أنبتته وأثمّاه وزراعة مزارعة: عامله بالزراعة¹. وهي مصدر قياسي على وزن مفاعلة للفعل الثلاثي المزيد زارع، الذي يفيد معنى المشاركة والتعاون بين المالك والزارع².

■ المزارعة في اصطلاح الفقهاء:

عرفها الحنفية بأنها: عقد على الزرع بمعنى الخارج من الأرض ومعنى هذا أن المزارعة عبارة عن عقد بين مالك أرض وعامل يعمل في الأرض، يشتمل على أن العامل يستأجر الأرض ليزرعها ببعض المتحل من الزرع، أو أن المالك يستأجر العامل على أن يزرع له أرضه ببعض الخارج المتحصل من الأرض³

وعرفها المالكية: بأنها الشركة في الزرع⁴.

وعند الشافعية هي: عمل على أرض ببعض ما يخرج منها والبذر من المالك⁵.

وعند الحنابلة: أن يدفع صاحب الأرض الصالحة للزراعة أرضه للعامل الذي يقوم بزرعها، ويدفع له الحب الذي يبذره أيضاً على أن يكون له جزء مشاع معلوم من المحصول¹.

¹ أنيس، المعجم الوسيط، ج 1 ص 392، البستاني، محيط المحيط، ص 270

² أثيرت جدل بين جمهور الفقهاء حول ماهية المصدر مزارعة (مفاعلة) فمن المشهور أن مصدر المفاعلة يفيد المشاركة بين الاثنين كالمشاركة والمضاربة، وقد يستعمل مصدر المفاعلة في فعل واحد فيقال: إن المفاعلة ليست على بابها، وفي هذه الحالة، فهل الزرع الذي مصدر المزارعة مستعمل في فعل العامل الذي يزرع الأرض فقط، فتكون المفاعلة ليست على بابها؟ أو مستعمل في فعل العامل وفعل المالك، فتكون المفاعلة على بابها، والجواب: إن المزارعة على بابها، لأن الزرع مسبب عن شيئين أحدهما: فعل العامل من الحرث والزرع والسقي والثاني فعل المالك من خلال تمكينه للأرض والآلات التي يزرع بها، وفي هذه الحالة يشترك الطرفان (المالك والزارع) في عملية الزرع حيث يقدم كل واحد ما يملكه من قدرات وخدمات. عبد الرحمن الجزيري كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، دار إحياء التراث العربي، 1986 ج 3 ص 2.

³ أبو بكر ابن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الصنائع، القاهرة، زكرياء علي يوسف، ج 8 ص 175

⁴ محمد بن عبد الرحمن الخطّاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، طرابلس، مكتبة النجاح، 1969 م، ج 5 ص 176

⁵ محمد الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994 م، ج 2 ص 324

ومن نظم المزارعة ما هو جائز وما هو منهي عنه، فقد أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم المزارعة بالنقد، وبالطعام وبغيرهما مما يعد مالا، على حين نهى عن المزارعة التي يكون نصيب العامل فيها مقدارا معيناً مما تخرج الأرض، أو قدرا من مساحة الأرض تكون غلتها لما في ذلك الغرر، بمعنى أنه قد يهلك القسم الذي منح للعامل ويضيع أجره.²

وقد عمل رسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام عليه وسلم بالمزارعة وعمل بها أصحابه، فقد روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع).³

قوله تعالى: (مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم).⁴

في هذه الآية دليل على أن اتخاذ الزرع من أعلى الحرف التي يتخذها الناس، والمكاسب التي يشتغل بها العمال، ولذلك ضرب الله به المثل فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁵. والزراعة من فروض الكفاية، فيجب على الإمام أن يجبر الناس عليها، وما كان في معناها من غرس الأشجار.⁶

ثانيا: المساقاة: ⁷

■ المساقاة لغة:

¹ موفق الدين بن قدامة، المغني، بيروت، دار الكتاب العربي، 1972، ج 5، ص 416، الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ج 3 ص 3
² محمد قلعجي، الموسوعة الفقهية الميسرة، بيروت، دار الفنايس، 2000 م، ج 2 ص 1780، السيد سابق، فقه السنة، بيروت، دار الكتاب العربي، 1971 م، ج 3 ص 165 - 166.
³ النسائي، السنن الكبرى، ج 3 ص 109. الترمذي، الجامع الكبير، ج 3 ص 59، القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 10 ص 161
⁴ البقرة: 261.

⁵ القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن
⁶ مصدر على وزن مفاعلة، و القياس أن يكون مصدرها و هو السقي واقعا بين اثنين، مع أنه من العامل وحده، لكن اشترك المالك في عملية المساقاة تتم من خلال توفير الأشجار و الآلات اللازمة للاعتناء بها، و يقوم العامل بالعمل الفعلي، كما هو الحال في عملية المزارعة، و قد سمي اللغويون و الفقهاء عقد خدمة الشجر مساقاة، مع أنه يشغل على غير السقي كتنقية الشجر و تعليمه و القيام عليه، لأن أهم أعماله خصوصا و يتطلب حمدا خاصا يفوق الأعمال الأخرى، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ج 3، ص 21

هي استخدام شخص في نخيل أو كروم أو غيرها لخدمتها وإصلاحها على أن يكون له سهم معلوم من الربيع والمحصول¹.

المساقاة اصطلاحاً:

دفع الشجر لمن يقوم بسقيه وبتعهده حتى يبلغ تمام نضجه، نظير جزء معلوم من ثمره².

والمساقاة مشروعة بالسنة، وقد اتفق الفقهاء على جوازها للحاجة إليها، وقد استدلل العلماء على جوازها بما يأتي: روى البخاري أن الأنصار قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤونة³ ونشرككم في الثمر؟ قالوا: سمعنا وأطعنا⁴.

والمساقاة في حقيقتها شركة زراعية على استثمار الشجر، يكون فيها الشجر من جانب ورعاية الشجر من الجانب الآخر، وما ينتج من محصول يقسم بين المتعاقدين بنسبة معينة، كالنصف والثلث ونحو ذلك.

• شروط المساقاة:

- ❖ أن يكون الشجر الذي تم الاتفاق على سقيه وخدمته معلوماً بالرؤية أو بالصفة التي لا يختلف معها لأنه لا يصح العقد على مجهول.
- ❖ أن تكون مدة المساقاة محددة فإن لم تسمى المدة في العقد امتدت إلى سنة، لأن غالبية الأشجار تؤتي ثمرها في السنة⁵.
- ❖ أن يكون نصيب العامل من ثمرها جزءاً شائعاً معلوماً كالربع والثلث، ولا يجوز أن تجعل حصته ثمرة شجرة مخصوصة، ولا وزناً معلوماً من الثمرة.

¹ أنيس، المعجم الوسيط، ج 1 ص 437، ابن منظور، لسان العرب، ج 14 ص 394، البستاني، محيط المحيط ص 416

² قلنجي، الموسوعة الفقهية الميسرة، ج 2 ص 1782

³ المؤونة: العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها، العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 5 ص 12

⁴ يدل الحديث الشريف بأن الرسول وافق على اقتسام النخيل بين الأنصار وإخوانهم المهاجرين شريطة أن يقوم المهاجرون برعايته، وفقاً لنظام المساقاة وشروطه

، العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 5 ص 11

⁵ هنالك اختلاف بين الفقهاء بالنسبة لمدة المساقاة، فقال أبو يوسف والإمام محمد - من المذهب الحنفي - إن بيان المدة ليس بشروط في المساقاة استحساناً، لأن وقت إدراك الثمر معلوم غالباً، ولا يتفاوت تفوتاً. وقد أيدت الظاهرية الحنفية في عدم اشتراط مدة المساقاة.، سابق، فقه السنة ج 3 ص 345 - 346، قلنجي، الموسوعة الفقهية الميسرة، ج 2 ص 1782

وبهذا الشكل فإن نظام المساقاة يكفل الاهتمام بالأشجار ورعايتها إلى أن تنضج مقابل جزء معلوم من الثمر يحصل عليه العامل، وكذلك يمنع الغرر¹ بين المالك والعامل.

ثالثاً: إحياء الموات:

❖ **إحياء الموات لغة:** الإحياء في اللغة: جعل الشيء حياً² والموات: الأرض التي لم تزرع ولم تعمّر ولا جرى عليها ملك أحد ولا ينتفع بها، وإحياءها مباشرة عمارتها، وتأثير شيء فيها³.

■ **إحياء الموات اصطلاحاً:**⁴ عرفه الفقهاء حسب ما يلي:

إعداد الأرض الميتة التي لم يسبق تعميرها وتبنيها وجعلها صالحة للانتفاع في السكنى والزراعة ونحو ذلك⁵.

وعرفه الحنابلة بأنه عمارة ما لم يجز عليه ملك لأحد، ولم يوجد فيه أثر عمارة⁶ وعرفه الشافعية : بأنه عمارة الأرض الخربة التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد⁷ وعرفه المالكية : بأنه لقب لتعمير ذات الأرض بما يقتضي عمر انصراف المعمر عن انتفاعه بها⁸.

وعرفه الحنفية: التسبب للحياة النامية ببناء أو غرس أو حراثة أو سقي⁹

■ تأصيل المصطلح:

هو تعبير إسلامي مأخوذ من الحديث النبوي: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له)¹⁰، والأرض الميتة هي الأرض البور التي لا زراعة فيها ولا بناء وسماها الرسول صلى الله عليه وسلم بالميتة للإشارة

¹ الغرر : الخطر و التعرض للهلاك و بيع الغرر : بيع ما يجهل المتبايعان أو ما يوفق بتسلمه ، أنيس ، المعجم الوسي ، ج 1 ص 648

² أنيس ، المعجم الوسيط ج 1 ص 213

³ أنيس المعجم الوسيط ، ج 1 ص 891 ، الجوهري ، الصحاح ، تاج اللغة و صحاح العربية ، ج 1 ص 397 ، ابن منظور ، لسان العرب ج 2 ص 93

⁴ عرف الفقهاء مصطلح احياء الموات اعتقاداً على المعنى اللغوي الأصلي ، و لكن أضافوا أحكاماً شرعية و شروطاً من حيث الحل الصحة و البطلان و سنعرض هذه الأحكام .

⁵ مرجع سابق ، فقه السنة ، ج 3 ص 168

⁶ ابن قدامة ، المغني ، ج 5 ص 563

⁷ سليمان الباجري ، ، الباجري على الخطيب المسماة بتحفة الحبيب على شرح الخطيب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1996 م ، ج 3 ص 192 .

⁸ الخطاب ، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ج 6 ص 2

⁹ أحمد بن عبد الغني بن عابدين ، رد المختار على الدر المختار ، شرح تنوير الأبصار ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت ، ج 5 ص 277

¹⁰ الترمذي ، الجامع الكبير ، ج 3 ص 55

إلى أن الأماكن و الأراضي تموت وتحيا كما يحيا الإنسان ويموت، وموت الأرض إنما يكون بتركها بوارا لا ينبت فيها نبات ولا يفرس فيها شجر ولا يقوم فيها بناء ولا عمران¹.

وقد استوحى الرسول عليه الصلاة والسلام معنى الحياة والموت للأرض من القرآن الكريم في أكثر من آية كما في قوله تعالى: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ 32²، وقوله عن المطر: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتَةً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ 5³، وقوله: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ أَخْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ 4⁵.

ويدعو الرسول عليه الصلاة والسلام إلى زراعة الأراضي الميتة وإحيائها لما فيها من توسيع الرقعة الزراعية وزيادة مصادر الإنتاج واكتساب الأجر العظيم في الدنيا -لامتلاك الأرض- والآخرة لنيل الثواب. وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (من أحيا أرضا ميتة فهي له)⁶، وقال: (من أحيا أرضا ميتة ليست لأحد، فهو أحق بها)⁷.

وعن الحسن بن سمره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحاط ما يطأ أرضنا فهبله)⁸ وقال: (من أحيا أرضا ميتة فله أجر، وما أكله العوافي فله صدقة)⁹.

وقد عني الخلفاء الراشدون بنظام إحياء الموات، فعن عبد الله بن عمر قال: (كان عمر بن الخطاب يخطب على هذا المنبر يقول: (يا أيها الناس من أحيا أرضا ميتة فهي له) وذلك أن رجلا كانوا يحتجزون من الأرض ما لا يعمرون)¹⁰.

¹ القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، ص 70

² يس: 33.

³ ق: 11.

⁴ فصلت: 39-38.

⁵ نفس المصدر السابق ص 70

⁶ يقرر الرسول عليه الصلاة والسلام من خلال الحديث بأن ملكية الأرض لمن أحياها، تشجيعا لزراعة الأرض واستثمار خيراتها، التزمذي، الجامع الكبير، ج 3 ص 55

⁷ النسائي، السنن الكبرى، ج 3 ص 405

⁸ نفس المصدر السابق، ج 3 ص 405

⁹ العوافي: الطير والسباع، نفس المصدر السابق، ج 3 ص 404، الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 2 ص 107

¹⁰ القاسم بن سلام أبو عبيد، الأموال، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1981، ص 123

وكان من سنة عمر تشجيع الأفراد العاملين على زيادة الإنتاج حيث أذن لشخص يدعى نافع أبا عبدالله أن يزرع فلاة في البصرة ويرعى بها أولاد الخيل حين لم يزرعها أحد أو يرعى بها مواشيه¹.

وتزداد هذه الدعوة - إحياء الموات - وضوحا في كتب الفقه، حيث خصص أصحابها أبوابا مستقلة بعنوان (إحياء الموات) ووضعوا شروطا لأرض الموات واتفقوا فيما بينهم على أن الإحياء سبب للملكية واختلفوا في اشتراط اذن الحاكم في الإحياء².

- شروط إحياء الموات:
- الأرض التي يجوز إحيائها:
- أن تكون غير منتفع بها بوجه من وجوه الانتفاع³.
- أرض لا يوجد لها ملكية أو أرض كانت مملوكة في الإسلام لا يعرف مالکها شريطة أن لا تكون الملكية لمسلم أو ذي⁴.

يشترط لاعتبار الأرض مواتا أن تكون بعيدة عن العمران حتى لا تكون مرفقا من مرافقه، حيث قرر الفقهاء أن ما قرب من العمران أو تعلق بمصالحه مثل طرفه و فناءه و نبعه، و مرعى أنعامه لا يعتبر مواتا لتعلقه بمصالح البلد العامر الحي و يعتبر في حكم الحي لسببه فلا يدخل في الحديث الشريف (من أحيا أرضا ميتة فهي له) لأنها ليست ميتة⁵.

لا يوجد تحديد لفترة إحياء الأرض ولكن شريطة أن يعتني بها مالکها بشكل مستمر و أن لا يحجرها⁶.

❖ من يجوز له الإحياء؟

¹ أبو عبيد ، الأموال ، ص 118

² راجع في ذلك أبو أحمد علي ابن أحمد حزم ، المحلى بالآثار ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1988 ، ج 7 ص 84-73 ، علي بن أبي بكر المرغيناني ، (593 هـ ° الهداية ، مصر ، مطبعة الباي حلي 1965 ، ج 4 ص 98-103 ، سابق ، فقه السنة ، ج 3 ص 168 - 170

³ قلعجي ، موسوعة فقهية ، ميسرة ، ج 1 ص 94

⁴ مرغيناني ، الهداية ، ج 4 ص 98 ، ابن قدامة ، المغني ج 6 ص 164

⁵ إبراهيم بن محمد ابن مفلح (1479 م) ، المبدع في شرح المقنع ، بيروت ، المكتب 1980 م ، ج 5 ، ص 250 ، سابق ، فقه السنة ، ج 3 ص 169

⁶ يتم ذلك حجر مواتا : أي من شرع في إحيائها و لم يتم ذلك ، كان يحيط حول الأرض ترابا أو جدارا صغيرا ، أو يخفر بئرا و لم يصل مأوها ، ففي هذه الحالة لا تجوز الملكية لصاحبها ، لأن الملكية تكون بالإحياء التام ، و يحق للإمام أن يمنح الأرض لشخص آخر ، و هذا الأمر أكدته الفقيه الحنفي المرغاني في كتابه الهداية ، قائلا : (من حجر أرضا و لم يعمرها ثلاث سنين أخذها الإمام إلى غيره) المرغاني ، الهداية ، ص 9

إحياء الأرض الموات حق لكل مواطن في الدولة الإسلامية سواء كان مسلماً أو ذمياً صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، ويجوز للرجل أن يוכל غيره في إحياء الأرض، كما يجوز له أن يستعين بالغير على إحيائها، سواء كانت استعانتهم بهم بأجر أو بغير أجر¹.

❖ إذن الإمام في الإحياء:

اتفق معظم الفقهاء على أن الإحياء سبب للملكية من غير اشتراط إذن الحاكم فمضى أحياءها أصبح مالكا لها من غير إذن الحاكم وعلى الحاكم أن يسلم بحقه إذا رفع إليه الأمر عند النزاع وذلك استنادا على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من أحيا أرضا ميتة فهي له)².

ولكن يتعارض المذهبان الحنفي والمالكي مع بقية المذاهب بشأن ملكية إحياء الموات، فيصرح أبو حنيفة بأن الإحياء سبب للملكية ولكن شرطها إذن الإمام وإقراره، ويفرق الإمام مالك بن أنس بين الأراضي المجاورة للعمران والأراضي البعيدة عنه، فإذا كانت مجاورة فلا بد من إذن الحاكم، وإن كانت بعيدة فلا يشترط فيها إذنه وتصبح ملكا لمن أحيها³.

وبهذا الشكل فإن نظام إحياء الموات يعد من أفضل الأعمال التي حث عليها الإسلام ورغب فيها ووعدها فاعليها بأعظم المثوبة، فهو بمثابة حلول تطبيقية ناجعة لحل مشكلات المسلمين البيئية، حيث يعمدون إلى الأرض الموات لاستثمار خيراتها و زيادة الأقوات و الخصب للأحياء ، بدلا من إهمالها و تركها من دون رعاية ، و من خلاله يكتسب المسلم الأجر العظيم في الدنيا -أي امتلاك الأرض - و الثواب في الآخرة .

رابعا: نظام المحميات الطبيعية: ⁴

¹ قلعهجي ، موسوعة مبصرة ، ج 1 ص 94

² سابق ، فقه السنة ، ج 3 ص 170

³ سابق ، فقه السن ، ج 3 ص 179

⁴ خلافا لنظام إحياء الموات الذي يجعل الأراضي أملاكاً خاصة لأصحابها شريطة إحيائها و رعايتها ، فإن هنالك نظاما آخر تقتل في المحميات الطبيعية ، من خلاله لا يمكن تحويل الأراضي إلى أملاك خاصة .

لقد وضع الاسلام للمسآت الوضيئة بخصوص الإحسان إلى البيئة، وقد تمثل ذلك في وضع وابتكار نظامي: الحمى والحرم، مستهدفا من خلالها صون التنوع الإحيائي من حيوان ونبات وحمايته من الاستغلال غير المنظم الذي يؤدي إلى التدهور، ليكون كل شيء بقدر.

• نظام الحمى:

الحمى في اللغة: ما حمى من شيء يمد ويقصر وتثنيته حميان على القياس وحموان على غير قياس، والحمى الموضع فيه كلاً يحمي من الناس أن يرعى والشيء المحمي وحمى الله: محارمه. ويقال: حميت المكان من الناس: حمى وحميا مثل: رميا وحمية بالكسر وحماية أي: جعلته ممنوعاً من الناس لا يقربونه ولا يجترؤن عليه.¹

• الحمى اصطلاحاً:

وهو ما يخصه ولي أمر المسلمين² من الأرض لمصالح المسلمين العامة ويمنع الناس من دخولها والانتفاع بها.³

ونظام الحمى مشروع لولي أمر المسلمين وفقاً للشروط التالية⁴:

■ أن يكون الحامي هو ولي أمر المسلمين وليس لأحد من رؤساء القبائل أو زعماء القرى أن يحمي شيئاً¹ فقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيع لحيل المسلمين من الأنصار

¹ ابن منظور لسان العرب ج 14 ص 198 - 199 ، الجوهري ، الصحاح ، تاج اللغة و صحاح العربية ، ج 6 ص 257 ، الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، ج 1 ص 361 ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الكبير ، ج 5 ص 741

² ولي أمر المسلمين مثل الرسول والخلفاء الراشدين

³ قلعيحي ، موسوعة فقهية مبصرة ، ج 1 ص 769 ، علي بن عبد الله السمهودي (911 هـ) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، 2001 م ، ج 4 ص 71

⁴ ابن قدامة ، المغني ، ج 5 ص 581 ، أبو يعلى محمد بن الحسين ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، مصر مطبعة الباني الحلبي 1966 م ، ص 222-223 ، أبو عبيد ، الأموال ص 124

والمهاجرين²، وقال: (لا حمى إلا لله ولرسوله)³، ويقوم الأئمة مقام رسول الله عليه الصلاة والسلام في الحمى، فقد حمى الخلفاء من بعده⁴.

■ أن يكون الحمى لمصلحة المسلمين، وليس للسلطان أن يحمي شيئاً لمصلحته أو مصلحة قريب له، ومن مصالح المسلمين: حفظ ورعي المواشي المجموعة من الزكاة وخيم المجاهدين وماشية ضعاف أناس.

أن لا يكون الحمى ملكاً لأحد، ولا تعلقت بها منافع الناس، فلا يجوز حماية منابع الأنهار، ولا المراعي المحيطة بالقرية ونحو ذلك، لاحتياج إليها، فقد سأل أبيض بن حماد رسول الله عما يحمى من الأراك؟⁵، فقال عليه الصلاة والسلام: (ما لم تنله أخفاف الإبل)⁶، أي ما بعد عن عمارة المدن حتى لا تصل إليه الإبل السارحة في المرعى، وهذا يدل أن الحمى يكون مما لم تتعلق به مصالح المسلمين، ومما لا ينتفع به أحد.

أن يكون الحمى محمداً واضح المعالم وأن لا يضيق على أحد بل يكون فاضلاً عن منافع أهل الموضع.

¹ علماً أن نظام الحمى له جذور تعود إلى أيام عرب الجاهلية، حيث احتفظ شيوخ البدو الأقوياء لأنفسهم حقوق الرعي والري في بعض المراعي الخصبة لحماية قطعانهم من مضار الجفاف

² النقع بالنون المفتوحة والقاف المكسورة: هو كل موضع يستنقع فيه الماء و به سمي هذا الوادي و يبعد عشرين فرسخاً من المدينة، وهو أخصب موضع هناك. السهمودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج 4 ص 71-72

³ أبو عبيد، الأموال ص 124

⁴ قال المارودي في جواز حمى الأئمة قولين: أحدهما لا يجوز و يكون الحمى خاصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لرواية الصعب بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حمى النقع قال: (لا حمى إلا لله ولرسوله) والقول الثاني: إن حمى الأئمة بعده جائز كجواره له، لأنه كان يفعل ذلك لصالح المسلمين لأنفسه، وكذلك من قام مقامه في مصالحهم، وقد حمى أبو بكر رضي الله عنه الرينة و هي قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أميال منها، لإبل صدقة و استعمل عليها مولاة أبا سلامة، و حمى عمر رضي الله عنه حمى الشرف و هي موضع بوسط نجد لإبل صدقة أيضاً، و ولى عليه مولى يقال له: هني أن الفراء، الأحكام السلطانية، ص 223

⁵ الأراك: نبات شجري من الفصيلة الأراكية، كثير الفروع، ينبت في البلاد الحارة و يعرف بشجر المسواك، أنيس، المعجم الوسيط، ج 1 ص 14

⁶ أبو عبيد، الأموال، ص 126

• نظام الحرم¹:

وضع النظام الإسلامي أول محمية طبيعية ألا وهي مكة بيت الله الحرام، وقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يجعل لها حرماً يحوطها من سائر الجهات، وحكم هذا الحرم حكم مكة في الحرمة تشريفاً لها .

وقد ثبت تحريم حرم مكة في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا

وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالِغٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُونَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ٢٧﴾².

وكذلك في الأحاديث، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة ولا ينقر صيده ولا يلتقط لقطته، إلا من عرفها ولا يختلى خلاها، قال : فقال العباس وكان من أهل البلد : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا الإذخر)³ . 4 .

وعن أبي شريح العدوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله سبحانه حرم مكة ولم يجرمها الناس، ولا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دماً ولا يعرض بها شجرة، فإن أحداً ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب)⁵. اقتضت الأحاديث أعلاه أحكاماً تختص بحرم مكة المكرمة، من بينها:

¹ الحرم من الأرض : ما حرم صيده و نباته و هو أمر خاص بحرمي مكة المكرمة و المدينة المنورة ، قلعهجي ، موسوعة فقهية ميسرة ، ج 1 ص 741
² العنكبوت: 67.

³ يفتل خلاه : أي يقطع حشيشها و الخلاء الحشيش و الكلا الرطب ، الإذخر : نبات معروف عند أهل مكة طيب الرائحة له أصل و قضبان دقاق ، ينبت في السهل ، و يسقف به بين الخشب ، و يسد به الخلل بين اللبنة في القبور ، و القين الحداد و قيل ذي صناعة يعالجها بنفسه ، أحمد بن أحمد زروق (899هـ) ،

شرح صحيح البخاري ، بيروت ، منشورات المكتبة بدون تاريخ . . { 4 ص 203 - 204

⁴ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، مشكاة المصابيح ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، 1985 ، ج 2 ص 830 . زروق ، شرح صحيح البخاري ، ج 4 ص 203

⁵ ارتخص الأمر : عده سهلاً و رخيصاً ، زروق ، شرح صحيح البخاري ، ج 4 ص 201

❖ **تحريم القتال فيه:** لا يجوز القتال في مكة ولكن أجاز أكثر العلماء، قتال الكفار والبغاة بمكة، تقديمًا لحق الله تعالى، لأن قتال الكفار من الحقوق التي لا يجوز إضاعتها كما في جاء في قوله تعالى: (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه، فإن قاتلكم فاقتلواهم، كذلك جزاء الكافرين) ¹ .²، وكذلك أجاز لرسول الله عليه الصلاة والسلام من قتال الكفار يم فتح مكة.

❖ **تحريم قطع شجره ونباته:** يحرم قلع شجر الحرم المكي وحشيشه إذا كانا رطبين ولو كان فيهما مضرة كالشوك، ما خلا نباتي الازخار - لاستعماله في الصباغة وسق البيوت والقبور - والسنا - المعروف بالسنا مكي - للحاجة إليه في مداواة أما ما كان يابسًا من الشجر والحشيش فلا بأس من قطعها أو قلعها ³ .

وقد أجاز المذهب الحنفي قطع النبات الذي يستنبته الآدمي في الحرم، وحرم قطع النبات الذي ينبت من تلقاء نفسه من أمر الله ⁴ .

❖ **منع تنفير الصيد فيه:** لقد نهى المسلم عن إزعاج الصيد في الحرم، ومع هذا من نهر الصيد ولم يؤذه، فلا جزاء عليه لكنه يؤثم بارتكاب المنهي عنه.

❖ **تحريم الصيد :** خصص الفقهاء في كتبهم أبوابا لبيان نوع الصيد الذي يحل اصطیاده للحلال والحرم، مقابل الصيد الذي يمنع اصطیاده للمحرم، فقالوا : إن صيد البحر يحل اصطیاده للحلال والمحرم جميعا، مأكولا كان أو غير مأكول، لقوله تعالى: ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمُّمُ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٥٦ ﴾ ⁵، والمراد من الآية الكريمة اصطیاد ما في البحر عامة، وأما صيد البر فنوعان : مأكول وغير مأكول، أما المأكول فلا للمحرم اصطیاده مثل : الظبي والأرنب وحمار الوحش وبقرة الوحش والطيور، وسواء كان القتل عمداً أو خطأً أو نسياناً مباشرة أو تسبباً، تكرر منه ذلك، أم لا

¹ سورة البقرة ، آية 191

² تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، بيروت ، دار الكتاب العربي 1985 م ج 1 ص 112

³ الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ص 648- 649 ، الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ص 108

⁴ الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ج 1 ص 649

⁵ المائدة: 96.

فعليه وجوبا جزاء مثل ما قتل، كما قال مالك عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: كل شيء صيد في الحرم أو أرسل عليه كلب في الحرم، فقتل ذلك الصيد في الحل، فإنه لا يحل أكله وعلى من يفعل ذلك جزاء ذلك الصيد¹ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا بَطْلٌ الْكَفْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامَ مَسْكِينٍ أَوْ عَذْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهٖ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ٩٧﴾².³

يشير جمهور العلماء في تفسير هذه الآية إلى أن من قتل صيدا برياً في الحرم، فإن القاصد والناسي سواء في وجوب الجزاء⁴ وما قتله المحرم من النعم⁵ ويشترط أن يحكم في هذه القضية حكماً عادلاً من المسلمين⁶، بأن يقوموا بقيمة الصيد المقتول بقيمة الصيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي، فيخير المحرم في هذا المقام بين الجزاء - أي أن يذبح مثل الصيد من النعم و يتصدق به على فقراء الحرم - أو الإطعام - أي يشتري بقيمته طعاماً و يتصدق به - أو الصيام - أي : أن يصوم يوماً عن كل مد⁷ من

¹ أنس موطأ الإمام مالك بن أنس ، ج 1 ص 453
² المائدة: 97.

³ مرغنياني ، الهداية ، ج 3 ص 1254- 1255 ، مصطفى بن محمد الدغاي القصري ، جامع الأقوال و الدلالات في أحكام العبادات على مذهب الإمام مالك ، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، 2000 م ، ص 562

⁴ دل القرآن الكريم على وجوب الجزاء على المتعمد و تأنيبه ، و جاءت السنة من أحكام النبي صلى الله عليه و سلم ، و أحكام الصحابة رضوان الله عليه بوجوب الجزاء في الخطأ ، كما دل الكتاب عليه في العمد ، لأن قتل الصيد إتلاف ، و الإتلاف مضمون في العمد و في النسيان ، لكن المتعمد مأثوم ، و الخطأ غير ملوم ، ابن كثير ، مختصر تفسير ابن كثير ، ج 1 ص 549

⁵ اختلف جمهور الفقهاء في المراد من المثل المذكور في الآية الشريفة ، قال أبو حنيفة و أبو يوسف : المراد من المثل من حيث المعنى و القيمة ، أما محمد و الشافعي ، فقالوا بأن المثلية تكون في الصورة و المساواة في القدر و القرب ، أي ما يشابه الصيد في الصورة و القدرة ، فقد حدد الشارع أن كل من قتل حاماً و يماماً و قرياً ففي الواحدة شاة ، من ضأن أو ماعز و في النعامة بعير و في البقرة الوحشية أو الحمار الوحشي بقرة أهلية ، و في الغزال معز صغير ، مرغنياني ، الهداية ، ج 3 ، ص 1259 ، الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ، ج 1 ص 680

⁶ هنالك قصة مشهورة عن الخليفة عمر رضي الله عنه ، حيث استدعى عبد الرحمان بن عوف ليحكم معه في قضية تتعلق بصيد المحرم ، و ذلك امتثالاً لأوامر الله سبحانه و تعالى للحكم في مثل هذه القضايا ، و مفاد القصة أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب فقال : إني أجريت أن و صاحباً لي على فرسين إلى ثغرة ثنية - أي في الطريق - فأصبنا طيباً و نحن محرمان ، فما ترى ؟ فقال : - أي عمر - إلى رجل إلى جنبه : تعالى لأحكم أنا و أنت قال : حكماً عليه بعز ، فولى الرجل و هو يقول : هذا أمير المؤمنين ، لا يستطيع أن يحكم في ظبي ، حتى دعا رجلاً يحكم معه ، فسمع عمر قول الرجل ، فدعاه ، فسأله : هل تقرأ سورة المائدة ؟ قال : لا ، قال : فهل تعرف هذا الرجل الذي حكم معي ؟ قال : لا ، فقال عمر : لو أخبرتني أنك تقرأ سورة المائدة ، لأوجعتك ضرباً ، ثم قال : إن الله تبارك و تعالى يقول : (يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة) ، و هذا عبد الرحمان بن عوف القصري ، جامع الأقوال و الدلالات في أحكام العبادات ، ص 563

⁷ مد ، مكيال قديم اختلف الفقهاء في تقديره بالكيل المصري قدره الشافعية بنصف قح ، و هو رطل و ثلث عند أهل الحجاز ، و عند أهل العراق رطلان ، أنيس ، المعجم الوسيط ، ص 858

الطعام- وإن لم تبلغ قيمة الصيد ثمن هدي، فهو مخير على الترتيب بين الطعام و الصيام، سواء كان الصيد مما له نظير أو كان مما لا نظير له وهذا قول أبي حنيفة وأبي يوسف¹.

وأما بالنسبة لصيد البر غير المأكول، فقد أجاز الفقهاء للمحرم قتله لأنه مؤذ، ولا شيء عليه وذلك نحو الأسد والذئب والنمر والفهد، لأن دفع الأذى واجب فضلا عن الإباحة² ففقي ذلك روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خمس فواسق يقتلن في الحرم والإحرام: الفأرة، والغراب، والحدأة والعقرب، والكلب العقور)³.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور والحديا)⁴.

● حرم المدينة المنورة:

تعتبر المدينة المنورة محمية ذات حدود معينة، حيث حرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يصح لأحد أن يقتلع نباتها وأشجارها أو يتعرض لحيواناتها، وذلك لمصلحة المدينة المنورة. وقد ثبت تحريمها بتحريم رسول الله، فعن علي رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف وعدل)^{5,6}.

وعن سعد قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((إني أحرم ما بين لابتي⁷ المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها)⁸.

¹ مرغني، الهداية ج 3، ص 1258-1259

² نفس المصدر السابق، ج 3 ص 1255

³ التبريزي، مشكاة المصابيح، ج 2 ص 834

⁴ الغراب الأبقع الذي فيه سواد و بياض، و الحديا بمعنى الحدأة، نفس المصدر السابق ج 2 ص 826

⁵ عير و ثور: اسماء جبلين، الصرف: الفرض أو التوبة، العدل: الغدية، زروق، شرح صحيح البخاري، ج 4 ص 225، التبريزي، مشكاة المصابيح، ج 2، ص 834

⁶ التبريزي، مشكاة المصابيح، ج 2 ص 834

⁷ لابتا المدينة: تثنية لابة وهي الحرة وها حرّتا المدينة الشرقية والغربية، و قال الأصمعي: اللابة الأرض التي ألبست الحجارة السود، السهمودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج 4 ص 449

⁸ التبريزي، مشكاة المصابيح، ج 2 ص 834، زروق، شرح صحيح البخاري، ج 4 ص 224

وعلى هذا النحو فإن نظام المحميات الطبيعية يحافظ على التنوع الإحيائي من نباتات وحيوانات محققا بذلك الاتزان البيئي والانسجام بين الانسان والعناصر البيئية المتمثلة بالنباتات والحيوانات وكل خلل يلحقه المسلم تجاه الاتزان البيئي يعتبر جريمة بحق مخلوقات الله، ويتطلب حينئذ تعويضا.

• النهي عن إهلاك النبات وقطع الأشجار:

وردت في القرآن الكريم تعاليم و توجيهات إلهية تنهى عن إهلاك الزرع والحرق، فهذا السلوك هو من مميزات المنافقين المكروهين عند الله والمفسدين في الأرض، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ﴾¹.

وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن قطع الأشجار وإتلاف النبات ومن ذلك قوله: (من قطع سدره² صوب الله رأسه في النار)³.

وقد بلغ من حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على عدم إهلاك الزرع والنبات أن وضع نظاما لما أتلغه الغير من المزروعات والثمار ومن ذلك أن من سقى أرضه سقيا زائدا على المعتاد، فأفسد زرع غيره ضمن، فإذا انصب الماء من موضع لا علم له به لم يضمن حيث لم يحدث منه تعد⁴.

كما وضع عليه الصلاة والسلام نظاما لضمان ما أتلفته المواشي من المزروعات والثمار، فإذا كان معها مالكها سواء كان راكبا أو سائقا فعليه ضمان ما أتلفته وإذا انطلقت بدونه فأفسدت بالنهار فلا ضمان على صاحبها، لأن أصحاب الحوائط⁵ البساتين يحفظونها بالنهار وأصحاب المواشي يسرحونها بالنهار

¹البقرة: 204.

²سدره: نوع من الشجر يدعى النبق، أنيس، المعجم الوسيط ج 1 ص 423

³سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا حديث مختصر، يعني من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل و البهائم عبثا و ظلما بغير حق يكون لها فيها، صوب الله رأسه في النار، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، القاهرة، دار الحديث، 1999، ج 4 ص 226

⁴سابق، فقه السنة، ج 2 ص 370

⁵الحوائط: ج: حائط و هو البستان، أنيس، المعجم الوسيط ج 1 ص 208

ويردونها ليلاً، وذلك استناداً إلى الحديث النبوي: (إننا على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها)¹.

• النهي عن إهلاك الأرض:

فرض الإسلام مؤبدات تأديبية تتمثل في فرض غرامة مالية على كل مسلم يقوم بإرهاق الأرض من خلال زراعتها بما لا تصلح له، كما فعل عمر رضي الله عنه في أناس سألوه أرضاً من أرض أنركيسان لمربط خيلهم، أي للمرعى، فأعطاهم طائفة منها فزروها، فانتزعها منهم، وأغرهمم وفعل عمر رضي الله عنه في غوطة دمشق².

ونظراً لأهمية النبات ولكونه مصدر رزق الإنسان وله دور أساسي في بقاء الحياة وديمومتها، فقد اعتنى الإسلام بالنبات وذلك وفق أسلوبيين:

01- الترغيب في زراعة النبات والحث على العناية به:

إن الباحث في الأحكام الشرعية المتعلقة بالمزراعة والمساقاة وإحياء الموات وعمارة الأرض بأسلوبي الزراعة وإحياء الموات ليدرك مدى اهتمام الإسلام بزراعة النبات، واعتبار ذلك من الصدقات التي يؤجر عليها القائم بها، ما دام الغرس والزرع وما تولد منه قائماً إلى يوم القيامة، سواء كانت هذه الفائدة تخص الإنسان أم تعود للحيوان. وفي هذا نورد أحاديث نبوية تبين فضل الغرس والزرع:

■ عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة)³.

لذا رفع الإسلام من شأن الزراعة والمزارعين ووعدهم بأحسن الثواب وجعل كل استفادة منها صدقة ينالها زارعها وغارسها، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من غرس غرساً يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له صدقة)¹.

¹ سابق، فقه السنة، ج 2 ص 365

² عبد الرحمان بن أحمد بن رجب، الإستخراج لأحكام الخراج، الجزء، هـ 1997 م، ص 46

³ متفق عليه، البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحرث والمزراعة، باب فضل الزرع والغرس، م 3 ص 112. و مسلم، الجامع الصحيح، كتاب المساقاة وباب الغرس والزرع، م 10 ص 474

■ وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه صدقة، وما أكل السبع فهو صدقة، وما أكلت الطيور فهو له صدقة، ولا يرزؤه² أحد إلا كان له صدقة)³.

وحث الإسلام على الزراعة ورغب فيها، بل رغب غير القادر على الزراعة أن يمنح أخيه المسلم القادر ليقوم بزراعتها ولا يؤجرها له، لقوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (من كانت له أرض فليغرسها، فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها فليمنحها أخاه المسلم، ولا يؤجرها فإن لم يفعل فليمسك أرضه)⁴.

وعن ظهير بن رافع قال: (لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقا، قلت: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق، قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما تصنعون بمحاقلكم؟ قلت: نؤجرها على الربيع وعلى الأوسق من التمر والشعير، قال: لا تفعلوا، أزرعوها أو امسكوها، قال رافع: قلت: سمعا وطاعة)⁵، وهذا يعني أنهم كانوا يقومون بكراء الأرض ويشترطون لأنفسهم ما ينبت على الأنهار، فهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال: أزرعوها أتم أو أعطوها لغيركم يزرعها بغير أجرة أو اتركوها بغير زرع)⁶.

وقد استشكل بأن في إمساكها بغير زراعة تضيقا لمنفعتيها فيكون من إضاعة المال، وقد ثبت النهي عنها، وأجيب بحمل النهي عن إضاعة عين المال أو منفعتيها لا تحتلف، لأن الأرض إذا تركت بغير زرع لا تتعطل منفعتها فإنها تنبت من الكلاء والخطب والحشائش ما ينفع في الرعي وغيره وعلى تقدير أن لا يحصل ذلك فقد يكون تأخير الزرع عن الأرض إصلاحا لها، فتختلف في السنة التي تليها، ما لعله فات في سنة الترك، هذا كله إن حمل النهي عن الكراء على عمومها، أما لو جعل الكراء على ما كان

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 93 / 1 6400 / 1

² لا يرزؤه: لا ينقصه

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 5768 / 1 5 / 1

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 6514 / 1110 / 2

⁵ حديث صحيح، فتح الباري، 27 / 5

⁶ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج 5 ص 29

مألوفا لهم من الكراء بجزء مما يخرج منها ولا سيما إذا كان غير معلوم، فلا يستلزم ذلك تعطيل الانتفاع بها في الزراعة بل يكرها بالذهب و الفضة ¹ .

وقد شجع رسول الله صلى عليه و سلم على الزراعة حتى مع اليهود، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم (أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها) ² كما أوجب الإسلام أن يستمر في الزراعة حتى و لو قامت الساعة، وذلك استنادا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها) ³ .

وانطلاقا مما سبق ذكره يجب على المسلمين قبل غيرهم الحرص على تنمية الموارد النباتية وذلك لسببين ذكرهما بعض المفكرين⁴:

أ - لقد تعرضت مواطن أرض الوطن العربي لفترة من أطول فترات الاستغلال التي قام بها الانسان لرقعة هذا الكوكب عبر التاريخ المسجل، ونتيجة لهذا الاستغلال الذي كان غير منظم في العديد من البقاع فقدت الأرض الكثير من مميزاتا الطبيعية والتي انعكست باختفاء الكثير من الأحراش والغطاء النباتي وانقراض الكثير من أنواع الحيوانات، ويواجه الانسان العربي تحديا كبيرا في إصلاح الأرض وإعادة الخضرة إلى الكثير من التلال والجبال وإلى إيقاف زحف الصحراء في معظم أنحاء الوطن العربي، وهناك فرصة ذهبية أمام الانسان اليوم لتخفيف الضغط على مصادر الثروة في أرضه، وإلى إيجاد الظروف البيئية المناسبة لكي تستطيع مساحات شاسعة من أرض الوطن العربي استعادة مقدرتها على تجديد ثرواتها وخصوصا النباتية والحيوانية منها .

ب - إن ظروف الوطن العربي في القرون الماضية لم تمكنه من الدخول في نهضة صناعية وخصوصا في حقل الصناعات الكيماوية، ولكن الظروف الراهنة بكل ما تحمله من موارد ثروة البترول من إمكانات قد هيأت الفرصة لدخول مختلف دول الوطني العربي ولو بدرجات متفاوتة في حركة صناعية كبيرة، كما أوجدت المجال للبدء في تنفيذ خطط للتنمية في مختلف المجالات، وبذلك فإن أمام

¹ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج 5، مرجع سابق ص: 30 .

² حديث صحيح، فتح الباري، 5 / 19 .

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 30/1 / 1424 .

⁴ عبد اللطيف، خالد محمود، البيئة و التلوث من منظور الإسلام، مرجع سابق، ص: 21 .

الدول الآن فرصا سانحة للدخول في الصناعات والتنمية دون الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها غيرها في مجالات الصناعة والتنمية .

02 - النهي عن التعدي على الأشجار :

من المعلوم أن النباتات أنواع، منها النبات غير المعمر، و هو ما يطلق عليه اسم الزرع ، ومنها اسم الزرع ، ومنها النبات المعمر الذي يعيش لسنوات طويلة و هو ما يطلق عليه اسم الشجر أو الغرس ، وكما وسبق ذكره ، فإن النبات من المنتجات التي يعتمد عليها الانسان والحيوان من أجل استمرار الحياة، لذلك كانت النباتات متنوعة متعددة لتستفيد منها الكائنات على اختلاف اصنافها و أشكالها .

وهناك ارتباط وثيق بين تقليص الغابات والأشجار وانقراض البرية¹. حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

■ (من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيه، صوب الله رأسه في النار)²، فالشجرة التي يستظل بها المسافر والبهائم وغيرها من المرافق العامة يجب أن نحافظ عليها، فالشجرة تأكل من أوراقها البهائم وتعشش بين أغصانها الطيور وتستظل بها الحيوانات، إذ ربما يكون الماء قريبا منها، فهذا الحديث الشريف يوضح الصلة بين وجود الشجرة وركون البهائم والحيوانات البرية إليها، الأمر الذي يدل على أن قطع الشجرة يترتب عليه في النهاية انقراض الحيوانات والطيور البرية.

ونشير هنا كذلك إلى وصية خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة بن زيد حيث يقول:

■ (أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني .. ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا (لا تقطعوا) نخيلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا إلا لأكله).

¹ السكري ، علي ، البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق ، ص 88

² الذهبي (ت 748هـ)، المذهب 2272/5 رواه مسعدة و قد و قد ضعفوه ، و قال أبو داود من الكنايين ، ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) ، تخرجه مشكاة المصابيح 201/3 ، حسن كما قال في المقدمة . السيوطي (ت 911هـ) الجامع الصغير 8943 ، صحيح .

ففي هذه الخطبة القصيرة الوافية أمر صريح من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المحاربين ألا يقطعوا النخل أو الشجر أو المتمر وألا يحرقوه، كذلك ألا يذبحوا الأنعام إلا عند الحاجة إليها في المأكل، وفي هذا حفاظ على الحياة البرية من نبات وحيوان وطيور حتى يستمتع الإنسان بمناظرها الجميلة وثمارها البانعة¹، وهذه الوصايا تمثل تشريعا للمحاربين في أسلوب الحفاظ على البيئة من الإتلاف والتدمير والقطع والحرق والقتل، الأمر الذي يدل على عظمة الشريعة الإسلامية وسموها ورقبها وسبقها للتشريعات الأخرى في الحفاظ على البيئة الطبيعية .

وهناك حقائق أثبتتها العلم بأهمية الشجرة في وقتنا الحاضر هي كما يلي² :

- يجب زراعة 100 شجرة أمام كل سيارة نقل.
- يجب زراعة 10 شجرات أمام كل سيارة صغيرة.
- يجب أن يقوم كل مصنع بزراعة شجرة أمام كل لتر من الوقود الذي يستخدم في إدارة المعدات.
- تقوم بعض الأشجار بإنتاج الأكسجين فقط ولا تنتج إطلاقا ثاني أكسيد الكربون.
- تقوم بعض الأشجار بامتصاص بعض المركبات السامة وتقوم بهدمها.
- تقوم بعض الأشجار بامتصاص بعض المركبات السامة من الهواء.
- تقوم بعض الأشجار بتصفية الهواء من الملوثات العالقة بها.
- تقوم بعض الأشجار بخفض الحرارة وتخفيض سرعة التيارات الهوائية الصاعدة والهابطة وتلعب دورا هاما في تعديل المناخ.

هكذا يتضح وبجلاء أن الأشجار كنز من كنوز الدنيا ومنحة منحها الله لنا لننعم بفوائدها، بالإضافة إلى كونها مصدرا رئيسيا لإنتاج الأكسجين، والتخلص من ثاني أكسيد الكربون، تتميز كذلك بكونها تشكل مجالا بيولوجيا متنوعا، كما أنها زينة للأرض تمنحها جمالا وروقا، تضيء عليها طابعا خلابا، فالتأمل في الأشجار يشرح النفوس ويهيج الفؤاد. إنها فضاء بيئي جذاب تعيش فيه جل الكائنات الحية من حيوانات ونباتات وطيور، وتدر على السكان القرويين مداخيل هامة تتيح لهم العيش بكرامة،

¹ الجبلاطي ، علي و عبد المنعم قنديل ، أسامة بن زيد، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة، 1993 م ، ص 93

² عبد الجواد، أحمد عبد الوهاب، المنهج الإسلامي العلاج تلوث البيئة، مرجع سابق ، ص 174 .

لذلك فالأشجار تشكل ثروة اقتصادية مهمة لا بد من المحافظة عليها وتتميتها، فهي تنتج سنويا كمية هائلة من خشب النجارة، والخشب الموجه للصناعة وحطب التدفئة والعلف والفلين والعسل.

وبالتالي إعادة التوازن البيئي والحراري فوق كوكبنا، والذي ينعكس بشكل إيجابي على صحة الإنسان، وأفضل مثال على ذلك التلوث الذي يصيبنا جراء وسائل النقل، وما يمكن أن يحدثه حزام من الأشجار حول الطرقات والمناطق السكنية في التقليل من وطأة التلوث والحرارة الشديدة وتلطيف الجو.

كما أكد الباحثون أن الشجرة هي الدرع الواقي للمزارعين، إذ تصد الرياح وتحمي محاصيلهم من الاقتلاع، وتعمل الجذور الضاربة في الأرض لعدة أمتار على تثبيت التربة، فلا تجرفها الرياح الزاحفة فوقها¹.

وتجدر الإشارة إلى أن الأشجار تتعرض للاستنزاف بفعل عوامل طبيعية كالطفيليات التي تقضي على الأشجار، والعوامل المناخية المؤثرة، وعوامل بشرية متمثلة في الرعي الجائر والقطع غير القانوني للأشجار².

ومعلوم أن هناك نباتات ضارة، تضر بالأرض أو تضر بالحيوان، أو لا يستفيد منها الإنسان، فهذا النوع لا يمنع الإسلام من إزالته والتخلص منه، بقصد إعطاء القوة للنافع من النباتات، وسمح كذلك بإزالة الشجر لفتح الطريق وبقصد البناء أو مما لا بد منه لتحصيل منفعة.

والمؤكد أنه قبل أن يحدد العالم يوم 21 مارس من كل سنة عيداً للشجرة، وقبل 14 قرناً، دعا معلم البشرية والمبعوث رحمة للعالمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم دعا إلى غرس الشجر كيفما كانت وضعية وظرفية الإنسان، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)³.

قد يتساءل البعض ويقول ما الفائدة من غرس هذه الفسيلة والقيامة قد قامت؟

¹ مجلة العربي، الإنسان و البيئة، العدد 522، مايو 2002م، ص 153

² محمد النفراوي، غابات المغرب، مجلة البيئة والتنمية، عدد 139، أكتوبر 2009م، ص 30 - 31

³ البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، ص 479، نقلاً عن: محمد بن ناصر الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، 1985، ج 1، ص 38

يجيب على ذلك الشيخ يوسف القرضاوي بقوله: (وهذا في رأيي تكريم للعمل لعبارة الدنيا في حد ذاته، وإن لم يكن وراءه منفعة للغرس، أو لغيره من بعده، فلا أمل لأحد في الانتفاع بغرس والساعة تقوم، وليس بعد هذا تحريض على الغرس والإنتاج ما دام في الحياة نفس يتردد، فالإنسان قد خلق ليعبد الله، ثم ليعمل ويعمر الأرض، فليظل عابدا عاملا حتى تلفظ الدنيا آخر أنفاسها)¹.

المطلب الثالث: حماية الشريعة الإسلامية للثروة الحيوانية:

لقد أوكل الله للإنسان أمر تنظيم حياته وتنظيم علاقاته مع الكائنات الحية الأخرى، وفق تشريعات سنّها له، من أجل أن يستقيم حاله ويصلح أمره في معيشتة وفي ظروفه وأحواله كلها، والحيوان كونه جزءا من نظام الحياة على الأرض جعل الله فيه فوائد كثيرة، مثل: المأكّل والمشرب والملبس والمركب، هذا إلى جانب الجمال الذي أراد الله أن يكون حاضرا على الأرض، بوجود الحيوان، وذلك من أجل إنعاش دورة الحياة وإيجاد التكامل في حياتها.

كما أن الحيوانات أساس للتنقل في الأزمنة السابقة، بل مازال البعض يستخدم الحيوانات كوسيلة أساسية للتنقل، قال المولى جل جلاله:

- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۖ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۖ وَلِتَلْبَسَ وَلِتَلْبَسَ وَلِتَلْبَسَ ۖ وَلِتَرْكَبُوا فِيهَا زِينَةً وَتَحْمِلُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ﴾².

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عِمَلًا آيِدِيًا أَنعَمَّا لَهُمْ فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۖ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۚ﴾³.

¹ القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة، ص 110

² النحل: 8-6.

³ نيس: 71-73.

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِهَا فِئَافَافَ مَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥١ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ٥٢﴾¹.

- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ٥٣ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ٥٤﴾².

كما تجدر الإشارة أن للحيوان فوائد عديدة، فهو مصدر الغذاء وله أهمية في حفظ التوازن البيئي، ومن المعروف أن الحيات والثعابين تتغذى على بعض الحيوانات الصغيرة مثل الفئران، فجعل الله الحيات للتقليل من الفئران والحد من زيادة أعدادها وخطورتها، ومعلوم أن الفئران تتغذى على الحبوب النباتية وتنقل الأمراض، فإذا تركت لكي تتكاثر وتتعاظم أعدادها دون ضوابط فسوف تصيب الإنسان في النهاية بأضرار بالغة في مخزونه من الحبوب الغذائية وتنقل الأمراض المعدية والخطيرة وصعب مكافحتها. كما أن هناك حيات كبيرة تأكل حيات صغيرة، كما أن العقرب تبت الحيات والثعابين، وكذلك يقضي عليها الإنسان ويبحث الإسلام على قتلها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- (الحية فاسقة والعقرب فاسق والفأرة فاسقة والغراب فاسق)³.

- (من قتل حية فله سبع حسنات، ومن قتل وزغا فله حسنة ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا)⁴.

كما أن عداوة الحية للإنسان معروفة، قال جل جلاله: (اهبطوا بعضكم لبعض عدو)¹، قال جمهور العلماء: (الخطاب لآدم وحواء والحية وإبليس)، روى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما سألناهم منذ عاديناهن) وقال ابن عمر: (من تركهن فليس منا).

¹ المؤمنون: 21-22.

² الزخرف: 14.

³ صحيح الألباني، رقم الحديث 1825.

⁴ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 6 / 2984 / 36.

أكدت شريعة الإسلام على المحافظة على الحيوان وضرورة العمل على حمايته والنهي عن الاعتداء عليه، ورسمت لذلك منهجا، يتمثل كالاتي:

1 - المحافظة على الحيوان ورحمته:

إن المتتبع للمصدر الأول في شريعة الاسلام ليقف على الأهمية البالغة للحيوان في القرآن الكريم، إذ وردت أسماء بعض الحيوانات، فتارة نجد سورا منه مسماة باسم الحيوانات، مثل سورة : البقرة، الأنعام، النحل، العنكبوت، العاديات والفيل، وفي ذلك تنبيه للإنسان إلى أن في دراسة كل خلق من مخلوقات الله وخاصة التي قد تكون سبيلا يقود إلى الإيمان². وتارة تجده يذكر أنواعا منها في مناسبات عدة سواء منها: الدواب والطيور والحشرات وحتى حيوانات الماء، فمن الدواب التي ذكرها القرآن: الضأن والمعز، إذ يقول سبحانه: ﴿ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ اثْنَتَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْاُثْنَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاُثْنَيْنِ نَبِيُّ يَعْلَمُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٦﴾﴾³، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطَرَّ غَيْرَ بَالِغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾⁴ وقوله سبحانه : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ ائْتِظَافًا وَهُمْ رُفُودٌ وَقُلَّيبُهُمْ ذَاتُ الْيَمِينِ وَذَاتُ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴿١٨﴾﴾⁵، وذكر سبحانه الخيل والبغال والحمير ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾⁶، كما ذكر الذئب : ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَلَعَلَّ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٧﴾﴾⁷.

¹ سورة البقرة ، آية 36

² عدنان الشريف ، من علوم الأرض القرآنية ، دار العلم للملايين ط 4 ص 136 .

³ الأنعام: 143.

⁴ البقرة: 3.

⁵ الكهف: 18.

⁶ النحل: 8.

⁷ يوسف: 13.

ومن الطيور: الغراب، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^{٣١} فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيكَهُنَّ أَصْحَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ^{٣٢} ١، والهدد ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمِ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^{٣٣} ٢

ومن الحشرات: النمل، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مساكنكم لَا يحطمنكم سُدُومٌ وَخُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{٣٤} ٣ والذباب: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الظَّالِمُ وَالتَّطَلُّبُ﴾^{٣٥} ٤

وجعل المولى جل وعلا هذه الحيوانات مسخرة لمنفعة الانسان، وبين القرآن الكريم وكذلك السنة المشرفة أوجه الحلال والحرام في هذا الانتفاع، ومع إباحة صيد الحيوان المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^٥ فإن هذه الإباحة لا تعني القضاء على جنس الحيوان، المباح صيده، وإلا أدى ذلك إلى اختلال التوازن البيئي، فكان الصيد مشروطا بالمحافظة على بقاء جنس الحيوان للحفاظ على توازن البيئة وعدم حرمان الأجيال القادمة من الانتفاع منه.^٦

وقد بنيت علاقة الانسان المسلم مع غيره من الكائنات على الرحمة، وليكون هذا الانسان مستحقا لخلافة الله في أرضه، فقد وجب عليه أن يمتثل لتوجيهات المبعوث رحمة للعالمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فكان لزاما عليه

وقد حثت شريعة الإسلام على وجوب الرفق بالحيوان وعدم إيذائه أو تحميله ما لا يحتمل فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:

^١ المائدة: 30-31.

^٢ النمل: 19-20.

^٣ النمل: 18.

^٤ الحج: 73.

^٥ المائدة: 3.

^٦ عبد الهادي النجار، الإسلام والاقتصاد ص 27

- (بينما رجل يمشي فاشتد به العطش فوجد بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وأن لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبد رطبة أجر) ¹.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه وتنطحه بقرونها).
- (ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعاد (صوت الغنم) فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغت، ولا يأتي ببعير له رغاء فيقول: يا محمد فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت) ².
- (الراحمون يرحمهم الله تبارك وتعالى ارحموا من الأرض يرحمكم من في السماء) ³ ومن الإحسان أن يحذ المسلم شفرتة عند الذبح لقوله صلى الله عليه وسلم:
- (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) ⁴.
- (من رحم ولو ذبيحة عصفور، رحمه الله يوم القيامة) ⁵.
- وقد كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي بعث رحمة للعالمين، عطوفا بالحيوانات، إذ (كان يصفي للهرة الإناء، فتشرب ثم يتوضأ بفضلها) ⁶.
- وكان عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم يحث على تربية الخيل والاهتمام بها، وكذلك اقتناء الإبل والغنم، وذلك للمنافع الكثيرة لهذه الحيوانات حيث يقول صلى الله عليه وسلم:

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 555 / 2873.

² مختصر البخاري، رقم 670.

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 661 / 3522.

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 369 / 1795.

⁵ حديث حسن، صحيح الجامع، 2 / 74 / 6261.

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 888 / 4958.

- (الإبل عز لأهلها والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة) ¹
- (اتخذوا الغنم فإنها بركة) ².
- (الغنم بركة) ³.
- ورغب الرسول صلى الله عليه وسلم في اقتناء الغنم عندما أشار إليها من دواب الجنة فقال:
(الشاة من دواب الجنة) ⁴.
- (عليكم بالغنم فإنها من دواب الجنة، وصلوا في مراحمها وامسحوا رغامها) ⁵.
- ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن استعمال القسوة مع الحيوانات فقال:
- (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت) ⁶.
- (قرصت نملة نبيا من الأنبياء، فأمر بقرية من الغنم فأحرقت، فأوحى الله تعالى إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح) ⁷.
- كما نهى عن إجاعة الدواب وتعريضها للضعف والهزال، لقوله صلى الله عليه وسلم:
- (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة واكلوها صالحة) ⁸.
- روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها، إلا يسأله الله عز وجل عنها، قيل يا رسول الله وما حقها؟ قال: أن يذبحها).

2 - النهي عن تعذيب الحيوان والاعتداء عليه:

كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التلهي بها في الصيد واتخاذها هدفا لتعليم الصيد.

- (لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا) ⁹.

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 535 / 276.

² حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 78 / 72.

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 769 / 4180.

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 693 / 3725.

⁵ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 751 / 4073.

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 636 / 3374.

⁷ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 809 / 4388.

⁸ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 82 / 104.

⁹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 121 / 7218.

- كما نهى عن المكث الطويل على ظهر الدواب فقال صلى الله عليه وسلم:
- (إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجاتكم)¹.
 - كما نهى عن ذبح الحلوب فقال صلى الله عليه وسلم:
 - (إياك وذبح الحلوب)².
 - (لا تذبحن ذات در)³
 - وفي النهي عن قتل بعض الحيوانات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:
 - (لا تقتلوا الضفادع)⁴.
 - (لا تقتلوا الجراد فإنه من جند الله الأعظم)⁵.
 - (نهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدد والصرد)⁶
 - (نهى عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدد)⁷.
 - (نهى عن قتل الضفدع للدواء)⁸.
 - كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الديك:
 - (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة)⁹.

3 - قتل الضار من الحيوان والدواب:

وموازاة مع ذلك هناك حيوانات قد تضرر بالإنسان، هنا أمر الإسلام بقتل الضار منها في الحل والحرم لما تسببه من هلاك وضرر للإنسان والحيوان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 523 / 2691

² حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 52 / 2669

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1216 / 727

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1232 / 7310

⁵ حديث حسن، صحيح الجامع، 3 / 1232 / 7388

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 117 / 6968

⁷ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1170 / 6969

⁸ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1170 / 6971

⁹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1222 / 7314

(خمس قتلهن حلال في الحرم: الحية والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور)¹ .

لا بد هنا أن أقف على كلام الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، لأقول: الكلب العقور فيه بأكثريا ضارة تسبب موت الإنسان أو إصابات خطيرة. الفأرة تحمل الكثير من الفيروسات الخطيرة أما العقرب فتحمل سمًا، لكن لماذا أمرنا المبعوث رحمة للعالمين بقتل الحدأة، لم أتمكن من الوقوف على السبب الحقيقي وراء إباحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل هذا الطائر.

لأقف على ظاهرة حيرت العلماء في أستراليا، وهي الحرائق التي تنتشر في الآونة الأخيرة بهذا البلد دون وجود درجة حرارة مرتفعة، ودون وجود سبب ظاهر لهذه الحرائق، بل تمتد هذه الحرائق إلى أماكن غير متوقعة، فقام العلماء بجامعة سيدني الأسترالية بدراسة هذه الحالة المشككة²، وتبين أن هناك طائرا اسمه "الحدأة" بكسر الحاء وفتح الدال منه الأسود والأحمر وألوان مختلفة يسبب في أضرار كثيرة إذ يعتمد إشعال الحرائق لكي يوسع دائرة الاصطياد، فيقوم بأخذ قطع من الأغصان المشتعلة ويرميها بأماكن بعيدة لتوسيع رقعة الحرائق، وليتوفر له ما يحتاجه من صيد، و ينتج عن ذلك دمار شامل للبيئة و هلاك في المحاصيل و الكائنات الحية، بل وتسبب هذه الطيور في هلاك نفسها، لأنها لن تجد ما تقتات به، بعد هلاك كل ما يحيط بها، وبالتالي بتصرفها هذا قضت على نفسها بعد قضائها على مصدر عيشها الضامن لبقائها . فأخبرنا نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بقتل هذا الطائر منذ 14 قرنا رحمة بكل الكائنات الحية التي يسبب في هلاكها، ورحمة بالحدأة نفسها³.

فكل كائن مضر بالإنسان، أمر الإسلام بقتله في الحل والحرم، إذ رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل الوزغ فقال:

□ (الوزغ فويسق)⁴ .

□ (من قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة حسنة، و من قتلها في الضربة الثانية، فله كذا وكذا

حسنة، وإن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة)¹

¹ حديث صحيح ، صحيح الجامع 1 / 617 / 3245

² نشرت نتائج هذه الدراسة بمجلة ETHNO BIOLOGIE يوم 2018/01/12

³ ينظر موقع عبد الدائم الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة <http://www.kaheel7.com>

⁴ حديث صحيح ، صحيح الجامع ، 2 / 1301 / 1749

قامت جامعة جورجيا بدراسة حول الوزغ عام 2015م هذه الدراسة نشرت على موقع SCIENCE DAILY ، إذ أكدت أن هذه المخلوقات تحمل بكتيريا عنيدة، حيث أكدت الباحثة صونيا هيرناند² بقولها : (إننا لا نزال نجهل لماذا البكتيريا التي يحملها هذا الكائن عنيدة لهذه الدرجة وتقاوم المضادات الحيوية على عكس الكثير من الحيوانات التي تحمل بكتيريا عادية)، فهي خطيرة على الإنسان و على البيئة ، فإذا لم نتخلص من هذا الكائن ، فإن هناك مخلوقات قد تلتهم هذا الكائن وتعود هذه البكتيريا من جديد لتشكل خطرا على الإنسان . ليثبت وبالملموس تطابق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والأبحاث العلمية.

وقد سبق الإسلام الأنظمة الوضعية بوضع محميات فقد وضع الإسلام محمياته بمكة والمدينة³ قبل أربعة عشر قرنا، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ٥٠﴾⁴ ، و روى البخاري عن العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة :

- (إن هذا البلد حرام لا يعضد شوكه، ولا يختلى خلاه، ولا ينفّر صيده ولا تلتق لقطته إلا لمعرف فقال ابن عباس: إلا الاذخر فإنه لا بد لهم فإنه للقيون و البيوت)⁵ ، وجاءت السنة من أحكام النبي صلى الله عليه وسلم وأحكام الصحابة مبينة بوجود الجزاء في الخطأ كما دل القرآن على الجزاء في العمد، وأيضا فإن قتل الصيد إتلاف والإتلاف مضمون في العمد والنسيان. وأما إذا اشترك جماعة في

¹ حديث صحيح ، صحيح الجامع ، 2 / 1102 / 6460

² باحثة متخصصة في أمراض الحيوانات البرية .

³ السكري ، علي علي ، البيئة من منظور إسلامي ، مرجع سابق ، ص : (19 - 20)

⁴ المائدة: 95.

⁵ ابن حبان (ت 254 هـ) ، صحيح ابن حبان 3760 ، أخرجه في صحيحه .

قتل صيد عامدين لذلك جميعا، فليس عليهم إلا جزء واحد، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾¹

□ وسئل ابن عمر عن جماعة قتلوا ضبعا و هم محرمون فقال: اذبحوا كبشا، فقالوا كل انسان منا ؟ فقال : بل كبشا واحدا عن جميعكم².

□ وفي غداة يوم فتح مكة قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس خطيبا³ فقال : (يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام من حرام من حرام إلى يوم القيامة ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دما أو يعضد فيها شجرا) وهذا واضح من الحديث أنه يحرم على المؤمن قطع أشجار البلد الحرام .

وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم بالنقيع الخيل المسلمين من المهاجرين والأنصار، فقد جاء⁴ عن مشروعية الحمى أن (حمى الموات هو المنع من احيائه أملاكا ليكون مستبقي الإباحة لنبت الكلاء، ورعي المواشي، وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة جبلا بالنقيع، وقال : (هذا حمي)، وأشار بيده إلى القاع، وهو قدر ميل في ستة أميال، حماء لخيال المسلمين من الأنصار والمهاجرين، وأما حمى الأئمة بعده فإن عمومهم جميع الموات أو أكثره لم يجوز، وإن حموا أقله لخاص من الناس أو لأغنيائهم لم يجوز، وإن حموه لكافة المسلمين أو الفقراء والمساكين فأن يجوز) .

وهكذا نرى أن الإسلام أقام أول محمية طبيعية على الأرض وكانت بمكة وما حولها، ثم تبعها بمحمية ثانية بالمدينة المنورة، وثالثة بوادي الطائف⁵ وذلك لما تجنيه البشرية من فوائد المحافظة على الحيوانات والنباتات من الانقراض الذي يضع حاليا ظلاله على العالم بأسره بحق فأجحف في الإضرار بالحيوانات.

¹المائدة: 95.

² ابن حزم (ت 456 هـ) المحلى 7 / 237 ، صحيح من رواية الثقات

³ هيكيل ، محمد حسين ، كتاب حياة محمد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1965 م ط 9 ، ص 489 .

⁴ الوليعي ، عبد الله بن ناصر ، المحميات الطبيعية في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية و إنمائها ، 1416 هـ

⁵ السكري ، علي علي ، البيئة من منظور إسلامي ، ص 21

أخيرا نخلص إلى أن شريعة الإسلام بينت أن عالم الحيوان كعالم الإنسان له طبائعه وخصائصه وشعوره، قال جل جلاله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾¹.

هكذا يتبين لنا الطرق المثلث لشريعة الإسلام للتعامل مع كائنات الله تعالى على وجه هذه الأرض، فلم يفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حيوان كبير وآخر صغير، بل إنه شمل بالذكر المخلوق الصغير مثل الغملة ثم العصفور اللذان لا حول لهما ولا قوة، بل لم يستثني الدابة التي يستخدمها في حله وترحاله أن تأخذ نصيبها من الراحة.

هذه هي سلوكيات شريعتنا السمحة تجاه الكائنات الحية في بيئتنا الحيوية، سلوكيات تسعى للمحافظة على هذه البيئة وصيانتها، لذا وجب غرسها في أجيالنا والأجيال القادمة، لتكوين وعي بيئي إسلامي كفيل بالحفاظ على التنوع الحيوي.

المطلب الرابع: حماية شريعة الإسلام للهواء والغلاف الجوي:

الغلاف الجوي من الناحية العلمية: هو الهواء الرقيق الشفاف الذي يحيط بالكرة الأرضية ويحميها ويحمي قاطنيها من جميع الظواهر الطبيعية غير الملائمة لحياة الكائنات التي تقطن الأرض إلى حين غير معلوم².

ويتكون من عدة غازات أهمها الأوكسجين لضرورته الحيوية للإنسان ولكثير من الكائنات الحية الأخرى، ويتمركز بنسبة كبيرة في الطبقات السفلى من الغلاف الجوي، بينما يقل كلما ارتفعنا إلى الطبقات العليا لذلك فإن الارتفاع في طبقات الجو لمسافات عالية يسبب ضيقا في التنفس وشعورا بالاختناق، نتيجة ما يسببه انخفاض الأوكسجين فيها³.

سبحان الذي وضع كل شيء بتوازن، فمن آيات أن جعل غاز النيتروجين وهو الغاز الحامل المخفف للهواء بنسبة كبيرة جدا وهي نسبة مقدرة تقديرا دقيقا من قبل الخالق جل وعلا، إذ

¹ الأنعام: 39.

² الدريني، محمد أسامة، التلوث الهوائي مسبباته وأخطاره، ضمن الورشة التدريسية في التربية البيئية التي نظمتها جامعة اليرموك مع اليونيسكو، 1408 هـ / 1967 م، ص 13

³ دباب، عبد الحميد و أحمد قرقوز، الطب في القرآن الكريم، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ط 2، 1402 هـ

لو كانت أقل من 78 % وحدث أن سقطت شرارة كهربائية من الفضاء الخارجي نحو الأرض (وهذا يحدث أحيانا) لاحترق كل شيء على سطح الأرض¹. وصدق الله العظيم إذ يقول:

- ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝﴾².

- ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾³.

وتلوث الغلاف الجوي وخصوصا في الطبقات السفلى يعني وجود عناصر غير أصلية اختلطت به فأفسدته، وأحالتها إلى شر مستفحل⁴ بسبب انخفاض نسبة الأوكسجين فيه، مما يؤدي إلى شعور الإنسان بالاختناق تماما كمثّل الذي يصعد في الطبقات العليا، كما أن للهواء فوائد متعددة (فهو السبب المباشر لتواجد الرياح والغيوم والأمطار، والمؤثر في ثبات درجة الحرارة اليومية على الأرض، إذ لولاه لارتفعت درجة الحرارة نهارا لتصل إلى حوالي 110 درجة مئوية وتنخفض ليلا لتصل إلى 148 درجة مئوية تحت الصفر . وبالتالي فإن الغلاف الجوي يحافظ على الأرض في حالتها الطبيعية حتى لا تصبح مشابهة للقمر الذي لا يملك غلافا جويا، والذي تبلغ تقلبات درجة الحرارة على سطحه مدى واسعا لا تسمح بأي حياة إضافة إلى ذلك يقوم الغلاف الجوي نهارا بما يشبه الحاجز أو المظلة التي تحمي سطح الأرض وما عليها من كائنات حية، ويدراً عنها الاشعاعات الضارة المختلفة (وخاصة الأشعة فوق البنفسجية قصيرة الموجة التي لا يزيد طول موجتها عن 283 ميلي ميكرون) كما يقوم الغلاف الجوي ليلا مقام الغطاء الشامل الذي يساعد على احتباس حرارة النهار ويمنعها من التسرب إلى الفضاء الخارجي، ويحافظ بذلك على درجة حرارة الكرة الأرضية، إضافة إلى ذلك فالغلاف الجوي هو وسيلة انتقال الأصوات، ومنه تستمد الكائنات الحية طاقة الغازات اللازمة لقياسها بوظائفها⁵.

وقد تبين للعلماء اليوم بأن الثقب في طبقة الأوزون فوق المحيط المتجمد الجنوبي ناتج عن مواد كيميائية صناعية هي الغريون والفوران ينتجها الإنسان سنويا بملايين الأطنان، ويستعملها كمبردات في الثلاجات وأجهزة تكييف الهواء وفي الأجهزة المضغوطة، كما هو الحال في بعض زجاجات العطور، وهذه

¹ الفقي ، محمد عبد القادر ، البيئة : مشكلاتها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، مرجع سابق ص 34

² الفرقان: 2.

³ آل عمران: 191.

⁴ موسى حسين خضري ، النظافة في إطار حماية البيئة ، مرجع سابق ، ص 44

⁵ العودات ، محمد و عبد الرحمن باغي ، التلوث و حماية البيئة ، دمشق ، مطبعة الأهالي ، 1988 م ص 9

المواد هي غاز كلوروفلوريد الكربون الذي لا يشتعل ولا يتحلل، إلا أنه مع الوقت يتصاعد تدريجياً حتى يصل إلى حيث طبقة الأوزون في الجو فيقضي عليها بصورة بطيئة جداً¹.

وربما يكون للهواء فوائد أخرى لم يدركها البشر حتى الآن، فالرياح يسوقها الله رحمة وبشرى لأمم مختلفة، كما يسوقها عذاباً للبعض انتقاماً منهم²، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(الريح تبعث عذاباً لقوم ورحمة لآخرين)³، والرياح من أدلة قدرة وإتقان صنعة وكمال الخالق سبحانه وتعالى فقد قال عز وجل: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)⁴ لذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن سب الريح حيث قال:

- (لا تسبوا الريح فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها)⁵.

- (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم منها ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)⁶.

أي لا تشتموها ولا تلعنوها للحق ضرر منها، فإنها مأمورة مقهورة فلا يجوز سبها، بل يجب التوبة عند الضرر بها، فمسبئها مسببة للفاعل، وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يفعله إلا أهل الجهل بالله، فنهى صلى الله عليه وسلم أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الريح⁷.

¹ شريف، عدنان، الثواب العلمية في القرآن، مرجع سابق، ص 132

² باقادر، أبو بكر وآخرون، مرجع سابق، ص 9

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 666 / 6563

⁴ سورة البقرة، آية 164

⁵ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1223 / 7316

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1223 / 7315

⁷ آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله العتيق. تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة الحمدي ط 7 ص 467 - 468.

والمؤكد أن الذي يبحث عن مكونات البيئة سيجد ضالته في القرآن الكريم الذي لم يغفل عن شيء لقوله سبحانه: ﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾¹. إذ تحدث عن مكونات البيئة، أجمالاً في آيات وفصل بعضها في آيات أخرى، حيث قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَكِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾².

وهذا التطور الهائل والسريع لعلم البيئة والتقسيمات التي وضعت له والمجالات أو المساحات التي يشغلها ساعد على وجود مصطلحات أخرى شائعة للبيئة.

فقد صار مصطلح البيئة يتوارد على الألسن مع العديد من المسائل التي تدخل في نطاق ومجال علم البيئة وهي تكشف لنا المجالات المتعددة والمتنوعة التي يشغلها علم البيئة وذلك أنواع:

إذ تشمل ما يوفره الزوجان من موروثات (جينات) للأبناء، والموروثات هي عبارة عن تجمعات الموارد الكيميائية التي تحتوي على الصفات الوراثية، فالمولود يخرج من رحم أمه علامات وراثية مطبوعة في كل خلية من خلايا جسمه تحدد صفاته مثل لون العيون ولون الجلد والطول وفصيلة الدم ونسبة الذكاء، كما يمكن أن يرث أيضاً عيوباً وراثية من قبيل الاستعداد لإصابته ببعض الأمراض ويتوفر للإنسان في اللحظات الأولى لحلقه ثروة من الموروثات (الجينات) تمثل البيئة الوراثية له، حيث تتحدد صفاته وفق ما يعترف منها، وهذا النوع هو البيئة الوراثية.

فبالإضافة إلى كون البيئة السالفة الذكر قد تؤثر في تكوين وتركيب الإنسان، إلا أن هناك عوامل أخرى ذات أهمية لها تأثير على الإنسان منذ تكونه في رحم أمه وذلك من قبيل نقص غذاء الأم، أو تناولها لبعض الأطعمة المضرة بصحة الجنين الذي يخرج من رحم أمه يبدأ بالتفاعل مع الوسط الذي ينشأ فيه، والذي يؤثر في تحديد شخصيته ومسلكه واتجاهاته والقيم التي يؤمن بها.

وهذا ما نسميه البيئة الاجتماعية للإنسان، حيث ينشأ فيها ويكون لها الأثر الكبير في تشكيل شخصيته وتحديد معالمها.

¹ الأنعام: 38.

² المجاثية: 13.

ومن هنا لم يغفل الاسلام بمفاهيمه التربوية عن الحديث في تشريعاته عن أهمية الالتفات للبيئة التي يعيش فيها الانسان منذ طفولته، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك منها: الإرشاد إلى اختيار الزوج أو الزوجة، ومراعاة البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها كل واحد منها ، ويتناول علماء البيئة في دراستهم للبيئة الاجتماعية بالإضافة إلى ما تقدم المدارس وتأثيرها وموقعها ومعدلات استيعابها، وكذلك المنزهات والخدمات الترفيهية للإنسان والخدمات الصحية والاجتماعية وحياة السكان وأماكن تجمعاتهم ونشاطاتهم وإداراتهم وكيفية توزيعهم وظروف سكنهم .

وهناك البيئة الكلية التي يحيا فيها الإنسان، وتشمل: المعارف والعقائد والقانون والأخلاق والعرف وكل العادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع، وتتأثر ثقافة الإنسان وعقائده بما ينتجه العقل البشري، ومن المدارس والأشخاص الذين يتلقى علومهم منهم، وتسمى البيئة الثقافية.

و قد سميت يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى غلبت عليها هذه التسمية، ويقال لمن عاش في المدينة، أو عيشة أهل المدينة، أنه: مدن ومدن وأخذ بأسباب الحضارة، وتسمى بالبيئة الحضرية.

والمدينة في الثقافة المعاصرة تعني الحضارة واتساع العمران، ولا ريب بأن وجود الإنسان في مثل هذه الأجواء يؤثر فيه تأثيرا سوا على المستوى الثقافي أو الاجتماعي، أو لجهة ميوله وعقائده وما شابه ذلك.

الريف هو نقيض الحضر، والبيئة الريفية تعني للإنسان ذلك المكان الذي يتغنى به الشعراء والأدباء، وفيه مناظر خلابة وهدوء ونظارة وأغاريد الطيور، وهذه هي البيئة الريفية.

وهناك فرق واضح بين من يعيش وينشأ في الريف وبين من ينشأ في المدينة لاختلاف العادات والتقاليد وأنماط السلوك التي يكون عليها كل واحد منها.

يتأثر الانسان والكائنات الحية الأخرى التي تشارك الحياة على كوكب الأرض بالتقلبات المناخية، والانسان في حياته اليومية يكاد يخضع خضوعا تاما لتقلبات الطقس، وتتأثر صحته كثيرا بالمناخ، فهو يعيش إذن تحت تأثير ظروف الطقس والمناخ.

فالعناصر المناخية (الحرارة، الرطوبة، الرياح وإشعاع الشمس) مجتمعة هي التي تكون البيئة المناخية التي تؤثر تأثيراً مباشراً في الإنسان وفي مختلف أنشطته، تلك هي البيئة المناخية.

تتناول أبحاث البيئة في هذا المجال:

- المناطق التاريخية والأثرية والتراث الوطني للشعوب والأمم.
- المناظر الطبيعية الجميلة وطرق المحافظة عليها.
- الصفات المعمارية للمباني القائمة والاهتمام بمواصفاتها الجمالية.

وتختص البيئة البحرية بدراسة الحياة البحرية والشواطئ والطبور البحرية وحركات الأمواج والمد والجزر، وغير ذلك من العوامل المؤثرة على مياه المحيطات والبحار وعلى حياة الكائنات التي تعيش فيها.

ورد في تعريف البيئة في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي انعقد في استوكهولم عام 1972 م بأنها: (رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته).

وفي تعريف آخر لمحمد سعيد صباريني أنها: (الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر).

وبذلك فإن حديثنا عن البيئة إنما يعني: البيئة البشرية وفقاً للتعريفين السابقين، ويجب أن نؤكد هنا على أن البيئة البشرية ليست فقط مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته، وإنما تشمل أيضاً علاقات الإنسان بالإنسان التي تنظمها الأديان السالوية أو المؤسسات الاجتماعية أو القوانين الوضعية، أو العادات أو الأخلاق ... أو القيم السائدة في المجتمع أو العرف المتوارث بين الشعوب.

المطلب الخامس: النظام البيئي:

هو عبارة وحدة من مكونات حية وأخرى غير حية تتفاعل مع بعضها البعض وتتبادل فيه الأحياء وغير الأحياء العلاقات تأثراً وتأثيراً وفق نظام متوازن مرناً لتستمر في أداء دورها في الحياة. والنظام البيئي يحتوي على عناصر ومواد، أي أن المادة هي المكون الأساسي للنظام البيئي وتدخل في تركيبه مكونات حية وأخرى غير حية وبالتالي يمكن القول أن النظام البيئي يخضع للقوانين الأساسية في الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا¹.

وتتنوع الأنظمة البيئية بتنوع مواقعها، وتتوقف الحياة لكلا النوعين من الأنظمة البرية والمائية على توفر مجموعة من الشروط الطبيعية كالماء والهواء والضوء والحرارة والرطوبة، وعلى مدى قدرة الكائن الحي على التأقلم مع الوسط البيئي الذي يعيش فيه، والتكيف مع التغيرات التي تطرأ عليه. أما دورة الحياة cycle de vie لنظام بيئي فهي عبارة عن سلسلة من العمليات الحيوية التي تحدث بشكل دوري لتأمين نمو وتطور الكائنات الحية².

ولتوضيح النظام البيئي نضرب لذلك مثالين للوقوف على أطوار دورات الحياة التي تعرفها بعض الأنظمة البيئية.

1 - دورة حياة النظام البيئي البري:

تمتص جذور النباتات الماء والمواد العضوية الموجودة في التربة وذلك بتحليل المواد العضوية المركبة إلى مواد بسيطة من طرف الأحياء الدقيقة. وأثناء مرحلة نمو النباتات الخضراء شريطة توفر الضوء والتهوية الملائمة، تقوم هذه النباتات بإعادة تركيب مواد عضوية انطلاقاً من المواد المعدنية، وحينما تتغذى بعض الحيوانات على النباتات تصبح بذورها غذاء لحيوانات أخرى أو للإنسان، وتستمر الدورات الحياتية على هذا النسق ما لم تتعرض بعض العناصر الحيوية المتداخلة فيها لخلل أو تلف.

¹ يونس إبراهيم أحمد مزيد، البيئة في الإسلام، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط 1 2009 م ص 40.

² محمد بن جلون، قضايا البيئة، بحوث علمية وحقائق إسلامية، شركة النشر والتوزيع المدارس طبعة 1421 هـ - 2000 م ص 9

2- دورة حياة النظام البيئي المائي:

تختلف دورة حياة النظام البيئي المائي من منطقة باردة إلى أخرى دافئة، ومن وسط عذب إلى آخر مالح، إذ تخضع دورة الحياة المائية في المناطق الباردة إلى تناوب الماء بين الحالة السائلة والحالة المتجددة تبعاً لانخفاض أو ارتفاع درجة الحرارة بفعل تعاقب فصول السنة، وتتوقف حركتها على الخاصية الفيزيائية للماء الذي يصبح أخف وزناً في حالة تجمده بفعل انخفاض درجته إلى الصفر. وباستمرار المياه المتجمدة في الهبوط إلى القعر والمياه السائلة في الصعود إلى السطح، تتجمد كل الكتل المائية وتنعدم الحياة داخلها، ولكن حكمة الخالق سبحانه اقتضت أن ينفرد الماء أصل الحياة بهذه الخاصية، ليظل في حالة تجمده طافياً فوق السطح مشكلاً طبقة جليدية عازلة تفصل بين كتلة الهواء الباردة فوقها التي تنزل درجة حرارتها إلى ما دون الصفر، وبين الماء السائل تحتها الذي يظل محتفظاً بدرجة حرارته فوق الصفر ليستقر فوق حالته السائلة.

والفترة التي يظل فيها البساط الجليدي طافياً على سطح الماء، ليست فترة توقف تام لحركة دورة الحياة المائية، فبحلول الفصل الدافئ يبدأ الجليد الطافي في الذوبان ويصاحب هذا الذوبان ارتفاع تدريجي في درجة الماء، وحين وصوله إلى أربع درجات فوق الصفر يصبح الماء أكثر كثافة وبالتالي أثقل وزناً مما يساعده على الهبوط إلى الأسفل محملاً بالأكسجين، لتأمين ما يكفي منه لحاجيات الأحياء النباتية والحيوانية لمواصلة عمليات نموها وتكاثرها في حين تصعد الكتل المائية الوزن والقليلة الأكسجين إلى سطح الماء ريثما يحين موعد تجميدها وتأكدتها، لتتوالى دورات حياة هذا النظام على هذا النسق ما لم يطرأ اضطراب مناخي أو تغيير جوي يخل بتوازنه ويربك سير حياته¹.

وبعد معرفة المكونات الأساسية للبيئة، والنظام البيئي المحكم الذي خلقه مدبر هذا الكون بنظام محكم، وكل اختلال في ها النظام ينتج عنه لا محالة مشاكل، تختلف من منطقة لأخرى، هذه المشاكل سنقف عليها بتفصيل خلال المبحث اللاحق .

¹ قضايا البيئة، المرجع السابق، ص 11 .

المبحث الثالث: المشكلات البيئية والأضرار التي تلحق بها:

ولد الإنسان من رحم الأرض -من طين- ليعود إليها ويستقر فيها ويتزايد ويتكاثر من خيراتها، ومنذ ظهوره على سطحها ظل يستغلها وهي معطاء، رغم ثورتها عليه في مرات عديدة، ولما انتقل من حياة الفرد والعشيرة والقبيلة إلى حياة المجتمع والدولة، زاد استغلاله لها حيث اتخذ أشكالاً أكثر تنظيماً في الإخضاع وأشد وطأة على أديمها بما أن قوة الجماعة ليست كقوة الفرد.

إن المقصود بمشكلات البيئة بصفة عامة هو ما يطرأ على البيئة من عطل في أداء مهمتها في إتمام الحياة ورعايتها وعلى رأسها حياة الإنسان، وذلك بأي سبب من الأسباب سواء أكان انهياراً في مكوناتها أو اختلالاً في توازنها أو اضطراباً في نظامها. وتعتبر المشكلة الحقيقية العطل في رعاية حياة الإنسان بصفة أساسية، ولو افترضنا عدم وجود الإنسان على وجه الأرض ما عد الاضطراب البيئي كما لا تعد مشكلة تلك الاضطرابات التي تقع في الكواكب النائية التي لا أثر لها على كوكب الأرض وقد سجل التاريخ في السجل البيئي مشاكل بيئية عديدة بعضها أخذ حجم الكوارث كذلك التي انقضت من جرائها أنواع كثيرة من مظاهر الحياة المتقدمة مثلما وقع للديناصورات، وهي مشاكل حدثت بأسباب طبيعية ناشئة من داخل الكرة الأرضية أو من خارجها، و لكن المشاكل التي نتحدث عنها في هذا السياق هي تسبب فيها الإنسان منذ زمن بعيد أدت إلى انقراض بعض الحيوانات و تضرع بعض المناطق الخضراء، وذلك بما أفرط في ممارسة الصيد و في قطع الأشجار، غير أن تلك المشاكل لم تكن تتجاوز في آثارها النطاق المحلي المحدود، في حين أدت الثورة الصناعية إلى ممارسات بيئية مرهقة لمكونات البيئة و أنظمتها إلى آثار بالغة الخطورة تراكت عبر الزمن شيئاً فشيئاً لتتجاوز البيئات المحلية والإقليمية، وتصبح مشكلة بيئية مؤثرة في النظام الشامل، ومهددة لذلك النظام بالاضطراب العنيف المدمر للحياة، هنا يجب تحديد الأسباب المفضية إلى مشاكل البيئة .

يقول المولى جل وعلا في محكم كتابه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾¹.

¹الروم: 41.

وانطلاقاً من هذه الآلية الكريمة السالفة الذكر، يتبين لنا الوصف الدقيق والمعجز لمشكلات البيئة و ذلك في أربعة محاور وهي:

(1) ظهور الفساد في البر والبحر وهو ما يعبر عنه بالتلوث البيئي.

(2) المسبب لذلك التلوث هم الناس وذلك بما قدمت أيديهم.

(3) آثار ذلك الفساد وما يسببه من أذى للناس يذوقونه يومياً.

(4) علاج ذلك التلوث البيئي أن يقلع الناس عن الفساد ويعودون إلى ربهم.

ومن المعلوم أن ظهور مشكلات البيئة نتجت عن التلوث، سواء كان تلوثاً مائياً أو هوائياً أو تلوثاً للتربة، سبب ذلك تأثيراً مباشراً على صحة الإنسان، وأدى إلى انتشار الأمراض، وبعد ظهور الصناعات ظهرت مشكلة التلوث خاصة بعد الثورة الصناعية، ويمكن إجمال المشكلات البيئية في النقاط التالية:

✓ استنزاف المصادر الطبيعية.

✓ النفايات.

✓ تلوث المياه.

✓ تلوث الهواء.

✓ تلوث التربة.

✓ التلوث الضوضائي.

✓ التلوث الإشعاعي.

فالمشكلة البيئية هي حدوث خلل أو تدهور في مصفوفة النظام الإيكولوجي وما ينجم عن هذا الخلل من أخطار تضر بكل مظاهر الحياة على سطح الأرض سواء كان هذا الخطر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وهيأها لتكون مناسبة وملائمة لحياة الإنسان، فسخر له الليل والنهار والشمس والقمر والبحار والأنهار، قال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي

الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ٥٦ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ٥٧ ١، فسخر الحق سبحانه الطبيعة للإنسان وأنبث له الشجر والزرع ومنعه بنعمة العقل والعلم.

كما تكفل الحق سبحانه وتعالى بخلق الكون في اتزان، وزوده بعناصر الموازنة ليحافظ على توازنه، قال سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ٥٨﴾ ٢.

إن المتأمل في هذا الكون من أرض وكواكب وكائنات حية، من إنسان وحيوان و نباتات، سيدرك بعقله السليم أن الخالق سبحانه قد خلق هذا الكون في حالة متوازنة، اتزان في الحركة، اتزان في الحرارة، اتزان في الجاذبية وقواها، اتزان في المغناطيسية وتأثيرها، اتزان في كميات الماء الموجودة في الأرض، واتزان في عدد المخلوقات على الأرض، اتزان في طبقة الأوزون الذي يعتبر من أهم القضايا البيئية المعاصرة، فسبحان من خلق و أبدع، ومن أحسن من الله صنعا.

فالبينة التي تعيش فيها كل الكائنات هي من صنع الله الذي أتقن صنعها، قال تعالى: ﴿وَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُغَّرَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ حَسِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٥٩﴾ ٣، بل أعطى سبحانه لهذه البيئة من الهواء والماء والتربة والفضاء مقادير محددة حسب وظيفتها تجاه كل الكائنات الحية من إنسان وحيوان، يقول سبحانه: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَتَّخِذُ وَلَدًا وَلَهُ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُءُوهُ تَقْدِيرًا ٦٠﴾ ٤، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ٦١﴾ ٥، كما خلق سبحانه و تعالى الجبال الرواسي للحفاظ على توازن الأرض، وبفضل تماسك هذه الجبال تحقق التوازن الذي ضمن عيش كل الكائنات الموجودة على الأرض، إذ قال سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ٦٢﴾ ٦، كما وصف الحق سبحانه الجبال بالأوتاد إلى جانب تكوين الماء العذب على شكل أنهار، أو ينابيع و طبقات مائية جوفية

^١ إبراهيم: 32-35.

^٢ الحجر: 19.

^٣ النمل: 88.

^٤ الفرقان: 2.

^٥ القمر: 49.

^٦ الحجر: 19.

أو سطحية، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجْسًا شَهِيدًا لِأَسْفَاطِكُمْ ۖ وَمَا أَفَرَأَكُنَا ۚ﴾¹، كما أن النبات يخرج بقدرة السميع العليم ليسد حاجة الكائنات التي تتغذى عليه، وتنوع هذه النباتات بمقدار لا يخل بالتوازن البيئي، كما أن النبات يعد المنظم الأمثل لدورة الأوكسجين وثنائي أوكسيد الكربون، إذ يقف الإنسان مذهولا أمام هذا التنظيم المحكم والمتزن ليردد قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ ۚ﴾².

ليتضح بذلك أن البيئة صنعها الخالق سبحانه في توازن متقن ومقدار محدد لكل وظائف مكونات البيئة، فالتوازن البيئي يعني بقاء مكونات البيئة على حالها كما خلقها الله سبحانه وتعالى، وإذا حدث أي نقص أو تغيير في أي مكون من مكونات البيئة فمن المؤكد أنها ستفقد توازنها.

وموازاة مع الإبداع المتقن والتوازن المحكم، يأتي الإنسان ليتفنن في ظلمه للطبيعة النظيفة ويلوثها ويسرف في استغلالها، يقول سبحانه: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسٍ ۚ وَلَٰكِن مَّا سَأَلْتُمُوهُ ۖ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝﴾³.

فالثابت أن إفساد الإنسان للطبيعة، وإسرافه في استغلال الموارد الطبيعية من مناجم ومعادن وماء ونبات، تنبع عنه إخلال بالتوازن البيئي، هذا إضافة إلى تلويث الهواء بالنفايات الصناعية السامة والغازات والفضلات المنزلية.

نستنتج إذن أن البيئة خلقت متوازنة كما قدر لها الله سبحانه وتعالى، ليكون بذلك التوازن البيئي استمرار وبقاء البيئة على حالتها، أي كما خلقها الله سبحانه، دون تغيير جوهري في خصائصها كمية كانت أو نوعية. لكن حين يتدخل الإنسان ويحدث فيها تغييرا، ينبج عن ذلك اختلال في التوازن البيئي، ويمكن تلخيص أسباب اختلال التوازن البيئي فيما يلي:

■ تدخل الإنسان المباشر: يؤدي إلى الإخلال بتوازنها، فتجفيف البحيرات وقطع الغابات وردم البرك والمستنقعات، كل ذلك يؤثر سلبا على توازن البيئة.

¹المرسلات: 27.

²آل عمران: 191.

³إبراهيم: 34.

- إدخال كائن حي في بيئة جديدة: حيث تمثل مشكلة في حد ذاتها، لعدم توفر ظروف حياته ويقل أعداؤه الطبيعيين مما يؤدي إلى اختلال التوازن.
- القضاء على بعض أحياء البيئة: إذ ينتج عنه اختلال في توازن البيئة، فقد تكون هذه الكائنات صاحبة دور رئيسي في بعض التفاعلات البيئية، أو قد تكون في حلقات في سلاسل غذائية.
- تغير الظروف الطبيعية: عندما تصاب مناطق معينة بالجفاف فإن توازن بيئتها يختل نتيجة للدمار الذي يلحق الغطاء الأخضر الذي يغطي هذه المستنقعات، وما يتبع ذلك من آثار ضارة على حيوانات البيئة¹.

يبدو أن مشكلات البيئة تنحصر أساساً في التلوث لذا سأتحدث في عن تعريف التلوث لغة واصطلاحاً، وسأحدد أنواع التلوث، بعد ذلك سأقف على مشكلات أخرى للبيئة.

أولاً: مشكلة التلوث:

1 - التلوث لغة:

مصدر لوث ومنه: يلوث تلويثاً، يقال: لوث الماء بالطين أي كدره، والثالث بالدم بمعنى: تلطخ به. كما يقال: تلوث بفلان: رجا منفعته أي: لاث به². ولوث الشيء بالشيء خلطه به ومرسه ولوث الشيء في التراب خلطه به و ولكنه في الماء حتى انحلت أجزاؤه³، إذن التلوث لغة: فساد الشيء وتغير خواصه.

2 - التلوث اصطلاحاً:

التلوث في اصطلاح العلماء يركز على التغير الناتج عن تدخل الانسان في أنظمة البيئة وتسبب أضراراً بشكل مباشر أو غير مباشر للكائنات الحية⁴، وقد وقفت على العديد من التعاريف الاصطلاحية للتلوث أذكر منها:

¹ زين الدين عبد المقصود ، البيئة و الإنسان ، دراسة في مشكلات الإنسان مع بيئته ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1997 م ص 69 ص 73

² ابن منظور ، مصدر سابق ، ص 408 .

³ إبراهيم مصطفى ، المعجم الوسيط ج 2 ، لوث ، ص 851 ، المكتبة العلمية ، طهران

⁴ د . جابر إبراهيم ، المسؤولية الدولية عن الأضرار الناتجة عن تلوث البيئة ، ص 18 ، مطبعة الإدارة المحلية ، بغداد 1983

- تعريف الأمم المتحدة لسنة 1974 م: (النشاطات الإنسانية التي تؤدي بالضرورة إلى زيادة أو إضافة مواد أو طاقة جديدة إلى البيئة، إذ تعمل هذه الطاقة أو المواد على تعريض الإنسان أو صحته أو معيشتة أو رفاهيته أو مصادره الطبيعية للخطر سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر)¹.
- (تغير غير مرغوب فيه في الصفات الفيزيائية أو الكيميائية أو الإحيائية لتربتنا وهوائنا ومائنا الذي سيؤثر بالضرر على حياة الانسان، أو بالأنواع المرغوب فيها، أو بالعمليات الصناعية أو بالظروف المعيشية أو بالموجودات الحضارية أو الذي يتلف أو يفسد مواردنا من الموارد الأولية أو يمكنه ذلك)².
- أما منظمة التعاون و التنمية الأوروبية (OECD) فقد عرفت التلوث البيئي بأنه: (قيام الانسان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بإضافة مواد من شأنها إحداث نتائج ضارة تعرض صحة الإنسان للخطر، أو تضرر بالمصادر الحيوية أو النظم البيئية على نحو يؤدي إلى تأثير ضار على أوجه الاستخدام أو الاستمتاع المشروع بالبيئة)³.
- وعرف البنك الدولي التلوث بأنه: (إضافة مادة غريبة إلى الهواء أو الماء أو الغلاف الأرضي في شكل ما يؤدي إلى آثار ضارة على نوعية الموارد وعدم ملائمتها لاستخدامات معينة أو محدودة)⁴.
- ومن التعاريف الشاملة للتلوث: (إدخال الملوثات في البيئة التي تسبب عدم الاستقرار والاضطراب، أو الضرر للنظام البيئي، أي: الأنظمة الفيزيائية للكائنات الحية، و التلوث يمكن أن يتخذ شكل المواد الكيميائية أو الطاقة، مثل: الضوضاء والحرارة، أو الطاقة الضوئية، قد تكون الملوثات وعناصر التلوث مواد أو مصادر طاقة خارجية، أو قد يحدث بشكل طبيعي)⁵.

¹ مثنى عبد الرزاق العمر ، التلوث البيئي ص 15

² دارا محمد أمين سعيد ،حماية البيئة في ضوء الشريعة الإسلامية و الصكوك الدولية و القوانين الوطنية ، دار الفتح للدراسات و النشر ، ط 1 ، 1438 / 2015 ص 43 .

³ خالد زغلول ، قضايا البيئة و التنمية الاقتصادية المستقرة ، مجلة البحوث القانونية و الاقتصادية ، كلية الحقوق ، جامعة المنوفية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ص 14 .

⁴ حماية البيئة في ضوء الشريعة الإسلامية و الصكوك الدولية و القوانين الوطنية ، مصدر سابق ، ص 44 .

⁵ بيان محمد الكايد ، سيكولوجية البيئة و كيفية حمايتها من التلوث ، ص 29 .

وهناك من فرق في تعريفه بين التلوث و التلوث البيئي، حيث عرفه بأنه عبارة عن الحالة القائمة في البيئة الناتجة عن التغيرات المستحدثة فيها، التي تسبب للإنسان الإزعاج، أو الأمراض أو الضرر، أو الوفاة بطريقة مباشرة أو عن طريق الإخلال بالأنظمة البيئية، وتعرف مسببات التلوث بالملوثات، و تعرف الملوثات بأنها: المواد أو الميكروبات التي تلحق الضرر بالإنسان أو تسبب الأمراض أو تؤدي به إلى الإخلال.

بعد كل هذه التعريفات نرى أن التعريف الأشمل للتلوث هو: كل تغيير في خواص ومكونات البيئة، الماء، والهواء، والتربة، والإشعاع ودرجة الحرارة والضوضاء، أو العوامل الإحيائية التي تضر بالحياة الإنسانية أو الإحيائية، وتخل بالتوازن الطبيعي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

03 - علاقة البيئة بالتلوث و التنمية المستدامة :

كلمة التلوث بمذلولها اللفظي تدل على الدنس والنجس، و هي من فعل "لوث" يعني لوث الشيء تلويثاً و"اللوث" بالفتح تعني البيئة الضعيفة غير الكاملة، ومنه قيل للرجل الضعيف العقل "ألوث" وفيه "لوثة" بالفتح أي حماقة و"اللوثة" بالضم الاسترخاء والحبسة في اللسان، ولوث ثوبه بالطين أي لطخه و تلوث بذلك، فالتلوث في اللغة نوعان : تلوث مادي و تلوث معنوي أما التلوث المادي فهو اختلاط أي شيء غريب عن مكونات المادة بالمادة نفسها، يقال لوث التبن بالقش، أي خلطه بالأعشاب، ولوث الماء بالطين أي كدره، أما التلوث المعنوي وهو أن يقال : تلوث بفلان رجاء منفعه أي لاذ به، ويقال : فلان به لوث، أي به جنون، والتلوث بشقيه المادي و المعنوي يقترب من المفهوم العلمي الحديث للتلوث الذي ينص على أنه : (إفساد مكونات البيئة، حيث تتحول هذه المكونات من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارة، مما يفقدها دورها في صنع الحياة)¹

أما المعنى الاصطلاحي لتلوث البيئة فهو: (أي تغيير فيزيائي أو كيميائي، أو حيوي في المحيط الذي يؤثر على نوعية حياة الانسان)². فقد يحصل تلوث الهواء عن طريق الإشعاعات أو الحرارة أو الوبج أو الغازات السامة، أو الروائح الكريهة، وقد توجه أفعال التلوث إلى المياه السطحية أو الجوفية عن طريق إلقاء أية مواد صلبة أو سائلة أو طرحتها أو صبها أو تفريغها مما يؤدي إلى حدوث التلوث،

¹ قانون وزارة البيئة العراقي رقم 37 لسنة 2008

² د. معوض عبد التواب، جرائم التلوث من الناحية القانونية و الفنية، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1968 ص 9.

وقد يحصل عن طريق الضوضاء أو الضجيج سواء كان ذا أصل خارجي أم داخلي أم تعلق بأفعال الانسان أم من أصل صناعي.¹

من خلال استعراض بعض التعاريف المعطاة لمصطلح التلوث وكذا التعاريف التي خص بها مصطلح البيئة، يمكن ملاحظة العلاقة الموجودة بين هذين المفهومين، فإذا كانت البيئة هي مجموعة من العوامل الطبيعية الحية وغير الحية من جهة أخرى، فإن التلوث هو ذلك التغيير الذي يؤثر تلك العناصر المكونة للبيئة، وهو تغيير يؤثر سلبا على هذه المكونات، فهو بذلك يعد أهم العوامل، بل ويكاد يكون العامل الوحيد المؤثر على البيئة، وعليه فحينما نتكلم على حماية البيئة، فإن هذه الحماية مرتكزة حول الوقاية من مضار التلوث لذلك ذهب البعض إلى القول إن التلوث هو مفتاح قانون حماية البيئة، ولذلك يجب حماية البيئة حتى ولو كان فعل التلوث لم يؤدي إلى ضرر بالإنسان أو الكائنات الحية أو غيرها، لأنه إذا لم يظهر في الحال فإنه سوف يظهر في المستقبل، فالحماية لا تقوم على معيار الضرر فقط، و لكن تقوم على أساس التغيير في الوسط الطبيعي نفسه .

والواقع يبين كذلك بأن هناك علاقة سببية بين التنمية والبيئة، حيث أن أحد عوامل تدهور البيئة هو الاستغلال الفاحش للموارد الطبيعية من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية، فالتوسع الصناعي يؤدي إلى زيادة معدلات التلوث و تخلق نفايات ضارة بالبيئة، كما أن زيادة حركة النقل والمواصلات وزيادة السيارات و المركبات و الطائرات تؤدي إلى آثار بيئية ضارة² ويعنى بالتنمية المستدامة : (التنمية التي تلبي احتياجات جيل المستقبل)³، و المؤكد أن التنمية المستدامة تعد بمثابة إحدى الثوابت الجوهرية في سياسة الدولة، كون أن البيئة والتنمية يشكلان وجهان لعملة واحدة، وهي الاستمرارية و البقاء والبقاء والمحافظة على الأجيال المقبلة وأي إخلال بهما يؤدي حتما إلى تدهور الحياة الطبيعية والاقتصادية .

¹ د . نور الدين دهام الزبيدي ، الحماية الجنائية للبيئة ، القاهرة ، مصر ، دار النهضة ، 1985 ، 75 .

² رياض صالح أبو العطا ، حماية البيئة في إطار القانون الدولي ، الإسكندرية ، دار الجامعة الجديدة 2009 ص 49

³ مجلة التمويل و التنمية ، صندوق النقد الدولي ديسمبر ص 7

ثانياً: مشكلة التغيرات المناخية:

ارتفعت درجة حرارة الأرض خلال السنوات الأخيرة، ويعود سبب ذلك إلى ما يرسله الإنسان من غازات منبعثة من عوادم السيارات وغاز الكربون، إضافة إلى إطلاق غاز الفحم في الجو من طرف المصانع الكبرى في العالم، حتى أصبح الفضاء عاجزاً عن امتصاص كل هذه الغازات السامة.

وينتج عن تلك الغازات المنبعثة في الجو تكون حمض الكبريت إذ يبقى معلقاً في الهواء على هيئة رذاذ تتناقله الرياح من مكان لآخر، ليستقط كأمطار حمضية، وقد يتساقط الرذاذ الحمضي مع الجليد ويبقى محافظاً على مواده التي تكسو سطح الأرض.

كما أن تساقط الأمطار الملوثة على المحيطات والبحار والأنهار والبحيرات، يؤدي إلى إصابة الكائنات المائية بأضرار جسيمة، بل قد تؤدي إلى هلاك الأسماك وباقي الأحياء التي تعيش في الماء.¹

ويمكن حصر النتائج السلبية للتغيرات المناخية فيما يلي:

- تدمير البيئة بسبب الأمطار الحمضية.
- حدوث زيادة مطردة في تركيز الكالسيوم في المياه.
- ضعف النباتات.
- تفتت بعض الصخور ذات التربة الجرانيتية .
- تهديد للإنتاج الفلاحي ومصادر عيش وصحة الإنسان.
- تهديد حقيقي للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي للبشرية جمعاء.

تجدر الإشارة أن التغير المناخي هو سبب النزاعات والاضطرابات الأمنية التي تشهدها عدة مناطق في عالمنا المعاصر المضطرب، وذلك نتيجة للتغير المناخي والفساد الأخلاقي الاقتصادي مع قلة الموارد وسوء التوزيع وعدم تكافؤ الفرص في الثروات الطبيعية، بل هناك من الباحثين من يرى وجود علاقة وثيقة بين التغير المناخي وتنامي ظاهرة العنف بشكل عام بين الدول من جهة وبين الأفراد من جهة أخرى.

¹ مصدر سابق ، قضايا البيئة ، ص 237

يمكن كذلك الإشارة لبعض المشاكل البيئية، كمشكلة التصحر والتي تعتبر من المشكلات البيئية المعاصرة، خاصة حين يتعلق الأمر بالبيئات الجافة وشبه الجافة، والمؤسف أن هذه المشكلة بدأت تمتد كذلك لتغطي بعض المناطق الرطبة. والتصحر مصطلح حديث للتعبير عن مشكلة تناقص وتدهور القدرة البيولوجية للبيئة.

بالإضافة إلى اضطراب التوازن البيئي، إذ عرفت الأرض على مدار الأزمنة السابقة تغيرات مناخية عديدة عزاها العلماء لأسباب طبيعية كالبراكين والزلازل، إلا أن الزيادة المثيرة للانتباه في درجة الحرارة مع بداية الثورة الصناعية خاصة في السنوات الأخيرة، مكنت العلماء من الوقوف على أسباب هذه الظاهرة لأن النشاط الإنساني في هذه الفترة كان بارزا لا يمكن تجاهله لتفسير هذه الظاهرة.¹

وقد بدأت الآثار لهذه الظاهرة والتي تؤكد وجودها وتعلن الإنذار عن قرب نفاذ صبر بيئتنا على هذا الطغيان والمعاملة السيئة لها، إذ أن الله عز وجل قد خلق الأشياء وقدرها، يقول الحق سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝١﴾². وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝٢٦ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۝٢٧﴾³.

هكذا إذن تأثرت العديد من مناطق العالم بارتفاع درجة الحرارة كالبحر الأبيض المتوسط الذي بلغت درجة حرارة المناطق المحيطة به أكثر من 43 درجة مئوية، ومن المتوقع ارتفاع مستوى ماء البحر ليصل إلى 30 سنتيمتر عام 2030 م، كما سيؤدي ذوبان الجليد في العالم إلى حدوث كوارث بعد غرق الكثير من المناطق، ولتكون العديد من المناطق عرضة لمناخ متطرف، ليدق العلماء المتخصصون ناقوس خطر الارتفاع المتوقع لمستوى ماء البحر خلال العقود القادمة، وينطبق ذلك على دلتا النيل وبنغلاديش ومياه الخليج والتي من الممكن أن تغمر العديد من المدن الساحلية.⁴

¹ مصدر سابق، ص 24

² الفرقان: 2.

³ البقرة: 204-206.

⁴ مصدر سابق 26

ولمواجهة هذه الظاهرة لابد من إعادة التوازن للبيئة من خلال الحد من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في الجو وذلك من خلال التوجه نحو زراعة الغابات الخضراء والتشجير، إذ يمكن مثلا هكتار واحد من الأشجار امتصاص 5،7 مليون طن من الكربون في العام، لذلك انصبت جهود العلماء على الحث على التشجير فحرص العديد من دول العالم على تنفيذ هذا النوع من المشاريع، لكن سبقت شريعة الإسلام كل هذه القوانين الوضعية، التي وضعت لحماية البيئة وللمحد من الاحتباس الحراري، إلا أنها تعاني من النسخ والتغيير كلما تغيرت الظروف والأزمنة .

المطلب الأول: أنواع التلوث:

بما أن التلوث من أخطر المشاكل البيئية، إذ تتجاوز نسبه حدودا لا مثيل لها في تاريخ البشرية، وأدى إلى إفساد البيئة في البر والبحر والجو، وذلك لأنواعه المختلفة ويمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام:

1 - التلوث بالنظر إلى طبيعته ثلاثة أقسام:

أ - البيولوجي: تشمل هذه الملوثات على الكائنات الحية المجهرية في الأغلب الأعم وتقوم هذه الكائنات على تغيير بعض السمات والخصائص البيئية عند وجودها فيها.¹

الأحياء التي إذا ما وجدت في أي مكان أو أي زمان أو كم غير مناسب تسبب أمراضا للإنسان ونباتاته وحيواناته، أو تستهلك قدرا كبيرا من النبات والحيوان، أو تتلف منشآت أقامها الإنسان .

ب - الكيماوي: المبيدات بأنواعها والغازات المتصاعدة من الحرائق والسيارات والمصانع والبراكين والبتترول ومشتقاته والرصاص والزئبق وكذلك الجسيمات الدقيقة التي تنتج من المصانع أو الكيماويات السائلة التي تلقى في التربة أو الماء، إلى جانب المخلفات التي تنتج من الأنشطة المنزلية وغيرها .

ج - الفيزيائي: تشمل هذه الملوثات الضوضاء، والتلويث الحراري، والإشعاعات بأنواعها، وخاصة ما ينتج منها عن المواد المشعة الناتجة من المفاعلات النووية وتجارب الانفجارات النووية.¹

¹ علي سالم شواورة ، المدخل إلى علم البيئة ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، ط 1 ص 104

2 - التلوث بالنظر إلى مصدره ينقسم إلى قسمين:

أ - التلوث الطبيعي (Natural pollution): مصدره البراكين والزلازل والانفجارات والفيضانات والجفاف والأعاصير وغيرها .

ب - التلوث الاصطناعي (Synthetic pollution) :

مصدره نشاطات الانسان سواء كانت أنشطة صناعية أو زراعية أو خدمية أو ترفيهية.

3 - التلوث بالنظر إلى نطاقه الجغرافي ومدى انتشاره وينقسم إلى قسمين:

أ - التلوث المحلي: يعرف بمحدودية نطاقه داخل حدود جغرافية معينة لا تتعدى آثاره النطاق والحيز الإقليمي لمكان مصدره، ويوجد هذا النوع من التلوث داخل المصانع والمعامل والأفران والمناجم الصغيرة.

ب - التلوث بعيد المدى (عابر للحدود): الذي يتجاوز منطقة شاسعة، أو الذي يعبر حدود البلد، سواء كان في المجال المائي أو الجوي أو الأرضي، لأن البيئة لا حدود لها، وهذا النوع الذي يسبب مشاكل بين دول الجوار ويدخل في نطاق القانون الدولي لمعالجته.

4 - التلوث بالنظر إلى آثاره على البيئة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ - التلوث المعقول (المقبول) : يراد به التلوث الموجود في أغلب المناطق، وهو على درجة محددة من التلوث، ولا تخلو منطقة من مناطق العالم منه، ولا تصاحب هذا النوع من التلوث المشاكل البيئية الرئيسية، أو الأخطار الواضحة على البيئة والانسان².

ب - التلوث الخطر:

هذا النوع أكثر خطورة، (يتجاوز خط الأمن) ويؤثر على الطبيعة وصحة الانسان، وهذا يوجد في المناطق الصناعية والدول الصناعية، لعدم وجود وحدات المعالجة، أو لكثرة مصادر التلوث، وهذا النوع يكون تحت رقابة الهيئات البيئية .

¹ راتب سلامة السعود، الانسان و البيئة في الدراسات التثوية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط 6 ، 2013 ص 56 .

² عبد الله رمضان الكندري ، مجلة العربي ، غشت 1992 ص 91

ج - التلوث المدمر: من أخطر أنواع التلوث يؤدي إلى الدمار والقتل، واختلال النظام البيئي ومنه الانفجارات الدورية والكباجية، وحادث تشيرنوبل في الاتحاد السوفياتي سابقا عام 1986 م ليست ببعيدة، حيث وصل تأثير الإشعاعات الناتجة عن انفجار المحطة النووية إلى دول أوروبا الشرقية، ووصل إلى العراق في حينه.

يدخل هذا النوع من التلوث في القوانين والتعليمات البيئية صنف (أ) أي أشد خطورة.¹

وإذا ما حاولنا ملاحظة أسباب التلوث البيئي، سندرك أن أخطرها وأشدّها فتكا بالبيئة والإنسان لا علاقة له بالتقدم، فإن تطور الحياة لا يتوقف على صنع أسلحة الدمار الشامل التي تهلك الحرث والنسل، كما أن بعض الأسباب ناشئة عن سوء التنظيم وسوء الاستفادة والاستعمال، فتقدم الحياة لا يفرض على أصحاب السيارات استعمال المحروقات الرديئة التي تبعث على التلوث الخطر لأن هناك بدائل أقل ضررا وخطرا، وإن كان تطور الحياة يفرض وجود المصانع لكنه لا يجتم إنشاء هذه المصانع في المناطق السكنية وغيرها التي بإمكانها وضع بدائل ترفع من خطر التلوث .

فالإنسان وجد نفسه يحن إلى حياة هادئة وإلى طبيعة صحية، بعد أن عاث فسادا في البر والبحر والفضاء، فلوث الهواء والمياه وقتل الحيوان ونفث السموم في الحقول والوديان والمرامي، من أسمدة ومبيدات كيميائية، وجمع من النفايات الخطرة ما يهدد كيانه وكيان الكائنات الحية الأخرى، ومارس عملية إبادة جماعية لم يسبق لها مثيل في تاريخ هذا الكون.

هكذا إذن نخلص أن الإنسان بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمي نفسه من غوائل الطبيعة، وانتهى به الأمر بعد آلاف السنين وهو يحاول أن يحمي الطبيعة من نفسه.

المطلب الثاني: مشكلة تلوث الهواء:

إذا اختلط الهواء بنفايات غازية كانت أو سائلة أو صلبة، فإنه حتما سيتعرض للتلوث، وقد عرف المجلس الأوروبي التلوث الهوائي بما يلي: (يتلوث الهواء عندما تتواجد فيه مواد غريبة، أو عندما يحدث تغير هام في سبب المواد المكونة له بشكل يترتب عنه حدوث نتائج ضارة بالإنسان ومحيطه).²

¹ عارف صالح مخلف ، الإدارة البيئية - الحماية الإدارية للبيئة، دار البارودي العلمية للنشر و التوزيع ، 2007 ص 47 - 63 ،

² المهندس محمد بن جلون ، قضايا البيئة و التنمية المستدامة ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط 1 ، 2019 م ، ص 85

أ - أسباب تلوث الهواء: والباحث في أسباب تلوث الهواء سيقف على عدة أسباب منها:

1 - وسائل النقل والمواصلات: والزائر لمدينة من المدن التي تعرف كثافة سكانية وازدحام في وسائل النقل، سيرى بالعين المجردة أن الهواء المستنشق ملوث ، وذلك لكثرة الغازات الملوثة والمستعملة في وقود السيارات كمادة الرصاص وأول أكسيد الكربون وأكسيد النيتروجين، إضافة إلى عادمات السيارات.

2 - المعامل والمصانع: الغازات والأدخنة المنبعثة من المصانع والمعامل لا تقل ضررا عما تسببه وسائل النقل، بل إن بعض المدن الصناعية يكاد الإنسان يختنق ويضيق تنفسه بفعل تلوث الهواء الناتج عن تلك الغازات المنبعثة من المصانع. إضافة إلى استهلاك كمية كبيرة من الطاقة، وبعد ارتفاع درجة الحرارة، تتبخر مجاري المياه الملوثة بالصناعة وتلوث الهواء.

3 - العوامل الطبيعية: تختلف هذه العوامل من منطقة لأخرى، إذ نجد في المناطق الصحراوية الغبار والأترية التي تحملها الرياح، وقد تكون محملة بغازات ملوثة للهواء، هناك كذلك البراكين التي تطلق في الجو كميات كبيرة من الغازات والمواد الصلبة المحترقة.

ب - حماية الهواء من التلوث في شريعة الإسلام:

إن المتأمل لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ

رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾¹، ليدرك أن الحق سبحانه ينهى عبده عن الإفساد في الأرض، وما دمنا بصدد الحديث عن تلوث الهواء، فهذا التلوث يعد في شريعة الإسلام من أخطر الأضرار على الانسان، وهو صورة من صور الإفساد في الأرض، لذلك فحماية الهواء من التلوث يعد فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

إذا ما نظرنا للغازات والأدخنة المنبعثة من المصانع، ستقف على مدى الضرر الذي يلحق الانسان أثناء التنفس، فاستنشاق الهواء الملوث له عواقب وخيمة على صحة الانسان، كما أن احتراق

¹الأعراف: 56.

كل أنواع المحروقات، سواء الصلبة أو السائلة أو الغازية ينتج عن عملية فيزيوكيميائية تؤدي إلى سقوط أمطار حمضية ¹.

لذلك وضع فقهاء المسلمين قواعد فقهية منها: (درء المفسد مقدم على جلب المصالح)، إذا تم تطبيق هذه القاعدة على أسباب تلوث الهواء، فجميع الأعمال التي تهدف إلى تحقيق المصالح والمنافع للإنسان يجب أن تكون خالية من المفسد والمضار، ومن ثم يجب أن يحتاط في تصورها وتخطيطها وتنفيذها، بحيث لا ينتج عنها أي ضرر أو مفسدة. لذا وجب وقف الأنشطة المسببة لتلوث الهواء وينتج عنها ضرر شديد.

المطلب الثالث: مشكلة تلوث الماء:

يقول الحق سبحانه في محكم كتابه: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ²، انطلاقاً من هذه الآية الكريمة، بين الحق سبحانه وتعالى أهمية الماء وضرورة توفره لاستمرار الحياة، إذ لا يمكن أن يكون هناك تقدم ولا ازدهار ولا حياة على اليابسة بدون ماء عذب، إلا أن الإنسان لا يلقى اهتماماً لهذه الثروة النفيسة، ويفرط بل ويسرف في استخدامها في الصناعة والزراعة والاشغال المنزلية، إضافة إلى التلوث الذي يطال الطبقات الجوفية المائية و المجاري المائية، مما يجعل مشكلة الماء مشكلة مطروحة وبجدة على الصعيد العالمي .

ولأهمية الماء، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم عدة مرات، إذ يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًا مُتَرَكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ³، ويقول سبحانه : ﴿وَهُوَ

¹ مصدر سابق ، قضايا البيئة ، ص 101

² الأنبياء: 30.

³ الأنعام: 99.

الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نَشْرًا يَدْرِي رَحْمَتَهُ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا نُّفَالَا إِنَّ سَعْنَهُ لِكَلِمَةٍ فَنَزَّلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾¹

ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾² ويقول سبحانه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ بِهَيْجٍ﴾³ ﴿٥٨﴾⁴

ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁵ ﴿٥٩﴾⁴

فالحق سبحانه وتعالى يكرر ذكر هذه المادة الحيوية لإثبات أهميتها، ودورها الأساسي في الحياة. وبسبب هذه الأهمية وجب معرفة الموارد المائية في العالم، إذ بلغت نسبة المسطحات المائية 70.8 % من مساحة الكرة الأرضية، وتبلغ كمية المياه على سطح الأرض حوالي 1400 مليون كلم مكعب، أما نسبة مياه البحر فتمثل 97 %، والحكمة الربانية من ارتفاع نسبة المياه المالحة هو ضمان عدم فساد هذه المياه، لأن المياه غير المالحة تفسد مع مرور الزمن عن طريق البكتيريا والأحياء المائية الدقيقة، كما أن المياه العذبة تضمحل مع عملية التبخر، وتغطي المياه الجليدية 3% الموجودة في جبال الجليد القطبيين الشمالي والجنوبي والأنهار الجليدية⁵. فالحق سبحانه لم يخلق شيئاً عبثاً، بل كل شيء بمقاييس ومعايير مضبوطة، حتى لا يكون هناك اختلال أو عدم توازن في نسب الماء على اليابسة.

تجدر الإشارة أن نسبة استهلاك المياه في القرن العشرين فاقت ضعفي نسبة التزايد السكاني، وفي الفترة ما بين 1900 و 1995 تضاعف استهلاك الماء 6 مرات، ويقدر أن يزداد سكان العالم من 8.3 مليار نسمة سنة 2030 ، وسيُسفر ذلك عن تفاقم حدة التنافس على المياه بين القطاعات المعيشية والزراعية والاقتصادية، وفي كل من آسيا وأمريكا الجنوبية ستراجع الحصة الفردية بنسبة 33 %،

¹الأعراف: 57.

²النحل: 65.

³الحج: 5.

⁴النور: 45.

⁵مصدر سابق ، قضايا البيئة ، ص 106

وتشير إحدى الدراسات الحديثة بأن حاجة العالم إلى المياه العذبة للاستخدامات الزراعية والصناعية والبلدية والمنزلية بحلول سنة 2025م ستفوق كمية المياه المتوفرة بنسبة 5 % ، وذلك في حال عدم استخراج المياه الجوفية العميقة، وسيزداد هذا الوضع المأساوي تفاقمًا بفعل مواسم الجفاف التي ستضرب بعض المناطق، كما أن ارتفاع الحرارة على الأرض يتوقع أن يؤثر بشكل ملموس على الموارد المائية الإقليمية¹.

أثر التطور التكنولوجي والصناعي سلبا على غاز الأوزون، ويعود ذلك إلى النفايات التي مصدرها الأربال المنزلية، والنفايات الصناعية الكيميائية السامة، والنفايات الغازية الناتجة عن احتراق المحروقات الملوثة، كل هذه العوامل أثرت سلبا على طبقة الأوزون، ونتج عنها غازات في الطبقات الهوائية أثرت على طبقة الأوزون، وأدت إلى مشكلة العصر وهي ثقب في طبقة الأوزون.

تجدر الإشارة أن الأوزون غاز سام مضر للإنسان والحيوان والنبات، وذلك لحظة نقصانه وبموازاة مع ذلك، له منافع عديدة عند اكتماله، إذ يقوم بحماية الانسان من الاحتراق لوجوده في الطبقة الجوية الاستراتوسفير، وحمايته من العى بسبب وصول الأشعة فوق البنفسجية للأرض، حيث يعمل على امتصاصها، كما يستعمل الأوزون لمعالجة مياه الشرب والمياه الصناعية ومياه المجاري.²

هكذا اذن يتضح لنا الدور الفعال الذي يقوم به الأوزون في تنظيف البيئة حينما يكون مكتملا، وإذا ما طرأ عليه نقص نتج عنه تدمير للكائنات الحية الموجودة على الأرض.

وإذا أردنا معرفة الذي يستطيع الحفاظ على طبقة الأوزون بمحاولة تغيير تفكيره وسلوكه وكل تصرفاته تجاه البيئة، نجد أن الانسان هو المسؤول الأول والأخير عن ذلك، إذ يعتبر هو المسبب في انبعاث الغازات الصناعية السامة المضرّة بالبيئة، وذلك ضرب من الفساد الذي أكده قوله سبحانه:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾³

¹مصدر سابق ، قضايا البيئة ، ص 113

²مصدر سابق ، قضايا البيئة ص 228

³الروم: 41.

المطلب الرابع: مشكلة تلوث الصوت:

إن التطور الذي عرفه اختراع الآلة الميكانيكية والطائرات ذات السرعة ما فوق الصوت، والمحركات ومكبرات الصوت نتج عنه عواقب سلبية على راحة الانسان، فالسكان الذين يعيشون بالمناطق الصناعية يتميزون بضعف الإنتاج والحاجة الملحة للرعاية الصحية.

والمؤكد أن هناك مصدران رئيسيان للضجيج هما وسائل النقل والصناعة، إذ يتواجد الضجيج الصناعي في المناطق الصناعية، في حين يغطي ضجيج وسائل النقل مناطق أوسع خاصة المكتظة بالسكان، ويتضح ذلك بشكل جلي لزائر مدينة تعرف ازدحاما في وسائل النقل، فضجيج القطارات والطائرات ووسائل النقل الأخرى يكاد لا يخلو منه بيت من بيوت المدينة.

لذلك نجد المشرفين على إنشاء الطرق الجديدة يلتزمون بإجراء دراسة تقنية للتأكد من أن حركة المرور لن تصدر ضجيجا يسبب إزعاجا للمناطق السكنية. وقد يتم إقامة حواجز من الإسمنت أو الخشب على شكل سور لصد الضجيج والحد من تأثيره على الإنسان.

بعد الحديث عن المشاكل البيئية والسبل الناجعة للحد منها، نتساءل: ما هو دور شريعة الإسلام في الحفاظ على البيئة؟ ذلك ما سنتقف عليه بتفصيل خلال الفصل اللاحق.

الفصل الثاني: الإجراءات العملية للمحافظة على البيئة في شريعة الإسلام:

المبحث الأول: الحفاظ على مكونات البيئة:

المطلب الأول: حماية شريعة الإسلام لنظافة بيوت الله والأماكن العامة:

بيوت الله هي ملتقى المسلمين، بها يلتقون خمس مرات يوميا ليؤدوا فروضهم، وبها يتدارسون كتاب الله. وقد كان المسجد ولا يزال مكان اجتماع لفرقة المسلمين. وقد حرص الإسلام أن

ينبه و يؤكد على المسلمين بضرورة الاهتمام بنظافة بيوت الله من مختلف الملوثات حتى لا تصب مآلا للعلل والأمراض، فيقول سبحانه وتعالى:

- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٦﴾¹.

- ويقول رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم: (إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء، إنما هي لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة)².

- ويقول صلى الله عليه وسلم: (من دخل المسجد فبزق فيه، أو تنخم، فليحفر فليدفنه، فإن لم يفعل فليبزق في ثوبه، ثم ليخرج منه)³.

في الحديث السابق أمر شرعي أثبت صحته العلم الحديث، حيث إن يحمله البصاق من ميكروبات تقتل بعد جفافها في الأرض فلا تضر من تناله بعد ذلك.

- ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام: (النخامة في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)⁴. وقد شرف الإسلام من يقوم بتنظيف المسجد، فكان يوجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوم بتنظيف المسجد ليبقى طاهرا نظيفا للمسلمين، وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي على قبر أحد منظمي المسجد، فانظر إلى هذا الشرف الجليل الذي منه الله له على يد رسوله الكريم وذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة:

(أن رجلا أسود أو امرأة سوداء كان يقيم المسجد فمات، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا: مات، قال: أفلا آذنتوني به دلوني على قبره -أو قال قبرها- فأقى قبره فصلى عليه)⁵. وينقل ابن حجر عن ابن عباس في تفسير الآية (نذرت لك ما في بطني محررا)⁶ أي للمسجد يخدمه، ومحررا: أي معتقا، ثم أشار ابن حجر إلى أنه كان الظاهر في شرعهم صحة النذر في أولادهم، وهذا ما يؤكد تعظيم

¹الحج: 26.

²حديث صحيح، صحيح الجامع 1 / 450 / 2268.

³حديث صحيح، صحيح الجامع 2 / 1071 / 6233.

⁴حديث صحيح، صحيح الجامع 2 / 115 / 6801.

⁵حديث صحيح، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 1 / 658.

⁶سورة آل عمران، آية 35.

المسجد بالخدمة لكون بعضهم وقع منه نذر لخدمته، ومناسبة هذا الحديث صحة تبرع تلك المرأة، أو الرجل بإقامة نفسه لخدمة المسجد بتقرير الرسول صلى الله عليه وسلم¹.

ويحرص الإسلام على نظافة الطريق لأنه ممر المسلمين ومكان للقائهم فيقول صلى الله عليه وسلم:

- (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل)²، وذلك لأن الطريق وموارد الماء والظل ليست حكرًا على أحد، فهي لعامة الناس يعبرونه ويسرون عليه، والظل هو الذي يتفياً تحته جميع الناس في أوقات الفراغ³.

كما أنه في حالة تلطخ خفي الإنسان بأي أذى أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طهورهما حيث قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

- (إذا وطئ الأذى بخفيه فطهورهما التراب)⁴

كما اهتم الإسلام بموضوع إمطة الأذى عن الطريق التي تعني إزالة كل ما يضر الإنسان من حجر أو شوك أو تلوث أو غيره عن الطريق وجعلها شعبة من شعب الإيمان، فقال صلى الله عليه وسلم:

- (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى، والحياء شعبة من الإيمان)⁵. كما جعلها صدقة فقال:

- (ابن آدم ستون وثلاثمائة مفصل على كل واحد منها في كل يوم صدقة فالكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة، وعون الرجل أخاه على الشيء صدقة، والشرية من الماء يسقيها صدقة، وإمطة الأذى من الطريق صدقة)⁶.

¹ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق ص 660

² حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 83 / 112

³ موسى حسين خضري، النظافة في إطار حماية البيئة، مكة المكرمة، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ط 1، (د-ت)

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 205 / 834

⁵ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 541 / 2800

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 70 / 42

وجعل نظافة الطريق طريقا لدخول الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم:

- (من أخرج من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم، كتب الله به حسنة، ومن كتب الله له حسنة دخل الجنة)¹.

- (من أظلم أذى عن طريق المسلمين، كتب له حسنة، ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة)².

- ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم يتقلب في الجنة، لأنه أظلم الأذى عن الطريق حيث قال صلى الله عليه وسلم: (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس)³.

- كما أن إظامة الأذى عن الطريق تبعد صاحبها عن النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلاحي، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار)⁴.

كما أوجب اللعنة على من يسبب الأذى في طرق المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم: (من أذى المسلمين في طرقهم وجب عليه لعنتهم)⁵.

وفيما يختص بتنظيف البيوت الخاصة فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على نظافتها والاعتناء بها، وعلى عدم التشبه باليهود الذين لا يقومون على تطهير وتنظيف أفنيةهم، فقال صلى الله عليه وسلم:

(طهروا أفنيةكم فإن اليهود لا تطهر أفنيةها)¹.

¹ حديث حسن، صحيح الجامع، 2 / 1037 / 1098 .

² حديث حسن، صحيح الجامع، 2 / 1052 / 2098 .

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 912 / 5134 .

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 47 / 2391 .

⁵ حديث حسن، صحيح الجامع، 2 / 1029 / 5923 .

(طيبوا ساحاتكم فإن أنتن الساحات ساحات اليهود)².

- كما نهى عن اتخاذ الكلاب في البيوت إلا أن يكون كلب صيد أو زرع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اتخذ كلباً، إلا كلب زرع أو كلب صيد ينقص من أجره كل يوم قيراط)³.

- ووصف صلى الله عليه وسلم الكلب الأسود بأنه شيطان، فقال: (الكلب الأسود بهيم شيطان)⁴. كما أكد عليه الصلاة والسلام أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب فقال: (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب)⁵.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يتمنى أن تقتل جميع الكلاب لولا أنها أمة من الأمم فقال صلى الله عليه وسلم: (لولا أن الكلاب من الأمم لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم، وما من أهل بيت يرتبطون كلباً إلا نقص من عملهم كل يوم قيراط إلا كلب صيد أو حرث أو كلب غم)⁶.

المطلب الثاني: حماية الإسلام للنظافة العامة والخاصة:

دعا الإسلام إلى النظافة لمنع انتشار الأمراض مع أن الميكروبات التي تسبب هذه الأمراض لم تكن معروفة، ولم يكتشفها العلماء إلا بعد ثلاثة عشر قرناً من ظهور الإسلام

ولقد أمر الإسلام بالنظافة والطهارة واشترطها للكثير من عباداته، وأمر بالبعد عن النجاسات والأفذار التي أثبت العلم الآن أنها مصدر الميكروبات ومصدر عدوى الأمراض وسبب انتشارها.

ففرض الإسلام الصلاة، وهذه يسبقها الوضوء وطهارة البدن والثوب والمكان، ولهذا قال تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾⁷.

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 730 / 3935.

² حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 730 / 3941.

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1032 / 9546.

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 845 / 4611.

⁵ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 395 / 1962.

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 940 / 3521.

⁷ المائدة: 6.

ومن الناحية الصحية فإن هذه الآلية ومضمونها هو منتهى العلم، وقد سبقت التعاليم الصحية والعلمية التي اكتشفها العلماء بثلاثة عشر قرناً. وحكمة غسل الوجه ظاهرة واضحة، فالوجه يتعرض لكثير من الأوساخ مثل الغبار ونحوه لأنه أكثر أماكن الجسم تعرضاً لها، وهو المكان الظاهر دائماً والذي لا يغطي إلا نادراً وفي أحوال خاصة، وبذلك تتعلق بالوجه الأتربة والأوساخ والميكروبات وأيضا تصيب بشرة الوجه الدهون وكذلك يتجلى فيه العرق بصورة واضحة والمواد الدهنية وإفراز العرق يشجعان نمو الميكروبات بصورة قد تكون مقلقة أو مرضية، ويوجد بالوجه أعضاء هامة وعزيزة على الإنسان مثل العين والأنف والأذن والفم، وغسل كل تلك الأماكن يزيل ما بها من أوساخ وأقذار تتراكم على البشرة وخاصة عند إهمال النظافة، فالعين التي تغسل باستمرار خاصة صباحا وقبل النوم، هذا الاعتسال يقي العين أضراراً كبيرة و يحافظ على حيويتها دون تلوث أو تعرض للميكروبات، كما يحافظ نضارة الوجه .

وكلك غسل اليدين إلى المرفقين له حكمة بالغة، إذ أن اليدين والأظافر تعلق بها الأوساخ والميكروبات أكثر من باقي أعضاء الجسم نظراً لطبيعة وجود اليد والأظافر في الأماكن المتصلة بالعالم الخارجي والمعرضة للتلوث باستمرار، وأيضا الكعيبين والقدمين خصتهما الآلة الكريمة بالعناية وذلك نظراً لأهمية القدم وتعرضها للإصابات والأوساخ والفطريات والبكتريا، مما يجعله مرتعاً لهذه الآفات جميعها.

والقدم من مواضع الجسم التي تعرق كثيراً وعرق القدمين ورائحته من جراء تخمر البكتريا على سطح الجلد بين الأصابع عند عدم الاعتسال والنظافة يؤدي إلى تهيج الجلد ونمو تلك البكتريا وتعفنهما على سطح الجلد، مما يقلق الإنسان ومخالطيه نظراً لقذارة القدم ورائحة العرق. والفطريات تنمو بصورة خاصة بالقدم وتحدث أمراضاً كثيرة أهمها: الالتهاب والاكزيما الفطرية ...

واليد أكثر أجزاء الجسم استعمالاً، بها نلمس الأشياء ونمسكها وكثيراً ما تكون هذه الأشياء ملوثة بالأتربة والعرق والأوساخ والميكروبات. ولهذا فمن الضروري التخلص منها بغسيل اليد، والوضوء قبل الصلاة يضمن نظافتها، ومضمضة الفم عدة مرات تخرج بقايا الطعام من الفم. وغسل الأنف بالماء هي أهم أسباب الوقاية من تعرض الأنف لبعض الالتهابات¹.

¹ فراج ، عز الدين ، الإسلام و الوقاية من الأمراض ، دار الرائد العربي ، (و - ت) ص 1

وقد ثبت الآن أن كثيرا من الميكروبات تصيب الإنسان عن طريق الجلد بعد خدشه أو جرحه، وأن طفيليات الديدان تدخل الجسم بطريق اختراق الجلد. (وقد أثبت علماء الجراثيم وجود أعداد هائلة منها على السنتيمتر المربع (cm²) الواحد من الجلد يصل في المناطق المكشوفة إلى زهاء خمس ملايين جرثومة ومن المعروف أن الجراثيم تتكاثر بسرعة، وللتخلص منها لابد من الجلد باستمرار. و يعتبر الأطباء جلد الإنسان أوسع عضو في جسده، إذ يبلغ متوسط مساحة الجلد نحو مترين مربعين، ويزيد عدد الجراثيم المختلفة الموجودة على هذا الجلد وفقا لما قرره "فايندوف" في كتابه: (Skin and venereal disease) على عدد سكان الأرض قاطبة. وقد أثبت أن الاستحمام الواحد يزيل عن جلد الإنسان أكثر من مائتي مليون جرثومة. وما أجمل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك:

□ (حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجلده) رواه الشيخان¹.

أما نظافة البدن والثوب والمكان، فقد أمر بها الإسلام ورغب فيها للصلاة وغير الصلاة، قال تعالى: (وثيابك فطهر)²

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من نام وفي يده غمر³ ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه)⁴، (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الماء حتى يغسلها ثلاثا فإنه لا يدرى أين باتت يده)⁵.

□ (إن الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة)⁶

وكذلك فقد أوجب الاستحمام من الجنابة للرجال والنساء، ودعا للاستحمام للجمع والأعياد، وشدد في طهارة الماء الذي يستعمل في الاستحمام والوضوء.

¹ الفقي، محمد عبد القادر، نظافة البيئة من منظور إسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 32، ربيع الثاني 1413، ص 36

² سورة المدثر، آية 4

³ غمر راحة اللحم و زهومته .

⁴ حديث حسن، رقم 584 8548

⁵ السيوطي، حلال الدين، الجامع الصغير في أحاديث البشير، بيروت، دار الفكر للطباعة، (دت) حديث حسن رقم 435، ج 1، ص 69

⁶ الفقي، محمد عبد القادر، نظافة البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 12

وأثبتت التقارير الطبية لمنظمة الصحة العالمية في عام 1974 م في بنغلاديش أن الاعتسال بالماء الجاري في حالات الوباء يزيل 90% من الميكروبات العالقة بالجسم¹.

كما حث الإسلام على اجتناب الزوجات عند الحيض حتى يطهرن لقوله سبحانه: ﴿وَيَسْتَكُونَنَّ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأُذُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾²، هذه الآية الكريمة نزلت رحمة للبشرية ووقاية وصحة وهداية، تشخص الداء وتصف الدواء، نزلت تحرم على الإنسان وطء المرأة الحائض لما في ذلك من أذى وضرر على الزوج والزوجة على حد سواء.

بين لنا العلم الحديث ووصف تلوث الجهاز التناسلي بالميكروبات أثناء الحيض، وكيف أن هذه الميكروبات تصل إلى الرجل فتعرضه لخطر داهم، وتعرضه لالتهابات شديدة يتعذر معها البول، كما تسبب متاعب لا تطاق، وقد تكون هذه الالتهابات مصحوبة بإفرازات صديدية، وقد تصل هذه الميكروبات إلى غدة البرستاتا فتتقيح، الأمر الذي يعرضها إلى عملية جراحية ليست من السهولة على الإطلاق وقد تمتد الإصابة إلى البربخ فيصاب بورم، وقد ينسد الحبل المنوي بحالة دائمة. وقد يكون خطره على المرأة لضعف مقاومة المرأة أثناء الحيض، فقد تدخل الجراثيم المهبلي أثناء الجماع، وقد يصدها عن الاختلاط الجنسي لما يحدثه من اشتزاز ونفور³.

وقد عني الإسلام بتحقيق سلامة الجسم، ولن يتحقق ذلك إلا بالوقاية من العدوى والأمراض وخاصة فيما يتعلق بمرضين خطيرين هما الطاعون والجذام والطاعون هو ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، كما أن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونا لاشتراطهما في عموم المرض به أو في كثرة الموت⁴.

¹ الفقي، محمد عبد القادر، نفاثة البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص 12
² البقرة: 222.

³ فراج، عز الدين، الإسلام والوقاية من الأمراض، مرجع سابق، ص 64

⁴ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري (مرجع سابق) ج 1 ص 191

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض لا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأتم بأرض فلا تخرجوا فرارا منه) ¹.

(إن هذا الطاعون رجز، وبقية عذاب، عذب به قوم، فإذا وقع بأرض وأتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تدخلوها) ².

أما الجذام فهو (علة رديئة تحدث من انتشار المدة السوداء في البدن كله فتفسد مزاج الأعضاء، وربما أفسد في آخرها ايصالها حتى يتآكل، قال ابن سيدة، سمي بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها) ³، فهو يعتبر من أخطر الأمراض وأشدها، إذ لا ينفع فيه علاج غالبا وهو سريع العدوى، ولهذا كان الابتعاد عن مرضى الجذام وعدم مخالطتهم له هو أفضل الوسائل للوقاية منه) ⁴.
لذلك قال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا المجدوم، كما يتقى الأسد) ⁵.

ومن توجيهاته أنه صلى الله عليه وسلم حذر من خالط الحيوانات المريضة بالأصحاء منها فقال: (لا يوردن ممرض على مصح) ⁶، أي لا يورد إليه المراض، قال العلماء: الممرض صاحب الإبل المراض، والمصح صاحب الإبل الصحاح، فمعنى الحديث: لا يورد صاحب الإبل المراض إليه على إبل صاحب الإبل الصحاح لأنه ربما أصابها المرض بفعل الله وقدره) ⁷.

وتدل تلك الأحاديث على ضرورة الالتزام بالحجر الصحي للمريض، وهو ذلك المكان الذي يعزل فيه المريض المشتبه في إصابته عن بقية الأصحاء طيلة فترة المرض، ويوضع تحت الرقابة الطبية الدقيقة له ⁸. كيلا يصيب غيره بالعدوى الوبائية، إلا أن وجود الحديث الآخر الذي يؤكد على نفي وجود العدوى يجعل الموضوع غامضا قليلا لقوله صلى الله عليه وسلم:

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 167 / 616

² حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 447 / 2248

³ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري (مرجع سابق) ج 1، ص 191

⁴ فراج، عز الدين، الإسلام والوقاية الصحية الأولية والوقاية من الأمراض (مرجع سابق) ص 54

⁵ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 83 / 111

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1288 / 781

⁷ حجاج، مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د، ت) مجلد 7، ج 14، ص 217

⁸ الشافعي، محمد مدحت صابر، من هدي الإسلام في التربية الجسمية، ضمن بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، مكة المكرمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومركز البحوث التربوية والنفسية بمكة المكرمة، ط 2، 1400 هـ، ص 12.

(لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد)¹ وجمهور العلماء قد جمعوا بين الحديثين فقالوا: (لا عدوى المراد بها نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقد من أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى. وأما الحديث لا يورد ممرض على مصح، فأرشد فيه إلى مجانية ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره، فنفي في الحديث العدوى بطبعها ولم ينف حدوث الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعله، وأرشد في الحديث الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وقدره)².

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم في حالة الإصابة بالمرض أن يلتجأ إلى التداوي وعدم إهمال مرضه واليأس من العلاج فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

- (تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم).³
- (لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى)⁴، فالصحة نعمة من نعم الله المتعددة على البشر لقوله صلى الله عليه وسلم:
- (نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ)⁵، والمعافاة في الدنيا هي السعادة الحقيقية، لقوله صلى الله عليه وسلم:
- (من أصبح منكم آمناً في سربه ومعافى في جسمه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)⁶. ولذلك حرض الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على سؤال العافية، فقد قال للعباس:
- (يا عباس عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة)⁷، كما قال صلى الله عليه وسلم:

□ (سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة)¹.

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع 2 / 1251 / 753

² صحيح مسلم، المجلد 7، ج 14، مرجع سابق، ص 214

³ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 565 / 293

⁴ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 917 / 5164

⁵ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1147 / 6778

⁶ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1044 / 6042

⁷ حديث صحيح، صحيح الجامع، 2 / 1314 / 7938

□ (سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدكم لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية) ².

لذلك يجب الاهتمام بالصحة واتقاء واجتناب العدوى وطلب التداوي في حالة الإعياء، حتى يتكون في المجتمع أفراد أصحاء أقوياء يستطيعون بناء تأكيدا لما بينته الشريعة الإسلامية السمحاء من أن المؤمن القوي أحب عند الله من المؤمن الضعيف فقال صلى الله عليه وسلم:

(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) ³. ومحافظة من الشرع الحنيف على الصحة العامة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بتغطية أواني الشرب والأكل فقد روى جابر رضي الله عنه قال:

(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نوكي أسقيتنا ونغطي آتيتنا)، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

(كنت أضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة آنية من الليل مخمرة: إناء لطهوره، وإناء لسواكه، وإناء لشرابه) ⁴. كما عني الإسلام بنظافة الفم باعتباره مدخل الطعام والشراب إلى جوف الإنسان، وإلى جانب المضمضة في الوضوء أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه باستخدام السواك في تنظيف أسنانهم، وإزالة ما يعلوها أو يتخللها من فضلات الطعام، التي تؤدي عند تخللها الإنسان لما تسببه من أمراض، وأهم ما فيها اللثة، إذ يتكون فيها وبين الأسنان وتحتها جيوب صديدية أو بؤر صديدية بسبب بقاء فضلات الطعام بين الأسنان وتخمرها وتوالد الميكروبات فيها، وهذه البؤر الصديدية تنقل ميكروباتها عن طريق الدم إلى الأعضاء المجاورة و غير المجاورة .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

¹ حديث صحيح ، صحيح الجامع ، 1 / 678 / 7631

² حديث صحيح ، صحيح الجامع ، 1 / 679 / 3632

³ حديث حسن ، صحيح الجامع ، 1 / 1129 / 6651

⁴ عبد اللطيف ، خالد محمود ، السنة من منظور الإسلام ، مرجع سابق ، ص 91 .

هذه تعاليم الدين الحنيف التي أثبتتها العلم الحديث الآن ، فقد نشر مدير معهد الميكروبات والأوبئة في جامعة " روستوك " بألمانيا الديمقراطية ¹ بحثا أثبت فيه أن السواك الذي يستعمله المسلمون من عصر نبهم من أرقى وسائل تنظيف الأسنان، لاحتواء السواك على مادة فعالة مضعة للميكروبات تشابه في مفعولها فعل البنسلين، وقد جاءت أوروبا بعد مئات السنين تعمل كالمسلمين، فأخرجت فرشاة الأسنان تقليدا لهذا السواك الذي نادى به نبي الإسلام لوقاية الأسنان، ونسيت أن الإسلام دعا المسلمين إلى مضمضة الفم في كل وضوء وذلك زيادة في الحيلة والمحافظة على صحة الأسنان واللثة .

وكما اهتم الإسلام الحنيف بشهوة البطن فوضع الطعام والشراب وآدابه التي تحمي من التلوث وتقي من الأوبئة المهلكة، فكذلك اهتم أيضا بشهوة الفرج فوضع للتزواج بين الرجل والمرأة قيودا وحدودا وآدبا لا بد من اتباعها حتى يتجنب المسلم الأوبئة والأمراض المعدية المهلكة التي تتسبب عن الارتباط الجنسي غير الشرعي. لذا فقد حرم الإسلام الزنا واللواط وشدد في عقوبتهما فقال تعالى:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ² .

وقال جل جلاله في حق قوم لوط: ﴿وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يُهَرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَن قَبَّلَ كَاؤُهُمْ يَكْفُلُونَ أَلْسِنَتَهُ قَالُ يَقْتُلُوكَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي صَیْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ³ .

نعم ليس رشيدا من يقدم على هذا العمل الشنيع والمشين وهذه الفعلة القبيحة. إنه انعكاس انتكاس للأذواق وللقيم وللأخلاق، فضلا عن ذلك إنه عمل قدر في مكان قدر، فهو تلوث في تلوث وقبح في قبح فما أزدله ⁴. ذلك عن اللواط، فضلا عما يسببه من أمراض خبيثة جلدية ونفسية وغيرها.

أما الزنى - أعادنا الله منه - فهو يخلط بين الأنساب فلا أحد يعرف أباه، فرما تمر الأيام فيتزوج الأخ من أخته أو العم من ابنة أخيه، ولقد ثبت أن الزنى يؤدي إلى التلوث بالأمراض الخطيرة مثل الإيدز والسيلان والزهري بسبب ولوج فرج المرأة من رجال كثيرين دون حد أو قيد.

¹ فراج ، عز الدين ، الإسلام والوقاية من الأمراض ، مرجع سابق ، ص 82

² النور: 2.

³ هود: 78.

⁴ رشوان ، محمد أحمد ، تلوث البيئة وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص 38

و قد وضع الإسلام سياجات تضمن عدم الوقوع في الزنى، منها تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية
قال تعالى :

- ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ٣٠^١. كما حرم نظر المرأة إلى الرجل، قال سبحانه:

- ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ ٣١^٢. وقد أمر
الرسول صلى الله عليه وسلم أم ميمونة وأم سلمة بالاحتجاب من ابن أم مكتوم فلما قالتا : أليس أعمى
لا يبصرنا ولا يعرفنا قال صلى الله عليه وسلم : (أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟)^٣ . كما حرم الإسلام
على المرأة إظهار زينتها لغير زوجها ولغير المحرمين عليها شرعا حتى لا يفتتن الرجال، قال المولى جل وعلا:

- ﴿ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ
الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِلِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمُوعُ السَّمِيعُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٣٢^٤، كما وضع لها حصانة بتعليماته من حيث تنظيم
عمل المرأة مع الرجال في غير معصية الله^٥ :

■ أن لا تترحم الرجال و تفتنهم في ذهابها و إيابها.

■ أن لا تلين حديثها مع رجل غير زوجها حتى لا تحرك فيه كوامن الشر والشيطان قال سبحانه:

■ ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ ٣٣^٦.

^١النور: ٣٠.

^٢النور: ٣١.

^٣ ابن حنبل ، أبي عبد الله أحمد بن محمد مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بيروت ، المكتب الإسلامي للطباعة و النشر (د ت) ج ١ ص 296

^٤النور: ٣١.

^٥ محمد ، أحمد رشوان ، تلوث البيئة وكيف عالجها الإسلام ، مرجع سابق ، ص 61

^٦الأحزاب: ٣٢.

ويقول تعالى حكاية عن إحدى ابنتي سيدنا شعيب، حيث جاءت إلى جاءت إلى سيدنا موسى تدعوه لأبيها، قال تعالى:

-﴿جَاءَتْهُ إِخْدَتُهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَا قَالَتْ إِنَّ ابْنِي يَدْعُوكَ﴾¹.

وكذلك فالعبادات المفروضة في الإسلام والتوجيه الخلقي فيه يزيدان التقوى والرغبة بطاعة الله تعالى والبعد عن الفواحش، وعدم الاختلاط والترغيب في الزواج والتمسك بالأخلاق والبعد عن القذف والغيبة والنميمة، كل ذلك يكرس جسد الجنسين إلى واجباتهما ، ويبعدهما عن الرذيلة ، ويصون الأسر المسلمة من التصدع².

المطلب الثالث: حرص الإسلام على تحقيق الهدوء والسكينة:

الضوضاء إحدى عوامل الإجهاد الذهني والعصبي، وتلعب دورا هاما في إعاقه العمل والإنتاج، وأشد الناس تأثرا بالضوضاء المثقفون وأصحاب الأعمال والمهن الفنية الذين يكدحون بعقولهم لا بأجسادهم³.

وقد نهى ديننا الإسلامي الحنيف عن رفع الأصوات والجلبة الشديدة وأمر بالهدوء والسكينة حتى يستطيع كل انسان أن يؤدي عمله دون توتر، وبذلك يتم إنجاز الأعمال مع الاحتفاظ بالصحة والحيوية ومداومة النشاط، قال جل جلاله:

- (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)⁴ ، ويقول الإمام الحافظ بن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: (أي لا تبالي في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ولهذا قال سبحانه : إن أنكر الأصوات لصوت الحمير، وقال مجاهد وغير واحد : إن أقبح الأصوات لصوت الحمير أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا فهو بغض

¹الفصص: 25.

²فراج ، عز الدين الإسلام و الوقاية من الأمراض ، مرجع سابق ، ص 61

³عبد الجواد ، أحمد عبد الوهاب ، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة ، القاهرة ، الديار العربية للنشر و التوزيع ، ص 167 .

⁴سورة لقمان ، آية 19 .

إلى الله، وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه - أي الصوت العالي - وذمه غاية الذم، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب يقئ ثم يعود في قيئه¹.

وفي كتاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم في تفسير نفس الآية من سورة لقمان (واخفض من صوتك، لأن أقبح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير أوله زفير مما يكره، وآخره شهيق مما يستقبح، ويلاحظ أن نهيق الحمير يكون بصوت عال متغير لذلك فهو من الأصوات القبيحة المستنكرة)².

وينادي الإسلام بأن يحقق الجميع الهدوء في الطرقات والأماكن العامة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا، ارتفعت أصواتنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس أريعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائب إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده)³.

وعن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فخصني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فحجته بهما، قال: من أتما أو - من أين أتما؟ قال: من الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله على عليه وسلم.

ولذلك جعل الله البيت هو السكن الذي يشعر فيه الإنسان بالراحة والطمأنينة والخصوصية، فيستريح له الجسد وتسكن إليه النفس، وهي نعمة لا يقدرها إلا من لا مأوى ولا سكن لهم⁴. وقد جعل له حرمة في أن لا ينتهك، لذا قال الله تعالى في معرض الامتنان على عباده:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾⁵.

كذلك من رحمته أن جعل له سكناً وظلاً ليهدأ إليه الجسم ويستقر كما جعل النهار مبصراً لقضاء الأعمال وطلب المعاش فقال سبحانه:

¹ القرشي، أبي الفدا، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة للطباعة، 1413 هـ، ط 6، ص 446.

² الشعراوي، محمد متولي، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، وزارة الأوقاف المصرية، 1399 هـ، ط 7، ص 614.

³ حديث صحيح، فتح الباري 6 / 157.

⁴ آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبد، مرجع سابق، ص 467 - 468.

⁵ النحل: 80.

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^١

- ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي اللَّهِ لَدُوْرَ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^٢

- ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكْنِیْهِمْ وَلِیَوْمِ یُؤْمِنُونَ﴾^٣

- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِیَاسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾^٤

- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^٥

والسكون في الليل ضرورة لكل حي، فلا بد من فترة من الظلام تسكن فيه الخلايا الحية، وتستكن لمزاولة نشاطها في النور، ولا يكفي مجرد النوم لتوفير هذا السكون، بل لابد من ليل و لابد من ظلام، فالخلية الحية التي تتعرض لضوء مستمر تصل إلى حد من الإجهاد تتلف معه أنسجتها لأنها لم تتمتع بقسط ضروري لها من السكون، و تقلب الليل في النهار على هذا النحو نعمة في طيها نعم، و لو كان أحدهما سرمدًا بل لو كان أطول مما هو مرات معدودة لانعدمت الحياة، فلا عجب أن يقرن توالي الليل و النهار بذكر الفضل الذي لا يشكره أكثر الناس^٦.

لذلك فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإطفاء الأنوار عند النوم حيث قال:

^١ يونس: 67.

^٢ غافر: 61.

^٣ النحل: 86.

^٤ الفرقان: 47.

^٥ الباء: 10-11.

^٦ قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، مرجع سابق ، ص 4093 - 4094 .

(أطفئوا المصابيح إذا رقدتم، و أغلقوا الأبواب، و أوكئوا الأسقية و خمروا الطعام والشراب ولو يعود تعرضه عليه)¹.

وبعد وقوفنا على حماية شريعة الإسلام لمكونات البيئة، والتأكيد على أن هذه الشريعة كانت السباقة في سن تشريعات تسعى لحماية البيئة والحفاظ عليها، وارتباطا بالمبحث ذاته، هناك قيم عديدة تساهم في الحفاظ على البيئة، ذلك ما سنحاول في المبحث اللاحق.

المبحث الثاني: قيم الشريعة الإسلامية لحماية البيئة:

إن عناية الإسلام بشؤون البيئة والحفاظ عليها أمر لا ينفصم عن عناية الإسلام بالإنسان نفسه، ذلك لأن علاقة الظرف بالمظروف، علاقة تكامل، فحيثما وجد الانسان فلا بد له من بيئة يقطنها، وبقدر صلاحية هذه البيئة للحياة السوية بقدر ما يكون صلاح الانسان واستقراره، لذا فلا عجب أن وضع الدين الإسلامي الحنيف تشريعات محكمة لرعاية البيئة و حمايتها من آفات التلوث والفساد، و رسم حدود هذه التشريعات اعتمادا على ذخيرة مميزة من القيم : قيم أخروية، و قيم عقدية و قيم أخلاقية و قيم جمالية، وكل هذه القيم تعكس وتلخص العلاقة المثلى التي يجب أن يتمثل بها الإنسان تجاه بيئته².

المطلب الأول: القيم العقدية للبيئة³:

1-الإحسان إلى البيئة جزء من عقيدة المسلم:

ينظر الإسلام إلى البيئة نظرة عميقة وشاملة، فيجعلها جزءا من عقيدة المؤمن، بل إن هذا المنهج ليزداد عمقا في وجدان المؤمن بنمو عقيدته، ذلك لأنه يعتمد على نظافة القلب و الضمير و الوجدان، فيحيط تصرفات البشر بسياج من مكارم الأخلاق ويعصمهم من التردى في حمأة الرذائل⁴، و يتجلى ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: (الإيمان بضع و سبعون أو بضع

¹ حديث صحيح، صحيح الجامع، 1 / 235 / 1025

² هذه القيم مصنفة في مصادر الشريعة الإسلامية، مثل: القرآن الكريم، السنة النبوية المطهرة، الفقه الإسلامي.

³ العقيدة الإسلامية: هي مجموعة من قضايا الحق البدينية المسلم بها فطرة وعقلا، يعقد عليها الإنسان قلبه جازما بصحتها، قاطعا بوجودها، كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه وعلمه به، و قدرته عليه، و للعقيدة الإسلامية أركان ثابتة في القرآن و السنة و هي: الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر والقدر خيره و شره، و سائر ما ثبت من أمور الغيب، و أصول الدين، و ما أجمع عليه سلفنا الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم والطاعة، والإتياع لرسوله عليه الصلاة والسلام. أحمد ملحم، دراسات إسلامية في الفكر والثقافة والسلوك، الأردن، جمعية عال المطابع التعاونية، 2005 - 9-11.

⁴ الصيدي، الحفاظ على البيئة من المنظور الإسلامي، ص 98.

وستون شعبة ، فأفضلها : قول لا إله إلا الله ، و أدناها إمالة الأذى عن الطريق ، و الحياء شعبة من الإيمان)¹ ،² .

فالإيمان بالله هو إيمان بالرقابة الدائمة على الإنسان وعلى تصرفاته، وهذه الرقابة تحفز الالتزام والمسؤولية. وله أثر في علاقة الإنسان بالبيئة، وتفكيره في الوجود ككل، بل يدعو الإسلام إلى التمتع بما فيها، ولكن دون إفسادها.

إن مبدأ العقاب و الثواب موجود في الإسلام، و هذا دافع قوي للإنسان لينطلق في عمله من مبدأ الحلال و الحرام، و العدل و الإصلاح، و الحياة الدنيا لا تعد هي المحدد والموجه لطبيعة الحياة على الأرض فحسب، بل إن الحياة الأخرى تعطي معنى للحياة الدنيا قال جل جلاله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾³ .

لذلك، فالإنسان الذي يعتقد أن خالق هذا الكون يجازي الذي أحسن بالحسنى وزيادة، أكد أنه سيسعى جاهدا أن لا يفسد البيئة. فكل ما يفعله الإنسان ضمن التصور الإسلامي مادام لله، هو أيضا يدل على العبودية لله. لتكون الدنيا مزرعة للآخرة، والرفق بالبيئة وعدم تلويث أو إفساد أي جزء منها، حينما يكون مبنيا على معتقد أنه لله، فإن ذلك مما لا شك فيه باب من أبواب الأجر.

2- مبدأ التوحيد:

وهو حجر الأساس في الإسلام، وأول الثوابت الإيمانية التي تقر بوجود الله الخالق الواحد الأحد للكون وما فيه، وهو يتطلب الإيمان بالصفات الإلهية المتمثلة في وحدانيته وسيطرته، وحكمه الأبدي للكون.

¹ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (279 / 892) ، سنن الترمذي ، القاهرة ، دار الحديث ، 1999 ، ج 4 ص 437 .
² في هذا الحديث يعرف النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بأنه مجموعة من الشعب ، فأعلاها قول : لا إله إلا الله ، فهي ليست مجرد كلمة تقال ، وإنما منهاج حياة ، و معيار للاستقامة ، و طريق للوصول إلى مرضاة الله ، و أدناها إزالة الأذى عن الطريق الذي يعد مرفقا عاما ، و من ثم فإن تعهده بالإصلاح ، و إزالة ما به من معوقات و إبداء يعد شعبة من شعب الإيمان ، محمد يومي ، المحافظة على نظافة البيئة من تمام الإيمان ، منبر الإسلام 2 ، 2007 ، 64 .
³ المؤمنون: 115.

ويشير التوحيد إلى أن الله هو المصدر الأوحى للقيم وعدم الإيمان بهذا يؤدي إلى الشرك. فالخضوع لله وحده- وهو المعيار المطلق لكل البشر- يدفع الإنسان إلى الثورة على كل القوى الموجودة وعلى قيود الخوف والجشع التي تذله¹.

ومن هذا المنطلق يتغلغل مفهوم التوحيد في كل جوانب السلوك، والفكر الإنساني، فيصبح المبدأ الهادي في الدين، والأخلاق والسلوك، والمعرفة والعلم، كما يصبح محورا لفضول المسلم فيما يتعلق بالطبيعة.

وينبثق من مفهوم التوحيد العبادة، التي تثير إيمان المسلم بربه، وخضوعه له وحده، وتنفيذ أوامره فهي لا تقتصر على أداء الفرائض: من صلاة وصوم وزكاة وحج، وإنما تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال التي تستوعب كل مجالات الحياة ومن ضمنها ما يتعلق بالإحسان إلى البيئة ورعايتها.²

المطلب الثاني: القيم الأخروية للبيئة:

من معالم المنهج الإسلامي ورفعة تشريعه، وسموه ترغيب وتحبيب المسلم إلى بيته وتكريمه بالتواب لتعامله الرحيم مع بيته، وذلك اعتمادا على ما ورد في منهج الدين الإسلامي الحنيف، بأن الإحسان إلى البيئة يكفر الذنوب، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي المسلمين)³، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (بيننا رجل يمشي في الطريق مر على حزم شوك، فقال: لأرفعن هذا لعل الله يغفر لي، فرفعه، فغفر الله له عز وجل)⁴. وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظاما عن طريق الناس، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار)⁵.

¹ ضياء الدين سردار، نحو نظرية إسلامية عن البيئة، مجلة المسلم المعاصر عدد 39، 1991، ص 84

² ضياء الدين سردار، نحو نظرية إسلامية عن البيئة، مجلة المسلم المعاصر 1991م عدد 59 ص 84

³ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458/1066)، شعب الإيمان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990، ج 7، ص 513

⁴ نفس المصدر ج 7، ص 513

⁵ نفس المصدر، شعب الإيمان ج 7 ص 513

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية للبيئة:

1- مبدأ الخلافة والأمانة:

البيئة من المنظور الإسلامي مرتبطة بتحمل الإنسان دون غيره من المخلوقات لأمانة الخلافة في الأرض، فالكون هو أمانة الله للإنسان، والإنسان هو الوصي عليها والمسؤول عن رعاية كل مخلوقات الله، ولا يكون الإنسان جديراً بحمل أمانة الخلافة إذا أساء استعمال عناصر البيئة، أو إذا تصرف فيها على نحو غير مشروع، جرياً وراء منفعة خاصة، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٣٥﴾¹.

فالاستخلاف يدل على أن الإنسان وصى على هذه البيئة وليس مالكا لها، فهو مستخلف على إدارتها واستثمارها وإعمارها ليكون مؤتمناً عليها، لذلك لن يستطيع أن يدعي أنه يمتلك شيئاً ولو قليلاً من هذا الكون المتراحي الأطراف، فيكون له الحق المطلق ولو بالإفساد والإتلاف، بل هي بمقتضى ملكية الله الملكية الحقيقية تشبه أن تكون ملكاً استخلافياً للناس جميعاً عبر الأجيال المتتابة².

ويشير مفهوم الخلافة بأن الجنس البشري بمثابة خليفة الله على الأرض، وتتم الخلافة بإقامة الحق والعدل، ونشر الخير والصالح، وتعمير الأرض³.

¹ الأحزاب: 72.

² النجار، عبد المجيد، فقه الحضرة الإسلامي، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1999 م، ج 1، ص 155.

³ يفسر أهل التأويل لفظة الأمانة بمفهوم الطاعة وكل ما يؤتمن عليه الإنسان من أمر، وشأن دين ودنيا، وقد عرض سبحانه وتعالى هذه الأمانة على السموات والأرض أي رمز للجادات ودلالة على قوتها وصلابتها، فلم تطلقها، فقال لآدم: يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطلقها فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنيت جزيت وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله تعالى: (وحمّلها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً). أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (923 م / 310 هـ) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1999 م، ج 10 ص 342.

والإنسان يطيع الله بإرادته، وحمله لنفسه، ومقاومة انحرافاته ونزعاته، ومجاهدة ميوله وشهوته، فهي أمانة ضخمة حملها المخلوق الضعيف، المحدود العمر الذي تتنازعه الشهوات والميول، وهي مهمة كبيرة تقع على مسؤولية الإنسان، وهو بذلك يحمل لطاقته فيما احتمل بينه وبين ربه، قطب في ظلال القرآن 5، 2885.

وقد ثبتت خلافة الإنسان على الأرض بما فيها في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾﴾¹، ².

- قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾﴾⁴، ⁵.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿يٰۤاٰدَمُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ۚ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ يَمَّا نُسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦١﴾﴾⁶.

- قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يٰۤاَقِبُوْا اٰعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ ۚ هُوَ اَنْشَاَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيْهَا ۚ فَاسْتَغْفِرُوْهُ ثَرًا نُّوْبُوْا اِلَيْهِ ؕ اِنَّ رَّبِّيْ مُجِيْبٌ ﴿٧٨﴾﴾⁷، ⁸.

وانطلاقاً من الآيات السالفة الذكر، فواجب الاستخلاف يقتضي أن يتبع المستخلف ما يأمر به مالك هذه البيئة، ومستخلفه فيها، ويقتضي واجب أمانة الاستخلاف أن يتصرف فيها تصرف الأمين فيما لديه من أمانات، فالأرض أرض الله، والعباد عباد الله، ومعنى هذا أن لا ملكية مطلقة في الإسلام، أي أنه ليس من حق أي فرد أن يتصرف فيما يملك كيفما يشاء، فالملكية في الإسلام محددة

¹ الأنعام: 165.

² لقد جعل الله سبحانه وتعالى الخلافة للإنسان دون غيره من المخلوقات، لأنه أرقى هذه المخلوقات، ولأن الله تعالى قد خصه وميزه بنعمة العقل التي حرم منها

بقية المخلوقات، الديب، مدلول البيئة في الشريعة الإسلامية، ص 197

³ الخليفة: أن يخلف فلان فلانا في أمر ما، إذا قام مقامه فيه بعده، كقوله تعالى: (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم، انظر كيف يعملون) سورة يونس

، آية 14، الطبري، تفسير الطبري، ج 1 ص 236

⁴ البقرة: 30.

⁵ سورة البقرة، آية 30

⁶ ص: 26.

⁷ هود: 61.

⁸ استعمركم فيها: أي جعلكم عاراً تعمرونها وتسكنون بها، ابن كثير، مختصر ابن كثير، ج 2 ص 224

بضوابط وشروط حددها الله سبحانه وتعالى، منها حسن استغلالها والحفاظ على صيانتها، ورعايتها من أي تدمير أو تخريب، كما أن الاستخلاف لا يقتضي فقط أن يكون الإنسان صالحا في نفسه فقط، بل يقتضي أن يشيع هذا الصلاح كل محيطه وما سخر له، حتى لا يعيث في الموجودات المسخرة له فسادا وتخريبا .

2 - مبدأ الحلال والحرام:

يحكم البيئة الإسلامية مفهوم الحلال والحرام، وبالبحث المدقق نجد أن الحرام يتضمن كل ما من شأنه أن يدمر الإنسان وبيئته بشكل عام¹، وكل ما هو نافع للفرد والبيئة والمجتمع هو حلال، وهكذا فإن الفعل الحلال يجلب النفع العام².

■ مبدأ الاعتدال والتوازن والاستحسان:

للمحافظة على البيئة بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للحياة والأحياء في هذا الكون، وقد أقام الإسلام بناءه كله على الوسطية والاعتدال في معالجته لمختلف دوائر العلاقات التي تسود دينا الناس، كما يمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ 142﴾³

فجميع هذه المبادئ الأخلاقية بمثابة منهج أخلاقي يوجه أعمال الناس، وسلوكهم الظاهر تجاه الطبيعة.

■ لا ضرر ولا ضرار:

كلمة تدمير تفهم بمعناها المادي والعقلي والروحي .

² سرदार ، نحو نظرية إسلامية عن البيئة ، ص 85

³ البقرة: 142.

من القواعد الفقهية¹ المهمة في الفقه الإسلامي، إذ يبنى عليها كثير من أبواب الفقه، وهي ترجع في تحصيل المقاصد وتقديرها بدفع المقاصد أو تخفيفها، وهذه القاعدة من أركان الشريعة وجوامع الأحكام، وهي أساس لمنع الفعل الضار عن النفس والعير، وتوجب رفع الضرر قبل وقوعه وبعده، لأن الوقاية خير من العلاج فإذا وقع وجبت إزالته وترميم آثاره، وهي عدة الفقهاء وميزاتهم في تقرير الأحكام الشرعية للحوادث².

وتستند هذه القاعدة إلى نصوص وردت في القرآن والسنة، تنهى عن الضرر والمضارة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَعْلَمُوا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ أَرْوَاحَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْوَاجُكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾³، وروى مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار)⁴ .⁵

وتشتمل هذه القاعدة على حكمين: الأول نفي الضرر نفياً، فيجب منعه مطلقاً، ويشمل الضرر الخاص والعام، ويوجب ذلك دفعه قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة ورفعته بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره وتمنع تكراره.

والثاني: منع الضرر أي لا يجوز مقابلة الضرر بمثله وهو الضرر كما لو أضر شخص آخر في ذاته أو ماله لا يجوز للشخص المتضرر أن يقابل ذلك الشخص بضرر، بل يجب عليه مراجعة الحاكم، ويطلب إزالة ضرره بالصورة المشروعة⁶ وتتفرع عن هذه القاعدة الكبرى قواعد فقهية، تعنى بموضوع الأضرار في الميادين العامة والخاصة⁷ وتقدم فيه تصنيفاً في غاية الدقة، وتفيد إزالة الضرر، وعلى الحيلولة دون وقوعه مثل:

¹ القواعد الفقهية: أصول فقهية كلية في نصوص موجزة دستورية تتضمن أحكاماً تشريعية عامة في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها. وقد صيغت هذه القواعد الفقهية على أيدي كبار الفقهاء من أهل التخريج والتجيب استنباطاً من دلالات نصوص الشريعة العامة و مبادئ أصول الفقه، وعلى الأحكام والمقررات الفقهية، مصطفى أحمد الزرقاء، المدخل الفقهي العام، دمشق، مطابع ألف باء، 1967، ص 947-951.

² محمد عثمان شبير، القواعد الكلية والضوابط الفقهية، الأردن، دار الفرقان، 2000 م، ص 163.

³ البقرة: 230.

⁴ مالك بن أنس (179 / 795)، موطأ الإمام مالك بن أنس، بيروت مؤسسة الرسالة، 1992 م

⁵ الزرقاء، المدخل الفقهي العام ج 2، ص 978

⁶ علي حيدر خوجة، درر الحكم، شرح مجلة الأحكام، استانبول، مطبعة توميع، 1914، ج 1 ص 36.

⁷ في ميدان الحقوق العامة، هنالك قواعد فقهية تعنى بالعقوبات والحدود والقصاص والكفارات لقع الجرام وصيانة الأمن الداخلي وأخرى تعنى بدفع الأذى، والتلوث عن البيئة، كنع أي شخص من أن يتصرف في ملكه تصرفاً يضر بجيرانه، أو بالبيئة مثل اتخاذ معصرة أو فرن يؤذيان الجيران بالرائحة أو الدخان، وفي ميدان الحقوق الخاصة فهناك حق الشفعة لمقاصد دفع ضرر سوء الجار، و شرع الحجر على السفينة لدفع ضرر سوء تصرفاته عن نفسه وأسرتها

■ الضرر يزال:

تعتبر هذه القاعدة عن وجوب رفع الضرر، وترميم آثاره بعد الوقوع وتختص هذه القاعدة في ميادين الحقوق العامة، كأن يسلط الإنسان ميزابه أو مجرى أفذاره على الطريق العام بحيث يضر بالمارين، وبالبيئة إثر الملوثات الناتجة فإنه يزال، وكذا إذا اعتدى على الطريق ببناء أو غيره، والخاصة كأن تطول أغصان شجرة لشخص على دار جاره فتضره، فيكلف هذا الشخص رفعها أو قطعها¹.

■ الضرر لا يزال بمثله:

تفيد هذه القاعدة بأنه يشترط لإزالة الضرر أن يزال بلا إضرار بالغير أو بأخف منه ولا يزال بمثله ولا بأكثر منه².

■ درء المفسد أولى من جلب المصالح:

المعنى الإجمالي لهذه القاعدة، هو أنه إذا تعارضت مفسدة ومصلحة، قدم دفع المفسدة على جانب المصلحة، لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات، ومما يتفرع عن هذه القاعدة أن يمنع كل شخص من أن يتصرف تصرفاً مضراً بجاره أو ببيئته، كأن يبني معصرة أو فرناً يؤذي الجيران والبيئة بالرائحة أو الدخان، وفي هاتين الحالتين درء للمفسد أولى من جلب المنافع لنفسه³.

■ إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما:

تشير هذه القاعدة أن من ابتلي ببلتين متساويتين يختار منها ما يشاء، وإن اختلفتا يتبع معياراً مستمداً من القاعدة الفقهية (الضرر يدفع بقدر الإمكان) تفيد هذه القاعدة وجوب دفع الضرر قبل

¹ الزرقاء، المدخل الفقهي العام، ج 2 ص 985

² زين الدين ابن نجيم، الأشباه والنظائر، دمشق، دار الفكر، 1983، ص 96

³ سليم رستم باز، شرح المجلة، بيروت، دار العلم للجميع، 1998، ص 27

وقوعه، قدر الإمكان، كما تفيد أنه إذا لم يتم دفع الضرر بالكلية، بالقدر الممكن، فلا يترك ويتجاوز فيه إلى أكثر من القدر الممكن الدفع به.

اعتادا على هذه القواعد الفقهية استطاع الفقه الإسلامي أن يمثل المبادئ والتعاليم التي وضعها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وأن يستخلص منها المقاصد العامة التي تكفل للبيئة سلامتها، وتلزم الأمة بصيانتها، وتحدد المنهج القويم للمسلم حيال مجتمعه وبيئته هذا فضلا على اشتغال القواعد الفقهية الصبغة الوقائية التي تحول دون إلحاق الضرر بالفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر بالنفس ولا ضرار بالغير.

المطلب الرابع: قيم جمالية:

هنالك بعد جديد يغيب عن كثير من الباحثين والمهتمين بشؤون البيئة، ولكنه لا يغيب عن الرؤية الإسلامية، ذلك هو البعد الجمالي الذي يتجلى من خلال حكمة الخالق في إبداع الكون وتكوينه، ولفت نظر الإنسان إلى التأمل في الجمال الكوني. كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ 27 وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَشْجَارِ كُلًّا مِمَّا يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ 28﴾¹. فهذه الدعوة القرآنية إلى تأمل الجمال الكوني وقدره الله سبحانه وتعالى، في خلقه للأشياء المتنوعة (كالثمار والجمال، والطرق والصخور، والناس، والدواب المختلفة والأجناس) هي دعوة إلى الارتفاع بعلاقات الإنسان بالكون والبيئة إلى مستويات عليا من السلوك والرؤية الإنسانية النبيلة في مستويات الإصلاح والبناء، التي لا تقتصر فقط على الإصلاح المادي، بل تتعداه إلى الجمال المعنوي الظاهر في الكون، والذي يسعى الإنسان إلى تأمله والمساعدة على الاحتفاظ وصيانه.

وقد أكد الشيخ محمد الغزالي (1111 م / 505 هـ) في علاقة الإنسان بالبيئة إلى الحد الذي يجد فيه أن النظر إلى الأرض والسماء دون إحساس بالجمال هو نوع من المعصية ينبغي أن نتوب عنه².

ولما كان البعد الجمالي ضروريا في علاقة الإنسان بالبيئة فإن ما يحدث في عصرنا من أشكال التلوث البيئي يجب النظر إليه على أنه اعتداء أثيم على توازن البيئة المحكم وتشويه متعمد لشكلها الجمالي

¹ فاطر: 27-28.

² باشا، الإنسان و البيئة في التصور الإسلامي، 1702

الذي جعلها الله عليه، ومن ثم يكون العمل على حماية البيئة من مختلف أشكال التلوث والإبقاء على جمالها مطلباً إسلامياً عزيزاً، تستحدث لأجله الهمم وتستثار الغرائز¹.

وعلى ضوء ما تقدم نستنتج ما يلي:

إن الأخلاقيات البيئية التي ذكرت في الشريعة الإسلامية ليست مبنية فقط على المعايير البيئية بل تعنى بالدرجة الأولى بالإنسان بشكله المتكامل ومدى إكسابه ذخيرة مميزة من القيم الأخلاقية والأخروية والعقدية والجمالية، وكل هذه القيم تعكس وتلخص نموذج النظرية الإسلامية عن البيئة، وإذا امتثل الإنسان المسلم بهذه القيم لحدث ثورة في سلوك وفكر المسلمين، وذلك لأن احترام الطبيعة جزء لا يتجزأ من هذه القيم كما فيها إدراك للترابط الداخلي لكل جوانب الحياة واعتراف بوحدة الخلق.

■ إن منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من أهم المناهج وأعدلها لأن بنوده تنبع من مشكاة الوحي الصادق: قرآناً وسنة وفقها، ويهتم بسن القوانين والضوابط التنظيمية التي تعتمد على سياسة الترغيب والثواب، وتكفير الذنوب لمن يحسن إلى بيئته، وبالمقابل يعتمد أيضاً على سياسة العقاب والعذاب الأخروي لمن يسيء إليها.

■ إن أحكام الإسلام وتوجيهاته النظرية في مكافحة التلوث البيئي تعتمد على الجانب الوقائي قبل حدوث مشكلة التلوث مستندة على القواعد الأصولية الفقهية مثل: " لا ضرر ولا ضرار "، "درء المفاسد أولى من جلب المصالح"، وغيرها.

المبحث الثالث: الإجراءات العملية لحماية البيئة في شريعة الإسلام:

إن اهتمام الشريعة الإسلامية بحماية البيئة، لم يقتصر على الجانب النظري التأسيسي فقط، وإنما امتد إلى الجانب العملي التطبيقي، لذا سأخصص هذا المبحث لبيان ميزات المنهج التطبيقي الذي انتجته الشريعة الإسلامية لحماية البيئة معتمداً في ذلك على مصادر الشريعة الإسلامية: القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة والفقه الإسلامي، وسأبين أهمية المؤسسات والأنظمة الإدارية في حماية البيئة، بدءاً من مؤسسة الخلافة، ومؤسسة القضاء، ومؤسسة الوقف، ودورها الفعال في تحديد التلوث

¹ نفس المصدر

ووضع الأحكام، والأساليب والإجراءات العملية اللازمة للعناية بالقضايا البيئية من جهة، والحد من الآفات البيئية بأنواعها المختلفة من جهة أخرى .

المطلب الأول: دور المؤسسات الحضارية في حماية البيئة:

إن للمؤسسات العامة في الحضارة الإسلامية نصيب كبير في رعاية البيئة والمحافظة عليها، ومن بين المؤسسات التي كان لها الأثر والوقع الكبيرين، نذكر ما يلي :

أ – مؤسسة الخلافة :

الخلافة لغة: مصدر خلف، ويقال خلفه خلافة، كان خليفته، وبقي بعده والخليف السلطان الأعظم، والجمع خلائف وخلفاء¹. فالخلافة موضوعه في الأصل لكون الشخص خلفاً لأحد، ومن ثم سمي من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في إجراء الأحكام الشرعية خليفة.

الخلافة اصطلاحاً: هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: (الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)²

وعرفها الدهلوي : (بأنها الرئاسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية وإقامة أركان الإسلام والقيام بالجهاد، وما يتعلق من ترتيب الجيوش والفروض للمقاتلة وإعطائهم من الفيء و القيام بالقضاء وإقامة الحدود و رفع المظالم والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم³ وقال المارودي : الإمامة موضوعه خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا⁴ ويستدل من المعنى الاصطلاحي أن الخلافة والإمامة و رئاسة الدولة هي ألفاظ مترادفة لمعنى واحد، فسميت الخلافة بالإمامة الكبرى، ويسمى القائم بها إماماً تشبهاً بإمام الصلاة في اتباعه والافتداء به، وتسميته خليفة لكونه يخلف النبي في أمته، وكذلك فإن من واجبات مؤسسة الخلافة أو الدولة

¹ أنيس ، المعجم الوسيط ج 1 ص 251

² ابن خلون ، المقدمة ج 1 ص 386

³ صديق حسن خان ، إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة ، بدون مطبعة ، بدون دار النشر ، 1999م ، ص 23

⁴ وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، دمشق ، دار الفكر ، 1997 ، ج 9 ص 801

الإسلامية النظر في الأمور الدينية وتنفيذ أحكامها والإشراف على الأمور الدينية . وتنفيذ أحكامها، والإشراف على الأمور الدنيوية.

تجدر الإشارة أنه فيما يخص الأمور الدنيوية فإنني سأبين دور مؤسسة الخلافة في معالجتها للقضايا البيئية من خلال مساهمة الخلفاء الراشدين في مراعاة الأمور البيئية، واهتمام الدولة بتخطيط المدن مع بيان أسس هذا التخطيط ومحاوره الأساسية مع إبراز أثر القيم الإسلامية في ذلك، وربط الجانب الفكري النظري بالجانب التطبيقي الميداني من واقع ما هو قائم من نماذج المدن الإسلامية .

■ اعتناء الخلفاء الراشدين بشؤون البيئة:

اهتم الخلفاء الراشدون بشؤون البيئة وأوصوا ولاتهم وأعوانهم بذلك، وتحديدًا في مجالات الزرع و التشجير، وإحياء الموات، واتباع نظامي الحمى والحرم والمحافظة على العناصر البيئية، فقد أشرت سابقًا إلى قصة الخليفة عمر بن الخطاب مشجعًا أحد الصحابة على غرس الشجر في أرضه، ومشاركًا إياه في الغرس، وتشجيعه على إحياء الموات¹ وحث الأفراد العاملين على زيادة الانتاج² وحكومته مع شخص آخر على رجل اصطاد صيدا من الحرم³ ، وفرضه غرامة مالية على قوم لأنهم زرعوا الأرض بما يرهقها ويقلل من خصوبتها⁴ وكذلك اهتمام الخلفاء الراشدين بنظام الحمى، فقد حمى الخليفة أبو بكر حمى الريدة، والخليفة عمر حمى الشرف لإيل الصدقة⁵ .

■ تخطيط المدن:

هي عملية ضبط البيئة الطبيعية والبشرية من أجل استخدام الموارد البيئية بشكل أفضل⁶ وعنيت الدولة الإسلامية بتنظيم المدن وتخطيطها، مراعية بذلك جوانب مادية، عمرانية، بيئية، اقتصادية، واجتماعية، كما ظهرت في ظل الحضارة الإسلامية كثير من المدن التاريخية التي لعبت دورا تاريخيا بما اكتسبته من أهمية دينية وفكرية واقتصادية مثل مدن بغداد ودمشق و مكة والمدينة المنورة وفاس والفسطاط والقيروان والقاهرة وقرطبة وغيرها. كما ظهرت كثير من المؤلفات التي عنيت بالمدن

¹ الألباني ، مطبعة الأحاديث الصحيحة ، ج 1 ص 11

² أبو عبيد ، الأموال ، ص 118

³ العمري ، جامع الأقوال و الدلالات في أحكام العبادات ص 363

⁴ ابن رجب ، الاستخراج لأحكام الخراج ص 46

⁵ ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، ص 223

⁶ محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، 1999م ، ص 95

وتنظيمها وتخطيطها مثل العلامة ابن خلدون في مقدمته وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر وخطط المقرئ لأحمد بن علي وخطط الشام لمحمد كردعلي .

وقد حدد مؤرخو الإسلام الأسس التي يجب مراعاتها عند إنشاء المدن وتخطيط مواضعها، ويعد ابن الربيع من أوائل الذين عرضوا لذلك، فقد حدد ثمانية شروط هي: (سعة المياه العذبة، اعتدال المكان وجودة الهواء، القرب من المرعى، والاحتطاب، إنشاء الأسواق، إقامة جامع في وسط المدينة، إحاطتها بالأسوار، توفير خدمات الصنائع وأهل العلم والتميز بين سكان القبائل وعدم الجمع بين أضدادها)^{1,2}.

واستنادا على هذه الشروط، سنبين الأهداف التي حرصت الدولة الإسلامية على تحقيقها، وبيان الأبعاد التي اعتمدتها في رؤيتها التخطيطية على النحو التالي:

■ سعة المياه العذبة:

يعد الماء شرطاً أساسياً في اختيار مواقع المدن، لأنه رمز للحياة، وفي ذلك مراعاة للنظرة المستقبلية لازدياد متوقع في عمران المدينة، وتسهيل عملية التخطيط والتنفيذ لتوصيله إلى مرافق المدينة وتكويناتها العمرانية وغدت عذوبة الماء من المميزات الرئيسة التي تميز مدينة عن أخرى فقد تميزت بغداد

¹ أحمد بن محمد ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك دمشق، دار كنز، 1996 م، 107-108

² تردد ذكر هذه الشروط بصيغة أو بأخرى في المصادر الجغرافية عند ابن خلدون وابن الأزرقي في القرن التاسع الهجري، حيث أكد أن ما يجب مراعاته في أوضاع المدن أصلاً من ممان، دفع المضار و جلب المنافع، و فصلاً تفصيلاً، كل أصل منها بما يتضمن هذه الشروط تفصيلاً مستفيداً من التجربة تتعلق باختيار مواقع المدن وتخطيطها، فعن اختيار الموقع يشيران إلى أن ما يجب مراعاته في أوضاع المدن أصلاً من ممان :: دفع المضار و جلب المنافع و يفصلان بأن المضار نوعان : أرضية و يتم دفعها من خلال إحاطة المدينة بسياج الأسوار و وضعها في ممتنع، كهضبة متوعدة من الجبل و إما باستدارة نهر أو بحر بها، كي يصعب منالها على الأعداء، و النوع الثاني من المضار سماوي و يتم دفعه باختيار مواضع طيبة الهواء، علماً أن الهواء يفسد إذا كان راکداً، أو إذا جاور مياهها فاسدة أو مروجاً خبيثة، و لذلك تفسد حالته و تتكون الأمراض التي سرعان ما تنتقل إلى الكائنات الحية و جلب المنافع يتم بتوفير أمور أساسية، كالماء و طيب مرعى السائمة، و قرب المزارع الطيبة و القرب من البحر، لتسهيل الحاجات البعيدة. ابن خلدون، المقدمة، ج 1 ص 617 - 618. محمد بن علي ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك، العراق، وزارة الاعلام 1977م، ج 2 ص 277 - 279

بعذوبة مائها، فوصفها القزويني (1261م - 682 هـ) قائلاً : " بأنها أم الدنيا وجنة الأرض، ومدينة السلام، وهواؤها ألطف من كل هواء، وماؤها أعذب من كل ماء " ¹ .

وتشير الروايات التاريخية إلى اهتمام السلطة بتوفير الماء العذب للمدن الإسلامية ومدى مشاركة العامة في التعاون على إنشاء المنشآت المائية والمحافظة عليها، ومن هذه الروايات التي تشير إلى اهتمام الحكام بتوفير الماء، ما ذكره الخطيب البغدادي (1069 م - 463 هـ) من أن المنصور مد قناة من نهر دجيل المأخوذ من دجلة، وقناة من نهر كرخا المأخوذة من الفرات وجرها إلى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج ²، وأدخلت كل قناة في الشوارع والدروب صيفا و شتاء ³ .

■ اعتدال المكان وجودة الهواء:

اهتم المسلمون بجودة الهواء، واعتدال المكان لاختيار مواقع المدن لما فيها من اعتبارات بيئية وصحية، حيث استفاد الحكام من مشورة الحكماء في اختيار المواقع التي يتوفر فيها الهواء الجيد، والمكان المعتدل، وذلك في السواحل والجبال ومهب الشمال، لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وتحسن أمزجتها وتجنبوا الأجسام ⁴ والجزائر وأعماق الأرض لأنها تبعث الأسقام والأمراض ⁵. وفي هذا ما يدل على العلاقة بين المناخ وجودة الهواء، وبين طبائع الناس وحالتهم النفسية والمزاجية ⁶. ففقي وصف القزويني لمدينة أصفهان ما يعكس ذلك من منظور تطبيقي، حيث يقول: (إنها مدينة عظيمة من أعلى المدن ومشاهيرها، جامعة لأشتات الأوصاف الحميدة من طيب التربة، وصحة الهواء وعذوبة الماء، وصفاء الجو، وصحة الأبدان وحسن صورة أهلها) ⁷.

¹ زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، بيروت، دار صادر، 1960 م، ص 313

² الصاروج: خليط يستعمل في طلاء العمران والأحواض، أنيس، المعجم الوسيط، ج 1 ص 511

³ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1931 م، ج 1 ص 79

⁴ الأجسام: الشجر الكثير الملتف ينظر على الشائكة ar-ar... > <https://www.almaany.com> بتاريخ 2021/02/21

⁵ البغدادي، تاريخ بغداد، ج 1 ص 7-8

⁶ هذه الفكرة أكدها ابن خلدون في المقدمة،

⁷ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 296

وكان من وسائل اختيار جودة الهواء المبني ليلة أو أكثر بالمكان، وفي أوقات مختلفة، بالإضافة إلى استرشاد المسلمين بأهل المكان وسؤالهم عن جودة الهواء فيه¹.

ولجودة الهواء أو فساده علاقة وطيدة بانحسار الأمراض أو انتشارها، وهذا الأمر يمس مباشرة بالنواحي الصحية للمجتمع المقيم فيها، وقد أشارت إلى ذلك مصادر التراث الإسلامي، مادحة تلك المدن التي تتميز بطيب هوائها الذي له صلة مباشرة بقلّة الآفات والأمراض، وفي ذلك يصف القزويني مدينة صنعاء فيقول: (إنها قليلة الآفات والعلل، قليلة الذباب والهيام، إذا اعتل انسان في غيرها ونقل إليها يبرأ، وإذا اعتلت الإبل في مروجها تصح)².

■ القرب من المرعى والاحتطاب:

فصل ابن خلدون وابن الأزرقي هذين الشرطين موضعين أهميتهما، فيذكران: (إن من أصول اختيار مواقع المدن، جلب المنافع ومن أصول جلب المنافع: طيب مرعى السائمة وقربه وقرب المزارع الطيبة لاشتغالها على الزرع الذي يمثل القوت والشجر للحطب والخشب)³ ويلاحظ بأن توفر المرعى للغذاء والحطب للبناء يدفعان بعجلة العمران وتطور المدينة، ومن المدن التي تحقق لها هاذان الشرطان الموصل التي تمزت بسعة سوادها⁴، حيث كانت تمد بغداد بالغذاء مدة أربعة أشهر⁵.

■ إنشاء الأسواق:

إن إنشاء الأسواق في المدن كان من محاور النهضة بعمرانها فهو من متطلبات الجماعة وأحد الركائز الاقتصادية. ونشأة الأسواق في المدن تعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أنشأ سوقاً للمدينة، وهذه السوق عبارة عن ساحة خالية من البناء، سمح لأهل المدينة باستغلالها دون دف أجر، ومنع البناء فيها، ولكن من جانب آخر شكلت هذه السوق بداية تطور عمراني استمر بعد ذلك

¹ على سبيل المثال: اختار الحجاج موقع واسط بعد أن أرسل رجلاً إلى هناك، و بات بها و استطاب هواءها، و استعذب أنهارها، و مدح له الموضع، واستقر طعماًها، الحموي، ياقوت بن عبد الله معجم البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990 م، ج 5 ص 401. وكذلك الأمر بالنسبة للخليفة المنصور حيث اختار موقع بغداد بعد أن كلف بعض رجاله بالمبيت فيها، ليدرسوا أحوالها الصحية، ن. م.، ج 1 ص 543

² القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ص 430

³ ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك، ص 278-279

⁴ السواد يعني: مجموعة النخل والشجر والنبات، لأن الحضرة تقارب السواد، و يقال: خرجوا إلى سواد المدينة: أي ما حولها من القرى والريف، أنيس، المعجم الوسيط، ج 1 ص 461

⁵ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 461

في المدن الإسلامية في عصورها المتتابعة¹. وتطور إنشاء الأسواق في العصر الأموي مع تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدن الإسلامية، حيث تم بناء الأسواق وتغطيتها ببيئة معمارية، كفلت وجود حوانيت للتجارة، وتبلور لتخطيط الأسواق وعمارتها في العصر العباسي، وتطور تطورا واضحا بتطور عمران المدن الإسلامية. فعند تخطيط بغداد بنقل التجار خارجها حرصا على نظافة المدينة وهدوئها، وأنشأ الكرخ ليضم التجار فيها، وحدد لكل أهل تجارة مكانا لهم يختصون فيه بتجارته². ولما اعتبرت السلطة السوق مصدر دخل هام، لذلك أنشأت مؤسسة إدارية تتولى مهمة الإشراف عليه وتنظيمه ومراعاة الأبعاد الصحية والبيئية فيه³.

■ إقامة جامع في وسط المدينة:

المسجد هو من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية، لما له من دور أساسي في حياة مجتمعها فبالإضافة إلى وظيفته الدينية، فقد شكل مركزا لبحث الشؤون السياسية والدينية والتربوية، ففي المسجد استقبل الرسول عليه الصلاة والسلام سفراء الدول، لتنظيم علاقاته بدولهم، وفيه كان يخطب في جماعة المسلمين وينظم شؤونهم و يعلمهم أمور دينهم، وفي زمن الخلفاء الراشدين، كان الخلفاء يعلنون من منبر المسجد الأحداث التي تواكب الفتوحات ويرشدون الجيوش بخطب تسبق تحركهم⁴. واشترط أن يكون موقع الجامع في وسط المدينة، ليسهل الوصول إليه من أطراف المدينة للصلاة الجامعة، وتلبية لهذه الغاية تم تخطيط شوارع المدينة باتجاه المسجد الجامع، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في المدن الإسلامية وأرباضها، كالمدينة المنورة والبصرة والكوفة وواسط وبغداد وفاس وغيرها.

■ إحاطتها بالأسوار:

¹ عثمان ، الدينة الإسلامية ، ص 253

² نفس المصدر السابق ، ص 255

³ هذا الأمر من اختصاص مؤسسة الحسبة التي سأخصص لها بحثا خاصا لبيان وظائفها و مساهمتها في معالجة القضايا البيئية ، و دور المحتسب في عملية الإشراف على الأسواق و متابعة نظافتها .

⁴ حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، 1939 ، ص 199

يشير هذا الشرط إلى أهمية تحصين المدينة، وذلك من خلال إنشاء الأسوار حولها ليمكن أهل المدينة من الدفاع عنها من هجوم الأعداء، واعتبر السور في العصور القديمة من المعايير الحضرية التي تميز المدينة، لأنه يوفر الأمن والأمان لسكانها .

■ توفير خدمات الصنائع وأهل العلم:

يعكس هذان الشرطان الخدمات الاقتصادية والاجتماعية الهامة للمدينة، والمقاييس الحضرية لأي مجتمع حضري، وقد عني الحكام المسلمون بتوفير هذه الحاجات، كما فعل الحجاج عند إنشائه لواسط، فجلب إليها أهل العلم والصنائع والتجارات وأقطع كلا منهم إقطاعاً في المدينة لتقوم الحياة بها¹، وهناك الخليفة المهدي الذي سكن هو وأهله بالمهدية، وأسكن العامة في زويلة، وكانت أموالهم ومصالحهم بالمهدية، وبزويلة مساكنهم فكانوا يدخلون المهديّة في النهار للمعيشة، ويرجعون في الليل إلى أهلهم، فقليل للمهدي (إن رعتك في هذا في عناء، فقال : لكن أنا في راحة لأنني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم، وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم، فأمن عائلاتهم بالليل والنهار)² .

وأدت هذه الفئات إلى تطوير المدينة الإسلامية فتقدمت الصناعات وازدهرت التجارات مما دفع مؤسسة الخلافة إلى تكليف المؤسسات التي تمثلت في السلطة الإدارية ممثلة في الوالي وأعوانه وفي السلطة القضائية³، وأجهزة الأمن والمراقبة كأجهزة الشرطة والمحتسب لمتابعة هذه الصناعات والتجارات المختلفة مراعية في ذلك الأبعاد الصحية والبيئية .

■ التمييز بين سكان القبائل وعدم الجمع بين أضدادها:

يبرز هذا الشرط مدى أهمية الجانب السياسي عند تخطيط المدن بمعنى يجب على الحاكم مراعاة مشكلة الصراع بين الأجناس المختلفة والفصل بينهم، أثناء تخطيطه لمدينته، فقد أشار ابن الربيع إلى هذا الشرط بسبب مشكلة صراع الأجناس التي كانت سائدة في عهد الخليفة المعتصم في بغداد،

¹ القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد ص 478- 479

² نفس المصدر السابق ، ص 276

³ سيتم التحدث عن منهجية و دور مؤسسة القضاء في حماية و مراعاة الشؤون البيئية بعد مؤسسة الخلافة .

وتحديدا عند إثارة المعتصم الأتراك على الجنسين العربي والفارسي وإنشائه مدينة سامراء ، واتخاذها مركزا للخلافة¹ .

تكشف هذه الشروط عن رؤية تخطيطية للمدينة الإسلامية، حيث حرصت الدولة الإسلامية (مؤسسة الخلافة) على الجمع بين توفير أهم الاحتياجات المادية، والاجتماعية والسياسية والدينية لمجتمع المدينة الإسلامية مما يؤكد عمق الفكر الإسلامي ورؤيته السليمة في تخطيط المدن، وكذلك تركزت هذه الشروط على توافر المرافق العامة كالمساجد، والماء العذب، والهواء الجيد، والأسواق، والصنائع العامة، باعتبار أن السلطة مسؤولة عن توافرها كما ونلاحظ المنهجية في ترتيب هذه الشروط، ومراعاتها للأبعاد الصحية والبيئية، بما يكفل حياة إسلامية مستقرة، وشروطا بيئية مريحة للسكان.

ب - مؤسسة القضاء:

القضاء من الوظائف الداخلة في الخلافة، لأنه منصب يعنى بالفصل بين الناس في الخصومات حسبا للتداعي وقطعا للتنازع، معتمدا في ذلك على الأحكام الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة²، وهو بمثابة المظهر العملي الحازم للإلزام الناس باحترام أحكام الشريعة وإعلان هيبتها ونفوذها وتطبيقها في العلاقات الاجتماعية لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإبراز العدل والإنصاف بين الناس³.

ولما كان النظام القضائي مظهرا من مظاهر إقامة العدل، وتحقيق مصالح الناس، ودفع الضرر عنهم، فقد اهتم به فقهاء الإسلام وخلفاؤه، فأقروا شروطه وأركانه، ووضعوا خطته، وحددوا مجالاته في المسائل الجنائية⁴، أو الأحوال الشخصية أو في القضايا التجارية أو الإدارية أو أمن الدولة⁵.

¹ عثمان ، المدينة الإسلامية ، ص 116

² ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ص 165

³ الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج 9 ، ص 774

⁴ تجدر الإشارة بأنه لم يكن للقضاة في الإسلام غير النظر في المسائل المدنية ، أو نظام الأموال ، و الأحوال الشخصية ، أما القضاء الجزائي في الجرائم وإقامة الحدود ، و النظر في المظالم من اختصاص الخلفاء والأمراء ، و لكن في عهد الخليفة معاوية ، أجاز للقضاة البث في المسائل الجزائية المحدودة ، الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج 9 ص 894 .

⁵ ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، ص 62- 72 الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ص 774- 784 ، سلجان بن خلف الباجي ، فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء و الحكماء ، البار العربية للكتاب ، 1985 ، ص 128-131

ومن بين القضايا التي عالجها القضاة، منع التعدي على الطرق والأفنية العامة¹، والحكم في القضايا المتعلقة بتلوث البيئة، مثل تلوث الهواء بالدخان الناتج عن الأفران والروائح الكريهة من المدايع - كما أسلفت سابقاً - والحكم في إخراج مياه الميازيب² في الطرق .

وروى ابن الرامي في كتابه الإعلان بأحكام البنين أحكام القضاة في مياه الميازيب التي يجوز تصريفها في الطرقات، وعقوبة الأشخاص الذين لا يمتثلون لأوامر القضاة على النحو التالي:

□ ناقش القضاة قضية إلقاء مياه الميازيب في الطرق العامة تبعا لمصدرها، فإن كانت مياه أمطار فيجوز إلقاؤها³، وإن كانت مياه مستعملة تشمل الأوساخ والقاذورات - منع إلقاؤها لأنها مليئة بالملوثات ، فتؤذي الناس برائحها الكريهة، وتسبب الأمراض .

□ حكم قاض على شخص بالتعزير⁴، حيث ضربه ثلاثين سوطاً، وطوفه مائة مرة في الرقاق لأنه أخرج مياه داره المستعملة في الطريق العامة.

□ باع شخص رياضاً لأناس متفرقين، فاشتري رجل جزءاً من تلك الرياض، مجاورة لدار قديمة، فبنى الرجل داراً، وأحدث قناة كي يجري فيها ماء المطر، والغسالات، والأثقال⁵، فاشتكى صاحب الدار القديمة إلى القاضي أبي إسحاق ابن عبد الربيع، وقال له: إنما كنت بإزاء داري رياض، ولم تكن فيه قناة، فأمر القاضي بقلع القناة، وأن يترك ماء المطر يخرق فوق وجه الأرض⁶.

□ مسجد قديم خرب ما حوله من الدور، فجعلت دوراً للدين، وبعد زمن، قام محتسب وقطع ذلك ونقلت إلى خارج البلد، ثم قرر أهل تلك الدور عودها دوراً للدين، فمنعهم أهل المسجد وقالوا: تدركنا الأنتان والقذارات، ويلحق المسجد بعض ذلك مع قدمه، فلجأ أصحاب

¹ ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، ص 66

² الميازيب : جمع ميزاب و هو قناة أو أنبوب يصرف به الماء من سطح بناء أو موضع عالي ، أنيس ، المعجم الميسر ج 1 ص 15

³ بالنسبة لمياه الأمطار فهناك حكمان : فإن بنى رجل داراً ، وأنشأ ميزاباً لماء المطر في مكان ضيق يضرب بجائط جاره الذي يقابله ، فيجب إزالة الميزاب حتى وإن كانت فيه مياه أمطار ، والثاني إن أنشأ رجل ميزاباً لمياه الأمطار في مكان واسع لا يضرب بجاره فله أن يبقيه ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، القاهرة ، دار الفتوى ، 2000 ، ج 2 ص 461

⁴ التعزير : عقاب المذنب أو المخالف لأمر لم تشرع فيها الحدود ، و يترك أمر العقاب فيها لولي الأمر ، و يختلف التعزير و حال المذنب نفسه و هو أنواع مثل التوبيخ و الزجر بالكلام و الحبس و النفي عن الوطن و الضرب ، و قد فصلت كتب الفقه الأصول المتبعة في هذه الأنواع ، ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، ص 283-279

⁵ الأثقال : ج ثقل و البصاق و الزبد . أنيس ، المعجم الوسيط ج 1 ص 86 ، و المراد أوساخ البيت مجمعة من المرحاض و غيره .

⁶ ابن الرامي ، الإعلان بأحكام البنين ، ج 2 ص 441

دور الدبغ إلى القاضي أبو القاسم بن زيتون - قاضي تونس- ليبث في قضيتهم، فحكم القاضي بعدم أحقيتهم في إعادة الدور للدبغ ما دام ربح الدبغ و تنته مؤذيا لأهل المسجد¹ .

□ سئل القاضي اللخمي عن حكم حفرة جعلت لجمع الأزبال، والقذارة، فتضر المارين إلى المسجد والجيران، فحكم القاضي بإزالة هذه الحفرة، وأخذ مالكيا ببناء حائط عليها لمنعهم من إلقاء القاذورات فيها من مضرة عظيمة².

تشير الحالات السابقة إلى أهمية النظام القضائي في حماية البيئة ومنع ملوثاتها بجميع مصادرها، حيث أنشأ القضاة أحكاما خاصة لمعالجة قضايا التلوث، ومنع الإضرار بحقوق الناس الخاصة، كأن تضر مياه الميازيب بحقوق الجيران، أو تضر بالحق العام من خلال إلقاءها في الطرقات العامة، هذا فضلا عن التعزيزات -بأنواعها المختلفة - التي نفذها القضاة تجاه المسيئين بحق البيئة.

ج - مؤسسة الوقف الخيري:

هي مؤسسة انتشرت في العالم الإسلامي منذ عهد النبوة والصحابة وتقوم على أساس الصدقة الجارية، بأن يحبس الإنسان الأصل المالي ويسبل ثمرته، وأن يجعلها موقوفة على الخيرات، وسد الثغرات في حياة الناس، ومراعاة الشؤون والقضايا البيئية³.

ويمثل دور الوقف في حماية البيئة فيما يلي⁴:

- الوقف على المياه ومواردها وقنواتها من أجل حمايتها من كل ألوان التلوث وتيسير الحصول عليها نظيفة صالحة للشرب، فوقف استصلاح المياه أسهم بدور إيجابي في حماية البيئة من الأمراض المهلكة ونشر الوعي الصحي.
- الوقف على الأشجار لحماية البيئة من تلوث الهواء حيث تؤدي الأشجار رسالة عظيمة في حماية البيئة عن طريق التمثيل الضوئي الذي يمتص ثاني أكسيد الكربون الذي يعتبر من مصادر التلوث الخطيرة وينتج الأوكسجين نهارا.

¹ أبو القاسم بن أحمد البرزلي (1438م - 841هـ) فتاوى البرزلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 200م ، ج 4 ص 388

² نفس المصدر السابق ، ج 4 ص 389

³ القرضاوي رعاية البيئة في شريعة الإسلام ، ص 244

⁴ الدسوقي ، دور الوقف في حماية البيئة ، ص 75-77

□ للوقف أثره في المدينة الإسلامية من حيث التعمير وإمداده وذلك لأن ريع المنشآت الموقوفة كان ينفق منه على بناء ما تهدم من هذه المنشآت وترميمها وكذلك فإن رعاية المنشآت الموقوفة كالدور والخوانيت والحنانات والحمامات والمصحات يكشف عن أهمية الوقف وأثره في حماية البيئة، لأن المنشآت التي تهدم إذا تركت من دون تجديد أو ترميم تصبح مرتعا خصبا للهوام والقوارض، مما يؤثر سلبا على صحة البيئة وسلامتها.

□ امتدت رعاية مؤسسة الوقف للقضايا البيئية في وقفها الأموال للمنشآت العامة في المدينة الإسلامية، بغية النظافة المادية، فقد حرص أصحاب المنشآت الموقوفة لأغراض دينية أو خيرية كالمساجد والمدارس والأسبلة، على تعيين الكناسين الذين يقومون بكنس الشوارع التي تطل عليها هذه المباني ورشها بالماء ومن أمثلة ذلك ما فعله السلطان برقوق بمدرسته بشارع المعز لدين الله بالقاهرة.

وهكذا يتأكد دور الوقف في حماية البيئة ودفع صور التلوث عن عناصرها الطبيعية كمصادر المياه والأشجار وعناصرها المشيدة كالمرافق والمنشآت العامة.

د - مؤسسة الحسبة:

تعتبر مؤسسة الحسبة قطب الرحي وحجر الزاوية في بناء نظام القضاء العادي وولاية المظالم¹ فاعتبرها ابن خلدون من الخطط الدينية الشرعية كإمامة الصلاة، والفتوى والجهاد، التي تندرج تحت الخلافة، وهي متداخلة فيها لعموم نظر الخلافة في الأمور الدينية والدنيوية، وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم². وقد عني الأئمة بولاية الحسبة عناية كبيرة، ووضعوا فيها المؤلفات مفصلين أحكامها، وأركانها وشروطها، ووضع القواعد في مهماتها³ ومن خلال نظام الحسبة، ساقوم بإبراز دوره وكيفية مساهمته في حماية البيئة، وبيان الأسس والإجراءات التي اتبعها هذا النظام للتحكم في الملوثات وإزالتها، ولتحقيق هاتين الغايتين لا بد أن نتطرق إلى كل ما يتعلق بها على النحو التالي:

■ حقيقة الحسبة:

وهي تشمل تعريف الحسبة لغة واصطلاحاً، مشروعيتها، نوعية وجوبها .

■ أركانها: المحتسب، المحتسب فيه، والمحتسب عليه، ونفس الاحتساب .

■ الحسبة لغة:

الحسبة بكسر الحاء اسم من الاحتساب⁴ وكلمة الاحتساب لها عدة معان، ومنها:

■ طلب الأجر: ⁵ وقد وردت كلمة الاحتساب بهذا المعنى في عدة أحاديث، ومنها قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)⁶ .

■ الاعتداد: يقال: احتسب عند الله خيراً إذا قدمه، أي اعتده فيما يذخر⁷ .

■ الكفاية والتدبير: و منه قولهم: (فلان حسن الحسبة في الأمر) أي حسن التدبير والكفاية¹ .

¹ ولاية المظالم : هي بمثابة محكمة الاستئناف العليا في عصرنا تعرض عليها القضايا ، إذا عجز القاضي عن تنفيذ حكمه في قضية رجل من عليه القوم ، أو يلجأ إليها المتقاضون إذا اعتقدوا أن القاضي لم يحكم بينهم بالعدل و الغرض الأساسي من إنشائها هو وقف تعدي وي الجاه و الحسب ، و لهذا كانت تسند رئاسة ديوان المظالم لرجل جليل كثير الورع ، يعرف باسم قاضي القضاة . حسن ، النظم الإسلامية ، ص 352

² ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص 166

³ ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ص 284-307 ، محمد محمد ابن الأخوة ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، كيجرج ، مطبعة دار الفنون ، 1937 م ، ج 7 ص 160 ، أبو الحسن علي ابن بسام ، الشتريني ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، بغداد ، مطبعة المعارف ، 1968 ج 10 ص 216 ، الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، بيروت ، دار الثقافة ، 1969 ، ج 6 ص 176 ، الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 2 ص 418-466

⁴ ابن منظور ، لسان العرب ج 1 ص 314 ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، بيروت ، دار الجيل ، ج 1 ص 56

⁵ مجمع اللغة العربية ، المعجم الكبير ، ج 5 ص 320

⁶ النووي ، رياض الصالحين ، ص 316

⁷ الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 147

- **الاختبار:** يقال: (احتسبت فلانا) أي اختبرت ما عنده والنساء يحتسبن ما عند الرجال لهن. أي يختبرن، وقال أبو عبيد ذهب فلان يتحسب الاخبار، أي يتجسسها ويتحسسها²
- **الإنكار:** يقال: (احتسب فلان على فلان) أي أنكرك عليه قبيح عمله³. ومنه المحتسب الذي ينكر على الناس قبيح أعمالهم⁴.
- **الحسب:** ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، ويقال: الحسب الذي ينبغي للعاقل أن يحسبه في مفاخراته هو الدين ويقال التقوى ويقال العقل⁵.
- **الحسبة اصطلاحاً:**

عرف جمهور الفقهاء والعلماء الحسبة: (بأنها أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا فعله)⁶، وأضاف آخرون للمعنى الاصطلاحي السابق بعض الإضافات على النحو التالي:

□ عرفها ابن بسام: هي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإصلاح بين الناس⁷.

□ أما ابن تيمية، فقد أدمج الحسبة في الولايات الإسلامية الأخرى، مثل ولاية الشرطة و ولاية القضاء و ولاية المظالم و ولاية المال وقرر أن مقصودها جميعا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر⁸ لأن عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حاصل في الولايات الإسلامية حسب ما يملكه صاحب الولاية من اختصاص، ولصلة بعض مهام المحتسب بالولايات السابقة، فهو ينظر في المنازعات الظاهرة التي لا تحتاج إلى أدلة إثباتية كدعاوي الغش والتدليس وتطفيف المكيال والميزان، فهو بهذا كالقاضي يحكم بالحق لصاحبه و يؤدب مرتكبي المعاصي التي ترتكب جهرًا ، أو تخل بآداب الإسلام فهو بهذا كناظر المظالم، ويرعى النظام والآداب والأمن في الشوارع والأسواق، مما لا تجوز مخالفته فيكون بهذا كالشرطة⁹.

¹ البستاني ، محيط المحيط ، ص 167

² ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ص 315

³ مجمع اللغة العربية ، المعجم الكبير ، ج (ص 329

⁴ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج 1 ص 37

⁵ الجوهري ، الصحاح ، ج 1 ص 168

⁶ ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، ص 284 ، ابن الأخوة ، معالم القرية في أحكام الحسبة ص 7

⁷ المشتري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص 10

⁸ أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية ، الحسبة و مسؤولية الحكومة الإسلامية ، القاهرة ، مؤسسة دار الشعب ، 1976 ص 13-14

⁹ تشترك ولاية الحسبة مع ولايتي القضاء و المظالم في مهمة القضاء بالمعنى العام ، لكن وظيفة المظالم أعلاها ثم رتبة القضاء العادي ، ثم ولاية الحسبة ، و قد أوضح ابن الفراء أوجه الشبه و الاختلاف بين وظائف الولايات ، و تمثل أوجه الشبه بين القضاء و الحسبة في أمرين : الأزل : جواز الاستعداد (الادعاء الشخصي)

□ وعرفها ابن خلدون: " بأنها وظيفة دينية، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين ، يعين لذلك من يراه أهلاً له ، فيتعين فرضه عليه ، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل المنع من المضايقة في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار من الحمل، والحكم على المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة " ¹.

ويستدل مما تقدم سابقا التطابق اللغوي والاصطلاحي لكلمة الحسبة مع طبيعة الحسبة، وصفات المحتسب ومؤهلاته الشرعية، ويظهر ذلك فيما يلي:

- تدل بعض معاني التعريفات اللغوية والاصطلاحية على طبيعة الحسبة من حيث هي عمل من أعمال القرية إلى الله تعالى وأصلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقوم بها المحتسب دون أجر ينتظره من أحد غير الله سبحانه وتعالى، ومن هذا يتطابق أصل الاحتساب اللغوي والاصطلاحي مع طبيعة وإحدى مهام المحتسب.
- تشير بعض المعاني اللغوية والاصطلاحية إلى شخصية المحتسب من وصفه بحسن التدبير والعقل والدين والتقوى، وتعد هذه الصفات في غاية الأهمية للمحتسب، لأن عمله يتطلب البحث في مصالح المسلمين، وإزالة المنكرات، وإحقاق العقوبات على قدرها، والحد من انحراف المنحرفين وتقويمهم على الجادة التي شرعها الله، وبينها رسوله.
- تدل بعض المعاني الاصطلاحية على تداخل وتشابك بعض مهام ولايتي القضاء والمظالم مع مهام الحسبة فهذا الأمر يشير إلى تضافر الجهود بين الولايات السابقة لتحقيق غاية

إلى المحتسب والقاضي ، و سماع كل منها دعوى المدعي في حقوق الآدميين المتعلقة بالمنكرات الظاهرة ، كفضايا الغش في الكيل و الميزان و التلبس في المبيع والتمن ، و الثاني : للمحتسب كما للقاضي إلزام المدعى عليه بوفاء الحقوق التي يجوز له سماع الدعوة فيها ، متى ثبت ذلك باعتراف وإقرار ، وكان في وسعه الوفاء بها لتمكنه ، لان في تأخير آدائها منكراً هز منصوب لإزالتها ، و أما أوجه الاختلاف بين الحسبة و القضاء تنحصر في أمرين : أحدهما : لا يحق للمحتسب سماع الدعاوي التي يسمعها المحتسب على الحقوق المعترف بها ، فأما ما يتدخله و التناكر فلا يجوز له النظر فيه ، وبالنسبة لأوجه الشبه بين الحسبة و ولاية المظالم ، تعتمد كليهما على الرهبة و قوة الصرامة المختصة بالسلطنة ، و للقيام بهما النظر في حدود اختصاصه من غير تحقيق في الدعوة ، أما أوجه الاختلاف ، فتتلخص في أمرين : أحدهما : يجوز لوالي المظالم أن يحكم و لا يجوز لوالي الحسبة ذلك ، ثانيها : النظر في المظالم موضوع لما عجز عنه القضاء و النظر في الحسبة موضوع لما لا حاجة لعرضه على القضاء ، ابن الفراء ، الأحكام السلطانية ، 285-287

¹ ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص 168

موحدة، هي تحقيق العدل والإنصاف وحفظ الحقوق، وتطبيق أحكام الشرع لسعادة الناس في الدنيا والآخرة.

• مشروعية الحسبة:

شرعت الحسبة طريقة للإرشاد والهداية والتوجيه إلى ما فيه الخير ومنع الضرر، وقد حجب الله سبحانه و تعالى إلى عباده الخير وأمرهم بأن يدعو إليه، وكره إليهم المنكر والفسوق والعصيان ونهاهم عنه، كما أمرهم بمنع غيرهم من اقترافه.

وقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر باعتباره أصلاً لولاية الحسبة، وذلك يؤكد مشروعيتها ويبين مكانتها وفضائلها في الإسلام.

والمتنبع للنصوص التي وردت في الكتاب والسنة يلاحظ أن قسماً منها يؤكد على وجوب الحسبة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹ .²

ومما يدل على الوجوب في السنة، ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)³.

كما أن هناك آيات قرآنية تربط شرعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصل الإيمان الذي هو قوام الدين وقاعدته، وتحديد درجة العقيدة على أساس موقف الإنسان من قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

¹ آل عمران: 104.

² تؤكد الآية القرآنية على وجوب مبدأ الأمر والنهي في الأمة الذي دل عليه اقتزان الفعل المضارع بلام الأمر، التي تفيد الوجوب والإلزام، وقد حصر سبحانه و تعالى الفلاح في الدنيا والآخرة في هذه الطائفة القائمة بأمر الله في الدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر، ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 1 ص 306

³ يدل الحديث على وجوب مبدأ الأمر والنهي وفرضها في الأمة الذي تقتل في صيغة الفعل المضارع المتصل بلام الأمر (فليغيره) و تناول أيضاً مراتب الأمر والنهي ودرجات الإنكار بالنظر إلى العزيمة وحسب مقتضيات الحال، القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي ج 1 ص 267، النسائي، السنن الكبرى، ج 533

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ 1. 2

وقال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ 110 3. 4

ومما يبين فضائل الحسبة ما قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهمان من سهام الإسلام، فقد روى الحاكم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة تصوم رمضان وتحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسليمك على أهلك، فمن انتقص شيئاً منهن فهو سهم من الإسلام يدعه، ومن تركهن كلهن فقد ولي الإسلام ظهره) 5.

وتتمثل فضائل الحسبة، بكون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر صدقة يؤجر المرء على القيام بها. فقد روى الإمام مسلم عن أبي ذر رضي الله أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا للنبي يا رسول الله، ذهب أهل الدثور 6 بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم (قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة) 7

و مما يدل على فضائل الحسبة ما بينه الرسول الكريم من أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب تكفير الذنوب، فقد روى الإمام البخاري عن حذيفة أنه قال: قال رسول الله صلى

1 النوبة: 71.

2 معنى الولاية في الآية هو اتحاد قلوب قلوب المؤمنين وارتباطها برباط الإيمان بالله، و ولاية النصرة في الدفاع عن الحق والعدل والملة وأداء الشعائر الدينية وطاعة الله ورسوله فيما أمر وترك ما نهى عنه، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، بيروت، دار الكتب العلمية، 1999 م، ج 10 ص 470-473

3 آل عمران: 110.

4 في هذه الآية دلالة عظيمة على مكانة الأمة المحمدية بين الأمم وتكريم الله لها بأن جعلها خير الأمم و نافعة للعالم الأخرى، تدعوها إلى الدين الحق، ولا يتم هنا الأمر إلا إذا تحققت ثلاثة شروط هي: الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، ج 1 ص 307-308

5 المنذري، الترغيب والترهيب، ج 3 ص 232

6 الدثور بضم الدال، جمع دثر بفتحها وهو المال الكثير، القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 4 ص 113

7 القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 4 ص 113

الله عليه وسلم: (فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)¹.

وتظهر مكانة الحسبة من هذا الحديث الشريف حيث نص الرسول الكريم على كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب تكفير الفتنة.

وكل ما ذكر سابقا عن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقتزانه بالإيمان وكونه سهما من سهام الإسلام ويؤجر من يقوم به ويكفر الذنوب، فكل هذا يدل على مشروعية الحسبة وبيان مكانتها العظيمة في الإسلام.

• نوعية وجوب الحسبة:

استدل العلماء على وجوب الحسبة في الجملة لأنها ترتكز على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ووصف به هذه الأمة، وفضلها لأجله على سائر الأمم التي أخرجت للناس².

واختلف العلماء في نوعية وجوب الحسبة، فمنهم من يرى أنها فرض كفاية³.⁴، واستدلوا بذلك من خلال اعتمادهم على الآية القرآنية: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁵ فأشاروا بأن من في قوله تعالى: ﴿مِنْكُمْ﴾ تفيد التبعية، وتدلل على أنه فرض على الكفاية، إذا قام به بعضهم سقط عن الباقيين⁶، وأثبتوا أن هناك ما يؤكد أن

¹ النسائي، السنن الكبرى، ج 1 ص 144

² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 2 ص 418، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995، ص 183

³ فرض كفاية: وهو ما طلب الشارع فعله من مجموع المكلفين، فإن فعله أحدهم سقط التكليف عن الباقيين، كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجهيز الموق ودفنهم والاشتغال بعلوم الشرع والقيام بالصناعات الضرورية لحياة الناس، قلعجي، موسوعة فقهية ميسرة، ج 1 ص 765، رفيق العجم، أصول الفقه عند المسلمين، بيروت، مكتبة لبنان، ناشرون، 1998، م، ج 2 ص 1078.

⁴ ومن صرح بذلك: أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن، ج 2 ص 315، وأبو يعلى الحنبلي في الأحكام السلطانية، ص 284، والغزالي في إحياء علوم الدين، ج 2 ص 419، وابن العربي في أحكام القرآن، ج 1، ص 291 والقرطبي في الجامع في أحكام القرآن، ج 2 ص 106

قال عمران: 104.

⁶ أحمد بن علي الجصاص، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985، ج 2، ص 315

الحسبة فرض كفاية، وليست فرض عين، إذ لم يقل سبحانه وتعالى: (كونوا كلكم آمرين بالمعروف) بل قال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾¹.²

واستدلوا كذلك بأن الاحتساب يسقط بقيام بعضهم به عن الآخرين، ولو لم يكن فرضاً على الكفاية ما كان قيام بعضهم به سبب سقوطه عن الآخرين وفي هذا يقول الإمام أبوبكر الجصاص: (والذي يدل على صحة هذا القول أي كونه فرض كفاية أنه إذا قام به بعضهم سقط عن الباقيين الجهاد وغسل الموتى وتكفينهم والصلاة عليهم ودفنهم، ولولا أنه فرض على الكفاية لما سقط عن الآخرين بقيام بعضهم به)³.

و منهم من يرى أنها فرض عين⁴،⁵ مستنديين في ذلك على آيتين من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁶، فأشاروا بأن "من" في قوله تعالى: "منكم" تفيد بيان الجنس وليس التبعيض، ومعنى الآية على هذا التأويل: أمر سبحانه وتعالى الأمة بأن يدعوا جميع العالم إلى الخير، فيدعون الكفار إلى الإسلام، والعصاة إلى الطاعة، ويكون كل واحد في هذه الأمور على منزله من العلم والقدرة⁷.

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَثُمُوتُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁸ قالوا: بين الله سبحانه وتعالى أن من شروط الانتماء إلى هذه الأمة الاتصاف بثلاث صفات، وهي الأمر بالمعروف

¹ آل عمران: 104.

² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 2 ص 419

³ الجصاص، أحكام القرآن، ج 2 ص 315

⁴ فرض عين: وهو ما طلب الشارع فعله من المكلفين بأنفسهم كالصلاة والصيام، ولا تصح فيه الإنابة ولا يسقط عن المكلف بفعل الغير، العجم، أصول الفقه عند المسلمين، ج 2 ص 1078، قلعهجي، موسوعة فقهية مبصرة، ج 1 ص 764

⁵ ومن هؤلاء ابن كثير في مختصر تفسير ابن كثير، ج 1 ص 306، ابن حزم في المحلى بالآثار، ج 1 ص 46، محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ج 4 ص 22

⁶ آل عمران: 104.

⁷ رضا، تفسير المنار، ج 4، ص 48

⁸ آل عمران: 110.

والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى، حيث إن الانتماء إلى هذه الأمة واجب عيني، يكون الاتصاف بتلك الصفات واجبا عينيا أيضا، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب¹.

• أركان الحسبة:

ذكر الإمام الغزالي أنها أربعة: المحتسب، والمحتسب فيه، والمحتسب عليه، مراتب الاحتساب². ولكل ركن من هذه الأركان حدود وأحكام وشروط تخصه:

المحتسب: وهو من نصبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصلحتهم³.

شروط المحتسب :

- الإسلام⁴
- التكليف⁵
- العلم⁶
- العدالة⁷

¹ المصدر السابق ، ج 4 ص 48

² الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 2 ص 425

³ ابن الأخوة ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، ص 7

⁴ الإسلام شرط لصحة الاحتساب لما فيه من السلطنة ولا يحق تولية الكافر منصب الاحتساب ، لأن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نصرة للدين ، ولا يكون من أهلها من هو جاحد لأصل الدين ، ابن الأخوة ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، ص 7

⁵ التكليف : هو طلب ما فيه كلفة ومشقة وشرطه القدرة على فهم الخطاب وصلاحية المكلف لصدور الفعل منه على الوجه المطلوب شرعا ، ودعامته العقل البني هو أداة الفهم ، قلعيحي ، الموسوعة الفقهية الميسرة ، ج 1 ص 569 ، والتكليف شرط لوجوب الاحتساب وتولي ولايتها ، وأما غير المكلف ، فلا يلزمه أمر ، وأما إن كان الفعل وجوازه ، فلا يستدعي إلا العقل ، وأجاز العلماء للمحتسب أن يحتسب على الصبي أثناء فعله للمنكر ، وإن لم يكن مكلفا ، فله أن يريق الحجر ويكسر الملاهي ، وإذا فعل ذلك نال به ثوابا الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 2 ص 426 ابن الأخوة ، معالم القرية في أحكام الحسبة ، ص 8

⁶ العلم : المقصود أن يكون المحتسب عارفا بأحكام الشريعة ، ليعلم ما يأمر به وينهى عنه ، لأن الجاهل بها ربما استحسن ما قبحه الشرع وارتكب المحذور وهو غير ملم بالعلم به ، واختلف الفقهاء وعلماء الأصول في اشتراط كونه من أهل الاجتهاد على قولين : فقال بعضهم وهو أبو سعيد الاصطخري : يشترط وله بالتالي إلزام الناس برأيه واجتهاده ، وقال الأكثرون : لا يشترط ، فيس له إلزام الناس برأيه ومذهبه الاجتهادي ، فبما لا نص صريح فيه ، وعلى هذا يجوز في الراجح أن يكون المحتسب من غير أهل الاجتهاد ، إذا كان عارفا بالمنكرات المتفق على تحريمها ، ابن الفراء ، الاحكام السلطانية ص 285 ، الشجري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 6 .

⁷ العدالة : كما عرفها الجصاص : أصلها الإيمان بالله و مراعاة حقوق الله عز وجل في الواجبات والمسئونات و صدق المهجة و الأمانة ، الجصاص ، أحكام القرآن ، ج 2 ص 233 ، و صفة العدالة التي تتمثل في الأمانة وتجنب الكِبائر و مراعاة حقوق الله واجبة في المحتسب ، لأن عمله يختص بتفقد أحوال الرعية ، و مراقبة شؤونهم و زجرهم عن الخطأ و قد خالف ابن العربي المالكي باقي العلماء في وجوب صفة العدالة في المحتسب معللا بأن العدالة محصورة في قليل من الخلق والنهي عن النكر عام في جميع الناس ، محمد بن عبد الله ابن العربي ، أحكام القرآن ، القاهرة ، دار المعارف ، ج 1 ص 266 .

● القدرة¹

● آداب المحتسب²

تمنح هذه الضوابط والشروط الهيبة للمحتسب وتعينه على قمع المنكر، وتجعله نافذ الكلمة، مسموع القول وإظهار حرمة الشرع وشيوع الفضيلة واحترام الأخلاق والآداب العامة.

● المحتسب فيه:

(ما تجري فيه الحسبة): تنحصر اختصاصات المحتسب في أمرين: الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر³.

● الأمر بالمعروف:

عرفه العلماء بمعان خاصة وأخرى عامة، فبالنسبة للأولى فمنهم من قصره على الإيمان بالله⁴ ومنهم من جعله شاملاً لما طلبه الشارع على سبيل الوجوب: كالصلوات الخمس وبر الوالدين وصلة الرحم أو سبيل الندب كالنوافل وصدقات التطوع⁵، ومنهم من جعله أشمل وأعم من ذلك فقال: هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة أي أمر بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه⁶.

وفيما يخص الأمر بالمعروف، فللمحتسب الحق في مراقبة شؤون الناس المتعلقة بحقوق الله، كأداء الواجبات الدينية، من صوم وحج، فيأمر المقصرين بها ويعاقب تاركها بالضرب والحبس، ومراقبة شؤون الناس الخاصة، كالمطالبة في الديون، وكفالة الصغار، فيأمر المحتسب بأداء الحقوق عند القدرة، بشرط ادعاء المستحق لها عنده وإثبات حقه، وكذلك يأمر بالكفالة عند استيفاء شروطها، والاهتمام

¹ القدرة: بمعنى الاستطاعة وهي لازمة في عمل المحتسب، لأن طبيعة عمله تتطلب الرهبة و سلاطة السلطنة والصرامة واتخاذ الأعوان، إضافة إلى أن تولية ولاية الحسبة تفوض إليه من قبل الإمام، وتعد من فرائض الأعيان التي لا تسقط عنه إلا في حالي العجز والقصور، ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 436

² آداب المحتسب: المقصود بالأدب أي الاهتمام بالأمور الخلقية والخلقية و تتمثل الأولى كأن يتحلى المحتسب بمكارم الأخلاق وأن يكون قوله وفعله محمودين، وأن يكون عفيفاً عن قبول الهدايا من أرباب الصناعات، فينبغي للمحتسب أخذ نفسه بهذه الأمور، لأن ذلك أبلغ في استمالة الأمور و حصول المقصود و يكون عمله مقبولا و قوله مسموعا، و تحقق ولايته الهدف منها، و تتمثل الثانية بأن يظهر المحتسب بمظهر خارجي لائق بحفاظا في ذلك على سنن الرسول صلى عليه و سلم من قص الشارب و تقليم الأظافر و نظافة الثياب و تقصيرها و التعطر بالمسك و نحوه، الشرعي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 8-9، الشنتريني، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص 10-16

³ ابن الفراء، الأحكام السلطانية، ص 287 - 305، ابن تيمية، الحسبة، ص 18 - 24، ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية ص 185 - 200

⁴ مياحمد بكر مفاح الغيب، بيروت، دار المحجة البيضاء 1992م، ج 3 ص 39

⁵ الجصاص، أحكام القرآن، ج 2 ص 322

⁶ محمد بن أحمد السفاريني، غناء الألباب لشرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة 1971 م، ج 1 ص 211

بحقوق الناس العامة، كتعطل مرافق البلد العامة من تهدم أسوار ومساجد ومراعاة بني السبيل، فيأمر بتأمين هذه المرافق، إما من بيت المال أو من أغنياء المسلمين عند عجز بيت المال¹.

• النهي عن المنكر:

اختلفت عبارات العلماء في تحديد معنى المنكر والمراد منه، وانحصرت معانيه في حدود الخاص والعام، وفيما يخص الأول فمنهم من قصره على الكفر² ومنهم من استعمله في كل ما نهى عنه الشرع³، وعرفه آخرون بمعنى شامل يتضمن كل ما تنكره النفوس السليمة، وتتأذى به مما حرمه الشرع، ونفقه الطبع، وتعاطم استكباره، وقبح استظهاره في محل الملاء⁴.

وفيما يتعلق بالمنكر، فيشرف المحتسب على نوعين من القضايا:

• قضايا لها أبعاد دينية، أخلاقية، واجتماعية⁵:

بشأن القضايا الدينية، ينكر المحتسب الإخلال بأداء الواجبات الدينية، فيؤدب المقصرين في أدائها وتوفيتها، ويمنع الناس بأن يتعاملوا بالمعاملات كالربا وعقود الميسر، والبيع الفاسدة، والغش والتدليس في الصناعات وبخس الكيل والميزان⁶. وبالنسبة للقضايا الأخلاقية، يمنع المحتسب الناس من مواقف الريب ومظان التهمة، كاختلاط الرجال بالنساء في الأماكن العامة والمساجد والطرق، ويريق المسكرات على المسلم، ويفك أدوات الملاهي حتى تصير خشبا، ويؤدب المجاهر بها، وفيما يخص الأمور الاجتماعية، ينظر المحتسب في تعديات الجيران فيما بينهم يتجاوز حد الجار أو حريم داره، أو تدلي أغصان الشجرة على دار الجار، وليس للمحتسب النظر فيها إلا بادعاء شخصي من الجار.

¹ ابن الفراء، الأحكام السلطانية، ص 287-291، ابن تيمية، الحسبة ص 18-22

² أبو حبان، البحر المحيط في التفسير، ج 3 ص 289-290

³ السفاريني، غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، ج 1 ص 212

⁴ حسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز 1997 م، ج 2 ص 654

⁵ ابن الفراء، الأحكام السلطانية، ص 291-308، ابن تيمية، الحسبة، ص 22-24

⁶ بالنسبة للمنتكرات غير الظاهرة، فليس للمحتسب مراقبتها، والبحث عنها وتاديب أصحابها، لأن عمله ينحصر بالبحث عن المنتكرات الظاهرة للعين، لينكرها على فاعلها، ابن الفراء، الأحكام السلطانية، ص 293

● قضايا لها أبعاد بيئية:

في مثل هذه القضايا للمحتسب دور بارز فيها، حيث اهتم بمنطقة الشوارع والطرق، فمنع طرح الكناسة على جوانبها، وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى الانزلاق والسقوط، وكذلك منع إخراج الميازيب الظاهرة من الحيطان في زمن الشتاء، ومجاري الأوساخ الخارجة من الدور في زمن الصيف إلى وسط الطريق، لأن ذلك ينجس الثياب، ويضيق الطريق، ومنح المحتسب حولا بديلة لأصحاب الميازيب، حيث أمرهم بأن يجعلوا عوضها مسيلا محفورا في الحائط، يجري فيه ماء السطح، وبالنسبة لمخارج الأوساخ فقد كلف أصحابها لسدها في الصيف، وأن يحفروا مكانها حفرة في الدار لتجميع المياه الوسخة، وكذلك اهتم بعدم ترك مياه المطر والأحوال في الطريق من غير كسح¹ فكان يكلف الناس بالقيام بها لأنها تعد حسبة عامة، وإذا كان الماء المجمع في الطريق من ميزاب معين كلف صاحبه بكنسه على وجه الخصوص .

وبلغ اهتمام المحتسب في الأسواق أيضا حيث وضع اعتبارات متعددة في توزيع الأسواق، متفاديا في ذلك إلحاق الأضرار لأصحاب الأسواق، أو لل عامة من السكان، فمن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار كالخباز والحداد، فاهتم المحتسب بإبعادها عن العطارين والبزازين² وجعلها في أطراف البلد لعدم المجانسة بينهم وحصول الأضرار³. كذلك منع الجزارين من الذبح على أبواب حوانيتهم، فإنهم يلوثون الطريق بالدم والروث ويؤدون إلى تضيق الطريق وإضرار بالنجاسة وأمرهم بالذبح في المذبح المتواجد غالبا خارج المدينة، وارتبط بذلك قرب أسواق اللحم من المدينة الخارجية، لتسهيل نقل اللحم من هذه المذامح إلى حوانيت القضاة دون الحاجة إلى عبور شوارع المدينة في اتجاه المركز⁴.

¹ الكسح: الكناسة، أنيس، المعجم الوسيط، ج 1 ص 787

² البزازين: أصحاب محنة الثياب، أنيس، المعجم الوسيط، ج 1 ص 54

³ المشتريين، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 17

⁴ ابن الأخوة، مع لم القرية في أحكام الحسبة، ص 99

● المحتسب عليه:

المحتسب عليه هو المأمور بالمعروف والمنهي عن المنكر سواء كان مسلماً أو غير مسلم عاقلاً أو مجنوناً بالغاً أو غير بالغ، وشرطه أن يكون ملائماً لمفسدة واجبة الدفع، أو تاركاً لمصلحة واجبة¹.

● نفس الاحتساب (مراتب الاحتساب):

ذكر بعض العلماء درجات الاحتساب التي يتبعها المحتسب تجاه مقترفي المنكرات، فهي مدرجة تدريجياً وفقاً لأحوال الناس، وقدر المنكرات².

أما الدرجات فأولها التعرف³، ثم التنبيه والتذكير⁴ ثم النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى⁵ ثم الزجر والتأنيب والتقريع باللسان والقول الخشن⁶. ثم التغيير باليد⁷ ثم التهديد والتخويف بالضرب⁸ ثم مباشرة الضرب وتحقيقه⁹ ثم استعانتته بالأعوان والجند وإشهار السلاح¹⁰.

ويستدل مما تقدم سابقاً على ما يلي:

■ إن المؤسسة الحسبة مكانة هامة في بناء النظام الإداري الإسلامي إلى جانب مؤسستي القضاء والمظالم.

¹ أجاز العلماء كالشافعي بجواز احتساب المحتسب على المجنون والصبي، على الرغم من كونها غير مكلفين، لأن من شروط التكليف البلوغ والعقل، وعلل الشافعي بأنه لا ضرر بأن يحتسب المحتسب على المجنون ومنعه من إتيان المنكر، كان يجزي بمجنونة أو يأتي بهيمة، وكذلك أن يحتسب على الصبي ومنعه من شرب الخمر، وإن كان قبل البلوغ، فهو ينال الثواب من فعل ذلك، إحياء علوم الدين، ج 2 ص 446

² نفس المصدر السابق، ج 2 ص 448-453

³ المقصود بالتعرف أي طلب المعرفة بجريان المنكر ولكن من غير اتباع طريقة التجسس، كان يسترق المحتسب السمع على دار غيره لمعرفة الأخبار من الجيران بما يجري في دار فلان، يجوز أن يخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بالمنكرات التي يفعلها الأشخاص.

⁴ التنبيه والتذكير: أي ينبه ويستعمل المحتسب طريقة التلطف والرفق والاستئذان في المواقف التي حدثت نتيجة الجهل، كما يصدر من عدم القيام بأركان الصلاة وشروط العبادات، وكما يقع من الجاهل بدقائق الفساد في البيوع ومسالك الربا.

⁵ الوعظ والتخويف من الله: يكون ذلك لمن عرف أنه اقترف المنكر وهو عالم به من أنواع المعاصي التي تخفى على المسلم المكلف، كإتيان يواظب على شرب الخمر وغياب المسلمين، فيتعاهد المحتسب بالعهدة والإخافة من ربه.

⁶ يلجأ المحتسب إلى طريقة القول الخشن والتأنيب والزجر، بعد أن عجز عن المنع بالكلام اللطيف والوعظ والنصح.

⁷ التغيير باليد: تقتل بكسر الملامهي وإراقة الخمر، وخلع الحرير من الشخص الذي يرتديه، وإخراج الشخص من المسجد إن كان جنباً.

⁸ الأدب في هذه الرتبة، أن لا يهدد المحتسب بوعيد لا يجوز تحقيقه كقوله لأضربن ولدك، أو لأسينن زوجتك، بل يهدد بوعيد سهل تحقيقه، كقوله لشخص: لأضربن رقبتك وما شابه ذلك

⁹ إن استعمال وسيلة الضرب جائز للأحاديث بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة، فإذا اندفع المنكر فينبغي للمحتسب أن يكف عن الضرب

¹⁰ يلجأ المحتسب إلى هذه الوسيلة في حالة عدم قدرته على مواجهة الشخص المقدم على المنكرات، فيستعين بأعوان يشهرون عليه السلاح، واختلف العلماء بجواز استعمال هذه الوسيلة، فمنهم من منع ذلك لأنها تؤدي إلى تحريك الفتنة وهيجان الفساد وخراب البلاد، وآخرون أجازوا اللجوء إلى هذه الوسيلة لمعلنين ذلك بأن تجنيد الجنود غاية رضى الله ودفع معاصيه، وعلى الجملة قلنا ما يلجأ المحتسب إلى هذه الوسيلة في عمله

■ نستدل من معاني التعريفات اللغوية والاصطلاحية على ماهية الحسبة من حيث كونها وظيفة دينية هدفها التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وأصلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يؤديها المحتسب لنيل الثواب من الله سبحانه وتعالى .

■ ينحصر عمل المحتسب في أمره للمعروف المتعلق بحقوق الله، كأداء الشعائر الدينية، وحقوق الأدميين العامة والخاصة، والحقوق المشتركة بين العباد والله سبحانه وتعالى، وإزالته للمنكرات الظاهرة المتعلقة بالأبعاد الدينية، والأخلاقية والاجتماعية الظاهرة، وإلحاق العقوبات التعزيرية على قدرها.

■ شملت صلاحية المحتسب القضايا والشؤون البيئية، حيث كان للمحتسب دور بارز فيها، فاهتم بنظافة الطرق والشوارع، ومنع الناس من تلويثها بشتى المصادر، كما أنه منح حلولاً بديلة للأشخاص الذين يلوثون الطرقات وخاصة أصحاب الميازيب، فأمرهم أن يجعلوا عوضها مسيلاً محفوراً في الحائط، وكذلك عني بنظافة الأسواق، فوضع اعتبارات عديدة في توزيع أصحاب المهن التي تتطلب صناعتهم الوقود، متفادياً في ذلك وقوع الأضرار البيئية، وعلى هذا النحو تتعلق طبيعة الحسبة بالنظام العام وحماية القيم الإنسانية والدينية، لتكوين مجتمع فاضل، فهي إذن ضرورة اجتماعية دينية بيئية لا بد منها، تمثل المجتمع وقيمه، وتقوم بدور الوقاية من الجرائم والفواحش الأخلاقية والآفات البيئية قبل وقوعها وتشجع على فعل المعروف، وترهب من ارتكاب الفواحش والمنكرات بجميع أشكالها .

■ الحسبة في خدمة البيئة:

انطلاقاً مما سبق، يتبين لنا أن الحسبة تهدف إلى حماية البيئة من التلوث من خلال تعريف الناس بالتدابير الوقائية والعلاجية ومراقبة تنفيذها، ضمن إطارها العام، وهي المحافظة على الجماعة الإسلامية دينياً واجتماعياً واقتصادياً وصحياً، هذه التدابير والمراقبة تنطلق من منطلقات عقائدية وإيمانية، تتمثل في الخوف من الله، واعتبار أي عمل يحدث خلافاً منكراً من المنكرات¹، وذلك يتضح في عدة مجالات :

¹ د. حسين مصطفى غانم، الإسلام وحماية البيئة، مكة المكرمة، 1418 هـ / 1997 م، ص 232 - 233

1 - المجال الاقتصادي:

الاقتصاد في العالم الإسلامي بوجه عام والمشرق بوجه خاص في العصور الوسطى، كان اقتصادا زراعيا بالدرجة الأولى، وقد وضع أرباب الحسبة ذلك نصب أعينهم في كل مكان، بل وصل الأمر بالمحتسب أن يكتب إقرارا على الفلاحين للمحافظة على البيئة في قراهم، وإن هم خالفوا ذلك فرضت عليهم بعض الغرامات¹.

ولقد تعددت أنواع المحتسب في المجال الاقتصادي، إذ حرص المحتسب حرصا شديدا على المرور على باعة الدقيق بوجه خاص، وكذلك الخبازين والفرانين، وربما تكرر مروره عليهم في اليوم الواحد أكثر من مرة، ليس بهدف مراعاة نظافة الدقيق والخبز، ومراعاة عدم الغش فحسب، بل لمعرفة مقادير الاستهلاك اليومي، واحتياجات بلده يوميا، وخير دليل على ذلك ما يرويه لنا السقطي من قوله : (وكذلك شأنه مع باعة الدقيق ومجلته في الغرايل لتقوم الحجة لذلك عليهم أيضا، ويكون معلوما عنده ما في بلده من الطعام في كل يوم وما يرد عليه من الطعام، ويعمل فيه من الدقيق، ويجلب منه إليه، ليتوصل بذلك إلى زيادة السعر ونقصه)².

2 - المجال الصحي:

ومن جهود المحتسب في خدمة البيئة في المجال الصحي: مطاردة الكلاب الضالة، إذ كانت ضرورية في مجال المحافظة على البيئة، باستثناء كلاب الصيد، وكناب حراسة الماشية، وكناب حراسة الدور والزرع، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية أو زرع أحبط من أجره قيراطا)³.

وفي موضع آخر يظهر جانب من دور المحتسب في خدمة البيئة، ورعايته للطرق ومنع التعديات التي كان يقوم بها أصحاب العقارات وأراضي البناء، من وضع العدد وأدوات البناء ومواده المختلفة أمام عقاراتهم وأراضيهم تمهيدا للبناء قد يستغرق بعض الوقت ربما يعوق حركة السير في الشوارع و الطرقات، وحتى لو لم يتضرر منه المارة فإنه كان يمنعهم منعاً باتاً من ذلك، وهكذا القول في إخراج

¹ هدى عبد الغفور أمين ، الحسبة في الإسلام و دورها في المحافظة على البيئة ، 1431هـ / 2010 م ص 188 - 189

² السقطي ، آداب الحسبة ، ص 11

³ أخرجه الإمام أحمد في مسنده

الأجنحة، ومجاري المياه و آبار البالوعة، أي: ما يتخذها الناس أسفل دورهم من بناء مستودعات لتخزين مياه الصرف الصحي والفضلات الآدمية، فإنه يقر منها ما لا يضر و يمنع ما يضر¹.

كما كان المحتسب يمنع حاملي الأقفاص أو القفف المصنوعة من سعف النخيل، ويضعون فيها الزبل، من المرور في الطرقات والدخول إلى الأسواق، لما فيها من الضرر على الطرق والمارة².

كما كان المحتسب ينهى الناس عما أحدثوه من وقوف الدواب على أبواب المساجد، لأنهم لا يضيّقون على المسلمين طريقتهم فحسب بل إنهم يكونون عرضة لأن تلوث ثيابهم ونعالهم، كما أن الناس سيضطرون للمشّي على روث الدواب وبولها، ليدخلوا المسجد فينقلوا هذا التلوث إلى داخل المسجد، وفي وقوف هذه الدواب أذية كبيرة للشيخ الكبير والأعمى وغيرهما³.

وفي مجال العلاج، فقد تصدى المحتسب لمن ينصبون أنفسهم للتطبيب من الكحالين والجراحين وغيرهم، وأوصى ابن عبدون أنه يجب ألا يترك المحتسب أحدا يتسور في شيء لا يحسنه لا سيما في صناعة الطب الذي فيه إتلاف المهج⁴.

والحقيقة أن الحضارة الإسلامية، حافلة بكثير من الأمثلة الدالة على مدى ما وصل إليه أبناء هذه الحضارة من رقي وتقدم وازدهار في كل مجال ومكان في أنحاء العالم العربي والإسلامي، والدارس للتراث العربي تستوقفه كثير من الحقائق الدالة على هذا، ولعله من بين الدلائل المهمة على مدى رقي هذه الحضارة هو الاهتمام بالشؤون الصحية للأفراد، وتوفير الرعاية الصحية في مجال المأكّل والمشرب والملبس والمسكن، والوقاية من الأمراض المعدية، وتخليص المدن من المخلفات الضارة بالصحة العامة⁵.

3 – المجال الاجتماعي:

تذكر كتب الحسبة أنه من واجبات المحتسب الإشراف على الجوامع والمساجد ويأمر بكنسها وتنظيفها من الأوساخ، ونفض حصرها من الغبار، ومسح حيطانها، وغسل قناديلها وإشعالها بالوقود

¹ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 221، ابن بسام، نهاية الرتبة ص 174

² الشيرازي، نهاية الرتبة ص 13-14، ابن بسام، نهاية الرتبة ص 174

³ ابن الحاج، المدخل، ج 2 ص 236

⁴ هدى عبد الغفور أمين، الحسبة في الإسلام، مصدر سابق، ص 203

⁵ الحسبة في الإسلام، مصدر سابق، ص 202

في كل وصياتها، ويلزمهم بغلاق الأبواب عقب الصلوات، وصيانتها من الصبيان والمجانين، وذلك يأتي بوصف رعاية المساجد مظهراً من مظاهر خدمة البيئة اجتماعياً¹.

وكان المحتسب يتردد إلى مجالس القضاء، ويتفقد أحوالهم وأحوال أعوانهم وعلمائهم، مما لا بد وأن يكون له أثره في الحد من الأمراض الاجتماعية التي لا يخلو منها أي مجتمع كان، وهي السرقة والنهب وإشاعة الفوضى².

كما يمنع الحملين من الإكثار في الحمل، وأهل السفن من حمل ما تسعه، ويخاف عليها منه ومن الإقلاع عند اشتداد الرياح، ويمنع بناء الدكاكين متصلة بالأبنية المملوكة، ويحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة³.

4 - المجال الجمالي للبيئة:

من روائع التعاليم الإسلامية: التنبيه على الجانب الجمالي في هذا الكون، ليستمتع به الإنسان، ويغذي وجدانه، كما يستمتع بالجانب النفعي الذي يغذي جسمه، ويحقق مصلحته، فقد قال في معرض الإنكار على الذين حرموا الزينة والطيبات من الرزق: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾⁴.

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الجمال والزينة، في سياق ذكر المنافع المادية المباشرة، ليرتقي بالنوq الإنساني، ويغرس في وجدان المسلم الشعور بالجمال، والإحساس بنعمة الله تعالى فيه، فإذا كان الشاعر يرى الجمال في كل شيء، بحاسته الشاعرية الفنية، فإن المؤمن يرى الجمال بحاسته الروحية، التي يرى بها جمال الصانع فيما صنع⁵.

¹ ابن الأخوة، معالم القرية، ص 263، الصنابي نصاب الاحتساب، ص 163، الجليلي، كتاب التيسير ص 107، موسى لقبال، الحسبة المذهبية، ص

111

² الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، ص 47، السنابي، نصاب الاحتساب، ص 163

³ الحسبة في الإسلام، مصدر سابق ص 218

⁴ الأعراف: 32.

⁵ يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في الإسلام، ص 36

وكان الإسلام أول من حث الإنسان في كل مكان وزمان، على أن يكون بينه وبين البيئة المحيطة به علاقات حميمة، ذلك لأن البيئة فيها كل مقومات الحياة، كما أن الله تعالى قد جعل في مكونات هذه البيئة كفالة الأحياء، فقال عز وجل: ﴿لَا تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾¹.

وليس من نافلة القول أن نكرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أكد علاقة المودة التي يجب أن تسود بين الناس وبيئتهم، فقد كان يقول عن جبل أحد يداعبه: (هذا جبل يحبنا ونحبه)²، وحينما قال: (أكرموا عممكم النخلة)³، فذلك تعبير عن وشائج الألفة بين الناس وعناصر البيئة والالتواء إليها، وعن العلاقة التي يجب أن تسود بين الإنسان وعناصر البيئة المتمثلة في الكائنات الحية من نبات وحيوان وطيور⁴.

وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا الود بالحديث الرائع الذي قاله وهو عائد إلى المدينة المنورة من غزوة تبوك، وقد أشرف على المدينة المنورة ولاح له جبل أحد، فقال: هذه طيبة - أي المدينة - وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه⁵. وفي هذا الحديث حث الناس على ضرورة حب البيئة، وأن تكون هناك علاقة حميمة بينهم وبين هذه البيئة، نابعة من الحب الذي يساعد على رعاية هذه البيئة، وليس الخوف الذي يدمر كل شيء تقريبا.

هكذا ثبت لنا أن رعاية الحسبة للبيئة وحمايتها وإصلاحها، والمحافظة عليها ليست أمرا دخيلا على علوم الإسلام والثقافة الإسلامية وليست من ابتكار الغرب، كما يتوهمه من لم يتعمق في معرفة تراثنا العلمي والحضاري الإسلامي، بل الحقيقة الجلية أن رعاية الحسبة للبيئة تتصل بعدد من علومنا الإسلامية الأصيلة مثل علم أصول الدين، الذي يجعل كل مكونات البيئة مخلوقات ساجدة لله تعالى،

¹ لقان: 20.

² أخرجه البخاري (4083) ومسلم (1293)، صحيح

³ الذهبي (ت 508هـ)، ترتيب الموضوعات 042، فيه مسرور بن سعيد التميمي، تكلم فيه ابن حبان وابن عدي، السيوطي (911هـ) الدرر المنتثرة 44، ضعيف، ابن عثيمين (1421هـ) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين، ليس بصحيح

⁴ الحسبة في الإسلام، مرجع سابق، ص 230

⁵ أخرجه مسلم في صحيحه، في باب: أحد يحبنا ونحبه، حديث رقم 93.

مسبحة بحمده، وعلم السلوك الذي ينادي بأن الدين هو المعاملة، أي أن يحسن الإنسان معاملته في كل وقت ومع كل شيء، وأن يظهر الود للبيئة¹.

بعد الإحاطة بالمفاهيم المتعلقة بموضوع البحث، سنحاول خلال الباب الثاني الوقوف على تطبيقات الاجتهاد الإسلامي لحماية البيئة.

¹ يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص 30

الباب الثاني: تطبيقات الاجتهاد الإسلامي في المحافظة على البيئة:

من المعلوم أن حياة المسلمين كانت بسيطة غير معقدة ولم تعرف تطورا كالذي يعرفه عصرنا الحالي الذي تميز بالكثير من النوازل والمستجدات، فالفقهاء لن يجتهدوا في مسائل غير موجودة، لذلك نجد بعض القواعد تقول: "السكوت في معرض البيان بيان"¹.

لو كانت النوازل والمستجدات كثيرة لتحرك الفقهاء، فالاجتهاد يُحتاج إليه في حياة متطورة ومتحركة، والفقهاء يتعامل مع الواقع ويتبادل معه التأثير والتأثر والعرض والطلب.

وفي زمننا المعاصر تم تفعيل دور المقاصد الشرعية، بل لم يعد محصورا على الأحكام الشرعية الفقهية الفرعية والحديث عنها في باب القياس فقط، بل تعداه لمعالجة القضايا المعاصرة الفقهية وغيرها، ومن هذه القضايا: قضايا البيئة والأمن البيئي، ذلك ما سأحاول إبرازه في الفصل الأول.

الفصل الأول: التقعيد الأصولي والفقهية وأهميته في المحافظة على البيئة:

يتميز التقعيد الأصولي والفقهية بأهمية بالغة في الحفاظ على البيئة، وسأقوم خلال هذا الفصل ببسط ذلك خلال بحثين، الأول: أفصل فيه ضمن مطالب، لأبين دور القياس والمصالح المرسلة وسد الذرائع ومقاصد الشريعة ودورها المتكامل في الحفاظ على البيئة، أما المبحث الثاني: فأخصه للقواعد الفقهية تعريفا وتنزيلا لأهل الاختصاص، وأبين كيف يعتمد عليها أهل العلم للإجابة على نوازل وفتاوى متعلقة بقضايا البيئة.

¹ أحمد محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، ط2، 1409هـ/1989م، ص328

المبحث الأول: المحافظة على البيئة بالاعتماد على التقعيد الأصولي:

المطلب الأول: دور القياس في رعاية البيئة:

يعد القياس عند كثير من أهل العلم الأصل الرابع بعد الكتاب والسنة والإجماع، ويعود ذلك لكونه يؤثر تأثيراً ظاهراً خلال استنباط الأحكام الشرعية¹، وقد تضافرت الأدلة الشرعية على العمل والاحتجاج به؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾²، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾³.

ويُعرف القياس في الاصطلاح الشرعي باعتباره دليلاً يرفع إليه المجتهد لأجل استنباط الأحكام بأنه: (حمل فرع على أصل في حكم بعلة جامعة بينهما)⁴، فهو راجع إلى إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه، للاشتراك بينهما في علة الحكم، وذلك من باب الخضوع لحكم التماثل بين الأمور التي توجب التماثل في أحكامها، فكان مشتقاً من أمر فطري تقرر به بداءة العقول، لكون أساسه ربط ما بين الأشياء بالمثالة إن توافرت أسبابها، ووجدت الصفات المتحددة المكونة لها، وإذا تم التماثل في الصفات، فلا بد أن يقترب به حتم التساوي في الحكم على قدر ما توجه به المماثلة⁵.

وتتجلى أهمية القياس في استنباط الأحكام الشرعية في كون نصوص الوحي محصورة، وأن الحوادث والنوازل متجددة لا نهاية لها، إذ تتغير الحوادث والنوازل بتغير الأزمنة والأمكنة، ولهذا يعتبر القياس من أهم مصادر الفقه الإسلامي وأكثرها اتساعاً؛ فالباحث فيما تركه لنا الفقهاء على مر العصور من مسائل متعددة ومتجددة سيجد تراثاً ضخماً ملأ الأسفار وطار في الآفاق، وحين نبحت عن مصادره

¹ ضياء الدين سیدار، نحو نظرية إسلامية عن البيئة، مجلة المسلم المعاصر، العام 15 العدد 59 1994 م، ص 87 وما بعدها

² الحشر: 2

³ النساء: 83

⁴ - ينظر: العدة، لأبي يعلى 1/ 174، فواطم الأدلة، للسمعاني 4/4، التمهيد، لأبي الخطاب 3/308، شرح مختصر الروضة، للطوفي 3/219

⁵ - ينظر: أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة ص 218-219.

التي غدته حتى كان على هذه الصفة نجد من بينها القياس، الذي يبين أحكام قضايا الساعة والحوادث المتجددة، ولهذا قال الإمام أحمد - رحمه الله - : «لا يستغني أحد عن القياس»¹.

يقول إمام الحرمين الجويني - رحمه الله - (ت478 هـ) في هذا الصدد: «القياس مناط الاجتهاد، وأصل الرأي، ومنه يتشعب الفقه وأساليب الشريعة، ... والرأي عندنا أنه لا تخلو واقعة من حكم الله تعالى متلقي من قاعدة الشرع، والأصل الذي يسترسل على جميع الوقائع القياس، وما يتعلق به من وجوه النظر والاستدلال، فهو إذن أحق الأصول باعتناء الطالب»².

و إذا تمكنت من إدراك المغزى الحقيقي للقياس وهدفه الأساسي باعتباره دليلاً شرعياً يستند إليه في استنباط الأحكام المتجددة والنوازل الحادثة، أمكننا استثماره في بيان الحكم الشرعي والموقف الإسلامي حيال كثير من القضايا المتعلقة بالبيئة، وذلك لتعلق هذه القضايا بالمصالح المتوخاة من رعايتها وحفظها، ودفع المفسدات الحاصلة من إهمالها وإغفالها، والقياس يعود في كثير من أحكامه إلى تحقيق المصالح ودفع المفسدات، وذلك بالتحقق من أن الواقعة التي يراد معرفة حكمها الشرعي في الحادثة أو النازلة المسكوت عنها يجلب المصلحة أو يدفع المضرة³.

وحينما نريد الوقوف على كيفية استثمار دليل القياس في المسائل والمستجدات المتعلقة بالبيئة، فيمكن الإشارة إلى شيء من ذلك من خلال الآتي:

1. أنه جاء في الحديث النبوي النهي عن الاستجار وإزالة فضلات الإنسان عنه بالعظم أو روث البهائم، فعن أبي هريرة : أنه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه و سلم أداة لوضوئه وحاجته، فيبينا هو يتبعه بها، قال: «من هذا؟»، فقال: أنا أبو هريرة، فقال: «ابغني أحجاراً أستنفض بها، ولا تأتينني بعظم ولا بروثة»، فأثبته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت، فقلت ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً»⁴، وفي

¹ - ينظر: المسودة ص ٣٧٢، أدلة التشريع المختلف فيها، للدكتور الربيع ص ١٩٧.

² - البرهان في أصول الفقه ٢/ 4٨٠، إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف.

³ - ينظر: نبراس العقول، للشيخ عيسى منون ص 6-7.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر الجن، حديث رقم 3860 الجزء 3 ص 56.

رواية ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه و سلم لما سأله الجن الزاد، قال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بكرة علف لدوابكم، وقال: «فلا تستنجوا بها؛ فإنها طعام إخوانكم»¹.

ففي الحديث الشريف النهي عن إفساد طعام إخواننا من الجن، أو طعام دوابهم، ولكن لا يعد هذا النهي إذناً في الاستنجار بكل شيء سواهما، كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: «بل الاستنجار بطعام الآدميين وعلف دوابهم أولى بالنهي عنه من طعام الجن وعلف دوابهم، ولكن لما كان من عادة الناس أنهم لا يتوقعون الاستنجار بها نهى عنه من ذلك، بخلاف طعام الإنس وعلف دوابهم فإنه لا يوجد من يفعله في العادة الغالبة»².

فهنا نرى كيف استثمر شيخ الإسلام - رحمه الله - إدراكه للقياس ومعرفته به، في النهي عن صورة سكت عنها النص، وهي حكم الاستنجار بطعام الآدميين أو دوابهم، وأن ذلك أولى بالنهي عنه، وفي ذلك حفظ أطعمة الدواب والبهائم وأعلافها من العبث الذي قد يضر بها أو يخل بتوازن البيئة واستمرار حياة الكائنات على الأرض.

2. كذلك جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»³، وفي حديث جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنه نهى أن يبال في الماء الراكد»⁴.

فإننا نلاحظ هنا أنه إذا كانت السنة النبوية قد نهت عن تلويث الماء والطرق بالبراز والبول ونحوهما، وهي ملوثات طبيعية تقتضيها الحاجة البشرية، فإنه يمكن أن يلحق بذلك النهي عما هو أعظم من ذلك وأشد خطورة، وذلك من باب القياس الأولى، وذلك نظراً إلى أن التلويث في عصرنا الحاضر

¹ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المجر بالقرءاء في الصبح والقرءاء على الجن، حديث رقم 450، ص 209

² - مجموع الفتاوى 21 / 206-205.

³ - رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى عن البول فيها 161/1، حديث رقم 27. وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، 119/1، حديث رقم 328. والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في طريق الناس وظلمهم. 1 / 97. والحديث

حسنه الألباني في إرواء الغليل 1 / 100.

⁴ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، ص 123، حديث رقم 281.

اتخذ صورة أشد خطورة، وأبعد أثرة، وأوسع نطاقاً من هذه الصور البسيطة للتلوث على خطورتها أيضاً، فالتلوث بمخلفات الأفراد من زيوت ومواد كيميائية ومبيدات الحشرات المنزلية لا زالت تفتك بكثير من مكونات البيئة وعناصرها، ناهيك عن المخلفات الضارة الناتجة عن العمليات والأنشطة الصناعية والزراعية والتجارية والعسكرية التي تلحق أشد الضرر بجميع الكائنات الحية بلا استثناء، فالنهي عن مثل هذه الأنشطة الضارة من باب أولى.¹

نستفيد كذلك من هذا التوجيه النبوي الكريم الوارد في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه : الدعوة إلى أن تبقى موارد المياه و مجاريه التي يجري فيها نظيفة بعيدة عن الأذى، حتى لا يقع التلوث للماء، وإذا كان قد ذكر البراز، فهو دليل أيضاً على ضرورة إبعاد المجاري الصحية عن منابع الماء، ويمكننا الاستفادة من هذا الحديث بوضع الأنظمة اللازمة للمحافظة على مجاري المياه الممتلئة بمجاري الأنهار، والشلالات، والعيون، والينابيع، والقنوات المائية، وكذلك الأوعية التي تكون مجرى للمياه في وقت من الأوقات، بحيث تبقى هذه الموارد المائية سليمة من الناحية البيئية، ويكون ذلك بصيانتها والمحافظة على نظافتها، وعدم تحويل شيء من المصببات الملوثة لها، وإبعاد مجاري الصرف الصحي إلى أمكنة نائية بحيث لا يعود لها أثر سلبي على أي جانب من الجوانب البيئية المختلفة.²

3. كما نهت السنة المشرفة عن ترك النار موقدة في البيوت؛ وفي ذلك تحذير من انتشارها أثناء النوم، مما يترتب عليه أشد الضرر على الناس وعلى بيئتهم التي يعيشون فيها، فعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذه النار عدو لكم، فإذا نمت فأطفئوها عنكم»³، وهذا النهي يمكن أن يقاس عليه سائر التصرفات المتعلقة بترك النار مشتعلة بلا رقيب يحوطها ويتنبه لها⁴، لأنه إذا نهت السنة عن ترك النار موقدة في البيوت مع اقتصار الضرر على صاحبها في الأغلب، فكيف بمن يترك النار مشتعلة في المتنزهات والغابات ونحوها، مما يتعدى ضرره إلى غيره من الناس، وإلى جميع مكونات البيئة، ويمكن أن يطبق هذا النهي النبوي على الذين يتركون الجوال مربوطاً بالتيار الكهربائي

¹ - ينظر: رعاية البيئة، للدكتور القرضاوي ص 102.

² - ينظر: بحث النهج الإسلامي في حماية البيئة، للدكتور محمد صاحب، مجلة كلية الشريعة والقانون - جامعة قطر، عدد 18 ص 472.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، ج 4، رقم الحديث 6294، ص 150، ومسلم في صحيحه، كتاب الأضحية، باب الأمر بتغطية الإماء وإكساء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم، حديث رقم 2016، ص 970.

⁴ - شرح صحيح مسلم 13/187.

لشحن البطارية ، و يستيقظون على حريق التهم البيت بأكله، ولو تم الامتثال لما أمر به معلم البشرية صلى الله عليه وسلم ما وقع الضرر .

4. كما أن السنة النبوية المشرفة تنهى عن إفساد الهواء بالروائح الكريهة المنبعثة من بعض الأطعمة التي قد يتناولها الإنسان، فقد صح عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزوة خيبر: «من أكل البصل والثوم والكراث، فلا يقربن مسجدنا»¹.

وإذا تقرر من السنة النبوية النهي عن إلحاق الأذى بالناس ببث الروائح الكريهة في مجامعهم، وهي روائح صادرة من أطعمة طبيعية، فإنه يلحق به ما هو أشد من ذلك مما يؤدي سائر الكائنات على وجه الأرض، مما تنتجه المصانع من خلال مداخنها، والمزارع من خلال حرق مخلفاتها، فلا شك أن ذلك أشد ضرراً بالبيئة التي تعيش فيها المخلوقات، وهو بالتالي أعظم ضرراً ويجب أن يكون أشد نهياً، نضيف كذلك أن هذا النهي سينطبق على عوادم السيارات ووسائل النقل التي تلوث الهواء بشكل جلي خاصة في المدن التي تعرف كثافة سكانية كبيرة. بل الأدهى و الأمر الغازات المنبعثة من المفاعلات النووية التي تبث مواد سامة تجعل الحياة مستحيلة .

5. كما دعت تعاليم شريعة الإسلام إلى الالتزام بالهدوء والسكينة في جميع مجالات حياة الإنسان، بل حتى فيما يتعلق بعبادته، امثالاً لقول الله تعالى : ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِرْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝١٩﴾² ، وفي الحديث النبوي عن ابن عمر أن رسول الله صل الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال: «إن المصلي يناجي ربه عز وجل فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»³، وذكر بعض أهل العلم أن النهي هنا يتناول من هو داخل الصلاة وخارجها؛ لما في ذلك من إلحاق الأذى بالناس، والإيذاء ليس من شأن

¹ - رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهى من أكل وما أو بصلاً أو كرافة أو نحوها ماله رائحة كريهة عن حضور المسجد، حديث رقم: 564، ص 203

² لقمان: 19.

³ - رواه الإمام أحمد في المسند، حديث رقم: 1329، ج 9/ ص 251، وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم: 2237، ج 3/ ص 301، والحديث صححه الأرنؤوط في تعليقه على المسند

المسلمين، فضلا عن المصلين¹، وذكر آخرون أنه إذا كان رفع الصوت بقراءة القرآن ممنوعا حينئذ؛ لما يحصل من أذى للمصلين، فغيره من الحديث أولى، وأنه إذا نهى المسلم عن أذى المسلم في عمل البر وتلاوة القرآن، فأذاه في غير ذلك أشد تحريما².

كذلك يمكن أن يلحق بهذا النهي سائر أنواع التسبب بالضجيج، الذي يعد من أبرز مظاهر التلوث الجوي، كالضوضاء الصاخبة الصادرة من الآلات والمصانع ووسائل المواصلات المختلفة، ومعامل التكرير ومحطات الطاقة³، فلا يصح وضع هذه الأشياء المؤذية في المجامع السكنية، وقرب النشاطات البشرية.

6. وجاء في الحديث الشريف عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صل الله عليه وسلم: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها»⁴ وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- أن في الحديث ما يقتضي أن كونها أمة وصف يمنع من استيعابها بالقتل⁵، فهنا وصف كونها أمة يعد علة ومناط للحكم، وعليه فيمكن أن يشمل النهي إبادة أي نوع من الكائنات الحية الموجودة على الأرض؛ لكونها أمة من الأمم المخلوقة على الأرض، لها وظائفها ومصالحها، فكانت عنصرا من العناصر المكونة للبيئة، فينبغي صيانتها عن الإتلاف ليقوم بدوره البيئي المنوط به. فكم من المخلوقات البشرية تعرضت للإبادة الجماعية لأسباب سياسية أو عنصرية.

7. كذلك ورد في الحديث عن ابن عباس قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أربع من الدواب، النملة، والنحلة، والهدهد والصر»⁶، وقد علل طائفة من أهل العلم هذا النهي بأنه لا

¹ - الشيخ علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق الشيخ جلال عيتاني، ط1، 1422هـ/2001م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1/ ص 530

² - ينظر: تنوير الحوالك، للسيوطي (1/102).

³ - ينظر: الإسلام والبيئة، للدكتور الجميلي (ص 22).

⁴ - رواه أبو داود في سننه، كتاب الصيد، باب في اتخاذ كلب للصيد وغيره، (3/ 383)، حديث رقم (2838). والترمذي في سننه، كتاب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب، (4/66)، حديث رقم (1989)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في سننه، كتاب الصيد، باب النهي عن اقتناء الكلب، (2/ 1099)، حديث رقم (3205). والإمام أحمد في المسند (343/27) حديث رقم (19788). والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (2/ 199).

⁵ - ينظر: شرح العمدة (3/ 145).

⁶ - رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في قتل الذر (6/ 455)، حديث رقم (5220). وابن ماجه في سننه، كتاب الصيد، باب ما نهى عن قتله، (2/ 1079)، حديث رقم (3225). والإمام أحمد في المسند (5/ 295)، حديث رقم (3252). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/ 293). والصرود نوع من الغربان يكون في البراري يقفز من شجر إلى شجر، الأثر صرودة، والجمع صردان. انظر: لسان العرب (3/ 200)، مادة صرد.

فائدة تعود على القاتل من قتل هذه الكائنات¹، فعاد الأمر إلى مجرد العبث واللعب، فيلحق به النهي عن قتل جميع ما لا فائدة في قتله إلا اللعب والعبث، خصوصا إذا لم يقع منها ضرر وإفساد، نظرا إلى ما خلقت له هذه الدواب من مصالح ووظائف على الأرض، فكل كائن منها يشكل حلقة في سلسلة مترابطة تستمر بها الحياة، فإذا حصل انقطاع أو إضعاف أو إضرار بحلقة من هذه الحلقات أدى ذلك إلى خلل في دورة الحياة، ومن ثم خلل كبير في البيئة ومكوناتها².

هكذا إذن يتضح للباحث في حماية البيئة من خلال شريعة الإسلام، أنه باعتماد القياس كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، يمكن إيجاد العديد من الأجوبة لكل نازلة وإن اختلف الزمان والمكان.

المطلب الثاني: أهمية المصالح المرسلّة في رعاية البيئة:

المصالح جمع مصلحة، ضد مفسدة، وهي: جلب المنفعة أو دفع المضرّة، والمراد بالمصلحة المرسلّة عند أهل العلم: «كل منفعة ملائمة لتصرفات الشارع، دون أن يشهد لها بالاعتبار أو الإلغاء أصل معين»³، والمقصود أن لا يدل دليل خاص على اعتبار مناسبة تلك المصلحة، ولا على إلغائها وإهدارها، ويعبر عنها بالمصلحة المسكوت عنها، أي: التي سكت عنها الشارع، فلم يشهد لها دليل معين ولا إجماع، لا بالإلغاء ولا بالاعتبار، لكن لا بد أن يشهد لها أصل كلي من الشرع؛ بأن تكون داخلية ضمن معنى وأصل قامت على صحته الأدلة الشرعية المعتمدة⁴.

أولاً: المصلحة لغة: اسم مشتق من صلح يعود أصلها اللغوي إلى تقيض الفساد وفي ذلك يقول ابن فارس⁵: (الصاد واللام والحاء: أصل واحد يدل خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح وصلاحا)¹.

¹ - ينظر: شرح مشكل الآثار (2/ 331-328).

² - ينظر: المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، للدكتور السرياني ص (187-188).

³ - ينظر: المستصفى، للغزالي (1/286)، البحر المحيط، للزركشي (76/6)، أدلة التشريع (ص 190).

⁴ - ينظر: الاعتصام، للشاطبي (114-115/2) أصول الفقه، لأبي زهرة (ص 279).

⁵ - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) مؤلف كتاب معجم مقاييس اللغة

ويرى ابن منظور (أن الصلاح ضد الفساد والمصلحة بمعنى الصلاح، والمصلحة جمعها المصالح، وأصلح الشيء بعد فساد : أقامه، يقال مجازاً: أصلح إليه: أحسن إليه)².

أما الزمخشري³ فقال: (صلح فلان بعد فساده، وسع الإصلاح بين ذات البين، ورأى الإمام المصلحة ونظر في مصالح المسلمين)⁴. وقد استعمل معنى الصلاح لكونه نقيضاً للفساد في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁵، إذن انطلاقاً مما سبق ذكره يتضح أن المصلحة لغة هي كل ما فيه نفع وخير لتكون من مرادفات المنفعة.

ثانياً : المصلحة في الاصطلاح الأصولي :

عرفها الإمام الغزالي بقوله : (المصلحة في الأصل عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرة، فالمصلحة هي المحافظة على مقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، وكل ما يتضمن هذه الأمور الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة، إذا أطلقنا المعنى الخيل أو المناسب في كتاب القياس أردنا به هذا الجنس)⁶، ونستنتج من خلال التعريف الأصولي للمصلحة للإمام الغزالي، أن المصلحة هي ما وافق مقاصد الشارع، إذ تبدو للناس أحياناً أنها مفسدة كالتمييز بين الذكر والأنثى في الميراث مثلاً .

ويقرر الإمام الغزالي - رحمه الله - بضرورة الربط بين الوصف والحكم، بحيث يكون الوصف علة للحكم من شأنه أن يحقق ما قصده الشارع بجلب نفع أو دفع ضرر، لذلك فكل وصف مناسب فهو

¹ - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، 3/303 ، مادة صلح ، دار الفكر ، ط 1 ، 1399هـ/1979م

² ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط 1 . د . ت . بيروت ، 2/452

³ الزمخشري (467 - 538هـ ، 1074 - 1143م). أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفتناً في علوم شتى، ولد بزمخشري من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة. ينظر على الشاذلة <https://al-maktaba.org/author/108> تاريخ الزيارة : 2020/02/22

⁴ الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1419هـ/1989م ، مادة صلح ، ص 75 .

⁵ الأعراف: 56.

⁶ أبو حامد الغزالي ، المستصفى ص 174، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1413هـ / 1993م

مصلحة، مثلاً: السكر مناسب لتحريم الخمر، لأن في بناء التحريم عليه حفظ العقول، وبالتالي فرجوع المصلحة إلى المقاصد الشرعية شرط أساسي في اعتبارها مصلحة¹.

مفهوم المصلحة عند العز بن عبد السلام² يرى أن: (المصالح أربعة أنواع: اللذات وأسبابها الأفراح وأسبابها، والمفاسد أربعة أنواع: الآلام وأسبابها والغموم وأسبابها وهي مقسمة إلى دنيوية وأخروية، فأما لذات الدنيا وأسبابها وأفراحها وأسبابها فمعلومة بالعادات وأما لذات الآخرة وأسبابها فقد دل عليها الوعد والوعيد والزجر والتهديد)³

ميز الإمام ابن عبد السلام بين المصالح بحسب اللذات والأفراح، وما ارتبط بها من وسائل وأسباب منتجة لها، لذلك فحينما ميز بين المصالح المادية والمعنوية وظف اللذات كدليل حسي والأفراح كدليل معنوي، وبموازاة مع ذلك فقد ميز بين المصالح الدنيوية والمصالح الأخروية، فالدنيوية تتحدد انطلاقاً من العادات أو العرف، أما الأخروية لا يمكن أن تتحدد إلا عن طريق النصوص الشرعية. إذن ابن عبد السلام لم يضبط المصلحة بمقاصد الشريعة بل بقي تعريفه موافقاً للدلالة اللغوية والعرفية.

مفهوم المصلحة عند الإمام الشاطبي⁴: يرى الإمام الشاطبي أن: (المصالح تعني كل ما يرجع إلى قيام حياة الإنسان وتتمام عيشه وما تقتضيه أوصافه الشهوانية والعقلية على الإطلاق، لأن تلك المصالح مشوبة بتكاليف ومشاق، كالأكل واللبس والسكن، والركوب، والنكاح ... فهذه الأمور لا تنال إلا بكد وتعب)⁵.

¹ حسان حامد، نظرية المصلحة، ص 8، القاهرة، دار النهضة العربية

² ابن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٦٢)، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسultan العلماء

فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ فأقام شهراً. وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأم. ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة «صفد» للفرنج اختاروا أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه. ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكثه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لوطنك. فقال: لا. وتوفي بالقاهرة. <https://shamela.ws/index.php/author/126>

³ ابن عبد السلام، القواعد الصغرى، ص 15، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 1416 هـ تحقيق أبيادي خالد الطباع

⁴ الشيخ الإمام، العالم العامل، القدوة، سيد القراء أبو محمد، وأبو القاسم القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعييني، الأندلسي، ص 262: الشاطبي، الضرير، ناظم "الشاطبية" و "الرائية". "من كناه أبا القاسم - كالسخاوي وغيره - لم يجعل له اسماً سواها. والأكثر أن على أنه أبو محمد القاسم. ولد سنة 538 هـ، ينظر سير الأعلام للذهبي 21/261

⁵ الشاطبي، الموافقات، 2/27، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417 هـ/1997 م

يتضح لنا أن الإمام الشاطبي اكتفى بالحديث عن المصالح المتعلقة بالحياة الدنيوية، والتي لها ارتباط بحياة الإنسان الواقعية، كما عمل على التمييز بين المصالح العقلية والمصالح المادية دون تقييد بالخطاب الشرعي، ليساير بذلك مفهوم المصلحة كما هو متداول في المعاجم اللغوية، إذا ما استثنينا أنه أضاف قائلاً: (المصالح المحتلبة شرعاً والمفاسد المستدفة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للآخرة لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية، فالمعتبر إنما هو الأمر الأعظم وهو جهة المصلحة التي هي عماد الدين والدنيا لا من حيث أهواء النفوس)¹

تعريف الـريسوني للمصلحة: (إن المصلحة هي كل ما فيه خير ومنفعة لمجموع الناس ولأفرادهم وهو درء للمفسدة للتمسك بالمصلحة، ليصير من صميم المصلحة اتقاء المفسدة التي في طريقها سواء كانت سابقة أو لاحقة أو ملازمة أو مصاحبة)².

لم يخرج الـريسوني عن الأصوليين القدامى حينما ربط المصلحة بدرء المفسدة وتحقيق المنفعة والخير للأفراد والجماعات.

ثالثاً: مفهوم المرسلة:

لغة من مصدر الإرسال: الإطلاق أي عدم التقيد، يقال: أرسل الشيء: أطلقه وأهمله ويقال: أرسل الكلام: أي أطلقه من غير تقيد، وأرسل الرسول: بعثه برسالة، فالمرسلة هي المطلقة التي لم تتقيد بـ³.

رابعاً: المصلحة المرسلة اصطلاحاً:

عرفها الإمام الغزالي: (أنها كل مصلحة رجعت إلى مقصود شرعي، علم كونه مقصوداً بالكتاب والسنة والإجماع، فليس خارجاً من هذه الأصول، ولكنه لا يسمى قياساً بل مصلحة مرسلة، إذ القياس

¹ مرجع سابق 2/30

² الـريسوني، الاجتهاد، النص، الواقع، المصلحة، ص 32

³ الموسوعة الفقهية الكويتية 3/92، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ط 2، 1404هـ/1983م

من أصل معين وكون هذه المعاني مقصود عرف بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة وقرائن الأحوال، فسمي بذلك مصلحة مرسلته¹.

أما الإمام الشاطبي فيرى أن: (المصالح المرسله يرجع معناها إلى اعتبار المناسب الذي لا يشهد له أصل معين فليس له على هذا شاهد شرعي على الخصوص، ولا كونه قياساً بحيث إذا عرض على القول تلقته بالقبول)²

كما يعتبره في الموافقات: (هو أصل شرعي لم يشهد له نص شرعي معين، وكان ملائماً لتصرفات الشرع، ومأخوذاً بمعناه من أدلته، فهو صحيح يبنى عليه ويرجع إليه، إذا كان ذلك الأصل قد صار بمجموعة أدلته مقطوعاً به، لأن الأدلة لم يلزم أن تدل على القطع بالحكم بانفرادها دون انضمام غيرها إليها، فإنه وإن لم يشهد للفرع أصل معين فقد شهد له أصل كلي)³.

يتضح لنا وانطلاقاً من تعريفات علماء الأصول للمصلحة المرسله، أن المصلحة المرسله متفقة المعنى، إلا أنه يسكنها الاختلاف، حيث اتفق الغزالي والشاطبي في تعريفها للمصلحة المرسله لما اعتبرها تلك التي لم يشهد لها دليل معين وشهدت لها الأصول الكلية ملائمتها لجنس تصرفات الشارع وعدم شهادة الأصل الخاص لها، فهناك فرق بين المصلحة المرسله والقياس وذلك في كون الحكم في القياس يشهد له أصل معين من نوعه وهو حكم الأصل أما الحكم في المصلحة المرسله فتشهد له النصوص المتعددة والأصول الكلية من غير أن يكون له أصل محدد يرجع إليه.

خامساً حجية الاستدلال بالمصالح المرسله:

وحجية الاستدلال بالمصالح المرسله ثابتة بالكتاب الكريم، والسنة المطهرة، وإجماع المسلمين في الجملة⁴، اختلف الأئمة في حجية المصالح المرسله واعتبارها دليلاً شرعياً ومصدرًا مستقلاً على قولين:

القول الأول:

¹ أبو حامد الغزالي، المستصفى، ص 430

² الشاطبي، الاعتصام، 1/111، تحقيق محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى ط 1، 2011م،

³ الشاطبي، الموافقات، 1/27، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل يمان، دار ابن عفان، ط 11417هـ/1997م

⁴ ينظر: البحر المحيط (6/77)، مذكرة أصول الفقه، للشنقيطي (170).

يرى الشافعية والحنفية أن المصالح المرسله ليست دليلاً مستقلاً¹، واستندوا في ذلك بأن الشريعة الإسلامية راعت مصالح الناس بالنص والإجماع والقياس، فكل مصلحة يجب أن تستند إلى دليل من هذه الأدلة، وأن المصلحة التي لا يشهد لها دليل شرعي ليست في الحقيقة مصلحة، وإنما هي وهم، كما أن بناء الأحكام على مجرد المصلحة فيه فتح لباب التشريع أمام أصحاب الأهواء وحكام السوء والفساد بأن يشرعوا ما يحقق أغراضهم وأهواءهم بحجة المصلحة، ولذا فإن حفظ مقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، وكل مصلحة لا ترجع لواحد مما سبق فهي باطل².

القول الثاني:

المصالح المرسله دليل شرعي مستقل ومصدر من مصادر التشريع التي يرجع إليها المجتهد، وحجة تبنى عليها الأحكام دون أن تتوقف على دليل شرعي آخر، وهو مذهب المالكية والحنابلة³.

واستقراء الشريعة، كذلك أجمع الصحابة له إجماعاً سكوتياً على العمل بها، وذلك في وقائع كثيرة، وبانضمام بعضها إلى بعض يحصل الجزم بذلك؛ من مثل: جمع المصحف، وعهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر رضي الله عنه، وتدوين الدواوين، وتجنيد الجند، وعقوبة شارب الخمر بثمانين جلدة، وأمثال هذا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثير، ولم يكن في ذلك نكير ولا معارض في الجملة؛ فدل دلالة واضحة على العمل بالمصالح المرسله⁴.

إن العمل بالمصالح المرسله راجع إلى الاجتهاد المنضبط بضوابط تعاليم الكتاب والسنة، ولهذا يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنها تكمن في رؤية المجتهد أن هذا الفعل المعين يجلب منفعة راجحة، وليس في الشرع ما ينفيه⁵، ولهذا نه -رحمه الله- إلى أهمية التوازن في العمل بها بلا تفريط ولا إفراط، فالعمل بها سائق في أمر الدين والدنيا، وفي جلب المنافع ودفع المضار، قال -رحمه الله-: «

¹ . أنكر الحنفية الاحتجاج بالمصلحة المرسله كدليل مستقل، ولكنهم أدخلوها في القسم الثاني من الاستحسان، وهو استثناء حكم من قاعدة للضرورة، وهي المصلحة، ينظر المدخل الفقهي، لأستاذنا العلامة الشيخ مصطفى الزرقا: 1 ص 76، أثر الأدلة المختلف فيها: ص 54، ضوابط المصلحة: ص 370، 380.
² مقال للدكتور سعد بن مطر العتيبي، أسس السياسة الشرعية (الاستدلال) المصالح المرسله، ينظر على الشاكلة Doat > otibi > http://www.saaaid.net بتاريخ 2021/01/2

³ - إرشاد الفحول: ص 242، المدخل إلى مذهب أحمد: ص 138، تنقيح الفصول، القرافي: 142، أثر الأدلة المختلف فيها: ص 41 وما بعدها.
⁴ - ينظر: البحر المحيط (٩/٨٠)، رفع النقاب، للشوشاوي (177/6)، أصول الفقه، لأبي زهرة (ص ٢٨١)، أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها، للدكتور الربيع (ص 242).

⁵ - ينظر: م مجموع الفتاوى (11/342)

لكن بعض الناس يخص المصالح المرسلّة بحفظ النفوس والأموال والأعراض والعقول والأديان، وليس كذلك بل المصالح المرسلّة في جلب المنافع وفي دفع المضار، وما ذكره من دفع المضار عن هذه الأمور الخمسة فهو أحد القسمين، وجلب المنفعة يكون في الدنيا و الدين، ففي الدنيا كالمعاملات والأعمال التي يقال فيها مصلحة للخلق من غير حظر شرعي، وفي الدين ككثير من المعارف والأحوال والعبادات التي يقال فيها مصلحة للإنسان من غير منع شرعي، فمن قصر المصالح على العقوبات التي فيها دفع الفساد عن تلك الأحوال ليحفظ الجسم فقط فقد قصر، وهذا فصل عظيم ينبغي الاهتمام به؛ فإن من جمته حصل في الدين اضطراب عظيم، وكثير من الأمراء والعلماء والعباد رأوا مصالح فاستعملوها بناء على هذا الأصل، وقد يكون منها ما هو محظور في الشرع ولم يعلموه، وربما قدم على المصالح المرسلّة كلاما بخلاف النصوص، وكثير منهم من أهل مصالح يجب اعتبارها شرعا بناء على أن الشرع لم يرد بها، ففوت واجبات ومستحبات، أو وقع في محظورات ومكروهات، والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم النعمة»¹.

إن العمل بالمصالح المرسلّة يفتح آفاقا واسعة في مجال رعاية البيئة وصيانتها، وذلك في كثير من مستجدات العصر، التي تقتضيها مصالح الناس والكائنات الحية على وجه الأرض، من تنظييات وترتيبات لا تخالف نصوص الشريعة، وتستوعبها ملاحظة حفظ البيئة بجميع مكوناتها من العبث والتصرفات غير المسؤولة، التي يترتب عليها أسوأ النتائج في عاجل حياة الناس وآجلها.

والمقصود أن كثيرا من التصرفات الخاطئة حيال البيئة ومكوناتها يمكن أن تدل المصالح المرسلّة على منعها، وهي مصالح اعتبرها أهل العلم على اختلاف مذاهبهم وعصورهم، فإنه بالنظر إلى ما يحصل من تدمير للبيئة وإضرار بها على المستوى الفردي والجماعي، فإنه يمكن استحداث أنظمة وترتيبات تعنى بوقف ذلك أو التقليل منه، وذلك ما يمكن إدراجه تحت باب المصالح المرسلّة، بالنظر إلى أنها مصلحة كلية تخدم المجتمعات البشرية بأسرها².

¹ - مجموع الفتاوى (11/343-344)

² - المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، للدكتور السرياني (ص265)

وإذا أردنا الوقوف على كيفية استثمار العمل بالمصالح المرسلة في المسائل والمستجدات المتعلقة بالبيئة، فيمكن الإشارة إلى شيء من ذلك من خلال الآتي:

1. يستند وضع المحميات الطبيعية، وحماية الحياة الفطرية، وإنشاء الشبكات الوطنية والمحلية لكافة أنواع البيئات الساحلية والبحرية والجبلية والصحراوية على المصالح المرسلة، فلوالة أمور المسلمين ونوابهم وضع هذه المحميات في أماكن معينة يرون الحاجة إلى وضعها؛ لما في ذلك من تحقيق المصالح العامة، من حماية النباتات والأشجار من الاستنزاف، والمحافظة عليها من الندرة والافتراض، أو حماية الحيوانات المعرضة للانقراض بسبب الصيد الجائر من ذوي النفوس الضعيفة.

2. أن الأخذ بالمصالح المرسلة يتطلب من ولاة الأمور ونوابهم من السلطات الإدارية والقضائية والبلدية وأجهزة حماية البيئة ورعايتها، العمل على تحقيق المصالح والمنافع العامة ودفع المفاسد والمضار عن كافة المجتمع، ومن ذلك حماية البيئة ومواردها، والمحافظة عليها وتنميتها، وذلك ما يستدعي أيضا التطوير المستمر للمعرفة العلمية والمعرفة الفنية بالبيئة الطبيعية، ووسائل المحافظة عليها، وذلك عن طريق الأبحاث والمراقبة العلمية المتواصلة، ونشر المعلومات الدقيقة حيال ذلك على أوسع نطاق ممكن، وتضمينها في خدمات الإرشاد والوعي الاجتماعي والزراعي والاقتصادي، وسائر مناحي الحياة¹.

3. كذلك منع المصانع من نفث أدخنتها الضارة في الهواء، أو إرسال ما يصدر منها من سوائل مضرّة إلى الأنهار والبحار والجداول وسائر موارد المياه، يمكن أن يستند فيه إلى المصالح المرسلة، التي تشهد لها أصول الشريعة العامة الكلية، من مثل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾²، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»³، ولا شك أن الأضرار الحاصلة من تساهل كثير من المصانع ونحوها تلحق سائر الناس، بل ويمتد أثرها إلى جميع الكائنات الحية من نباتات وحيوانات وأسماك، وفي ذلك خطورة عظيمة على البيئة، وتعريض توازنها الطبيعي لضرر كبير يصعب تلافيه وعلاجه. وما ينبغي

¹ - ينظر: رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، للدكتور شحاتة (ص106).

² الأحزاب: 58.

³ - رواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب من بني في حقه ما يضر بجاره، (784/2)، حديث رقم (2341). والإمام أحمد في المسند (55/5) حديث رقم (2865). والبارقطني في السنن (228/4). والطبراني في المعجم الأوسط (4/125)، حديث رقم (3777). والحديث صحيحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (258/2).

أن لا يفوت ذكره أن المقصود بالأذى لا يتوقف عند حدود معينة، وإنما يمتد إلى مجالات بيئية متعددة، تشكل امتدادا لمفهوم الأذى الواسع النطاق وبأنماط جديدة، فعمل القطع والاجتثاث الجائر للغابات والأشجار ضرب من ضروب الأذى، ولعل التلوث الإشعاعي النابع من سباق التسلح النووي هو ضرب من ضروب الأذى، ولعل التلوث الكيميائي واسع الانتشار والمترتب على جشع البلدان الصناعية هو ضرب من ضروب الأذى... وإذا ما أردنا حصر هذه الأشكال ضمن واقعنا المعاش نجد هذا عصيا علينا، طالما ظهرت وبوتيرة متسارعة أنماط جديدة من أشكال الأذى مصدرها الإنسان، ولكنها ليست بإنسانية في حقيقتها¹.

4. كذلك يمكن بواسطة العمل بالمصالح المرسلّة تحديد نطاق كثير من التصرفات المتعلقة بالبيئة ومكوناتها، إذا ترتب على ذلك تحقيق المصالح العامة ودفع المضار العامة، كتحديد أوقات للصيد، أو منع صيد أنواع من الحيوانات المعرضة للانقراض أو الصيد الجائر، وكذا تحديد أوقات الاحتطاب أو أماكن خاصة به، وتحديد أوقات لصيد الأسماك ونحوها، لتأخذ الدورات الطبيعية للحياة مجالها.

5. ويمكن بواسطة المصالح المرسلّة إلزام الأفراد والمنشآت والشركات بإزالة الأضرار الناشئة عن استعمالهم ومشروعاتهم، أو طلب نقلها إلى أماكن أخرى أكثر سلامة وبعدا عن التجمعات السكانية أو المحيطات البيئية المهمة للكائنات والمخلوقات الحية.

6. مشروعية منح الحوافز البيئية، وذلك عن طريق تقديم القروض الميسرة أو الهبات للجهات المتعلقة بالبيئة، للتحويل إلى تقنيات البيئة النظيفة، وتقديم المساعدات التقنية المؤدية إلى حماية البيئة عن طريق التشجيع أو شراء المؤسسات الحكومية أو شبه الحكومية منتجات المصانع والمؤسسات التجارية الملتزمة بمبادئ حماية البيئة، فإن المصالح المرسلّة كما تدعو إلى دفع المضار عن البيئة، كذلك تدعو في الوقت نفسه إلى كل ما من شأنه جلب المصالح والمنافع للبيئة ومكوناتها.

¹ - بحث التدابير الشرعية في المحافظة على البيئة بين النظرية والتطبيق، للدكتور محمد الزغول، (ص ٩) ضمن بحوث البوابة التاسعة عشرة، لمجمع الفقه الإسلامي البولي .

7. كذلك يمكن الاستفادة من المصالح المرسلّة في وضع الأنظمة والسياسات التي تسهم في الحد من التلوث البيئي بمختلف أنواعه، وذلك عن طريق الآتي¹ :

- ضرورة نشر ثقافة المحافظة على البيئة البشرية والطبيعية، بحيث يعي الناس خطورة التلوث البيئي على الإنسان وجميع الكائنات الحية.

- أهمية الاحتراز واتخاذ جميع التدابير للوقوف أمام المشاريع والفعاليات التي تسهم في إنتاج التلوث البيئي.

- الحرص على الإكثار من حملات التشجير التي لا تحتاج إلى سقي مباشر بالماء، لتكون مصدات طبيعية للهواء المشبع بالتلوث البيئي.

- منع تصريف المياه الحارة والملوثة الناتجة عن المفاعلات النووية أو مراكز التحلية أو توليد الطاقة إلى الآبار والأنهار والبحار.

- سعي مؤسسات حماية البيئة إلى الحد من نسبة التلوث البيئي إلى القدر الطبيعي الذي لا يضر بصحة الإنسان، وذلك بضبط مصادر التلوث مثل إنشاء أجهزة لتنقية الهواء من الغازات والجسيمات، خصوصا قرب التجمعات السكانية وفي الأماكن العامة، كالمستشفيات والمدارس والدوائر الرسمية.

المطلب الثالث: سد الذرائع ورعاية البيئة:

من الأصول الفقهية المقررة عند أكثر أهل العلم قاعدة : (سد الذرائع)، تتميز هذه القاعدة العظيمة بتنوع تطبيقاتها ، خصوصا في عصرنا الحاضر، والذي تميز بكثرة النوازل، وتعقيدات المسائل، وتنوع الحوادث، وقد ثبت العمل بهذا الأصل في الاجتهاد في فقه الصحابة والتابعين، وفي المذاهب الفقهية الاجتهادية الأربعة، على تفاوت بينهم في الأخذ به ، أو درجة الأخذ، لما يتضمنه من سياسة

¹ - ينظر: بحث دور الدولة في حماية البيئة، للدكتور كمال رزيق (ص ٩٧) مجلة الباحث، عدد (2007/5)

منهجية حكيمية، لتحقيق مقاصد الشريعة العامة، وتربية الأمة والجماعات والأفراد، وإرساء معالم السيرة والأخلاق نحو تحقيق الغايات الكبرى للأمم والشعوب¹.

ويقصد بسد الذرائع: المنع من أمر جائز لئلا يتوصل به إلى الممنوع²، أو هو: المنع من أمر غير ممنوع لنفسه، قويت التهمة في أدائه إلى أمر محظور³، قال ابن القيم - رحمه الله -: «باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان: أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصارت الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين»⁴.

وقد درس مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره التاسع بأبي ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة موضوع سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص هذا الموضوع، قرر ما يلي:

1. سد الذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية، وحقيقته: منع المباحات التي يتوصل بها إلى مفسد أو محظورات.

2. سد الذرائع لا يقتصر على مواضع الاشتباه والاحتياط، وإنما يشمل كل ما من شأنه التوصل به إلى الحرام.

3. سد الذرائع يقتضي منع الحيل إلى إتيان المحظورات أو إبطال شيء من المطلوبات الشرعية، غير أن الحيلة تفتقر عن الذريعة باشتراط وجود القصد في الأولى دون الثانية.

4. الذرائع أنواع:

¹ - ينظر: بحث سد الذرائع، للدكتور وهبة الزحيلي (ضمن بحوث الدورة التاسعة، لمجمع الفقه الإسلامي الدولي). أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة (ص 287).

² - ينظر: الموافقات (3 / 257).

³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (2 / 57)، بحث سد الذرائع، للدكتور أحمد القري (ضمن بحوث الدورة التاسعة، لمجمع الفقه الإسلامي الدولي).

⁴ - إعلام الموقعين (3 / 159).

الأولى: مجمع على منعها: وهي المنصوص عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أو المؤدية إلى المفسدة، سواء أكانت الوسيلة مباحة، أم مندوبة، أم واجبة، ومن هذا النوع العقود التي يظهر منها القصد إلى الوقوع في الحرام بالنص عليه في العقد.

والثانية مجمع على جوازها: وهي التي ترحح فيها المصلحة على المفسدة.

والثالثة مختلف فيها: وهي التصرفات التي ظاهرها الصحة، لكن تكتنفها تهمة التوصل بها إلى باطن محظور، لكثرة قصد ذلك منها.

5. ضابط إباحة الذريعة: أن يكون إفضاؤها إلى المفسدة نادرة، أو أن تكون مصلحة الفعل أرجح من مفسدته.

وضابط منع الذريعة: أن يكون من شأنها الإفشاء إلى المفسدة لا محالة قطعا، أو كثيرا، أو أن تكون مفسدة الفعل أرجح مما قد يترتب على الوسيلة من المصلحة¹.

وإذا كان الأصل في اعتبار سد الذرائع النظر إلى مآلات الأفعال، فيأخذ الفعل حق يتفق مع ما يؤول إليه، سواء أكان الفاعل يقصد ذلك الذي آل إليه الفعل أو لا يقصده، فإذا كان الفعل يؤدي إلى مطلوب فهو مطلوب، وإن كان لا يؤدي إلا إلى شر فهو منهبي عنه، حتى ولو كان في الأصل مشروع، وذلك أن النظرة إلى هذه المآلات لا يلتفت إلى نية الفاعل وقصده، بل إلى نتيجة ذلك الفعل وثمرته² وإذا كان الأصل هو ما تقرر فإنه يمكن استثمار ذلك في المنع من كثير من التصرفات التي تنتج شرورا في البيئة ومكوناتها، وإن كانت في الأصل مباحة، أو لم يقصد فاعلها إلحاق الأذى بها أصلا، بل جاءت تلك الاعتداءات كنتيجة حتمية لذات فعله.

إن الأخذ بقاعدة سد الذرائع يفتح المجال للوقوف على حكم كثير من التصرفات حيال البيئة ومكوناتها، ذلك أن هذه الأحكام التي لا نجد لها أدلة خاصة من الكتاب أو السنة أو الإجماع، ولا لمحلها نظير نقيسه عليه، يمكن أن ترجع إلى الحكم بالعدل والعمل بمبدأ سد الذرائع³، وذلك مراعاة للملابسات

¹ - ينظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي (ص 209-201)

² - ينظر: أصول الفقه، للشيخ محمد أبو زهرة (ص ٢٨٨)

³ - ينظر: بحث البيئة والحفاظ عليها، للدكتور محمد النجدي، ص ٢٥ ضمن بحوث الدورة التاسعة عشرة، لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.

الطارئة والعوارض المقارنة للنوازل التي لم تكن موجودة وقت التشريع، ولم تتضمن أحكامها الأدلة الخاصة، ولا شك أن الشريعة الإسلامية بحكم شموليتها وكمالها تضمنت الأسس الموجهة والقواعد الضابطة لكل مناحي الحياة، وتظهر أهمية مبدأ سد الذرائع من خلال التدخل الوقائي عند اختلال الموازين والتعسف في استعمال الحق مما يؤدي إلى إيقاع الضرر بالآخرين، سواء عن قصد أو عن غير قصد، فإهمال هذا الأصل يعتبر ظلًا يندب لا محالة بوقوع نتائج تشتمل على أضرار ناشئة عن الإطلاق في استعمال الحق، رغم مشروعيته في الأصل¹.

ويمكن أن نستثمر هذا الأصل حينما يتم تقرير منع الصيد في أوقات معلومة أو في موسم التكاثر، من أجل الحفاظ على تنظيم نشاط الصيد، سواء تعلق الأمر بالبيئة البرية أو البحرية، والمعروف أن الصيد في أصله مشروع ومباح، لكن لما ترتب على فتح ذلك طوال العام إرهاق البيئة الحيوانية أو البحرية والتسبب في انقراض كثير من الأنواع اللازمة للتوازن البيئي، كان المنع ضروريا للحفاظ على البيئة وعلى موارد الناس مستمرا بلا انقطاع.

ومن ذلك ما تعمل عليه وزارة الفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات بالمملكة المغربية من القيام بالمحافظة على الثروات السمكية في البحر الأبيض المتوسط الذي تبلغ سواحله 500 كلم والمحيط الأطلسي والتي تمتد سواحله 3000 كلم، وخشية تعرضها للانقراض، تم اتخاذ مجموعة من الإجراءات والتدابير² التي تهدف على المدى القصير إلى حماية مناطق تفريخ وتكاثر الأريين من خلال توقف نشاط الصيد وخلق مناطق التجميع. ويحدد هذا المخطط، ما يلي:

- مناطق الصيد المرخصة
- الأنواع المهيأة
- المسافة من الساحل المسموح بها
- مناطق وفترات توقف الصيد
- آليات الصيد المرخصة

¹ - ينظر: نظرية التعسف في استعمال الحق، للدكتور الدريني (ص 310)، اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، للدكتور السنوسي (ص 261-263).

² ينظر على الشابكة <http://www.mpm.gov.ma/wps/portal/PortailArabe-MPM/peche> بتاريخ 2021/04/05

■ الأحكام القانونية المسموح صيدها.

بالنسبة للإجراءات على المدى الطويل، فتأتي لتعزيز الإجراءات المستعجلة السالفة الذكر من خلال وضع نظام الحصص يطبق على جميع السفن العاملة.

وذلك من خلال سن الأنظمة التي تنظم عمليات الصيد بطريقة مستدامة، بحيث يستغل المخزون من الأحياء البحرية الاستغلال الأمثل، فتم اعتماد نظام يمكن أن يستند إلى قاعدة سد الذرائع، في ظل العواقب الوخيمة التي تسببها ممارسات الصيد غير القانونية على استدامة الثروات، وعلى النظم الإيكولوجية البحرية وكذا على الحالة السوسيو اقتصادية للعاملين الزهاء في قطاع الصيد، أصبحت محاربة ظاهرة الصيد غير القانوني وغير المصرح به وغير المنظم أولوية رئيسية .

وأمام الاهتمام والمسؤولية الوطنية تجاه الثروة البحرية، يجد المغرب نفسه مدعوا إلى تحسين تدبير واستغلال المحافظة على موارده السمكية بطريقة مستدامة ولذلك اعتمدت وزارة الفلاحة والصيد البحري على تنزيل مخطط "أليوتيس"، الذي يأخذ بعين الاعتبار استمرارية الموارد واستغلالها بطريقة مستدامة لصالح الأجيال القادمة، مما جعله يلتزم باحترام التدابير الدولية المعمول بها فيما يخص إدارة وصون الموارد السمكية.

وفي إطار ادماج عمليات التتبع والمراقبة في مجال الصيد البحري من أجل الامتثال للقوانين والإجراءات الجاري بها العمل، بادرت الوزارة إلى تنسيق مراقبة مصايد الأسماك داخل مديرية الصيد البحري وتربية الأحياء البحرية من خلال إنشاء وحدة دعم تنسيق المراقبة التي تمثل مهمتها في تحسين وإدارة وتنسيق مهمتي متابعة ومراقبة الامتثال للقوانين وإجراءات إدارة الموارد السمكية والمحافظة عليها، بما في ذلك الإشراف على المركز الوطني لمراقبة سفن الصيد. وتساهم هذه الوحدة بشكل كبير في الإدارة المستدامة للموارد السمكية.

وتتم المراقبة في الموانئ المغربية على امتداد الساحل من طرف مندوبيات الصيد البحري التابعة لوزارة الصيد البحري والتي يبلغ عددها 18، تركز هذه المصالح الخارجية بعض من خدماتها لمراقبة أنشطة صيد الأسماك، كما تسهر على تنفيذ سياسة المراقبة التي وضعتها الوزارة. فهي توفر مراقبة دؤوبة

في نقاط التفريغ للمصطادات ومزادات البيع الأولى، كما أنها توفر مراقبة على مستوى الوحدات الأرضية (مصانع التحويل والتهيئة والمخازن).

وتعد مراقبة أنشطة صيد السفن المبحرة في مياه المملكة أمراً ضرورياً، يسهر على تنفيذها البحرية الملكية والدرك الملكي. كما تم تعزيز الرصد عبر الساتل للمراقبة البحرية بتعميم وضع جهاز التوقع والرصد على الأسطول الوطني الساحلي وفي أعالي البحار.

وفي إطار استراتيجيتها الجديدة، اعتمدت وزارة الفلاحة والصيد البحري بالمملكة المغربية مقاربة جديدة تتمثل في وضع وتفعيل أجهزة رصد ومراقبة أنشطة الصيد، بالإضافة إلى نظام شامل لتتبع المسار يسمح بتحديد مسالك المنتجات السمكية خلال جميع مراحل الصيد والتفريغ، والنقل، والتخزين، والاستيراد، والتصنيع والتوزيع والبيع إلى المستهلك النهائي.

تهدف هذه المقاربة إلى تحسين نظام التتبع والمراقبة الوطني. وبهذه الطريقة تعطى للفاعل المهني من جهة والمراقب من جهة أخرى الفرصة للتأكد بأن المصطادات لا تتأق من صيد غير قانوني وغير مصرح به وغير منظم¹.

وما يمكن أن يستند إلى قاعدة سد الذرائع المنع من عمليات الدفان² والتجريف التي تؤثر تأثيراً سلبياً على صغار الأحياء المائية البحرية والساحلية، بشكل عام، وعلى المخزون السمكي بشكل خاص، بالنظر إلى أن معظم الأسماك والكائنات البحرية الأخرى تتكاثر قرب السواحل، فدفن المناطق الساحلية بمخلفات المدن لغرض إقامة بعض المشاريع السياحية أو التوسع العمراني يؤدي إلى تدهور البيئة البحرية من جراء تأثير تلك المخلفات وما تحتويه من معادن ثقيلة ومواد هيدروكربونية، وأيضاً مواد غير قابلة أو صعبة التحلل، نظراً إلى أن المناطق الساحلية شديدة الحساسية بيئياً³.

وعليه يمكن أن يقرر أن النتائج المترتبة على التصرفات المباحة في الأصل حيال البيئة لها أهميتها الكبيرة في التأصيل الفقهي، الذي جاء شاملاً ومتكاملاً، حيث يتم إقرار صاحب الحق على تصرفه

¹ قطاع الصيد البحري - وزارة الفلاحة والصيد البحري ينظر على الشبكة <http://www.mpm.gov.ma> > portal بتاريخ 2021/05/03

² يعرف الدفان بأنه كمية المواد الترابية المحتاجة ليطم وضعها في الحفرات والأساسات تحت الأرض والغرض منه ملئ الحفر للوصول إلى المستوى المطلوب. يتم استخدام الصخور والركام والحصى وحتى الرمل ملئ الفراغات، ينظر على الشبكة <https://ujeeb.com>. بتاريخ: 2022/04/13

³ - ينظر على الشبكة > News <https://www.alayam.com> بتاريخ 2022/04/14

واستعماله أو عدم إقراره بالنظر إلى ما يؤول إليه ذلك التصرف أو الفعل، وذلك ما يؤدي إلى تقييم كثير من التصرفات التي تستند إلى فكرة التعسف في استعمال الحق، التي تعرفها أيضا القوانين الوضعية¹.

المطلب الرابع : مقاصد الشريعة ورعاية البيئة :

المقاصد لغة: جمع مقصد، وهو استقامة الطريق، يقول سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾²، أي: وعلى الله تبين الطريق المستقيم، والدعوة له بالأدلة والحجج الواضحة، والقصد في الشيء ضد الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير وهو العدل³.

المقاصد اصطلاحاً: من أفضل التعاريف التي وقفت عليها تعريف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور⁴ إذ عرفها بالمعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة⁵.

أما الإمام الشاطبي فيرى أن مقاصد الشريعة هي المعاني التي تدخل فيها أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها⁶، وبعبارة أكثر اختصاراً يمكن أن يقال هي: الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد⁷.

¹ - ينظر: المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، للدكتور السرياني (ص 258).

² النحل: 9.

³ ينظر لسان العرب ، مادة قصد 3642/5 و المعجم الوسيط 738/2

⁴ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كان يعرف بكبير المفتين المالكيين بتونس و شيخ جامع الزيتونة بتونس ولد و درس و توفي بها ، من مصنفاته : التحرير و التنوير في تفسير القرآن ، و مقاصد الشريعة الإسلامية ، توفي سنة 1393 هـ ، ينظر : معجم الأصوليين لأبي الطيب السوسني ، ص 456 و الأعلام للزركلي 174/6

⁵ ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ص 49

⁶ - ينظر: مقاصد الشريعة، لابن عاشور (ص 51).

⁷ - ينظر: نظرية المقاصد عند الشاطبي (ص 7).

والمقاصد الشرعية تتفاوت مراتبها لتباين آثارها؛ لذا جعلها أهل العلم على أقسام باعتبار المصالح التي جاءت بحفظها أو باعتبار رتبها، واستقر اصطلاحهم على أنها مراتب ثلاث:

01 - مقاصد ضرورية: وهي المصالح التي تتضمن حفظ مقصود من الضروريات الخمس التي جاءت بها كل الشرائع، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، فهي كما يقول الغزالي -رحمه الله- (ت 505 هـ): «تحریم تفويت هذه الأصول الخمسة يستحيل أن لا تشمل عليه ملة ولا شريعة أريد بها إصلاح الخلق، وقد علم بالضرورة كونها مقصودة للشرع، لا بدليل واحد وأصل معين، بل بأدلة خارجة عن الحصر»¹.

والمعنى من ضرورة هذه الأصول: «أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الآخرة: فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين»².

02 - مقاصد حاجية: وهي المصالح التي يفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراخ دخل على المكلفين في الجملة الحرج والمشقة؛ ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة³.

وعليه فهذه المقاصد لم تبلغ فيها الحاجة مبلغ الضرورة بحيث لو فقدت لاختل نظام الحياة، وتعطلت المنافع وعمدت الضروريات أو بعضها، بل لو فقدت للحق الناس عنت ومشقة وحرج يشوش عليهم صفو حياتهم، ومن أمثلتها: الخ المخففة؛ كالفطر زمن وجوب الصيام بسبب المرض أو السفر، ومثل: إباحة الصيد والتمتع بالطيبات ما هو حلال⁴.

¹ - المستصفى (1/ 295).

² - الموافقات للشاطبي (2/ 8).

³ - ينظر: الموافقات للشاطبي (11/ 2).

⁴ - ينظر: قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام (2/ 60)، مقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتور البيهقي (ص 317).

03 - مقاصد تحسينية: وهي ما يتعلق بالأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك: قسم مكارم الأخلاق، فهي في الحقيقة لا ترجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة، ولكن تقع موقع التحسين والتزيين¹.

إن مقاصد الشريعة الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بمجال رعاية البيئة، سواء من خلال بنائها والمحافظة عليها، أو من خلال حمايتها من الاستنزاف أو التلف أو الفساد أو الأضرار التي قد تتعرض لها عن قصد أو لا، ويلمس ذلك جليا بالتأمل في كلام أهل العلم حول المقاصد الضرورية بالذات، حيث يقول الشاطبي -رحمه الله- في هذا الصدد: «والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم»².

وقد بين الدكتور القرضاوي - حفظه الله - كيفية استثمار هذا التوجيه في مجال البيئة بقوله: «بهذا أعطانا هذا التوجيه الأصولي طريقين لإصلاح البيئة ورعايتها، طريق إيجابي أو علاجي أو وجودي - بتعبير الشاطبي - وطريق سلبي أو وقائي بتعبير عصرنا... ولا ريب أن حماية البيئة والمحافظة عليها تدخل في الضروريات الخمس كلها، إذا تأملنا الأمر بعمق وتدبر»³.

وحينما نقوم باستعراض المقاصد الخمس الضرورية، يمكن أن نحصل على نتيجة مفادها أن مقصد حفظ البيئة يمكن أن يكون مقصدا كليا داخلا ضمن كل مقصد منها، ولعل ذلك يتضح جليا من خلال تفصيل الكلام عن كل مقصد منها على حدة على النحو الآتي⁴:

أولا - مقصد حفظ الدين:

¹ - ينظر: البرهان، للجويني (924/2)، الموافقات، للشاطبي (11/2)، مقاصد الشريعة، للدكتور البيهقي (ص ٣٢٨).

² - الموافقات، للشاطبي (8/2).

³ - رعاية البيئة (ص 46-47).

⁴ - ذكر ذلك الدكتور القرضاوي في كتابه: رعاية البيئة (ص 47-51)، والدكتور محمد الألفي في بحثه: البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي (ص 5-7) ضمن بحوث الدورة التاسعة عشرة، لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.

يرتبط مقصد حفظ الدين ارتباطاً وثيقاً برعاية البيئة، وعناصرها ومكوناتها، ذلك أن الله سبحانه و تعالى خلقها وسخرها لنفع عباده وأراد لها الاستمرار، وحذر من الاعتداء عليها أو محاولة إفنائها، ودعا إلى شكرها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ تَأْذِينَ رَبِّكُمْ لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ¹ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ²﴾¹، ولا شك أن شكر هذه النعم يتحقق باستخدامها فيها خلقت له، والحفاظ على توازنها، والحذر من إفسادها أو تغيير طبيعتها، أما نكران النعم وجودها فيتمثل في إفسادها وتخریبها وإلحاق الضرر بها.

وموازاة مع ذلك فإن الاعتداء على البيئة يتعارض ويتنافى مع الجوهر الحقيقي للدين والالتزام بشريعة الإسلام، ويتناقض مع المهمة التي كلف بها الإنسان على الأرض، ويتعارض كذلك مع العدل والإحسان اللذين حث الله سبحانه على وجوب تطبيقهما في كتابه، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ²﴾²، كما تتناقض مع ما أمر الله به عباده من عمارة الأرض وإصلاحها، وما نهى عنه من إفسادها وتخریبها، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ³﴾³، ليكون بذلك مقصد الدين الأساسي هو الدعوة بكل ظهور إلى رعاية البيئة والعناية بها⁴.

ثم إن رعاية البيئة تدخل ضمن مقصد الدين من حيث إن الحكم بالدين والعمل به ضرورة من ضرورات حفظه، وإن المراد بحفظ الدين أن يؤدي غرضه في الأرض وأن يحكم تصرفات البشر، وذلك من خلال إظهار أحكام الإسلام وشعائره وإقامة حدوده، وجعله محمّية على الحياة كلها بما يتناسب مع طبيعة هذا الدين ومقاصده، ومن المعلوم ما يحققه ذلك من حفظ للدين، بترسيخ مفاهيمه في النفوس، وتحقيق مقاصده من جلب المصالح ودرء المفاسد⁵.

ثانياً: مقصد حفظ النفس:

¹ إبراهيم: 7.

² النحل: 91.

³ الأعراف: 56.

⁴ - ينظر: رعاية البيئة، للدكتور القرضاوي (ص 47-48).

⁵ - ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتور البيوي (ص 198، 218).

اهتمت شريعة الإسلام بالمحافظة أشد المحافظة على الأنفس، وبذلك شرعت من الأحكام كل ما يكون سببا في إيجاد النفس وبقائها مصونة ومحفوظة، وما يجلب لها المصالح، ويدفع عنها المفاسد، وكل ذلك حرصا على صيانتها ورعايتها، ودرء الاعتداء عليها؛ لأنه بتعرض الأنفس للضياع والهلاك يفقد الإنسان المكلف الذي يعبد الله في الأرض، ويقوم شعائر دينه¹.

وما لا شك فيه أن إفساد البيئة وتلويثها، أو التعرض باستنزاف مواردها، أو التسبب بالإخلال بتوازنها وتكاملها، كل ذلك يعد من الأمور الخطيرة في عصرنا الحاضر التي أضحت تهدد الأنفس البشرية، وهي تتعارض بشكل أساس مع مفهوم مقصد حفظ النفوس في شريعة الإسلام.

وتنزيلا لما سبق فيمكن تطبيق هذا المقصد على أسلحة الدمار الشامل التي اخترعها الإنسان باعتبارها جناية عظيمة على البيئة بجميع مكوناتها بما فيها الإنسان نفسه، ويدخل فيها الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية، فهي بجميع صورها تتنافى مع التصور الإسلامي، الذي لا يبيح الدمار الشامل لمخلوقات الله عز وجل، ولعل أقصى ما يمكن السماح به هو وجود قوة تردع أعداء المسلمين من الاعتداء عليهم².

إن شريعة الإسلام بتوجيهاتها الحكيمة ومقاصدها العظيمة يتكامل فيها الفهم الشامل لكل ما يحقق مصالح الإنسان على الأرض ومصالح الأجيال المتعاقبة، ولكل ما يحقق أيضا درء المفاسد ورفعها، وذلك فيما إذا سار الإنسان على الهدى القويم في التعامل مع بيئته ومكوناتها بما فيها من خيرات، وحافظ عليها حتى لا تتأثر حياته وحياة الكائنات بالمفسدات والمنغصات، التي تولد الأضرار والفساد الذي يصعب تلافيه، ويعرض الحياة الإنسانية إلى ما لا تحمد عقباه.

ثالثا - مقصد حفظ النسل:

حفظ النسل من الركائز الأساسية في الحياة، ومن أسباب عمارة الأرض، وفيه تكمن قوة الأمم، وبه تكون مرهوبة الجانب، عزيزة القدر تحمي أديانها، وتحفظ نفوسها، وتصون أعراضها وأموالها

¹ - ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتور اليبوي (ص 209)، مقاصد الشريعة تأصيلا وتفعيلا، للدكتور محمد باكر (ص 314-315).

² - ينظر: البيئة في الفقه الإسلامي وقاية وتنمية، للمشيخ خليل الميس (ص 32-33) ضمن بحوث الدورة التاسعة عشرة، لجمع الفقه الإسلامي الدولي.

والإسلام قد عني بحماية النسل ودعا إلى تكثيره ومنع كل ما من شأنه أن يقف في طريق سلامته أو إيجاده¹.

وتدخل رعاية البيئة والعناية بها ضمن مقصد حفظ النسل من حيث إن الاعتداء على البيئة أو بعض مكوناتها يهدد حياة الأجيال المتعاقبة أو يعرضها للخطر العظيم، الذي قد يصعب تلافيه، فإن بعض التصرفات الخاطئة حيال البيئة لا يظهر أثره مباشرة للجيل الذي أفسد واستنزف الموارد، بل تبقى آثاره تراكمية ومتعاقبة ومتسلسلة، بحيث تشتد وتتفاقم وتصبح ظاهرة خطيرة بعد أجيال عدة، مما يولد لتلك الأجيال مخاطر يصعب عليهم دفعها، ويلقي باللائمة فيها على من سبقهم، وورثهم أسباب تلك الشرور والمفاسد.

إن من المفاهيم الإسلامية المهمة، تكافل الأجيال الإسلامية بعضها مع بعض، بحيث لا يجوز أن يستأثر جيل بالخير والنعمة على حساب جيل أو أجيال قادمة، كما لا يجوز أن يطغى على حقه، أو يستنفد مصادر رزقه، أو يجور على موارد معيشته، فإن هذا من الظلم الذي حرمه الله على عباده²، ويمكن أن نلاحظ أهمية مراعاة حق الأجيال القادمة في شريعتنا الإسلامية انطلاقاً من قول معلم البشرية رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ يقول : «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»³.

رابعا - مقصد حفظ العقل:

إن المقصد العام من التشريع الإسلامي حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصالح المهين عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه⁴.

وحفظ العقل إنما كان مطلوباً من الشرع من حيث إن العقل مناط التكليف، فيحرم حينئذ كل ما من شأنه إدخال الخلل عليه، وهذا ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً برعاية البيئة والحفاظ على نقائها؛ فإنه

¹ - ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتور البيوي (ص256).

² - ينظر: رعاية البيئة، للدكتور القرضاوي (ص50).

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس (287/2)، حديث رقم (2742)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، (ص767)، حديث رقم (1628)

⁴ - ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور (ص273).

ثبت علمياً أن التلوث الإشعاعي والتلوث الصوتي لهما أثر خطير ومباشر على خلايا المخ، وقد يبكر في الإصابة بأمراض تعود على العقل بالضرر والآفات، فمقصد حفظ العقل يلزم أن نتجنب كل تصرف حيال البيئة أو بعض عناصرها يعود على الإنسان بالأضرار والآفات في عقله وتفكيره¹.

خامساً - مقصد حفظ المال :

يعتبر المال من العناصر الأساسية التي بنيت عليها الحضارات الإنسانية، وهو من الضروريات التي لا تستقيم المصالح إلا بها، وقد أشارت النصوص الإسلامية إلى الأهمية الكبيرة للمال في حياة الإنسان، ويعد من أبرز ما جاء في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾².

وفي عصرنا الحاضر لا يمكن قراءة المتغيرات الاقتصادية بمعزل عن كثير من المؤثرات البيئية، فإنه بات من المؤكد علمياً أن كل واحد منها يؤثر ويتأثر بالآخر سلبيًا وإيجابيًا، وإذا كان الإنسان لديه ميل فطري الامتلاك لبعض ما يوجد في بيئته؛ فكل فرد من أفراد المجتمع أيضا يشارك في الوقت ذاته غيره الانتفاع بأشياء أخرى لا تخضع للملكية الخاصة، كالأنهار وشواطئ البحار والغابات ونحوها، وقد يحصل الإضرار من قبل كثير من الناس حيال هذه الملكيات العامة، مما يؤدي إلى تدهور خطير في البيئة، يترتب عليه تكاليف مادية لا حصر لها.

إن مقصد حفظ المال يحتاج إلى وقفة متأنية لعلاقته الوطيدة برعاية البيئة والحفاظ على مقدراتها؛ حيث إن الدراسات المتعلقة بكلفة التدهور البيئي خلصت إلى أن تقدير الكلفة البيئية الناتجة عن العبث بمكونات البيئة يمكن تقديرها من خلال حساب التراجع في نوعية حياة الناس وتردي نوعية البيئة، مثل التعرض للأمراض الناتجة عن تلوث البيئة، وكلفة علاج هذه الأمراض جسدياً ونفسياً، وسنوات العمل والحياة التي تتم خسارتها بسبب الأمراض، إضافة إلى خسارة قيمة الخدمات البيئية والموارد (التربة، المياه، الهواء، التنوع الحيوي)، وخاصة غير المتجددة منها، وكذلك خسارة الفرص والميزات البيئية، مثل المعايير الجمالية للمناطق السياحية.

¹ ينظر: بحث البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي، للدكتور الألفي (ص 6) ضمن بحوث البوابة التاسعة عشرة، لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.

² النساء: 5.

وفي الحقيقة على الرغم من أن تكاليف تدهور البيئة خفي وصعب التقدير، إلا أنه في كثير من الدول حقيقي وكبير وفي نمو مستمر، وعلى سبيل المثال نجد في العالم العربي أن الموارد الطبيعية تستغل بطريقة لا تضمن استدامتها، مما أدى إلى إعاقة مسيرة التنمية وجهود تقليص الفقر، وقد قدر للأسف- البنك الدولي التكلفة الناتجة عن تدهور البيئة في العالم العربي من (4-9 %) من الناتج المحلي لبعض الدول العربية، مقارنة ب (2٪) لدول منظمة الدول المتطورة اقتصاديا، و(5%) لدول أوروبا الشرقية¹. إن عملية تقدير الكلفة الاقتصادية للتدهور البيئي تتم عبر عدة مراحل، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. التقدير الكمي والرقمي للتدهور البيئي (تلوث الهواء، تلوث المياه، تراجع إنتاجية التربة، ... إلخ)

2. التقدير الكمي والرقمي لنتائج التدهور البيئي مما يؤثر تأثيرا سلبيا على الصحة بسبب تلوث الهواء والمياه، تغيرات الإنتاج الزراعي بسبب تلوث وتملح التربة، استنزاف الموارد الطبيعية).

3. تقدير مالي لنتيجة التدهور البيئي (قيمة العلاج، والسنوات الضائعة من العمل بسبب الإصابات المزمنة، إلخ...).

وإذا أردنا الوقوف على حجم مشكلة التلوث البيئي في العالم العربي، وما ينتج عنه من تكاليف مادية لا يمكن تعويضها بسهولة، يمكننا النظر بعين الوجل والتربص إلى دراسة قام بها البنك الدولي حيال ذلك، حيث تم تقسيم قطاعات البيئة إلى ست قطاعات، وهي: المياه، الهواء، التربة، المخلفات، البيئة الساحلية، وكذلك التأثير على البيئة العالمية، وقام البنك الدولي بإجراء سبع دراسات تقييمية في الدول العربية ما بين 2002-2004، ويوضح الجدول الآتي النتائج التراكمية المقارنة لهذه الدراسات²:

الدولة	مجموع كلفة التدهور البيئي	نسبة التدهور البيئي من الانتاج المحلي الاجمالي
مصر	2280	4.8%

¹ - ينظر: صحيفة الراية القطرية، عدد يوم الخميس 2009/04/09م

² - ينظر: مقال: (تقدير كلفة التدهور البيئي في العالم العربي) للأستاذ باقر وردم، من موقع مرصد البيئة الأردني على الشبكة <http://www.arabenvironment.net/arabic> بتاريخ: 2022/06/12

3.7%	1230	المغرب
3.5%	422	سوريا
3.4%	565	لبنان
3.2%	1293	الجزائر
3.1%	205	الأردن
2.1%	440	تونس

إن المتصفح لهذه النتائج سيصاب بفزع وصدمة، وذلك ما يكشف بجلاء كيفية تضييع مقصد حفظ المال الذي دعت إليه الشريعة الإسلامية مما أدى إلى آثار تراكمية خطيرة للناس وللأجيال اللاحقة.

ونخلص مما سبق كله إلى أن مقاصد الشريعة ترتبط ارتباطا وثيقا برعاية البيئة والحفاظ عليها من كل اعتداء عليها، سواء بالاستنزاف أو التلف أو الفساد، وإذا كانت رعاية البيئة والمحافظة عليها تحقق مقاصد الشريعة وضرورياتها الخمس، فإن إفسادها أيضا بأي شكل من الأشكال يضيع هذه المقاصد ويجني على الضروريات كلها¹؛ ويؤيد ذلك ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾²، فجاء هذا النهي شامل لإيقاع أي فساد في الأرض، أو إدخال لماهيتها في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان، وأن معنى بعد (بعد إصلاحها) أي بعد أن أصلح الله خلق الأرض على الوجه الملائم لمنافع الخلق و مصالح المكلفين³.

بعد تفصيلنا لاهمية التقعيد الأصولي في حماية البيئة ، سنتطرق بحول الله و قوته لدور التقعيد الفقهي ومساهمته في الحفاظ على البيئة، و ذلك ما سنتقف عليه بالمبحث الثاني .

¹ - ينظر: رعاية البيئة، للدكتور القضاوي (ص 52).

² الأعراف: 56.

³ ينظر البحر المحيط لأبي حيان (70/5)

المبحث الثاني: حماية البيئة من خلال التععيد الفقهي:

المطلب الأول - اهتمام الفقهاء بالقواعد الفقهية:

تأسس الاجتهاد الاسلامي في شموليته - خاصة في مجال البيئة - على العديد من القواعد التي اشتمل عليها علم أصول الفقه، والذي أكد فيه الأصوليون أن شريعة الإسلام وأحكامها إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في الحياة وبعد الممات؛ وذلك ما قرّره آيات القرآن الكريم المصدر الأول لهذه الشريعة السمحاء، وفصلته السنة المشرفة للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، المصدر الثاني لشريعة الإسلام.

ولعله قد اتضح مما أوردته من تطبيقات أن فقهاء المسلمين قد اهتموا بأمر المحافظة على البيئة اهتماماً كبيراً، ترجم ما أمر به القرآن الكريم من نصوص تشريعية تناولت قضايا مُتعدّدة ذات صلة بالأرض واستغلالها والحيوانات وحمايتها، وغير ذلك من الأمور التي تُحقّق كل نفع للإنسان، وتمنع عنه كل ضرر، وقد ظهر ذلك جلياً فيما صاغوه بشأن نظرية عدم التعسّف في استعمال الحق، وما ناقشوه من مسائل فرعية في ضوء هذه النظرية، وخاصة ما تناوله الأحناف والمالكية فيما يتعلق بملاك الأراضي واستعمالهم لها، المؤدية إلى الإضرار بالآخرين، وكذلك ما وضعه أبو يوسف من قيود على حقوق الأفراد والسلطات في زراعة الأرض البكر حين تُسفر عن ضرر بالغ، ومثل ذلك ما وضعه ابن قدامة من قيود على استخراج المياه الجوفية؛ إذ ليس للإنسان الحق في أن يؤثر على بئر جاره تأثيراً سيئاً عن طريق خفض النّطاق المائي أو تلويث الطبقة الصخرية المائية.

ثم تتابع اجتهاد الفقهاء في العصور المختلفة بشأن البيئة، وتحدث الفقهاء بتفصيلات دقيقة عن المياه والطهارة بجميع أنواعها؛ شخصية كانت أو بيئية، كما تحدثوا عن النباتات والزروع وما يتعلق بها من أحكام تحميها من القطع والإفساد، وتحدثوا عن إحياء الأرض الموات وما يؤدي إلى ذلك من حماية للنظام البيئي وتوازنه، وتناولوا أيضًا الكثير من القضايا التي تعالج مسألة التلوث وآثارها الضارة بالإنسان والمجتمع، ومن ذلك مثلاً: التلوث السمعي الذي عالجته الفقهاء كأحد الأضرار التي يجب أن تدفع عن الإنسان؛ حيث يقول أحد الباحثين في ذلك: وقد قسم الفقهاء الضرر الناتج عن الأصوات إلى قسمين:

■ ضرر يجب درؤه، وضرر يُمكن احتماله، ومثال القسم الأول: الأصوات والذبذبات الناتجة عن حركة البوابات؛ إذ إنها تؤثر على سلامة المباني المجاورة لها، يروي ابن الرامي (المتوفي عام 179 هـ) في كتابه "الإعلان بأحكام البنين" أن مجموعة من الناس أقاموا بوابة لحارتهم، يفتح بابها على حائط جارٍ لهم، فقاضاهم هذا الرجل بدعوى أن فتح الباب وغلقه المستمرين قد أضرا به وأقلقا راحته، فتحرى ابن الرامي الأمر ووجد الحائط يتذبذب من جراء فتح الباب وغلقه، فأمر القاضي بهدم البوابة وإزالة بابها.

■ أما القسم الثاني من الضرر، فينتج عن الأصوات التي تُسبب الضيق دون الضرر، وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه، فلم يعتبره الفقهاء الأوائل ضرراً يجب درؤه، فقالوا بعدم إيقاف الغسال والضراب لمجرد أن ضوضاء عملها تقلق الجيران، بل منهم من ذهب إلى عدم جواز منع أحد من ضرب الحديد في منزله وإن كان يفعله ليل نهار، بشرط أن يعتمد معاشه على ذلك، أما من لحقهم من الفقهاء فقد كان لهم رأي مُغاير، فاعتبروا الصوت والصدى ضوضاء ومصدراً للضرر يجب درؤه. فنجد القاضي ابن عبد الرافع في تونس يُعرب عن تفضيله منع بناء حظائر الحيوانات مُتاخمة للمباني؛ لما تُسببه حركة الحيوانات الدائمة أثناء الليل والنهار من إزعاج قد يمنع الجيران من النوم¹.

وقد تأسس الاجتهاد الفقهي في مجمله -وفي موضوع البيئة بصورة خاصة- على جملة من القواعد التي احتواها علم أصول الفقه، والذي يَبين فيه الأصوليون أن أحكام الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح

¹ محمد عبد القادر الفقي، مكتبة ابن سينا القاهرة، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، ص 86

العباد في الحياة وبعد الممات؛ وذلك انطلاقاً مما قرّرت آيات القرآن الكريم، وبينته سنّة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، ويُمكن أن نشير هنا إلى قضيتين أساسيتين لهما صلة بموضوع البيئة¹:

القضية الأولى:

يُبنّ الأصوليون فيها أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق الضروريات الخمس "حفظ النفس، حفظ النسل، حفظ المال، حفظ العقل، حفظ الدّين"، وتحقيق هذه الضروريات يُحدِث أثراً مهمّاً في خلق بيئة سليمة تُحقّق الخلافة التي خلق الله الإنسان لأجلها، فمن اختلّت عقيدته لا يستطيع كبح جماح شهواته في الاستئثار بالموارد الطبيعية، واستغلالها لصالحه، ومنع الآخرين من استغلالها، وكذلك سيكون أداة إفساد في الأرض؛ لعدم وجود الوازع الديني الذي يوقف سيطرته وأنانيته، ومثل ذلك المحافظة على النفس التي حرم الله قتلها، وجعلها كأثما هو قتل للبشرية كلها؛ فالشريعة الإسلامية تأمر باحترام النفس الإنسانية، وشكرها، وتجعل المحافظة عليها قاعدة أساسية في التشريع الإسلامي، على عكس ما نرى في عالمنا المعاصر من استهانة بالنفس؛ حيث تقذف المصانع كل يوم آلاف الأطنان من المواد التي تجلب الكوارث على النفس البشرية في مجالات الزراعة والصناعة وغيرها من المجالات الخدمية المختلفة،

ومثل ما قيل في المحافظة على النفس يقال في المحافظة على النسل الذي بينت نصوص كثيرة أن المحافظة على الأجيال القادمة هو محافظة على النوع الإنساني، وأن حق هذه الأجيال في الموارد الطبيعية ثابت لا يحق لأحد العبث به، ولكننا نرى في عالم اليوم أن الآخرين الذين افتقدوا الوازع الديني قد اعتدوا على الأجيال القادمة؛ إما بصبّ أطنان من القنابل مختلفة الأنواع والأحجام على عدد من بلدان العالم في حروب مدمّرة سيكون أحد نتائجها وجود أجيال مشوّهة ومصابة بالعديد من الأمراض الفتاكة،

وأما بتدمير الموارد الطبيعية واستنزافها بما يحرم الأجيال القادمة منها، ويجعلها في أزمت لا مخرج منها ويصدق كل ذلك على حفظ العقل الذي أمرت الشريعة الإسلامية بالمحافظة عليه ليُحقّق للإنسان السعادة بما ينتجه من منافع لصالح البشرية حين يُخلّق في أجواء العلم والمعرفة بأخلاقيات تُبعده

¹ ينظر: مقال نشر للدكتور سامح عبد السلام على الشابكة <https://www.alukah.net> بتاريخ 2121/03/13

عن أن يكون أداة فساد وعبث بمقدرات البشرية، ولسنا نعدم شواهد لما تُنتجه عقول معاصرة من مخترعات أضرت بالجنس البشري؛ لأنها افتقدت التوجيه الديني السليم، وتتكامل منظومة الضروريات الخمس هذه بالمحافظة على المال الذي جعله الله وسيلة للحياة ينتقل بين الأفراد تنقل انتفاع بما يجعله مشاعاً بين مختلف الأجيال، ويشمل المال كل ما خلق الله من موارد سخرها الله للإنسان للانتفاع بها، وقد حددت الشريعة الإسلامية كافة الضوابط التي تُمكن الإنسان من المحافظة على المال وتسخيره لمصلحة الإنسان.

القضية الثانية:

أن كثيراً من الأحكام الفقهية في مجال البيئة خاصة قد أُبست على نظرية التعسف في استعمال الحق، وقد بُنيت هذه النظرية على قاعدة: (لا ضرر ولا ضرار)، وهي مأخوذة من نص حديث المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، والذي قال عنه أبو داود¹: "إنه أحد خمسة أحاديث يدور عليها الفقه"، ومعنى الحديث: أن تستعمل حقك بحيث لا تضر بالآخرين، وهو ما يمكن أن ينعكس في أحكام كثيرة تتعلق بالبيئة، وقد تفرعت عن هذه القاعدة قواعد أخرى ذكرها العلماء، ومنها: الضرر يُزال²، فإذا كانت القاعدة الأم احترازية في الوقاية من أي اعتداء على البيئة، فإن هذه من القواعد الإجرائية لإزالة الضرر إذا وقع، ويترتب عليها أن من تسبب بأي نوع من أنواع التلوث لزمه إزالة السبب دفعاً للضرر، فإن لم يتمكن من إزالته، لزمه التخفيف منه، كتلوث الهواء بأدخنة المصانع والمعامل، ويزداد الأمر لزوماً إن كانت الأدخنة سامة أو تصل بالتلوث إلى حد الحرج، والحل في مثل هذه الحالة هو استخدام الوسائل الكفيلة بعزل الملوثات وفصلها قبل انطلاقها إلى الوسط الهوائي؛ كالمرشحات والمرسبات الكهربائية، ومثل ذلك يقال في عوادم السيارات التي تنطلق لتزيد الجو اختناقاً، فإنه يتعين اتخاذ الإجراءات المناسبة للتخفيف منها؛ كتحسين الوقود المستخدم؛ حيث إن درجة التلوث تختلف باختلاف الوقود المستخدم؛ فالغاز الطبيعي أقل تلوثاً من الوقود البترولي، والطاقة الكهربائية –

¹ هو أبو داود سليمان بن محمد بن الأشعث بن بشير الأزدي، أحد أئمة الحديث وحفاظه عرف عنه الورع والعبادة والصلاح، رحل إلى بلاد كثيرة في طلب الحديث النبوي الشريف، له مصنفات عديدة منها: كتاب السنن، وهو أحد كتب السنة الستة، ولد سنة 202 هـ وتوفي بالبصرة سنة 275 هـ، تقريب التهذيب ص 321.

² شرح القواعد الفقهية، للزرقاء، ص 179

وكذلك الشمسية - أقل المصادر تلوثاً¹، ويبرز هنا دور الحكومات في تحديد رتبة الضرر الذي يلحق بالبيئة، هل هو من باب الضرر الشديد الذي لا تتحمله قدرة البيئة الاستيعابية أو أنه ضرر بسيط يمكن أن يُتحمل، وبناءً على ذلك قد قُضي بوقف الأنشطة المسببة للتلوث إذا أدت إلى ضرر شديد أو فاحش، وقد يُبقي على هذه الأنشطة إن كان الضرر متحتملاً، أو يقضي باتخاذ الإجراءات المناسبة لمنع التلوث أو التخفيف منه، ومن إزالة الضرر أيضاً تعويض المتضررين عما أصابهم من الضرر البيئي والذي قد يكون ضرراً مادياً يلحق الممتلكات، كتضرر صاحب مزرعة من مصنع مجاور يُنفث الغازات السامة مما يؤدي إلى إتلاف محاصيله الزراعية أو إفسادها، وقد يكون ضرراً جسيماً يُصيب الإنسان في جسمه بالأمراض، وقد يكون ضرراً معنوياً مُتمثلاً في حالة الخوف والرعب جراء التعرض للتلوث، ومن هنا جاءت مطالبة بعض الدول المتضررة بيئياً للدول المسؤولة عن إحداث الضرر بالتعويض عن الخسائر التي تكبدته.

والمؤكد أن هناك علاقة وطيدة بين النظام البيئي والفقه وأحكامه وتشريعاته، فالنظام البيئي يمثل جزءاً من مكونات هذا العلم، إذ لو لم يبين الفقه الإسلامي هذه الأحكام البيئية لكان التشريع الإسلامي ناقصاً، ولنتج عن ذلك فقدان الدين الإسلامي لمزاياه وخصوصيته كخاتم للشرائع والديانات السماوية ولفقد الدين الإسلامي شموليته في جميع نواحي الحياة الإنسانية، ليتأكد بذلك العلاقة الجلية بين الفقه الإسلامي وعلم البيئة. ولتكون وظيفة علم الفقه هي مواكبة ومتابعة كل المستجدات والأمر الطارئة للمكلف في أي عصر وزمان، ولتتمكن هذا المكلف من الإجابة على كل القضايا المستحدثة ووضع حلول لها بما يتوفر عليه من قواعد عامة، ويتمكن من التكيف مع ما يعرفه الزمن والحياة البشرية من تطورات وتغيرات متسارعة. ولتطبق الفقيه الدور المنوط به والصلاحيات المعلقة له من خلال الاجتهاد الذي سنته الشريعة الإسلامية ولم تجعله حكراً على أحد، حيث يستطيع كل فقيه مجتهد أن يقوم بممارسة عملية الاجتهاد واستنطاق النصوص وموازنة مع ذلك يجب على الفقيه أن يكون ممسكاً باليات الاجتهاد للتمكن من مواكبة الأحداث والتغيرات، بل القول بأن الفقه الإسلامي لم يتضمن أحكاماً متعلقة بالبيئة أو غيرها يجزنا إلى مقولة فصل الدين عن الحياة وحصره في الأمور التعبدية، وهذا يتعارض مع الفهم الصحيح لديننا الحنيف، بل يركز هذا الدين على تنظيم علاقة الإنسان بمحيطه وبيئته والطبيعة التي يحيا ويعيش عليها ولا يمكن التصديق بأن هناك مساحة فراغ في التشريع الإسلامي، إذ لا توجد واقعة إلا

¹ البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها، ص 173-174

ولها حكم شرعي. والمطلع على الفقه الإسلامي وأحكامه يرى أن الفقهاء ذكروا ذلك كله في كتبهم ومصنفاتهم ووضعوا لذلك أبواباً مختلفة. من ذلك: أحكام الوضوء، أحكام المياه، تحريم الصيد للمحرم وقطع النبات، أحكام المغارسة والمزارعة والمساقاة والكلاء والنار، وأحكام الصيد وشروطه والمباح والمحرم منه، واتصال الفقه بالبيئة لا يقتصر فقط على الأحكام بل يتصل بقواعد كلية¹، فالفقه الإسلامي لم يدع حكماً من أحكام البيئة إلا و تطرق له، لتكون مهمة الفقيه ممثلة في استنباط الأحكام والقواعد الفقهية وتطبيقها لتأتي منسجمة مع متطلبات الحياة والحد من المشاكل البيئية في عصرنا الحالي المتميز بانتشار التلوث المنتشر في كل مكان أولى الفقهاء على اختلاف مذاهبهم الفقهية عناية كبيرة بعلم القواعد الفقهية، وعنوا تحرير تلك القواعد وتقريرها، و بيان ما يندرج تحتها من الصور والوقائع، ولا شك أن الضبط والتقييد في ذاته يغني عن كثير من التفصيلات التي يصعب حصرها، كما أنه يفيد من جهة أخرى إمكانية إلحاق الصور الحادثة بقواعدها وضوابطها، متى تحررت واتضحت شروطها ومجالات عملها. وإن من المقرر عند أهل العلم أن للقواعد الفقهية أهمية ظاهرة في ضبط الأمور المنتشرة المتعددة، ونظمها في سلك واحد، مما يمكن المطلع عليها والعامل بها من إدراك الروابط بين الجزئيات المتفرقة، وتصور الصفات الجامعة بينها، ومساعدته على فهم مناهج الفتوى وحقائق الفقه ومقاصد الفقهاء ومآخذهم².

وما يؤكد قول القرافي³ - رحمه الله - في عبارة جامعة: (من ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات، لاندراجها في الكليات)⁴. ولا شك أن كتب الفقه وقواعده ثرية وغنية بما يساعد على استنباط أحكام كثير من التصرفات حيال قضايا البيئة، سواء منها التصرفات والأفعال الإيجابية أو السلبية، لتكون تلك الأحكام المستنبطة مادة خصبة تعين القائمين على شؤون البيئة والمهتمين بها في مجال عملهم، وليتمكنوا من خلال ذلك من معالجة كثير من المشكلات المعاصرة التي تواجههم، نتيجة التطور والتقدم التقني. وإن من الضروري على المعنيين بهذا الأمر أن يلموا بعلم القواعد الفقهية، لأن من

¹ رعاية البيئة في شريعة الإسلام، ص 38-39 د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط 1، مصر - القاهرة

² القواعد الفقهية، الدكتور عقوب الباسين، ص 114

³ الشيخ المحدث الثقة المعمر أبو عبد الله، أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد البغدادي، الصوفي الكبير، احترازاً من أحمد بن الحسين الصوفي الصغير ولد في حدود سنة عشر ومائتين وسمع في سنة سبع وعشرين ومائتين من: علي بن الجعد، ويحيى بن معين، والهيثم بن خارجة، وأبي نصر التمار، وأحمد بن جناب، وسويد بن سعيد. حدث عنه: أبو الشيخ بن حبان، وأبو حاتم بن حبان، وأبو بكر الإسماعيلي، وأبو أحمد بن عدي، وعبد الله بن إبراهيم الزبيبي، وأبو حفص بن الزيات، ومحمد بن المظفر، وعلي بن عمر الحربي السكري. مات في عشر المائة في شهر رجب سنة ست وثلاثمائة ببغداد. ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي 14/152

⁴ الفروق 3/1

شأن ذلك أن تتبلور لديهم ملكة يستطيعون بواسطتها إدراج المسائل الجديدة الواقعة أو المتوقعة ضمن هذه القواعد، ومعرفة الحكم الشرعي لها، ومن نافلة القول التأكيد على أن قضايا البيئة ومشكلاتها في تطور مستمر، فكان على هؤلاء وهم في مجال عملهم أو في مجال بث الوعي البيئي بين الناس أن يتابعوا أحدث الدراسات والأبحاث في مجال البيئة ورعايتها ليكون ذلك دافعا إلى تحسين عملهم، والاطلاع من خلال نظرة قواعد الفقه الإسلامي إلى الأحكام المترتبة على هذه التطورات .

وفي مجال البحث هنا يقف الناظر على قواعد فقهية متعددة تخدم قضايا البيئة، ولها علاقة مباشرة بها، وتكشف عن أحكام كثير من التصرفات حيالها، كما قال الدكتور يوسف القرضاوي - حفظه الله -: «على أن الفقه لا يتصل بالبيئة بوصفه أحكاما فقط، بل يتصل بالبيئة اتصالا وثيقا بوصفه قواعد كلية كذلك، فما لا يرتاب فيه فقيه: أن القواعد الفقهية الشهيرة -التي ألفت فيها كتب كثيرة قديمة وحديثة- يدخل كثير منها في أمور البيئة، وينظمها ويحميها، ويوفر لها الرعاية المنشودة¹ لقد تأسس الاجتهاد الفقهي في مجمله وفي موضوع البيئة بصورة خاصة على جملة من القواعد التي احتواها علم أصول الفقه والذي بين فيه الأصوليون أن أحكام الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في الحياة وبعد الممات وذلك انطلاقا مما قررته آيات القرآن الكريم وبينته سنة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم.

هكذا يتبين لنا أهمية الاعتماد على القواعد الفقهية في حماية البيئة، وسنحاول أن نطبق على بعض القواعد الفقهية، لنستنبط منها بعض الأحكام الشرعية المتعلقة برعاية البيئة، واخترت منها قاعدتين: الأولى: قاعدة كلية وهي قاعدة: "لا ضرر ولا ضرار" والثانية "الضرر يزال".

المطلب الثاني - تعريف القواعد الفقهية:

للقواعد الفقهية أهمية كبيرة في شريعة الإسلام، إذ تشكل الملكة الفقهية لطالب الفقه وتساعده على ضبط أصول الشريعة، كما تنظم له منشور المسائل في سلك واحد وتفيد له الشوارد وتقرب إليه كل متباعد و تجمع له الفروع المنتثرة، وتساعد الفقهاء والمفتين على تلمس الحكم الشرعي في كثير من المسائل الفقهية لاسيما عند غياب النص وأثناء حدوث نوازل ومستجدات، وكلما أحاط الفقيه بها كلما زاد قدره، ولولا هذه القواعد لبقيت الفروع مشتتة لا ترجع إلى أصل ولا احتاج المرء إلى حفظ

¹ رعاية البيئة ، ص 39-40

الجزئيات التي لا تنتهي¹، والمعروف أن من وفقه الله لضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات²، ولما كان لفظ "القاعدة الفقهية" مكوناً من كلمتين: أضيفت إحداها للآخرى، فإن فهم معناها باعتبارها علماً متوقف على معرفة كل كلمة على حدة، وذلك بالوقوف على التعريف اللغوي والاصطلاحي لهاتين الكلمتين:

أ - التعريف اللغوي:

للدخول للموضوع على بصيرة لابد من توضيح المعنى اللغوي للقواعد الفقهية، فالقواعد لغة: جمع قاعدة على وزن فاعلة من قعد، والقعود يماثل الجلوس عكس القيام، وقد بين اللغويون أن القعود يكون من القيام، والجلوس يكون من الضجعة، وأصل القاعدة الثبوت والاستقرار في المكان، إذ قال ابن فارس³: (القاف والعين والdal أصل مطرد لا يخلف، وهو يضاهي الجلوس، وإن كان يتكلم في مواضع لا يتكلم فيها بالجلوس)⁴، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿ فِي مَقْعَدِ صَدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾⁵، أي في مستقر صدق، وتأتي على عدة معان نذكر منها:

- قواعد الهودج وهي الخشبات الأربع المعترضة في أسفله تركب على عيدان الهودج، القواعد بمعنى أساطين البناء وأعمدته وأسسها ومن هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَأَسْمِعِلْ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾⁶
- قواعد السحاب: أصولها المنتثرة في آفاق السحاب.

¹ أحمد محمد الزرقا شرح القواعد الفقهية، تحقيق عبد الستار أبو غدة، الطبعة الثانية، 1409هـ - 1989م ص 20

² أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان المالكي، الفروق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة 1431هـ - 2011م، 45/1

³ أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ط 1، 1399هـ - 1979م، ص 896.

⁴ المصدر السابق، ص 896.

⁵ القمر: 55.

⁶ البقرة: 127.

■ القواعد من النساء وهن الكيبريات المسنات اللواتي قعدن عن الحيض والولد أو قعدن عن الأزواج¹.

والمتمتع في هذه الشروحات المختلفة سيجدها تؤول إلى مفهوم واحد مشترك فيما بينهم وهو الأساس، فقواعد كل شيء: أسسه وأصوله التي يبنى عليها، سواء كان ذلك حسياً كما في الأمثلة السالفة الذكر أو معنوياً كقواعد الإسلام وقواعد العلم².

ب - التعريف الاصطلاحي:

اختلفت تعريفات أهل العلم بناء على تباين تحديد مفهومها، لذلك نجد لها تعاريف كثيرة، لكن أشمل هذه التعاريف تعريفان: التعريف الأول الذي وصل إليه الجرجاني حيث قال: هي قضية كلية تنطبق على جميع جزئياتها. مثال على ذلك كما قال علماؤنا: (اليقين لا يزال بالشك)³، فهذه قضية كلية تنطبق على جميع الجزئيات.

وعندنا في الفقه عدة أبواب، فالفقهاء قسموا أبواب العلم إلى عبادات ومعاملات وحدود، فما من كتاب من كتب الفقه إلا ويبدأ بالعبادات فيبدأ بالطهارة ثم الصلاة ثم الزكاة، إلا في الموطأ فهو يرى غير هذا الترتيب، فقد بدأ بكتاب أوقات الصلوات ثم الطهارة ثم الصلاة ثم الزكاة.

إذاً: القاعدة الفقهية هي قضية كلية تنطبق على كل الجزئيات، فالقاعدة الفقهية تدخل في العبادات وتدخل في المعاملات في العقود، وتدخل في الحدود الفقهية التي لها علاقة مباشرة وصريحة في هذا المجال⁴. وللوقوف على دلالتها على رعاية البيئة والمحافظة على مكوناتها وعناصرها، سنتطرق لذلك وفق المطالب التالية:

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ط 1 بيروت 361/3

² تكامل القواعد الأصولية والفقهية في بناء الحضارة الإسلامية " البيئة و العمران نموذجاً " البدالي المترجمي، مقال نشر بمجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، الجلفة، العدد العاشر أكتوبر 2021 ص 7

³ د. محمد صديقي بن أحمد بن محمد البورنو، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، مؤسسة الرسالة، ط 4، 1416هـ/1996م، ص 166

⁴ محمد حسن عبد الغفار، القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، ص 5، ينظر الشاذلية <http://www.islamweb.net> بتاريخ 2012/03/12

أولا : قاعدة لا ضرر ولا ضرار:

1- معنى القاعدة:

القاعدة تفيد أنه لا يجوز لأي كان أن يلحق ضررا أو إضرارا بغيره سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يمكن اعتبار هذه القاعدة أهم القواعد التي تسعى إلى تحصيل المقاصد وتقريرها وذلك بدفع المفاسد أو تخفيفها، فالعديد من الأحكام الفقهية في مجال البيئة قد تأسس على نظرية التعسف في استعمال الحق، وقد بُنيت هذه النظرية على قاعدة: (لا ضرر ولا ضرار)، وهي مأخوذة من نص حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذي قال عنه أبو داود¹: "إنه أحد خمسة أحاديث التي يدور عليها الفقه"²، وقد تفرّعت عن هذه القاعدة قواعد أخرى ذكرها العلماء، ومنها: الضرر يُزال. هذه القاعدة لفظ لحديث نبوي شريف ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم. حيث روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضرار)³.

والضرر في اللغة ضد النفع، وهو بمعنى إلحاق المكروه والأذى بالآخرين⁴، واختلف في الفرق بين الضرر والضرار، فذهب بعض أهل العلم إلى كونها بمعنى واحد، وأن تكرارها في لفظ الحديث من باب التأكيد، فالثانية تأكيد للأولى، والمشهور المترجح أن بينهما فرقا دقيقا، نظرا إلى أن التأسيس أولى من التأكيد، وقد قال بعض العلماء إن الضرر إلحاق الإنسان مفسدة بغيره بحيث ينتفع هو بذلك الإلحاق، وأما الضرار فهو إلحاق الإنسان مفسدة بغيره بحيث لا ينتفع هو بذلك الإلحاق، وقال آخرون:

إن الضرر يشير إلى ما يوصل إلى فعل الضرر والوقوع فيه ويكون وسيلة إليه، وعليه فيكون النهي في الحديث شاملا ارتكاب الضرر وارتكاب وسيلته، وقالت طائفة: إن الضرر إلحاق الإنسان مفسدة بغيره ابتداء، وأما الضرار فهو إلحاق الإنسان مفسدة بمن أضر به على سبيل المجازاة على وجه غير جائز، ولعل أحسن هذه الأقوال القول الثالث، وذلك باعتبار أن لفظ (الضرار) مصدر قياسي على

¹ شرح القواعد الفقهية للزرقاء ، ص 179

² معنى الحديث أن تستعمل حقا دون إضرار بالآخرين ، وهذا يمكن تطبيقه على العديد من أحكام البيئة

³ تم تخرجه سابقا

⁴ القاموس المحيط 107/2

وزن (فعال) وهو يدل على المشاركة بين اثنين فأكثر¹، لذلك فالضرر هو إلحاق مفسدة مطلقا، و الضرر هو إلحاق مفسدة بالغير لا على وجه الجزاء بحيث تتم مقابلة الضرر بمثله.

ولبسط القاعدة، نقول أنه لا يجوز في شريعة الإسلام الإضرار بالآخرين ابتداء، لأن الضرر ظلم، والظلم ممنوع، كما لا يجوز مقابلة الضرر بمثله، فليس لأحد أن يلحق ضررا بغيره، وإذا وقع الضرر فلا بد أن يزال، وقد سبقت القاعدة بأسلوب نفي الجنس ليكون أبلغ في النهي والزجر، لأنه من المعلوم قطعا أن النفي الوارد فيها ليس لنفي الوقوع، لكون الضرر والضرار يقعان كثيرا في حياة الناس، وإنما المقصود به نفي الجواز، ويترتب على ذلك تحريم إيقاع الضرر بجميع أنواعه، ضرورة أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، وعليه فيحرم الإضرار بكل مخلوق ابتداء، أو على سبيل المجازاة، وكذلك يحرم الإضرار الحسي والمعنوي، فكل ذلك داخل بحكم العموم ضمن مفهوم القاعدة².

2 - الأثر الفقهي للقاعدة:

تتميز هذه القاعدة بكونها من التدابير الوقائية المساهمة في معالجة قضايا البيئة في الإسلام، لكونها تنص على نفي الضرر أيا كان، وتمنع الاعتداء على أي مكون من مكونات البيئة، خاصة حينما ينتج عن هذا الاعتداء خلل في عناصر البيئة، أو تفويت لمصلحة ضرورية، كالتسبب في التلوث السام الذي في هلاك الناس أو يسبب في أضرار بليغة، كتلويث المياه والتربة والغذاء بالنفايات السامة والمواد الكيماوية، التي أثبتت الدراسات الطبية خطورتها وضررها على الصحة والأجيال اللاحقة على المدى البعيد، إضافة إلى مشكلة أخرى لا تقل خطورة عن سابقتها تتمثل في تلوث الهواء بعوادم السيارات ودخان المصانع هذا النوع من المشاكل يمكن أن يفوت مصلحة حاجية، ومن أخف المشاكل البيئية تلك التي تسبب في هدر إحدى المصالح التحسينية والتي يمكن اعتبارها من الكماليات، كالتي تشوه جمالية

¹ جامع العلوم والحكم 911/3، شرح القواعد الفقهية، للزرقا، ص 113

² جامع العلوم والحكم 911/3، شرح القواعد الفقهية، للزرقا، ص 165، موسوعة القواعد الفقهية للدكتور البورنو، القسم الثامن (ص 873-874)

البيئة وعناصرها والمتمثلة في رمي النفايات في الشوارع والطرق وقد يؤدي ذلك إلى عدم مراعاة الحس الجمالي للأبنية وغيرها¹.

3 - تطبيقات القاعدة في حماية البيئة:

ومن التطبيقات التي يمكن اعتمادها تنزيلا لهذه القاعدة (لا ضرر ولا ضرار) ما يلي:

➤ تلوث الهواء:

وفي معرض الحديث عن الجار والضرر الذي يمكن أن يلحقه تناول الفقهاء تلوث الهواء بالدخان، بحيث نص المالكية والحنفية والحنابلة أنه يمنع اتخاذ الدار حاما يؤذي الجيران بدخانه، أو بناء تنور للخبز، قد يسبب في ضرر للجيران، بل يحق لهم منعه من ذلك بفعل هذا الضرر الذي يلحقهم، خاصة عند استدامة ذاك الدخان، وقد ورد ذلك في المدونة: (قلت: أ رأيت إن كان لي عرصة إلى جانب دور قوم فأردت أن أحدث في تلك العرصة حاما أو فرنا أو موضعا لرحي، فأبى علي الجيران ذلك، أ يكون لهم أن يمنعوني في قول مالك؟ قال: إن كان ما يحدث ضررا على الجيران من الدخان وما شابهه ذلك أن يمنعوك من ذلك، لأن مالكا قال: يمنع من ضرر جاره فإذا كان هذا ضررا منع من ذلك، قلت: وكذلك إن كان حدادا فالتخذ فيها أفرانا يسيل فيها الذهب والفضة، أو اتخذ فيها أرحية تضر بجدران الجيران أو حفر فيها آبارا أو كنيفا قرب جدران جيرانه منعه من ذلك؟ قال نعم، كذلك قال مالك في غير واحد من هذا في الدخان وغيره².

وفي زمننا المعاصر هناك من الناس من يتأذى بدخان المصانع أو عوادم السيارات، وينتج عن ذلك ضرر مادي أو صحي للآخرين، وتطبيقا لقاعدة (لا ضرر ولا ضرار) يجب منع كل ما يسبب الأذى والضرر للآخرين ومطالبته بإزالة سبب ذلك الضرر، لأن المصلحة الفردية في شريعة الإسلام لا تقتصر فقط على النفع الشخصي، بل يجب أن لا تتعارض مع تشريعات الفقه الإسلامي³.

¹ تنقسم المصالح التي راعاها الشرع الحنيف إلى ثلاثة أقسام: ضرورية وحاجية وتحسينية، فالضرورية هي التي لابد منها لقيام مصالح الدنيا والدين، فإذا فقدت حصل الفساد وفوت الحياة، والحاجية هي التي يحتاج إليها للتوسعة ورفع الحرج، فإذا فاتت وقع المكلف في الحرج والمشقة، إلا أنه لا يبلغ مبلغ الفساد الذي يكون في فوت المصلحة الضرورية، فهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المندسات التي تأنفها العقول الراجحات، وبقوتها لا تختل الضروريات ولا الحاجيات، لأنها جرت مجرى التحسين والتزيين، ينظر: الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي م 790 هـ، 2/7 و 8، الطبعة الأولى 1411هـ/1991م دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،

² المدونة الكبرى، للإمام مالك، كتاب القسمة الثاني، فحين أراد أن يحدث في أرضه حاما أو فرنا أو رحي، ج 314/4

³ الموافقات للشاطبي، 2/243، ينظر: نظرية استعمال الحق في الفقه الإسلامي، فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1977 ص 40

إن هذه القاعدة لها أهمية كبيرة في الفقه الإسلامي، نظرا لكثرة الفروع المندرجة تحتها، وهذا ما نبه له جلال الدين السيوطي -رحمه الله - (ت 911 هـ) بقوله: (اعلم أن هذه القاعدة ينبني عليها كثير من أبواب الفقه)¹.

كما أكد المالكية على منع ما يصدر منه روائح كريهة استنادا لقوله صلى الله عليه وسلم: (من أكل من هذه الشجرة فلا يقرن مسجدنا ولا يؤذينا بريح الثوم)²، فدل ذلك على المنع من كل رائحة تسبب في الأذى قياسا على رائحة الثوم والبصل، ليتم منع كل شخص يقيم في داره مكانا للدباغة، أو يفتح مرحاضا دون غطاء بالقرب من جاره دون إذنه، فتسبب الأذى بالروائح النتنة، ويمنع من فتح اصطبلها محاذيا لبيت جاره كان سببا في إلحاق الضرر به بفعل الروائح الكريهة والأصوات المزعجة التي تحدثها حوافر الدواب.

¹ الأشياء و النظائر ص 84

² أخرجه البخاري ، ينظر صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، كتاب صفة الصلاة ، باب : ما جاء في النوم الني و البصل و الكراث ، رقم الحديث : 815 ، ج 285/1 عن ابن عمر .

➤ تلوث الماء:

يكتسي الماء أهمية كبيرة، إذ تقوم عليه الطهارة فقهياً، لذلك فصل الفقهاء في الجوانب المتعلقة به فيما يتعلق بأنواعه وأوصافه وتلوثه، وطرق إزالة تلوثه ليصبح صالحاً للاستخدام، ويرى الفقهاء أن تلوث.

الماء هو خروجه من كونه طاهراً يمكن الانتفاع به في إزالة الحدث أو النجاسة، وإن كان الفقهاء قد اتفقوا على أن الماء يتنجس بوقوع النجاسة فيه، فإنهم قد اختلفوا في وصف هذا الماء متى تكون النجاسة مؤثرة في طهوريته ومتى لا تكون، فرأى المالكية أن الماء حينما يخالط نجاسة ولم تتغير أحد مكونات أوصافه، فإن الماء يبقى طاهراً¹.

ميز الحنفية بين الماء الجاري والراكد، فأما الجاري إن وقعت فيه نجاسة غير مرئية كالبول والخمر ونحوهما، فإنه لا ينجس مالم يتغير لونه أو طعمه أو ريحه، والمعتبر في الجاري هو ما يعده الناس جارياً وإلا فلا. وأما الماء الراكد فيميز فيه بين القليل والكثير فإن كان قليلاً تنجس بوقوع النجاسة فيه، وإن كان كثيراً لم تنجس، والحد الفاصل بين القليل والكثير يعتبر بالتحريك فإن كان بحال لوحرك طرف يتحرك الطرف الآخر، فهو القليل، وإن كان لا يتحرك فهو الكثير. والتحريك يكون بالاعتسال فيه من غير عنف، وفي رواية بالوضوء، وفي رواية باليد من غير اعتسال ولا وضوء. أما المالكية فيرون أن الماء إن خالط نجاسة فلم يتغير أحد أوصافه فالماء طهور، سواء قليلاً أم كثيراً، وذهب الشافعية والحنابلة إلى أن الماء القليل هو ما كان دون القلتين².

¹ د. وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته 123/1.

² الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري م سنة 1360 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1424 هـ -

2003م، ج 1 / 42

➤ التلوث بالنفايات:

ونص المالكية على أن إلقاء النجاسة، ونحوها من النفايات في طريق العامة يستوجب التعزير¹ إذ حذر معلم البشرية صلى الله عليه وسلم من مثل هذه التصرفات التي يقوم بها المسلم وهو غير واع بخطورة ما يترتب عليها؛ لكونه يعتبرها من الصغائر فقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه"². وقال "إن الشيطان قد ايس من أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي منكم بما تحقرون"³، وهذه الأمور مما يستصغرها الناس، ولكنها تحولت إلى مشكلة.

أما الشافعية فيرون عدم جواز تلويث الطرقات بإلقاء القمامات وإن قلت، وكذا التراب والحجارة وإرسال الماء من الميازيب إلى الطرق الضيقة، وإلقاء النجاسة فيها، وغير ذلك مما يؤدي المارة ويضرهم⁴. والتصرح بعدم الجواز يفيد حرمة مثل هذه التصرفات التي لا يابها الكثير.

➤ تلوث الغذاء:

جعلت الشريعة الإسلامية الصحة الجسدية للإنسان من أولى اهتماماتها وارتبطت أحكام كثيرة فيها برعاية هذا الجانب، من مثل أحكام الطعام والشراب فيما يجوز أكله وما لا يجوز ذلك بماء طاهر يبلغ إليه النجس والمنجس. ونص الفقهاء على كراهية التخلي وهو التغوط أو التبول.

¹ د. سلمان عبود يحي الجبوري، القاعدة الفقهية "لا ضرر ولا ضرار وأثرها في حياة البيئة"، جامعة ديالى العراق، ص 15

² السيوطي ت 911 هـ في الجامع الصغير رقم الحديث 2902، حديث حسن

³ الألباني ت 1420 هـ، صحيح الجامع حديث رقم 1651، حسن

⁴ مصدر سابق "القاعدة الفقهية لا ضرر ولا ضرار" ص 14

4 - ما يتفرع عن القاعدة:

ويتفرع عن قاعدة لا ضرر ولا ضرار قاعدة: الضرر يزال¹، فإذا كانت القاعدة احترازية في الوقاية من أي اعتداء على البيئة، فإن هذه من القواعد الإجرائية لإزالة الضرر إذا وقع. ويترتب عليها أن من تسبب بأي نوع من أنواع التلوث لزمه إزالة السبب دفعا للضرر، فإن لم يتمكن من إزالته، لزمه التخفيف منه، كتلوث الهواء بأدخنة المصانع والمعامل، ويزداد الأمر لزوما إن كانت الأدخنة سامة أو تصل بالتلوث إلى حد الحرج. والحل في مثل هذه الحالة هو استخدام الوسائل الكفيلة بعزل الملوثات وفصلها قبل انطلاقها إلى الوسط الهوائي، كالمرشحات والمرسبات الكهربائية. ومثل ذلك يقال في عوادم السيارات التي تنطلق لتزيد الجو اختناقاً، فانه يتعين اتخاذ الإجراءات المناسبة للتخفيف منها، كتحسين الوقود المستخدم، حيث إن درجة التلوث تختلف باختلاف الوقود المستعمل، فالغاز الطبيعي أقل تلوثاً من الوقود البترولي، والطاقة الكهربائية وكذلك الشمسية أقل المصادر تلوثاً² ويتعين معالجة النفايات الكيماوية، والطبية، والمياه الملوثة المستخدمة في العمليات الصناعية المختلفة قبل طرحها، واستبدال الأسمدة الكيماوية التي ثبت ضررها بالأسمدة العضوية، وغير ذلك من الوسائل الكفيلة برفع أو تخفيف الضرر الذي يصيب البيئة. ويبرز هنا دور الإمام في تحديد درجة الضرر الذي يلحق بالبيئة، هل هو من باب الضرر الشديد الذي لا تتحمله قدرة البيئة الاستيعابية أو انه ضرر بسيط يمكن أن يتحمل. وبناء على ذلك قد قضي بوقف الأنشطة المسببة للتلوث إذا أدت إلى ضرر شديد أو فاحش في اصطلاح الفقهاء، وقد يبقى على هذه الأنشطة إن كان الضرر.

وللقاعدة أهمية كبيرة لا تخفى في مجال رعاية البيئة وحمايتها من التلوث³، وعلاقتها بحماية البيئة واضحة، فكل ما يترتب عليه ضرر بمكونات البيئة من تربة وماء ونبات وحيوان

¹ ينظر: شرح القواعد الفقهية، للزرقاء، ص 179

² ينظر: البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث لمحمد عبد القادر الفقي، ص 173

³ حماية البيئة المائية من التلوث، الدكتور الدريوش، ص 41

وهواء ممنوع شرعا¹ وفي الحقيقة تظهر أهمية هذه القاعدة في إرساء المفاهيم البيئية السليمة من خلال تصور مدى ما يمكن أن تعالجه من قضايا ومشكلات، وهذا ما يحيلنا على مدى شمولية نظرة الشريعة الإسلامية وقواعدها، وحرصها على إبعاد كل أذى أو ضرر يمكن أن يلحق الأفراد أو الجماعات أو الأمم، سواء كان ذلك الضرر في أجسامهم أو مواقعهم أو في محيطهم، مما هو مشهور ومعروف اليوم بتلوث البيئة وعدم صلاحيتها لحياة طيبة، تحفظ على الانسان دينه وصحته وسلامته في جميع الأحوال².

ومن المقرر علميا وبيئيا أن كثيرا من أنشطة الإنسان اليومية سواء في المجال المنزلي أو الزراعي أو الصناعي تسبب أضرارا بالغة بالبيئة ومكوناتها، وذلك مما يؤكد ضرورة اتخاذ كافة الإجراءات الوقائية الحازمة التي تحمي الإنسان من وجود خطر حقيقي يهدد حياته وحياة جميع الكائنات على سطح الأرض.

وإن هذه التصرفات المخلة بالتوازن البيئي تعد ضرا لا مجال لإنكاره، أو إنكار آثاره المدمرة، والقاعدة تفيد أن الضرر والإضرار ممنوعان في شريعة الإسلام، فكانت هذه التصرفات وأمثالها غير مآذون بها في ضوء توجيهات شريعتنا الغراء.

وتنص هذه القاعدة أنه لا يجب إتيان السلوك الذي يسبب الأذى والضرر في المال أو النفس، ويتحقق الضرر بالتعدي المباشر وغير المباشر من خلال إفساد العناصر البيئية التي تلزم لوجود وبقاء المصلحة المصونة، كإفساد أو تلويث الهواء أو الماء أو التربة الذي ينشأ عنه هلاك المزروعات أو الحيوانات أو الانسان، فذلك ضرر يجب منعه، وذلك تطبيقا لقاعدة "الضرر يزال" حتى لو كان من أذى الفعل يمارس نشاطا مشروعاً كصاحب المصنع، ولو كان يحقق مصلحة أو منفعة طالما يصاحب ذلك مفسد وأضرارا بناء على قاعدة "درء المفاسد أولى من جلب المصالح"³.

¹ الدكتور الألفي، البيئة و المحافظة عليها من منظور إسلامي، ص 9، ضمن بحوث الدورة التاسعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي.

² الدكتور السرطاوي، البيئة و البعد الإسلامي، ص 128-135

³ محمد بكر إسماعيل، القواعد الفقهية بين الأصالة و التوجيه، ص 99

وعليه يمكن أن نستنتج أن وضع الأنظمة التي تحد من التلوث الضار بالبيئة يمكن أن يستند إليه إلى القاعدة الفقهية: (لا ضرر ولا ضرار) كأنظمة حماية البيئة وتنميتها والوقاية من الإشعاعات والمواصفات الخاصة بالوقود الخالي من الرصاص، والمواصفات الخاصة بالنظافة العامة والإدارة السليمة للنفايات وتدويرها، وما يتعلق بجودة ونوعية الهواء في البيئة الخارجية والهواء الداخلي، وبتقويم الأثر البيئي لجميع المشاريع والمنشآت، سواء الصناعية أو الزراعية أو التجارية وغيرها، وتقدير الحدود المسموح بها من الانبعاثات الغازية وغير الغازية كالغبار والأتربة والأبخرة وغيرها.

كذلك الحال مع الأنظمة المتعلقة بالرقابة على المنشآت الصناعية والزراعية وأية مصادر أخرى للتلوث، وإلزام تلك المنشآت والمصادر باتباع أساليب وأنظمة الإنتاج النظيف، وعدم السماح بتسرب ملوثات الهواء للبيئة المحيطة بما يتعدى الحدود المسموح بها علميا وعمليا أو الرقابة على المواد المستنزفة لطبقة الأوزون، وكذلك التخلص السليم من النفايات الصلبة والسائلة، وبالتالي الحد من الانبعاثات الغازية الضارة التي قد تنجم عن دفن النفايات أو حرقها أو معالجتها وإعادة تدويرها، وكذلك التقليل من استخدام مبيدات الآفات في الأغراض الزراعية، وفي مكافحة الحشرات والقوارض في المناطق السكنية، والالتزام باستخدام بدائل أقل ضررا على الصحة العامة والبيئة¹.

إن العمل بهذه القاعدة أيضا عام لتصرفات الأفراد نحو الإضرار بالبيئة أو بعض عناصرها، فهي تمنع التصرفات الخاطئة من قبلهم كالتساهل في التخلص من القمامات المنزلية بإلقائها في مياه الجداول والأنهار والبحار بلا حسيب ولا رقيب، بل للأسف تتم هذه العملية أو بعض أنواعها على الصعيد الرسمي في بعض الدول النامية، التي ما زالت تفتقر إلى وسائل علمية لمعالجة التخلص من النفايات².

¹ مقال : (ملوثات الهواء في البيئة الداخلية و الخارجية و سبل الحد أو التقليل منها) للدكتور عبد الله أبو رويضة، ينظر على الشبكة

<http://www.greenline.com.kw/Reports/23.asp> بتاريخ: 2021/01/23

² الدكتور السرياني، المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، (ص 121)

تجدر الإشارة أن عددا من القواعد الفرعية يرتبط بهذه القاعدة، إذ تبين مجملها وتقييد مطلقها وتخصص عمومها وتكشف مقاصدها، ومن هذه القواعد: الضرر يزال، والضرر لا يزال بالضرر، ودرء المفسد أولى من جلب المنافع والتصرف على الرعية منوط بالمصلحة، والضرورات تبيح المحظورات، وما أبيع للضرورة يقدر بقدرها، وما جاز لعذر بطل بزواله، والمشقة تجلب التيسير، والأمر إذا ضاق اتسع وإذا اتسع ضاق، وهذه إشارة إلى أن ديننا الإسلامي الحنيف يدعو إلى الوسطية في كل مناحي الحياة، من ذلك علاقة الانسان بالبيئة، إذ عليه أن لا يميل إلى الإفراط أو إلى التفريط، وهذا هو التحلي بالعدل في التعامل مع المحيط.

إذن بإقدام الإنسان على الإضرار بالبيئة وتعطيلها، فذاك سيعود عليه لا محالة بالضرر، وستنتفي عملية الإعمار الموكلة للإنسان، ومن المعلوم أن الانسان مستخلف في الأرض وبموازاة مع ذلك فالأرض والبيئة والكون مكلفون بمساعدته للقيام بمهمة الاستخلاف، وبالتالي فكل إضرار بالبيئة سيعطل عملية الإعمار والاستخلاف. ولاشك أن وضع الأنظمة المتعلقة بذلك قد تحد كثيرا من التصرفات التي يرغبها الأفراد أو أصحاب المنشآت والمزارع والمصانع ونحوها، ويرون فيها تقييدا لحريتهم أو تضيقا لمجال عملهم ورزقهم، إلا أن الأضرار الناتجة عن إطلاق أيديهم في التصرفات الخالية من القيود والأنظمة أشد وأكثر ضررا عليهم أنفسهم في مستقبل الأيام، وعلى أجيالهم اللاحقة، بل وعلى بيئتهم التي يستفيدون منها ويأخذون منها مصادر رزقهم.

ومن المسائل البيئية التي تندرج تحت هذه القاعدة، ما ذكره ابن قدامة في سياق ذكره لما يمنع المسلم من التصرف فيه إذا أحدث ضررا لجيرانه، نحو أن يبني حائما بين الدور، أو يفتح خبازا بين العطارين، أو يجعل دكان صناعة يهز الحيطان ويخربها، أو يحفر بئرا إلى جانب بئر جاره يجتذب ماءها.

ثانياً: قاعدة يدفع الضرر بقدر الإمكان:

قررت الشريعة الإسلامية أن الأصل هو وجوب دفع الضرر قبل وقوعه ومنع الضرر أثناء وقوعه، وذلك بمدافعته وعدم الاستسلام له، فهذه القاعدة تلتفت إلى أن الضرر قد يكون واقعا أو متوقعا، فإذا كان واقعا وجبت إزالته، وإذا كان متوقعا وجب دفعه، فإن أمكن ذلك بدون ضرر أصلا فهو المطلوب والمراد، وإلا فإنه لا يتوقف بل يدفع بالقدر الممكن، وذلك لأن التكليف الشرعي قائم على حسب القدرة والاستطاعة، وقد عبر بعض أهل العلم عن هذه القاعدة بقولهم: (الضرر مدفوع في الشرع، والضرر مدفوع بقدر الإمكان)¹.

وفي الحقيقة تعد هذه القاعدة فرعا من القاعدة الكبرى السابقة (لا ضرر ولا ضرار)، وما يدل عليها قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)³. ووجه الاستدلال من ذلك: أن دفع الضرر قبل وقوعه أو رفعه بعد وقوعه من قبل امتثال أمر الله، لأنه ثبت النهي عن إيقاع الضرر أو رفعه بحسب الإمكان.

ولا شك أن دفع الضرر الذي تقرره القاعدة يستلزم الحيلولة دون وقوع الضرر على البيئة باتخاذ كافة الإجراءات والاحتياطات الكفيلة بالوقاية منه، سواء كانت عن طريق الجانب السلبي بالامتناع عن أفعال قد تؤدي إلى الضرر، أو الإيجابي بالقيام بأفعال تؤدي إلى الحيلولة دون وقوع الضرر، أو الإيجابي بالقيام بأفعال تؤدي إلى الحيلولة دون وقوع الضرر، وأنه إذا أدركت هذه القاعدة على وجهها الصحيح فإنها تعد مبدأ أساسيا للوقاية من الملوثات قبل وقوعها، ويندرج تحت هذا الفهم من الوقاية أهمية دراسة مسببات جميع الملوثات وعوامل

¹ مجموع الفتاوى لابن تيمية (291/28) ، شرح القواعد الفقهية ، للزرقا ، (ص 135) موسوعة القواعد الفقهية للدكتور البورنو ، القسم السادس (ص259)

²التغابن: 16.

³ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (4 / 361) ، كما أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر (ص 608) .

خطورتها، كما يشمل أيضا اتخاذ الإجراءات المناسبة للتحكم في هذه المسببات وعوامل خطورتها قبل أن تستفحل.

وإذا أريد الوقوف على كيفية الوقوف على كيفية استثمار هذه القاعدة الشرعية في المسائل المتعلقة بالبيئة، فيمكن الإشارة إلى شيء من ذلك من خلال الآتي:

■ ذكر الفقهاء أنه إذا أنشأ أحد كنيفاً¹ أو بالوعة² قرب بئر أو قرب مسيل ماء³ بحيث تصل النجاسة إلى الماء، وأفسد ماء تلك البئر أو المسيل، فيدفع الضرر، وذلك بترصين الكنيف أو البالوعة بالكلس والإسمنت وغيره من لوازم البناء، فإذا كان غير ممكن دفع الضرر بصورة غير الردم، فيردم الكنيف أو البالوعة، أما إذا كان الكنيف أو البالوعة بوجه ماء، وكان غير ممكن دفع الضرر بصورة غير الردم، فيردم الكنيف أو البالوعة، أما إذا كان الكنيف أو البالوعة المنشآن قرب بئر ماء أو مسيل ماء لا تصل أقدارهما إلى الماء، وليس في ذلك ضرر فاحش، فلا يرفعان⁴.

ومما ينبغي التأكيد عليه، أن هذا التطبيق الفقهي يمكن أن يستند إليه في المنع من كثير من الأضرار المتعلقة بالبيئة الناشئة عن تصرفات الأفراد أو المصانع والمنشآت، فإذا وضعت مخازن أو آبار في الأرض تملأ بالزيت والمخلفات الصناعية، فإن العمل بهذه القاعدة يحتم اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة للتحوط من آثارها المدمرة نحو البيئة ومصادر المياه، ومن التطبيقات المعاصرة لهذه القاعدة في حماية البيئة نذكر أمثلة لأحكام قضائية صادرة بالمملكة العربية السعودية:

■ الحكم القضائي الصادر في المملكة العربية السعودية المتعلق بمنع صور الإضرار بالبيئة والمستفيدين منها، وقد صدر عن ديوان المظالم رقم: 6/د/ف/35 عام 1415 هـ

¹ الكنيف في المعجم هو السائر وكنيف البيت هو المرحاض وبيت النظافة .

² بالوعة في لسان العرب : هو ثقب لتصريف المياه

³ مسيل الماء بالمعجم الوسيط هو مجرى الماء

⁴ درر الأحكام في شرح مجلة الأحكام ، المادة 1112 ، 3/229 .

القاضي بإلغاء قرار المجمع القروي بمنطقة ما، والذي تضمن تحديد موقع مرمى نفايات أعلى الوادي لبلدة تابعة، وذلك لما يسببه من ضرر لأهالي تلك البلدة، حيث إنه يصب في البئر الوحيدة التي يشربون منها ويتسبب في تلويثها، والضرر يزال حسب الإمكان¹.

■ إبعاد مصانع الإسمنت ونقلها عن الأماكن القريبة من السكان إلى أماكن نائية عن العمران، وعلى هذه المصانع تحمل كافة تكاليف النقل وتطهر المكان الذي خلفوه، وإن كان لا يعد ذلك في الحقيقة علاجاً جذرياً للمشكلات البيئية المترتبة على هذه المصانع، لأنها ستظل تطلق سموماً الملوثة للهواء، الذي يمكن أن ينتقل إلى أجواء المناطق السكنية حت بعض الظروف الجوية، إلا أن هذا الإجراء يعد في الوقت الحالي أنسب الإجراءات دفعا للضرر المترتب عليها قدر الإمكان².

تجدر الإشارة كذلك أن هذا الإجراء يجوز اتخاذه مع سائر المصانع التي يترتب على وجودها قرب التجمعات السكنية أخطاراً بيئية، كمصانع الخرسانة والطوب والحديد والفحم، التي تسبب أضراراً بيئية يصعب حصرها، خصوصاً مع وجود العوادم والمواد الكيميائية.

■ مشروعية سن التعزيرات المناسبة في حق كل من اعتدى على البيئة أو المحميات الطبيعية، وذلك لأن في وضعها نوع تحرز عن كثير من الممارسات غير المسؤولة من قبل الأفراد أو المؤسسات وحثاً على التنبه لخطورة التعامل الجائر مع البيئة، مما يؤدي إلى دفع الضرر عن البيئة والمستفيدين منها، والقاعدة هنا تقرر أن الضرر يدفع بقدر الإمكان.

■ كذلك إزالة آثار الضرر المترتبة على البيئة أو مكوناتها عن طريق التعويضات المشروعة التي تجعل الضرر كأن لم يكن، أو تخفف آثاره إلى أقصى حد ممكن.

¹ جهود القضاء السعودي في إفتاء الفقه البيئي للشيخ آل خنين، بحث منشور في العدد 27 من المجلة العربية للفقه والتضاء.

² الإسلام وحماية البيئة من التلوث، للدكتور حسين غانم، ص 249

■ إذا تعذر نقل النفايات المنزلية إلى مناطق غير مأهولة بالسكان، وأريد حرقها للتخلص منها، فيمكن أن يجرى ذلك في المناطق البعيدة نسبياً ذات التعداد السكاني الأقل، بدلا من حرقها في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، وذلك دفعا للضرر المترتب على النفايات قدر الإمكان¹.

ثالثا: يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام²:

لفهم هذه القاعدة على الوجه الصحيح، لابد من توضيح المعنى الإفرادي والإجمالي للقاعدة، ذلك ما سنحاول بسطه بشرح المفردات المكونة لهذه القاعدة:

1- يتحمل: فعل لكلمة التحمل وهو الصبر والتجمل، يقال: تحمل الأمر بمعنى: تحمله في مشقة، ويقال: تحامل على نفسه: إذا حملها الشيء على مشقة³، ويلاحظ من خلال المعنى اللغوي ارتكاب الضرر الخاص بصبر المبتلى به على تفويت مصلحته الخاصة تقدما للمصلحة العامة وتفضيلا لها، وواضح ما في هذا الصبر من تحمل للمشقة والكلفة.

الضرر: تفهم بعض الكلمات بأضدادها، فالضرر ضد النفع، يقال: ضره يضره إذا فعل به مكروها⁴ وقد عزاه إلى ما يؤول من ألم القلب وما ينتج عنه من الضرب والشتم والاستخفاف وتفويت المنفعة⁵ وقد عمل أبو بكر بن العربي على الجمع بين ما أطلقه اللغويون وما أطلقه الأصوليون في قوله: (الضرر هو الألم الذي لا نفع فيه يوازيه أو يرى عليه، وهو

¹ المصدر السابق

² يتحمل، (والمقصود بهذه القاعدة: أنه إذا تعارض في أمر ما ضرران محققان، إلا أنها متساويتان بالنسبة إلى من يلحقه الضرر، بحيث كان أحدهما يقع خاصا على شخص أو طائفة قليلة، والآخر عاما يقع على عموم الناس، لا مجال لتفاديهما معا، فإن الشريعة الإسلامية تغلب ما فيه ضرر عام فيجتنب أو يزال، ولو حصل في سبيل ذلك ارتكاب ضرر خاص، لأنه يتحمل في سبيل دفع الضرر العام)، منبج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، للدكتور عدنان الصمادي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة 17، العدد 51 ص 331.

³ المعجم الوسيط، 206/1

⁴ مختار الصحاح للرازي، ص 183

⁵ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (المجلد 32) 2014 م، قطر، ص 263

تقيض النفع، وهو الذي لا ضرر فيه، ولها لم يوصف شرب الأدوية الكريمة، والعبادات الشاقة بالضرر، لما في ذلك من النفع الموازي له¹. تجدر الإشارة إلى أن الضرر قسمان:

أ - **ضرر عام:** وهو الذي يصل إلى عموم الناس أو جمع غفير منهم، كأن يلحق جماعة عظيمة كأهل السوق أو البلد أو الحي².

ب- **ضرر خاص:** وذلك حينما يتعلق الأمر بالضرر المتعدي إلى فرد أو إلى أفراد محصورين وقد تأتي الخصوصية من جهة الفردية أو القلة.

3- **وهو الدرع معنى ووزنا، أي: الإزالة والقطع، ويقابله الجلب، بمعنى الإتيان بشيء من موضع إلى موضع، ويقصد بالدفع في القاعدة قطع مادة الضرر قبل الوقوع وبعده³.**

❖ المعنى العام للقاعدة:

هذه القاعدة تفيد أنه حينما يتزامم ضرران ولم يتمكن (بضم الياء) من دفعهما معا، ولا يمكن النأي عن أحدهما إلا بارتكاب الآخر، فإن المآل الضرري المتعدي إلى العموم أولى بالدفع من المتعدي إلى الفرد الواحد، لأن درء المفسد عن الجماعة أولى من مصلحة الخصوص، ولا يصح العكس.

كما أن الضرر العام إذا تعلق بمصلحة العموم، فينبغي أن تتم إزالة الأشد بالأخف لتعلق الضرر الخاص بمصلحة الخصوص⁴. وبفعل اعتناء الشرع بالمصالح العامة أكثر من اعتنائه بالمصالح الخاصة، فقد شرع حدودا وعقوبات دفعا للضرر العام الذي قد يصيب الدين والنفس والعقل والمال، ولم يلتفت الشرع في هذه الحالة إلى مرتكب الجريمة وما سيقع له من

¹ أحكام القرآن لابن العربي 54/1

² مجلة كلية الشريعة، مصدر سابق

³ مختار الصحاح للرازي، ص 201.

⁴ مصدر سابق.

ضرر، إذ لو روعي مثل ذلك لعاش الناس حياة خالية من الأمن و لضاقت حقوق المجتمع في حفظ مصالحه¹.

❖ شروط عمل القاعدة:

لتفعيل العمل بالقاعدة والترجيح بين الأضرار المتزاخمة، لابد من مراعاة ثلاثة شروط:

أ- تتوفر التقابل بين الضرر العام والضرر الخاص، فإذا لم يتعارضوا ويتزاحما على محل واحد، فسينتفي إعمال القاعدة التي تقضي بالترجيح بين الضرر الأكبر المتعلق بالعموم، والضرر الأصغر المتعلق بالخصوص، فلا يلجأ للترجيح إلا إذا تجاذبت المآلات.

ب - إذا أهدرت المصلحة الخاصة للفرد، ونبتج عن ذلك مضرة لا تنبجر، كإرهاق روح أو بتر عضو، أو ضياع مصلحة ضرورية، فمن احتاج إلى تمكين بيته من خدمة الماء والكهرباء، لا يمكن أن نمناه من ذلك بحجة احتمال تضرر جيرانه وسكان الحي بأعمال الحفر وتضييق الطريق العام، هنا ننظر أيهما أضر بالإنسان: عيشه بدون ماء وكهرباء أم التنغيص عليه بأعمال الحفر والكهرباء؟

وذلك ما أشار إليه الشاطبي أثناء تقديمه للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة لما قام بتأصيل نزع الملكية الخاصة، فقال: (ومثل هذا لا يخلو أن يلزم من منعه الإضرار به بحيث لا ينجبر أو لا، فإذا لزم من منعه الإضرار به بحيث لا ينجبر، قدم حقه على الإطلاق على تنازع يضعف مدركه، فاعتبار الضرر العام أولى ... لأن المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة، بدليل النهي عن تلقي السلع، وعن بيع الحاضر للبادي، واتفاق السلف على تضمين الصناع مع أن الأصل فيهم الأمانة، وقد زادوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيره مما

¹ قواعد الأحكام لابن عبد السلام ، 2 / 252

رضي وما لا، وذلك يقتضي بمصلحة العموم على مصلحة الخصوص، لكن بحيث لا يلحق الخصوص مضرة لا تنجبر)¹.

ج- من عدالة الشريعة الإسلامية أن المتضرر يعوض تعويضا عادلا لجبر مضرته، ذلك أن الضرر الخاص لا يهمل بالكلية عند موازنته بالضرر العام، بل يتم الحكم بوجود ضمان ما ترتب عن هذا الضرر، ذلك ما قضى به مجمع الفقه الإسلامي بجدة حين أصدر قراره بأن ملكية العقار لا تنزع للمصلحة العامة إلا بمراعاة أربعة شروط وفي مقدمتها: (أن يكون نزع العقار مقابل تعويض فوري عادل يقدره أهل بما لا يقل عن ثمن المثل)².

❖ تطبيقات للقاعدة في المجال البيئي:

يمكن تخرج عدة تطبيقات ذات ارتباط وثيق بالمجال البيئي، وهو مجال غني بتحدياته ونوازله، وذلك له أثر حسن في ربط الاجتهاد المعاصر بالقضايا الكبرى للأمة الماثلة حاضرا والمرموقة مستقبلا.

1. مسألة الصيد الجائر:

الأصل في الصيد أنه مباح في المعتاد من الأحوال، لكن إذا صار وسيلة للتلهي والترويح، انتقل حكمه إلى الكراهة، وإذا كان عبثا محضا، وسببا في تبديد الثروة الحيوانية صار حكمه محرما³، ويحق للحاكم أن يتخذ من التدابير ما يقطع به الضرر العام، إذ يمكنه توقيف العمل بالمباح في ظروف مخصوصة مراعاة لمصلحة الجماعة أو الأمة، لأن تصرفات الإمام منوط بالمصلحة العامة.

وفي زمننا الحالي هناك صورا للصيد الجائر لبعض شركات الصيد الكبرى أيام الراحة البيولوجية، إذ تستعمل أنواعا من الشباك لا تبقي ولا تذر نوعا من الأسماك سواء كانت كبيرة أو صغيرة، بل حتى البيض الذي لم يفقس بعد، مما يؤثر سلبا على الثروة السمكية ويحد من

¹ ينظر الموافقات، الشاطبي، 349/2

² مجلة مجمع الفقه الإسلامي السنة الثانية العدد الرابع

³ ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد و نهاية المقتصد ط 10 1408 هـ / 1988 م دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1 / 453 .

تكاثرها، هنا يجوز للسلطان أن يقوم بتقييد المباح وتعزيز المخالف، وذلك درءا للضرر العام الواقع على ثروات الوطن، ومن القرارات التي يمكن اتخاذها في هذا المجال:

■ إلزام شركات الصيد بالتوقف عن الصيد خلال فترة الراحة البيولوجية، لإتاحة الفرصة للثروة السمكية للتكاثر وتمكينها من النمو، وحينما تنقضي المدة المحددة يعود الصيد لحكم الإباحة.

■ مصادرة كميات السمك التي تصطاده شركات الصيد خلال فترة الراحة البيولوجية. كل شركة ضبطت مخالفة لفترة الراحة البيولوجية، ستؤدى غرامة مالية جبرا للضرر وتعزيرا على الجناية¹.

وبذلك يتضح لنا من خلال هذا الشاهد التطبيقي أن شركات الصيد ستتحمل ضررا خاصا والذي يتجلى في منعها من الصيد خلال فترة الراحة البيولوجية، دفعا للضرر عام ممثل في تبديد الثروة السمكية للأمة.

2. مسألة منع إنشاء المصانع في مناطق الكثافة السكانية:

تمتلك الدولة الحق في منع إنشاء المصانع في جميع المناطق التي تعرف كثافة سكانية، فحينما ينبج عن التصنيع تلوث بيئي بفعل انتشار الأدخنة الكثيفة وحدوث ضوضاء مزعجة، سينتج عن ذلك تنغيس على السكان وعلى صفو راحتهم، بل قد يجرمون من الانتفاع بممتلكاتهم على الوجه المتعارف عليه، وهنا يجوز للدولة هدم كل مصنع نتجت عنه أضرارا وذلك قطعا للضرر العام، ويدخل ذلك في مجال التعزير².

ولا خلاف في أن منع إنشاء المصانع أو هدمها دفعا للأضرار البيئية، سيتضرر منه أرباب الصناعة وعمال هذا القطاع، لكن في مقابل ذلك هذا الضرر لدرء ضرر أعم وأشمل لعامة الناس ومجال البيئة بمختلف أنواعه.

¹ د. قطب الريسوني، أبحاث اجتهادية في نوازل عصرية، ص 29

² مجموع الفتاوى لابن تيمية 110/28

3. مسألة نزاع الملكية الخاصة لإقامة السدود المائية:

للسدود المائية فوائد كثيرة، إذ تساهم في الحفاظ على المياه وتوفر مياه الشرب والسقي والزراعة، لذلك تجد الدولة نفسها مضطرة لنزع ملكية، قد ينتج عن ذلك تضرر ملاك البيوت، لكنه ضرر يمكن تحمله لكونه يدفع ضررا عاما، وهو انتشار الجفاف ونقص الأقوات وندرة المياه الصالحة للشرب، لذلك يتم اللجوء للحد من الآثار المترتبة عن السنوات العجاف، وادخار ما يمكن ادخاره من مياه لوقت الاحتياج إليه، ولتم عملية نزع الملكية لابد من تعويض الملاك وفق الشروط التالية:

- يجب ألا يشمل إلا الضرر الحالي والمحقق الناشئ مباشرة عن نزع الملكية، ولا يمكن أن يمتد إلى ضرر غير محقق أو محتمل أو غير مباشر.
- يحدد قدر التعويض حسب قيمة العقار يوم صدور قرار نزع الملكية دون أن تراعى في تحديد هذه القيمة البناءات والأغراس والتحسينات المنجزة دون موافقة نازع الملكية منذ نشر أو تبليغ مقرر إعلان المنفعة العامة المعين للأملاك المقرر نزع ملكيتها.
- يجب ألا يتجاوز التعويض المقدّر بهذه الكيفية قيمة العقار يوم نشر مقرر التخلي، أو تبليغ مقرر إعلان المنفعة العامة المعين للأملاك التي ستنزع ملكيتها، ولا تراعى في تحديد هذه القيمة عناصر الزيادات بسبب المضاربات التي تظهر منذ صدور مقرر التصريح بالمنفعة العامة، غير أنه في حالة ما إذا لم يودع نازع الملكية في ظرف أجل ستة أشهر ابتداء من نشر "مقرر التخلي" أو تبليغ مقرر إعلان المنفعة العامة المعين للعقارات التي ستنزع ملكيتها.
- يغير التعويض، عند الاقتضاء، باعتبار ما يحدثه الإعلان عن الأشغال أو العملية المزمع إنجازها من فائض القيمة أو ناقصها بالنسبة لجزء العقار الذي لم تنزع ملكيته¹.

¹ قانون رقم 7.81 المتعلق بنزع الملكية لأجل المنفعة العامة و بالاحتلال المؤقت 14 صفر 1404 هـ، 22 دجنبر 1980 م الجزء الأول - الباب الرابع :
الحيازة و الحكم بنزع الملكية و تحديد التعويضات ، الفصل : 20

لذلك ينبغي أن يعرض المتضرر تعويضاً عادلاً يجبر مضرته، لأن الشرع لا يهمل الضرر الخاص بالكلية عند موازنته بالضرر العام، بل يقضي بوجوب ضمان ما ترتب عليه، فمن نزعت ملكية داره لإنشاء سد مائي عوض عن ذلك بدار أخرى لا تقل عن ثمن المثل، وقد ألمح إلى هذا الشرط مجمع الفقه الإسلامي بجدة في قرار خاص بنزع الملكية حين قال: (أن يكون نزع العقار مقابل تعويض فوري عادل يقدره أهل الخبرة بما لا يقل عن ثمن المثل ...)¹.

4. مسألة منع الإعلان عن البضائع بأصوات صاخبة:

يعتبر الإعلان عن البضائع بأصوات صاخبة من الأعراف الشائعة بين تجار الأسواق، ويتم اللجوء إلى ذلك لجلب الزبائن والترويج للسلع المعروضة، وفي مقابل ذلك تحدث ضوضاء وتلوث صوتي تؤثر سلباً على صحة الناس والبيئة من حولهم، وقد أكدت العديد من الدراسات العلمية الحديثة أن هذا النوع من التلوث يؤدي إلى اضطراب في وظائف الجسم، كارتفاع ضغط الدم بفعل انقباض الأوعية الدموية وتسارع نبضات القلب، وسوء الهضم، واختلال الإفراز الطبيعي للهرمونات، وحدة الغضب والتوتر، بل أصبح من المؤكد لدى المتخصصين في علم السمعيات أن للضوضاء صفة تراكمية، إذ تتجمع الملوثات الصوتية ومزيجات الضجيج في جسم الإنسان مع مرور الأيام، إذ تعمل على إضعاف الوظائف الفيزيولوجية والنفسية، وإرهاق الجهاز العصبي على نحو يفقد معه القدرة على تنفيذ عملية الكبح والوقاية، وإذا تجاوز الضجيج 130 (ديسبيل)² فقد يصاب الإنسان بالصمم المؤقت أو الدائم³.

5. مسألة قطع أشجار الغابات:

يلجأ صانع الخشب إلى قطع أشجار الغابات لما في ذلك من فوائد عديدة، إذ توفر للناس التدفئة وتأثير البيوت والتزيين، بالإضافة إلى ما ينتج من أرباح ورواج، بل قد تكون سبباً في فتح باب من أبواب الرزق للعاملين في هذا القطاع، أي فئة محددة قد تتسع وتضيق بحسب عدد المستفيدين وموازة مع ذلك هناك ضرر ناتج عن قطع الأشجار، وهذا الضرر أعم

¹ مجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد الرابع ، 897/2

² الديسبيل : وحدة قياس الصوت

³ مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، الأزهر ، العدد : 9 ، 1991م ، ص 282

لكونه يتعدى إلى مكونات البيئة، إنسانا وحيوانا وجوا، يقول الدكتور عبد المجيد النجار: (وإذا ما تردد فقيه - على سبيل المثال - أيضا بين حكم شرعي يمنع قطع أشجار الغابة من أجل صناعة الخشب، وبين حكم يجيز ذلك، وكان المقصد الشرعي للحكم الأول هو الحفاظ على البيئة التي لو أزيلت منها الغابات لكان لذلك أثر بالغ في اضطراب التوازن البيئي، من مثل نقص فادح في الأمطار التي تجلبها الغابات، وانقراض للحيوانات التي تسكنها، والمقصد الشرعي للحكم الثاني هو تيسير حياة الناس الذين يحتاجون إلى الأخشاب في مرافق حياتهم، فإن على الفقيه أن يرجح حكم المنع على حكم الإباحة، لأن أثره الممثل في اضطراب التوازن البيئي سوف يشمل بالضرر المجتمع كله، بل قد يتعدى ذلك إلى الضرر بالمجتمع الإنساني بأكمله، بينما أثر الحكم بالإباحة لا يشمل إلا بعضا من المجتمع ضاقت الدائرة فيه أو اتسعت)¹.

6. مسألة التعزير على الجرائم البيئية:

تعتبر جرائم البيئة من المفاصد المستحدثة لم يشرع فيها حد ولا كفارة، لذا وجب على أولياء الأمور تشريع عقوبة زجرية لقطع دابر الفساد البيئي، ومن طبيعة الإنسان أن لا ينتهي عن الرذيلة إلا إذا أحس بالعقوبة الرادعة له عن الإتيان بكل فساد مضر بالبيئة.

وإذا كان للتعزير وسائل شتى في تأديب الجاني على جنايته، كجره للقضاء، والحكم عليه بالسجن وتغريمه بغرامات مالية، فإنه يجوز اللجوء لكل هذه الوسائل الزجرية لمواجهة الجرائم البيئية، هنا ينبغي الالتفات إلى أن هناك تفاوتاً بين مرتكبي هذه الجرائم البيئية في الشدة والضعف والقلة والكثرة، لذلك يلزم اللجوء لاجتهاد العلماء وولاة الأمور لسن تشريعات زجرية بحسب ما تقتضيه المصلحة زماناً ومكاناً وحالاً².

¹ مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة لعبد المجيد النجار، ص 263

² قاعدة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة وتطبيقاتها المعاصرة، قطب الرسوني، ص 49

رابعاً: قاعدة: درء المفسد أولى من جلب المصالح:

شرح أهل العلم هذه القاعدة أنه حين تتعارض مصلحة ومفسدة في أمر ديني أو دنيوي، فالأصل هو تقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة، وذلك راجع لما يترتب عن تلك المفسدة من أضرار¹. والمتمنع في هذه القاعدة يجدها تجسد مبدأ الوقاية أفضل من العلاج، لذا يأتي التأكيد على دفع المفسد لا رفعها وجلب المصالح لا المحافظة عليها.

بل ذهب أغلب أهل العلم إلى اعتبار هذه القاعدة ضمن القواعد المدرجة تحت القاعدة الكبرى: لا ضرر ولا ضرار، إذ يشرع دفع المفسدة لحصول السلامة من الضرر، فجاءت هذه القاعدة تطبيقاً للقاعدة الكبرى حيث بينت كيفية العمل في بعض صور الضرر².

وإذا ما أردنا أن نستدل على هذه القاعدة من القرآن الكريم، نجد الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ لَئِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ³﴾، إذ حرم الله الخمر و الميسر على الناس على الرغم مما فيها من منافع كحصول الرخ، وفي مقابل ذلك بهذا التحريم يتم دفع المفسد المتمثلة في ذهاب العقل وكل ما يترتب عنه من فحش الكلم ومخاصمة وزور وضياع للمال، فدل ذلك على جواز تقديم دفع المفسد على جلب المنافع⁴.

وقد ثبت كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بايين، باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغت به باب إبراهيم)⁵.

¹ الأشباه و النظائر للسيوطي ص 179 ، شرح القواعد الفقهية للزرقا ص 205 .

² الأشباه و النظائر للسيوطي ص 178 ، الأشباه و النظائر لابن السبكي 105/1

³ البقرة: 219.

⁴ قواعد الأحكام 98/1 ، الجامع لأحكام القرآن 60-55/3

⁵ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب فضل مكة و بنياتها ، 574/2 ، و مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة و بنائها 969/2 .

ففي هذا الحديث يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم عليه السلام تعتبر مصلحة ولكن ستعارض مع مفسدة أعظم منها وهي الخوف من فتنة من هم حديثو العهد بالإسلام، هنا تعارضت المصالح، أو تعارضت مصلحة ومفسدة، تعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة، فبدئ بالأهم¹.

ولذلك يقول العز بن عبد السلام-رحمه الله- (ت 660 هـ): (ويغيب عن المصالح والمفاسد بالخير والشر، والنفع والضرر، والحسنات والسيئات، لأن المصالح خيور نافعات حسنات، والمفاسد بأسرها شرور مضرات سيئات، وقد غلب في القرآن استعمال الحسنات في المصالح، والسيئات في المفاسد)².

يتضح بذلك أن المهتمين بالبيئة محتاجون إلى فقه بيئي لا يمكن الاستغناء عنه، كما أن ديننا الإسلامي الحنيف عرف بالتصاقه بواقع المسلمين لتلبية حاجياتهم وتحقيق مصالحهم ودفع المفاسد عنهم، وقد جاءت قاعدة : (درء المفاسد أولى من جلب المصالح) ليعمل بها عندما يكون التدخل المقترح في المجال البيئي له مصالح جانبية، لكنه في الوقت ذاته يتضمن حصول مفسدات تقابلها، فإذا كانت المصلحة المترتبة عليه أرباح من المفسدة فهنا يقدم السعي وراء تحقيق المصلحة، وإذا كانت المفسدة أعظم قدم دفعها، أما عندما يكون الموجود تداخلات بيئية تتعارض فيها المصالح والمفاسد فإن الالتجاء إلى القاعدة يسعف بتقديم دفع المفاسد على جلب المفاسد .

وبالنظر إلى تطبيقات هذه القاعدة الشرعية في المسائل المتعلقة بالبيئة نجد أنها كثيرة ومتعددة، ويمكن الإشارة إلى البعض منها:

■ المبيدات الحشرية مواد يتم تحضيرها للقضاء على الحشرات، وتعرف بمبيدات الحشرات والمتعارف عليه أن الحشرات تنقل الأمراض بين الناس، كما تسبب أضراراً بالمحاصيل

¹ شرح صحيح مسلم 9/ 89
² قواعد الأحكام 5/1

الزراعية والثروة الحيوانية، فمن المصلحة استعمال المبيدات للقضاء على الحشرات، لكن على الرغم من الدور الإيجابي الذي هذه المبيدات من أجل الحفاظ على الثروة الزراعية والفلاحية إلا أنها تفتك بالبيئة بتلويث الماء والتربة والهواء والغذاء بدرجات متفاوتة، إضافة إلى ذلك فإن كانت تقتل الحشرات الضارة، فإنها تقتل الحشرات النافعة وطيور الحقول التي تتغذى على الديدان والحشرات الضارة، وقد تتحول إلى سموم في جسم الإنسان الذي تناول خضروات وفواكه ملوثة بالمبيدات، كذلك عندما تصل هذه المبيدات إلى المياه السطحية والأنهار فإنها تلوثها وتغير نظامها البيئي¹.

وبفعل ما ذكر سابقاً وعملاً بقاعدة: (درء المفاسد أولى من جلب المصالح) يجب الإيقاف الفوري لإنتاج هذه المبيدات، والبحث عن وسائل أخرى أكثر فعالية وأقل أضراراً².

■ كما أن استغلال بعض موارد البيئة من أجل تحقيق منفعة ذاتية، حيناً يترتب عن هذا الاستغلال إفساد لهذه الموارد أو استنزاف لها، فيلزم منع ذلك، لأن منع الضرر والفساد مقدم على أي منفعة أثناء استغلال البيئة³. فإذا كان للمالك أن يستخدم ويتصرف بملكه كما يشاء، فيجب ألا يؤدي ذلك إلى ضرر أو مفسدة لغيره؛ فمثلاً من يستخدم المبيدات الكيميائية لحماية محصولاته، أو يشغل مصنعاً تصدر عنه أصوات مزعجة، أو ينفث أبخرة أو غازات سامة، يجب أن يتم منعه من ذلك، أو اتخاذ تدابير تضمن عدم الإضرار بالغير⁴.

ومن هنا يتبين أن الفقهاء قديماً منعوا في فتاويهم وأقضيتهم، إقامة دور الدبغ، والحمامات، وما شاكلها من المصانع الأخرى التي تلحق الضرر بتلوث الهواء. والأدوار التي كان يقوم بها المحتسب -كما مر توضيحه- في مقاومة كل ما يلوث البيئة عمومًا، خاصة ما يتعلق

¹ تلوث البيئة مشكلة العصر ، للدكتور محمد عامر و الدكتور مصطفى سلجان ص 268 ، الإسلام و حماية البيئة من التلوث للدكتور حسين غانم ، ص 47 .

² حماية البيئة المائية و النباتية من التلوث ، للدكتور الدريوش ، ص 100

³ بحث " ركائز التنمية المستدامة و حماية البيئة في السنة النبوية ، للدكتور محمد الفقي ، ص 41

⁴ مبادئ حماية البيئة في القوانين الوضعية والشرعية الإسلامية، أحمد عبد الكريم سلامة، بحث منشور في مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، العدد السابع عشر أبريل 1995م. ص: 38.

بالهواء، إضافة إلى ذلك دور الأطباء وعلماء الاجتماع الذين أسهموا بدورهم في الحفاظ على الهواء، من خلال آرائهم الجيدة التي تكمل الصورة الإيجابية في الحفاظ على الهواء، فما أحوجنا اليوم من اتخاذ تدابير وقائية، خاصة أمام ما تشهده المصانع والمعامل من انتشار كبير، تفقد للهواء ميزته الإيجابية، وتحوله للأسف إلى مشاكل خطيرة تقتل الإنسان بالدرجة الأولى وباقي الكائنات الأخرى.

خامسا: قاعدة إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضررا بارتكاب أخفها:

بعد التدقيق في حقيقة هذه القاعدة يتبين أنها تمثل حالة من حالات اجتماع المفسد وتعارضها، إذ تدخل ضمن قاعدة ما يسمى بـ"فقه الموازنات"¹، وذلك من جهة أن مراعاة دفع المفسدة الأعظم ضررا أولى وإن ترتب على ذلك ارتكاب مفسدة أخف².

وقد وقفت على عدة صيغ جاءت بها هذه القاعدة عند أهل العلم تثبت مكاتها وأهميتها، مثل: (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف)، و(يختار أهون الشرين)، و(يختار أهون الضررين)، مما اختلفت ألفاظ هذه القواعد وصيغها تبقى متحدة المعنى، ومتفق على مضمونها عند الفقهاء، وذلك دليل على عظم مكانة هذه القاعدة وأهميتها وأثرها، فهي تقرر أنه إذا حصل للإنسان ابتلاء بأمرين يترتب عليهما فساد إلا أنه لا بد من ارتكاب أحدهما فلا بد حينئذ من النظر في تفاوت الفساد المترتب عليهما والموازنة بينهما، فيرتكب ما هو أخف مفسدة وضررا ويدفع الأعظم والأشد؛ لأن ارتكاب المحرم والإقدام على الفساد ممنوع شرعا إلا لضرورة

¹ الموازنة لغة: المقابلة والمعادلة والمخادعة، وأصلها من وزن، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِن كُلِّ

شَيْءٍ مَّوْرُورِينَ﴾ [الحجر: 19] أي أن كل ما أوجده الله تعالى خلقه باعتدال، ويقال هذا يوازن هذا أي بجاذبه، والموازنة في الاصطلاح: المقابلة بين الضرر والنفع بهدف اكتشاف الراجح بينها. مفهوم فقه الموازنة وأدلته الشرعية، عطا الله فيضي، ينظر على الشبكة

<https://platform.almanhal.com> بتاريخ 2021/02/13

² ينظر: الأشباه والنظائر، لابن السبكي (1/47)، الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص 178)، الأشباه والنظائر، لابن نجيم (ص 99)، غمر عيون البصائر (290/1).

شديدة، وإذا أمكن دفع الضرورة بالأخف، فلا يجوز الإقدام على الأشد؛ لأنه لا ضرورة في حق الزيادة¹.

وتعتبر قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: «دعوه»، فلما فرغ، دعا بدلو من ماء، فصبه عليها، هذه القصة من الأدلة التي تدعو إلى إعمال هذه القاعدة الفقهية²، ووجه الاستدلال من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن في تركه حتى يكمل بوله ضرر أخف من قطع بوله عليه، وذلك لما في قطع البول من الضرر الأشد، كتنجيس بدنه وثيابه والمسجد واحتباس بقيته عليه³.

ويتضح لنا أن لهذه القاعدة النفع العظيم في مجال البيئة وما يتعلق بها، إذ جاءت ليعمل بها عندما يكون الأمر المقترح في المجال البيئي له مفسد متعارضة ومتفاوتة في درجة الفساد التي تترتب عليه، فإذا كانت إحدى المفسدتين أعظم أثراً وأعمق غوراً من الأخرى، فإن النظر الصحيح يميل إلى ترجيح السعي وراء تحقيق دفع المفسدة الأعظم وإن تترتب عليه في المقابل فساداً أقل يقع على طرف آخر مستفيد من بعض مكونات البيئة، فالأساس في الأمر هو دفع الضرر الأكبر.

وهكذا وبعد تتبع التطبيقات البيئية التي قد تبنى على هذه القاعدة الشرعية، فإننا نجد أنها كثيرة ومتنوعة، ويمكن الإشارة إلى شيء منها من خلال الآتي:

• من الصور المعاصرة التي تنطوي على ترجيح مفسدة على أخرى: ما يحصل من تلويث البحار بالنفط نتيجة انفجار السفن المحملة به أو ارتطامها أو انقلابها، فإذا انسكب النفط بالقرب من الشواطئ الأهلة بالسكان كان التخلص من النفط بالأسلوب التقليدي بحرق النفط منطوياً على خطر عظيم يهدد حياة الناس بانتشار الحريق وامتداده إلى المناطق السكنية،

¹ - موسوعة القواعد الفقهية، للدكتور البورنو، القسم الأول (ص 231/230).

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (4/ 96). ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات (ص 144).

³ - شرح صحيح مسلم، للنووي (3/ 191).

وحينئذ يصير من الأفضل اللجوء إلى إذابة النفط وترسيبه باستخدام مذيبيات كيميائية، إلا أن هذه الطريقة تحدث تلوثاً للمياه بالمواد الكيميائية التي قد تقضي على الأحياء المائية، ولكنه يعد أخف ضرراً من انتشار الحرائق إلى المناطق السكنية¹.

• مشروعية وضع الحواجز والأعمدة ونحوها حول الفياض والرياض والأماكن الرعوية للحفاظ عليها من اللهو والعبث ومنع دخول السيارات إليها؛ حيث إنها تساعد في القضاء على الأعشاب ونحوها التي تنبت في وقت الربيع وموسم هطول الأمطار، وهذا الأمر وإن كان يترتب على ارتكابه ضرر على بعض المستفيدين من هذه الفياض؛ لما يتضمن من تقييد بعض تصرفاتهم، إلا أن المفاصد المترتبة على فتح الأمر وإطلاقه أعظم ضرراً وأشد خطراً، فكان أولى أن يتم ذلك، لكون الأضرار التي سيجد منها أعظم من الفوائد التي يمكن تحقيقها.

• في المغرب العديد من الغابات الخضراء التي تمثل الرئة التي تنفّس بها الكائنات الحية الموجودة بهذا الوطن، بل وتعتبر متنفساً طبيعياً للزوار والسواح، ومصدراً لتوفير الطاقة والرعي، لكن الرعي الجائر وقطع الأشجار، بل واجتثاثها حتم على الإدارة المسؤولية على الغابات ضرورة غلق الغابات في فترة محددة سنوياً، وإغلاق الغابة أخف ضرراً من تركها مفتوحة طيلة العام تعاني من الأضرار السابقة الذكر. كما تعد الحرائق العامل الرئيس المدمر للغابات في أنحاء عديدة من العالم، إذ تتسبب في أضرار اقتصادية وبيئية فادحة، وتؤدي في بعض الحالات إلى موت العديد من السكان المحليين ورجال الإطفاء والحيوانات الأليفة والبرية، وتظهر الحرائق بشكل طبيعي في النظم البيئية، وخلال فترة من دقائق إلى ساعات يمكن أن تحول النيران غابة خضراء إلى رماد². لذلك يمكن إغلاق الغابات الحساسة للحرائق بشكل مؤقت في أوقات الخطورة العالية، كما في حالات ارتفاع درجة الحرارة وانخفاض الرطوبة الجوية وسيطرة الرياح الجافة، وكذلك إغلاق بعض الغابات السياحية في أوقات الخطورة العالية، وإغلاق بعض الغابات أمام الرعي والصيد بشكل مؤقت في مواسم معينة، كل هذا ونحوه يمكن بناء على هذه

¹ - الإسلام وحماية البيئة من التلوث، للدكتور حسين غانم (ص 247).

² - ينظر: الإنسان والبيئة، للدكتور الشرنوبلي (ص ٢٩٩)، الإجراءات الأمنية للحد من حرائق الغابات في المملكة العربية السعودية، للنقيب علي الشهرقي (ص 266)، جريدة الرياض، العدد (14428)، 16/12/1428 هـ (مقال بعنوان: حرائق الغابات تقضي على التنوع النباتي).

القاعدة، وإن ترتب على ذلك مفسد في حق بعض المستفيدين والمتنزهين، نظرة إلى أن المفسد المترتبة على الإطلاق أعظم ضرراً وأشد خطرة، فكانت أولى بمراعاة دفعها ومنعها.

ويمكن أيضاً إشعال النار حول الغابات عند وقوع الحرائق فيها، لمنع انتشار الحريق، وذلك بهدف كسر ما يسمى بمثلث الحريق (مثلث الحريق: عبارة عن تفاعل كيميائي بين ثلاثة عناصر: الحرارة والوقود والأكسجين)، فإن هذا الإجراء يمنع من انتشار الحريق إلى جميع الغابة أو انتقاله إلى المجمعات السكنية أو المحميات الفطرية، وإن كان يترتب عليه القصد إلى إشعال الحريق في بعض الغابة، لكنه ضرر قليل نسبياً في مقابل ترك الحرائق على حالها، وكذلك يمكن إجراء ما يسمى بالحريق المعاكس (المضاد)، وهو طريقة من طرق الإطفاء غير المباشر لحرائق الغابات الكبيرة والخطيرة التي يتعذر مواجهتها من الأرض مباشرة، وتتلخص هذه الطريقة في عمل خط نار (خط دفاع)، حيث يقوم رجال الإطفاء بقطع عدد من الأشجار وحرقتها، ثم توجه النار باتجاه الحريق الذي يراد إطفاءه، فينتشر الحريق المعاكس نحو الحريق الرئيس ببطء، ثم تزيد سرعته بفعل تيار هوائي باتجاه منتصف المنطقة المشتعلة، وبعد فترة يقفز اللهب نحو تيجان الأشجار الملتهبة، وتنطفئ النيران بسبب انتهاء الوقود، المادة المسببة للحريق¹، ولا شك أن هذه الطريقة تتضمن مفسد قطع بعض أشجار الغابات وإشعالها، إلا أن هذه المفسد أقل ضرراً من مفسد ترك النار على حالها لتأكل الغابة بأكملها، أو تتجه نحو التجمعات السكنية.

كذلك من التطبيقات القضائية المعاصرة في المملكة العربية السعودية المتعلقة بهذه القاعدة الفقهية: ما حكمت به محكمة حوطة سدير المؤيد من محكمة التمييز بالرياض ذي الرقم 917، في 1421/03/03هـ، والقاضي بإبعاد ونقل أغنام وأحواش المدعى عليه إلى مكان آخر بعيد عن موقعه الحالي، الذي تضرر منه جاره من جهة راحة رؤثها وسماهاها، وما تطيره من الغبار في غدوها وروحها، وما تسببه من انتشار وتكاثر الحشرات من ذباب وغيره وانتقالها لبيت الجار، كما كانت هذه الأغنام سبباً في إثارة حساسية الربو لبعض أفراد عائلته، ويستند هذا الحكم على أن الضرر المترتب على الجار في هذه القضية أعظم من الضرر المترتب على

¹ - الإجراءات الأمنية للحد من حرائق الغابات في المملكة العربية السعودية، للنقيب علي الشهري (ص 106، 107، 115).

صاحب الأغنام بنقلها إلى مكان آخر، ولا شك أنه من المقرر شرعا أن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف¹.

سادسا: قاعدة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة:

تفيد هذه القاعدة أن تصرف الإمام وكل من ولي أمرا من أمور المسلمين في شؤونهم ينبغي أن يكون وفق المصلحة العامة، إذ تعتبر مقصد الشارع في أحكامه، فعلى الحاكم أن يسعى من خلال هذا التصرف لتحقيق النفع لهم، وما لم يكن كذلك لم يكن صحيحا ولا نافذا من الناحية الشرعية²، وأصل هذه القاعدة حديث شريف رواه معقل بن يسار المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة»³.

قال العز بن عبد السلام مقررًا بناء تصرفات الولاية على المصلحة للناس: «يتصرف الولاية ونوابهم بما ذكرنا من التصرفات بما هو الأصلح للمولى عليه؛ دفعا للضرر والفساد، وجلبا للنفع والرشاد، ولا يقتصر أحدهم على الصلاح مع القدرة على الأصلح، إلا أن يؤدي إلى مشقة شديدة، ولا يتخيرون في التصرف حسب تخيرهم في حقوق أنفسهم ... لأن اعتناء الشرع بالمصالح العامة أوفر وأكثر من اعتناؤه بالمصالح الخاصة»⁴.

وقال شهاب الدين القرافي أيضا: «اعلم أن كل من ولي ولاية الخلافة فما دونها إلى الوصية، لا يحل له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو دفع مفسدة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁵. فيكون الأئمة والولاة معزولين عما ليس فيه بذل الجهد،

¹ - جهود القضاء السعودي في إنهاء الفقه البيهقي، للشيخ آل خنين (بحث منشور في العدد السابع والعشرين من المجلة العربية للفقه والقضاء).

² - ينظر: المنشور في القواعد، للزركشي (309/1)، الأشباه والنظائر، للسيوطي (ص ١٢١)، موسوعة القواعد الفقهية، للدكتور البورنو، القسم الثاني (ص ٣٠٨).

³ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ص 888 حديث رقم 1829.

⁴ - قواعد الأحكام (2/75).

⁵ الأنعام: 152.

والمرجوح أبدا ليس بالأحسن، بل الأحسن ضده، وليس الأخذ به بذلا للاجتهاد، بل الأخذ بضده، فقد حذر الله تعالى على الأوصياء التصرف فيما هو ليس بأحسن مع قلة الفئات من المصلحة في ولايتهم لخستها بالنسبة إلى الولاية والقضاة، فأولى أن يحجر على الولاية والقضاة في ذلك، ومقتضى هذه النصوص أن يكون الجميع معزولين عن المفسدة الراجعة والمصلحة المرجوحة والمساوية، وما لا مفسدة فيه ولا مصلحة؛ لأن هذه الأقسام الأربعة ليست من باب ما هو أحسن، وتكون الولاية إنها تتناول جلب المصلحة الخالصة أو الراجعة، ودرء المفسدة الخالصة أو الراجعة»¹

وللتوضيح أكثر سنقف على بعض التطبيقات البيئية التي قد تبنى على هذه القاعدة الفقهية، إذ هناك حالات كثيرة ومتعددة، ويمكن الإشارة إلى شيء منها من خلال الآتي :

□ العمل بهذه القاعدة يقتضي أن تعمل السلطات جميعها بما يحمي المجتمعات من أي خطر يحدق ببيتها أو يهدد حياتها، واتخاذ جميع الإجراءات والتدابير التصحيحية لعلاج هذا الخطر في حالة وقوعه، وعليه إذا تعرض الناس لخطر تلوث الهواء في منطقة معينة بسبب سوء الصيانة في مصنع معين فيها، أو إلقاء النفايات السامة في موارد الماء أو التربة، فعلى السلطات العمل فوراً على إزالة مصدر هذا الخطر.

□ كما أن لهذه القاعدة فوائد كبيرة في مجالات التعامل مع البيئة الطبيعية لحماية مواردها من التلوث، إذ يكون للإمام أو نوابه والسلطات المعنية من قبله عند الترخيص بإقامة مشروع ما خاصاً كان أو عاماً، زراعياً أو صناعياً أو علمياً، أن يضع الاشتراطات والضمانات التي يرى أنها كفيلة بحماية البيئة من التلوث والاستنزاف.²

□ كذلك إذا كان من مقتضيات الحد من تلوث البيئة في بلد ما ضرورة إصدار أنظمة أو وضع معايير تحدد مواصفات الملوثات التي تقذف بها عوادم المصانع والسيارات في بيئة هذا البلد، فإن استصدار مثل هذا المرسوم يصبح لازماً؛ حماية لحياة الناس من أضرار

¹ - الفروق 39/4.

² - ينظر: الإسلام وحماية البيئة من التلوث، للدكتور حسين غانم (ص 229).

التلوث¹. كذلك تقتضي هذه القاعدة الشرعية منع أي سلطة حاکمة لبلاد المسلمين من الموافقة على دفن النفايات النووية داخل بلاد المسلمين، فإن الخطر الأعظم الذي يعتبره العديد من الخبراء مشكلة حقيقية ربما تتجاوز مشكلة الأسلحة النووية نفسها هو الخطر الذي يكمن فيما يسمى بالنفايات النووية، وهي مواد مشعة تنتج عن التفاعلات الذرية داخل المفاعلات، وحتى هذه اللحظة لم يتمكن علماء الذرة من التوصل إلى تقنية أو طريقة مأمونة للتخلص من هذه النفايات المشعة، والتي تشكل تهديداً ممتداً لحياة الكثير من الكائنات، لذا لجأت المنشآت النووية في الدول المتقدمة إلى التخلص من نفاياتها النووية بدفنها في أراضي البلدان الأخرى الفقيرة والمتخلفة، مقابل بعض المساعدات المالية المتواضعة أو في مقابل فساد بعض الحكومات، فهذا التصرف من قبل هذه السلطات ممنوع شرعاً؛ لأنه لا يحقق أي مصلحة لشعوبها، بل على العكس من ذلك هو مفسدة عظيمة، حيث تأكد لدى المشتغلين في الحقل البيئي أن هذا الدفن يؤدي إلى تلوث المياه الجوفية والحياة النباتية بالإشعاع في مناطق الدفن².

¹ - تلوث الهواء - المشكلة والحل، للدكتور صبري الدمرداش (ص ٩٣).

² - ينظر: ممارسات مذبلة للبيئة، للدكتور زكريا طاحون (ص 82/83).

سابعاً: قاعدة الأمور بمقاصدها:

يثاب العبد أو يعاقب في جميع أعماله بحسب نيته، فإن قصد بفعله طاعة الله سبحانه حصل على الثواب، وإن قصد معصية الله عوقب على ذلك، فكل الأعمال المباحة التي لا يقصد بها الإساءة أو الإضرار بالبيئة تعتبر أعمالاً صالحة يثاب عليها، بل إن النية في إصلاح البيئة ورعايتها يؤجر ويثاب على ذلك حيث أن النية يمكن أن تتحول من عادات إلى عبادات¹.

ثامناً: قاعدة إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام:

ويقصد بهذه القاعدة أنه في حالة تساوي مصلحتان تتصلان بأمر البيئة ورعايتها، يجب تقديم الأولى نفعاً، فحينما تكون المصلحة مباحة لكنها محرمة من ناحية أخرى فإن التحريم هو الذي يغلب ويوقف ذلك المشروع، كقيام الدولة ببعض الأنشطة المشروعة، كالمصانع أو المفاعلات النووية وغيرها من الأنشطة التي يمكن أن تسبب في مخاطر على الناس بفعل التلوث الذي ينتج عن هذه الأنشطة رغم إباحتها ومشروعيتها، فممارسة هذه الأنشطة في هذه الحالة يشترط أن تكون مقرونة بعدم الإضرار بالآخرين أو إحداث مخاطر تضر بهم، وإن لم يلتزم بهذه الشروط فسيحرم القيام بهذه الأنشطة، هذه القاعدة تتكامل مع القاعدة السابقة وغيرها في ضبط كل تصرف أو سلوك بيئي باعتبار مرجع فقهي .

تاسعاً: قاعدة " من أحيا أرضاً ميتة فهي له":

إذا كان في دولة تأمر بالاستئذان وتمنع من الإحياء بدون استئذان يستأذن حتى لا يمنع، يستأذن يقول: إني أريد إحياء الأرض الميتة حتى إذا كان فيها حق لأحد يبين له، إذ يستأذن الجهات المختصة يقول: إني وجدت أرضاً صفتها كذا وكذا وأحب أن أحييها حتى يبلغوه إن كان فيها طلباً لأحد أو سبقه إليها أحد حتى يكون على بيته على بصيرة.

¹ البيئة في الفقه الإسلامي، وقاية و تنمية، ص 25 بحث مقدم للمؤتمر العلمي الخامس بعنوان: البيئة و القانون 23 و 24/04/2018 م للدكتور يوسف حمادة ربيع

وقد سأل سائل: إذا أحيى الرجل أرضاً ميتة لا نعرف أنها لأحد هل تعتبر في هذه الحالة ملك له؟

فأجابه الشيخ ابن باز رحمه الله بما يلي : يقول النبي ﷺ: (من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها)¹، ويقول ﷺ: (من أحيى أرضاً ميتة فهي له)²، فإذا كانت ميتة ليس لأحد فيها حق وليست في الصالح العام يعني: ليست جنب القرى العامرة والبلدان العامرة التي يحتاجون إليها في وقوف السيارات وفي وقوف إبلهم وأغنامهم في حاجاتهم، إذا كان العامر ليس له حاجة فيها فإنها لا بأس أن تحيا، أما إذا كانت ... العامر يحتاجها العامر أو قد سبق لها أحد وأحيها فلا، وأما إذا كان ميتة لم يسبق لها أحد وليست في مصلحة العامل فإنها تحيا³.

بعد هذه الجولة المفصلة بين ما هو نظري وما هو تطبيقي للقواعد الفقهية وتطبيقاتها في الحفاظ على البيئة، سنحصل بالتالي على النتائج والخلاصات التالية:

1. بشريعتنا الإسلامية الغراء هناك معايير وضعت للترجيح بين المفسد والأضرار، وذلك بالنظر إلى شمول الأثر وامتداده، فحينما يعظم انتشار المفسدة ويشمل عامة الناس، وجب تقديم الدرء والدفع لتحقيق المصلحة العامة، وقد سبق هذا المعيار الترجيحي وفق قاعدة محكمة: (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام).

Commenté [H6]:

2. بعد اطلاعنا على هذه القاعدة وقفنا على صيغ متفاوتة في العبارات والإحكام للوفاء بالمراد، إلا أن الثابت أن صيغة (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام) هي الأكثر تداولاً والشائعة في الاستعمال، وعليها استقر جمهور الفقهاء المعاصرين.

3. المتعامل فقهيًا مع القاعدة سيعمل على الترجيح بين ضررين: ضرر متعدد إلى الجماعة وضرر متعدد إلى الفرد أو الأفراد القليلين فيتم تغليب مأل الإضرار بالعموم في

¹الصنعاني (ت1182هـ)، سبل السلام 3/130 قبل مرسل

²البارقطني (ت385هـ) المؤتلف والمختلف 4/1849 أخرجه البخاري (2235) وأحمد (24883) والنسائي في السنن الكبرى (5759)

³https://binbaz.org.sa/fatwas/11527/ الموقع الرسمي للشيخ ابن باز

الدفع، لأن درء المفاسد عن الجماعة التي تمثل الأغلبية والأكثرية أحفظ لمصلحة الخصوص، ولا يمكن أن يكون العكس صحيحاً.

4. يتضح لنا كذلك ثراء الحمولة الفقهية لهذه القاعدة، وشساعة أفقها التقعيدي، ورسوخ أصولها عند أرباب هذه الصناعة، كل هذا يدل أن للقاعدة أبعاداً في مجال الاجتهاد وسد الذرائع وحلقة للتناصي بين المصالح والمفاسد.

5. لا يمكن تنزيل القاعدة والعمل بها إلا بعد مراعاة ثلاثة شروط:

أولاً: ضرورة ثبوت التقابل بين ضررين عام وخاص.

ثانياً: يجب ألا يلحق بالفرد ضرر لا يمكن أن ينجر بعد إهدار مصلحته الخاصة.

ثالثاً: ضرورة تعويض المتضرر بتعويض عادل يجبر مضرته.

6. إن الباحث في هذه القاعدة سيجد أن لها سنداً متيناً في الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين، ذلك ما يجعلها وثيقة الصلة بالأصول الشرعية والأدلة المرعية.

7. يتسع النطاق التطبيقي للقاعدة في اجتهادات المعاصرين، وأنظارهم في القضايا المعاصرة، لاسيما حينما يتعلق الأمر بالتزام بين المفاسد والأضرار، ودعت الضرورة إلى الترجيح بينها بمقياس شمول الأثر وامتداده.

وانطلاقاً من هذه القاعدة، يمنع إقامة مصنع للإسمنت -مثلاً- وسط حي سكني، منعاً للضرر الذي يعود على أهل هذا الحي¹. وغيره من المعامل الحديثة المخصصة للتجارة والحدادة وصناعة السيارات والمهن الأخرى التي تعكس آثاراً سلبية على صحة الإنسان.

ويتضح لنا أن هذه القاعدة تفرعت عن القاعدة الكبرى (لا ضرر ولا ضرار)، إذا اعتبرنا أن نفي الضرر يفيد إزالته بعد وقوعه على وجه لا تقع فيه المضارة، فحينما يتعارض الضرران نلجأ للترجيح بينهما باعتبار تعلقها بجماعة أو بشخص، لنخلص أن الضرر العام أشد

¹ الإسلام وحماية البيئة، للدكتور محمود صالح العادلي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد 23، السنة السادسة، ص: 34.

من الضرر الخاص، لذا وجب دفعه بقدر الإمكان ولو ترتب عليه حصول ضرر خاص، كما هذه القاعدة تعود إلى تحكيم المصالح والمفاسد في دفع الضرر، فهي تقرر أن الضرر الخاص ينبغي تحمله في سبيل دفع الضرر العام، فالمتفق عليه أن المصلحة الكلية العائدة إلى عموم الناس أهم رعايتها من المصلحة الجزئية الخاصة، وذلك ما يمكن أن ينطبق على العديد من القضايا المتعلقة بالبيئة التي تقع غالباً بين مصلحة خاصة ومصلحة عامة، فالمصلحة الخاصة قد تكون مصلحة شخص أو مصلحة شركة أو مصلحة دولة، أما المصلحة العامة فيمكن أن تكون مصلحة وطن أو مصلحة مجتمع أو مصلحة أمة أو مصلحة الإنسانية ككل، والمؤكد أن حدوث تلوث البيئة أو الإضرار بها أو الإخلال بتوازنها في الغالب حينما ينظر الإنسان بمنظار الأناية لمصلحته الخاصة، ويقوم بتغليب ذلك على المصلحة العامة، وهذا ما تسعى القاعدة لدفعه وعلاجه.

وإذا ما أردنا أن نطبق هذه القاعدة على المسائل المتعلقة بالبيئة، فالأمر متعدد وكثير سنكتفي بالإشارة إلى البعض منها:

□ فالمرضى بمرض معد، يقول أهل العلم بجواز عزله ويطبق عليه ما يعرف بالحجر الصحي¹، فعزل المريض يمكن أن ينتج عنه دفع الضرر الناتج عن تركه يخالط الناس، مما يؤدي للحد من تفشي الوباء في عموم الناس²، وذلك ما تم العمل خلال جائحة كوفيد 19.

□ كما قيد الفقهاء رحمهم الله أحقية إقامة الحجاز لفرن خبز داخل سوق البازين³، فاشتراطوا أن لا ينتج عن الشرر الناتج من الفرن في احتراق المنتجات الحريية المعروضة في السوق، ويمكن تطبيق ذلك على القضايا البيئية المعاصرة كمنع إقامة مصانع الاسمنت داخل التجمعات السكنية، وذلك دفعا للضرر الذي يسببه

¹ و ذلك ما تم تنفيذه بالمغرب و العديد من دول العالم خلال سنة 2020 ، بعد انتشار جائحة كورونا كوفيد 19 ، و قد أكد خبراء الصحة بالمغرب حسب تصريح الناطق الرسمي باسم وزارة الصحة بالمغرب أن الصرامة بالتقييد بالحجر الصحي قد أعطى ثماره للحد من ارتفاع نسبة المصابين .

² منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث ، للدكتور عدنان الصادي ، مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية ، السنة السابعة عشرة ، العدد 51 ص 331 .

³ أي باعة الأقمشة ، غمز عيون البصائر على الأشباه و النظائر ، للحموي ، 282/1 .

للساكين¹، وإن كان في ذلك ضرر محقق على أصحاب هذه الصناعات، إلا أن الضرر اللاحق بهم يعد ضرراً خفيفاً وخصوصاً يمكن تحمله في سبيل دفع الضرر العام الذي يلحق عموم الناس.

□ يمكن كذلك تطبيق هذه القاعدة على منع السيارات ذات الدخان الأسود الضار الناتج عن مشكل في المحرك، والتأكيد على ضرورة ملاحقة مالكي هذه السيارات وإجبارهم على إصلاحها، أو منعهم نهائياً من استعمالها، وبموازاة مع ذلك ضرورة فرض العقوبات اللازمة على كل المتهاونين الذين لا يأخذون الأمر محمل الجد، هذا وأن السيارات لا يمكن حصر تحركها في المناطق الخالية من الناس، كما وتقرر في المصانع والمنشآت²، نفس الشيء سيطبق على مالكي تلك السيارات، فالضرر الحاصل لهم هو ضرر خاص يتحمل في سبيل دفع الضرر العام الذي سيلحق عامة الناس .

□ نقف كذلك على تطبيقات قضائية معاصرة في المملكة العربية السعودية وذلك ما يتعلق بمنع صور الإضرار بالبيئة اللاحقة لعموم الناس: إذ حكمت المحكمة الكبرى بالرياض، بتأييد من محكمة التمييز ومجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة في 1421/8/10 هـ، حيث صدر الحكم على بلدية منطقة ما برفع يدها عن مكان معين كانت تلك البلدية تعتزم توزيعه لبنايات سكنية وبموازاة مع ذلك فهذا المكان كان يتخذ أهالي تلك المنطقة مرعى لدوابهم ومورداً لمياه شربهم و سقي مواشيم، وقد استندت المحكمة في قرارها على أن توزيع المخطط سوف يقتصر على أناس محددين، وعدم استفادتهم من ذلك أقل ضرراً من منع حق الانتفاع من الرعي والاحتطاب والسقيا، بعد التأكيد أن هذا حق عام لجميع الأهالي، والثابت أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة³.

كما قضت محكمة الطائف بحكم مؤيد من محكمة التمييز بمكة المكرمة، ومن الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى في 1419/05/24 هـ قاض بإزالة مشروع الدواجن في حي صار أهلاً بالسكان، أصبحت أضراره بادية للعيان، إذ عمت الروائح الكريهة بفعل فضلات الدواجن

¹ الإسلام وحياة البيئة، الدكتور محمود العادلي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد 23، السنة السادسة، ص 34.

² البيئة و البعد الإسلامي، للدكتور السراطوي، 130

³ جهود القضاء السعودي في إثناء الفقه البيئي، للشيخ آل خنين، المجلة العربية للفقه و القضاء.

وآثار المبيدات وانتشار الحشرات، فالثابت أن إزالة هذا المشروع فيه أضرار على صاحبه، لكن حينما يتم تطبيق قاعدة: يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام. وتبين للمحكمة التي أصدرت الحكم أن ما يلحق الأهالي المجاورين لتلك الحضائر من أضرار متمثلة في الصحة العامة أكبر بكثير من الضرر الذي يلحق صاحب الحضائر والمتمثل فيما يفوته من ربح نتيجة إغلاق تلك الحضائر¹.

خلال الفصل اللاحق سأحاول بحول الله وقوته الوقوف على نماذج من الاجتهاد الإسلامي المعاصر الخاص بالبيئة، للتمكن من إبراز مدى مساهمة الاجتهاد الإسلامي في الحفاظ على البيئة.

¹ المصدر السابق

الفصل الثاني: المحافظة على البيئة في الاجتهاد الإسلامي المعاصر:

لا يختلف اثنان أن قدماء الفقهاء قد قرروا قواعد عامة ما تزال صالحة إلى اليوم في التعامل مع الماء

والحفاظ عليه، ولا أعتقد أنه يغيب عن فطنة الفقهاء المعاصرين ولا عن مجامعهم الفقهية قواعد رفع الضرر وتجنبه، كما لا يغيب عنهم ما وضعه أسلافهم من قواعد كلية لا تزال صالحة للتصدي لمشكلات المياه وما تحمله من مخاطر على الأنفس والثرات وعموم الأحياء والبيئة، إذن فالمطلوب هو تجديد الأمثال والقواعد لمسايرة الواقع الراهن وما يعرفه من مشكلات وتحديات هائلة¹.

المبحث الأول: نماذج من الاجتهاد الإسلامي المعاصر في الحفاظ على البيئة:

إن الباحث في مشكلات تلوث الماء والأمراض الخطيرة التي تصيبه سيدرك لا محالة أن الفقهاء المعاصرين لم يتعرضوا في كتبهم وبحوثهم الفقهية والمقاصدية لشروحات لتلك الملوثات، على الرغم من شيوع وكثرة مصادرها في الواقع المعاش، إذ هناك ملوثات كإيوية وإشعاعية ونووية وبيولوجية وأمطار حمضية، وتعود مصادر هذه الملوثات إلى مصادر مختلفة منها: مخلفات الصرف الصحي، ومخلفات الصرف الصناعي والصرف الزراعي، والمبيدات الكيماوية الزراعية والطحالب السامة، ومختلف مشتقات النفط والنفائات النووية، والغبار الذري الذي يسقط بمجري الأنهار والقنوات إضافة إلى ما يتسرب من المفاعلات النووية².

¹ ينظر على الشاكلة: www.net-BooksFile بتاريخ 2022/09/24

² ينظر على الشاكلة مقصد حفظ النفس في فقه المياه - tafahom 47 final.indb > al-tafahom > <https://tafahom.mara.gov.om>

بتاريخ 2022/09/25

وقد أكدت البحوث المتخصصة أن مخاطر التسرب الإشعاعي تتسبب في تلوث المياه لمدة تتراوح بين أيام وشهور قليلة، وتصل إلى آلاف السنين في بعض الحالات، منها تلوث المياه بالكربون المشع الذي يستمر 5800 سنة¹.

المطلب الأول: مسائل في الحفاظ على الماء:

أولاً: تلويث مصادر المياه:

سبق وأن تطرقت لأهمية الماء ودوره الأساسي في الحياة، لذلك يجب الوقوف خلال هذا المطلب، والبحث فيما استجد من أقوال الفقهاء في زمننا المعاصر فيما يتعلق بالأضرار التي تلحق هذه المادة الأساسية، خاصة بعد تعرضها للتلوث، من ذلك سؤال نشر على صفحة دائرة الإفتاء الأردنية، مما جاء فيه:

السؤال: ما الحكم الشرعي في تلويث مصادر المياه؟²

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله يعتبر الماء من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠﴾³، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ١٤﴾⁴، وقد خلق الله تعالى هذا الكون وسخره للإنسان وجعله مستخلفاً فيه ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾⁵، فعلى الإنسان أن

¹ صاحب الربيعي ، تلوث المياه الجوفية بحث منشور على موقع www.waterxpert.se

² ينظر على الشابكة <https://www.aliftaa.jo/Question2.aspx?QuestionId=3286#.YgOmSIXMLIU>

رقم الفتوى: 3286 بتاريخ 8 فبراير 2022 التصنيف: المهلكات ، نوع الفتوى : بحثية ، المفتي : لجنة الإفتاء

³ الأنبياء: 30.

⁴ ق: 9.

⁵ الجاثية: 13.

يحسن التصرف بالموارد التي سخرها الله تعالى له، وأن يحافظ عليها باعتبارها ميراثاً لجميع البشرية، وليست ملك جيل واحد من الأجيال، فلا يحق لأحد أن يعبث بهذه الموارد وأن يدمرها، أو يستنفذ حق باقي الأجيال. وقد بلغ من عناية الشريعة الإسلامية بالماء أن وضع أحكاماً خاصة تتعلق بحفظه وصيانه وحث على عدم الإسراف فيه أو تلويثه. كما حرم الإسلام إهدار هذه النعمة العظيمة بالإسراف أو التلويث، خاصة إذا كان التلويث عاماً يتناول كافة المصادر المائية، وهو حكم يتوافق مع مقاصد الشريعة، وعمومات الأحكام، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)¹.

والاعتداء على الماء بالتلويث هو من الفساد في الأرض الذي نهى عنه الله تعالى، وتوعد صاحبه بأشد العقوبات، إذ قال سبحانه في ذلك: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ﴾²، وقال تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُم مِّن مَّائِمٍ يَبْتَغُونَ بَدَلًا نِّعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾³.

كما أن الاعتداء على الماء بالتلويث هو اعتداء على كل الناس؛ لأن الناس شركاء في الماء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَاءِ وَالْكَلِّ وَالنَّارِ)⁴ وما يدل على حرمة تلويث المياه ما روى جابر رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن البول في الماء الراكد) رواه مسلم، والبول في الماء الراكد يفسده، وإفساده

¹ رواه البيهقي مرسلًا في السنن الكبرى 132/10، أخرجه الشافعي في الأم 8/639 و مالك في الموطأ 2/745

² البقرة: 60-61.

³ البقرة: 211.

⁴ مجموع الفتاوى لابن تيمية 219/29، حديث معروف، رواه أهل السنن.

يؤدي إلى الإضرار بالناس. وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا يَغْتَسِلُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ)¹. وذلك لما فيه من تلويث للمياه وعدم إمكانية انتفاع الناس منه.

كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحفاظ على المياه وصيانتها عن التلوث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ) رواه مسلم.

وعليه؛ فإن تلويث المياه بكافة الطرق والوسائل أمر محرم شرعاً، ومخالف لتعاليم الشريعة الإسلامية خاصة ونحن في بيئة يشح فيها وجود الماء، ويزداد الأمر حرمة ويشدد أتمه إذا كان فيه زيادة إتلاف للبيئة، كرمي المخلفات الصناعية والمبيدات الحشرية في الينابيع والأنهار، أو رمي النفايات الصلبة الخطرة في البرك والينابيع، أو تسريب مياه الصرف الصحي للمياه الجوفية، أو تسميم المياه المتعمد لقتل الحيوانات الضارة، مما يؤدي إلى تلوث الماء تلوثاً شديداً يؤدي إلى الإضرار بالتربة والمحاصيل وجميع أشكال الحياة، وحصول مخاطر صحية مؤكدة على حياة الإنسان، وخسارة المصدر المائي بشكل كلي.

هنا استندت لجنة الإفتاء الأردنية على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على ضرورة الحفاظ على الماء كمادة أساسية في الحياة، واعتبرت أن تلويث الماء هو اعتداء على البشرية وجميع المخلوقات.

ثانياً: حل مشكلات المياه :

أثناء بحثي عن مدى مساهمة فقهاء المسلمين المعاصرين في إيجاد حلول لمشكلات المياه، وقفت على تقرير لندوة العلوم الفقهية الخامسة عشرة المنعقدة بسلطنة عمان يوم 03 دجنبر 2019، والتي تمحورت حول: فقه الماء، أحكامه الشرعية وآفاقه الحضارية وقضايا المعاصرة² هذه الندوة اختتمت بتوصيات أطلق عليها: وثيقة الماء واعتبرت أن حل مشكلات المياه مبدأ ديني ومن مقومات السلام العالمي والإقليمي في الوقت المعاصر كما أكدت ندوة أن

¹صحيح مسلم 283 صحيح الجامع للألباني 7735 ، صحيح ابن حبان 1252 و هو حديث صحيح ،

²ينظر على الشائكة nadwa > <https://www.mara.gov.om> بتاريخ 2021/05/14

الماء نعمة إلهية وهبة ربانية، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْآدِينَ كَفَرُوا أَنَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾¹ وشكرها بالمحافظة عليها وعدم إهدارها، وصون مصادرها ووسائلها، وحمايتها من كل ما من شأنه الإضرار بها، والإبقاء ما أمكن على إباحتها، باعتبارها شركة إنسانية. ودعت إلى إحياء الوظيفة الإنسانية السامية التي نبه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلاء والنار)²، فالمياه يجب أن تكون سببا للتعاون الإنساني ودفعاً إلى إقامة جسور المودة والتراحم الإنساني. وأوضحت ان الماء هو الحياة والحاجة إليه في تصاعد مستمر، ومن مقتضى فقه المالات والتفكير في المستقبل أن تتضافر الجهود بين العلماء والجهات المختصة وذوي الخبرة لإعمال العقل الاجتهادي لاستنباط الأحكام الشرعية التي تضمن ديمومة هذه الثروة وبقائها والمحافظة عليها من التلوث، واستنباط ضوابط شرعية وقانونية تحفز الشراكة بين المواطن والقائمين على حفظها باعتبارها ثروة وطنية.

وأكدت على إبداع الفقهاء إبداعاً بالغاً في تأصيلهم لقضايا الماء؛ وعبّدوا طرقاً كانت منقطعة، مما فتح آفاقاً حضارية مهمة تدعو إلى العناية بها، ومن أهمها الدراسات الرائعة لأحكام الماء في كتابات أبي سعيد الكدبي وقاموس الشريعة للسعدي، وكتاب القسمة وأصول الأراضين للفرس طائي وغيرهم، كما كان للمدارس الإسلامية الأخرى دور بارز في هذا الشأن ككتاب الخراج لأبي يوسف القاضي، مما يستدعي العناية بها واستحضارها من أجل التصدي لقضايا الماء المختلفة.

وبينت ان الأحكام المتعلقة بالمياه في الفقه الإسلامي كثيرة ومتفرقة في كتب التراث وتمثل ثروة فقهية يتطلب جمعها وترتيبها من خلال مشروع موسوعي يكون نواة لإعمال العقل الاجتهادي للحفاظ على هذه الثروة المهمة، والتصدي للقضايا والمشاكل المائية الكبرى التي تواجه المجتمعات الإنسانية اليوم.

¹ الأنبياء: 30.

² ابن تيمية ت 728 ، مجموع الفتاوى 219/29 ، معروف ، رواه أهل السنن .

ودعت الى ضرورة استثمار التراث الفقهي في صياغة الفتاوى المعاصرة التي يتحقق من خلالها تكوين وعي المجتمع بمسؤوليته الدينية في المحافظة على نعمة المياه، وتحسين الكفاءة المجتمعية في استعمال المياه، والحد من استنزاف الموارد المائية، والتصدي لظاهرة تلوث المياه، وتحقيق العدالة الاجتماعية في التوزيع الأمثل للمياه، وضمان حقوق الأفراد والمجتمعات فيها.

وأكدت على انه من الضروري السعي إلى تطوير التشريع القانوني لعقود الإيجار والانتفاع التي يكون موضوعها الشراكة في العمل بالأبدان والأذهان، مثل المساقاة والمزارعة والمغارسة وغيرها بين الأفراد والمؤسسات الحكومية والشركات والأوقاف، وذلك بما يتناسب مع الأوضاع الاقتصادية والزراعية للمجتمعات ويلبي متطلبات الأفراد والمؤسسات ماليا ومعيشيا، ومثاله الحي: مشروع زراعة مليون نخلة، كما دعت الى تفعيل عقود المشاركات الزراعية بأنواعها في المصارف الإسلامية ونوافذها المختلفة من أجل النهوض بالأموال والأعيان الوقفية العامة والخاصة، والتوسع في أنشطتها ومجالاتها بما يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية العامة، وتراعي الأعراف المائية وغيرها ذات الشأن بهذا العقد.

والى التوسع في مفهوم حقوق الماء عن المفهوم التقليدي الذي كان موجودا في العصور السابقة، بحيث تدخل في كل حق من هذه الحقوق صورا وأشكالا وأنماطا جديدة، مع وجوب ترتيب الأولويات، فيقدم منها ما هو ضروري على الحاجي والتحسيني، وهكذا يمضي الأمر تباعا في تقديم الأهم على المهم.

والى إحياء محاكم المياه المعمول بها في سابق الأزمان من خلال استحداث مواد قانونية، وإضفاء صفة رفع الدعوى لمنظمات المجتمع المدني حال التعدي على المصادر المائية، وتخصيص أقسام بالمحاكم لدعوى المياه وطرق فض المنازعات في هذا المجال إلى غير ذلك.

وتفعيل صيغة الوقف لتكون طريقا سلميا لحل النزاعات الدولية على المياه، وذلك عن طريق اتفاق الأطراف الدولية على وقف المصادر المائية المتنازع عليها، على جملة مشتركة بينها

من جهات النفع العام، أو إقامة مشاريع استثمارية من ريع الوقف يعود نفعها على المصالح العامة بين الجهتين المتنازعتين.

كما يجب الاهتمام بالأوقاف المائية الخاصة والعامة، من حيث إطلاق المبادرات الاجتماعية بشأن تكثيرها وتفعيلها والعناية بإدارتها؛ لتكون عامل دعم اقتصادي واجتماعي. ودعت إلى التعاون الإنساني الفعال بين بني البشر لتحقيق الكفاية المائية المحلية والدولية، وتحقيق الكفاية الغذائية، مع تطور الاقتصاد والاتصالات. والحث على مشاريع جامعية ودراسات عليا حول المياه وسبل ترشيدها، والحفاظ على مصادرها من البحار والأنهار، والعيون والمياه الجوفية، ودراسة مسالك الأوائل في استخراج مياه الأفلاج، وتطور قياساتها عبر العصور وقوانينها، وسبل التقاضي فيها وتراثها الفكري من أجل تلبية حاجات الإنسان، وتطوير استثمار الماء وتفعيل زيادة الثروات الناجمة عنه. والعمل على دراسة القضايا المائية المعاصرة المتعلقة بتوزيع حصص الدول من الأنهار، والحفاظ على مياه البحار، ومعالجة مياه الصرف الصحي، ودور الشركات الصناعية في التقليل من الآثار السلبية لغازات المصانع، والمحافظة على المخزون المائي، وقضايا الاستمطار الصناعي، وغيرها من قضايا العصر التي تثار في المجتمع الإنساني اليوم. والتأكيد على السياسات المائية الناجعة، والاستفادة من خبرات الآخرين في ذلك، تجنباً للأزمات والكوارث المائية، والمحافظة على المكتسبات الاقتصادية المختلفة. وطالبت بالحفاظ على إرث الأفلاج الحضاري والعناية به مادياً ومعنوياً، وتوعية الأجيال بمنهج الأوائل في تقسيم مياهها وقياساتها وطرق بنائها وشق قنواتها وسبل ديمومتها، والثقافة القانونية حولها، وغرس ذلك كله في المقررات الدراسية حتى يرتبط الجيل الصاعد بدينه، وتتوثق عراه بأرضه وتراثه الحضاري في مجال المياه، مؤكدة ان العناية بالبيئة مشروع وطني، ومنها حماية المياه ومصادرها من التلوث وترشيد استخدامها وغرس ذلك في عقول الأجيال بمختلف مراحل التعليم، ويمكن في ذلك استحداث مادة «بيئات الماء» ضمن المناهج التعليمية. وضرورة بث الوعي حول الثقافة المائية للمحافظة على هذه الثروة في الإعلام والحقول العلمية بمختلف مراحلها، وإنجاز بحوث مبسطة للقراء توضح أهمية الماء في الإسلام

وأبعاده الحضارية، للعناية به وترشيد استهلاكه، وإصدار كتب تعريفية لأنظمة الماء في التراث الإسلامي بمختلف بيئاتها وتجاربها المختلفة. والدعوة إلى احتضان واستقطاب المخرجات الوطنية ذات الكفاءات والمؤهلات الجامعية من خريجي الكليات والجامعات ذات التخصصات الزراعية والمائية عبر توفير أراض زراعية ذات زرع قائم أو مستهدف لتكون محضنا لهم لتفريغ خبراتهم وترجمة علمهم النظري إلى تنزيل تطبيقي واقعي يعقود مساقاة¹ ومزارعة² ومغارسة³ ومفاسلة ونظائرها.

من المهم متابعة النتائج العلمية لهذه الندوة المباركة في المعاهد والجامعات العلمية الإسلامية، وتوسيع نطاق الدراسات المتعلقة بالمياه في إطار ثلاثة فروع أساسية، وهي: إشكاليات الماء وأخلاقيات الماء وفقه الماء.

وقد ناقش المشاركون في الندوة أكثر من 50 بحثا في 14 جلسة تم خلالها تشجيع المشتغلين بالفقه الإسلامي لشحذ وسائلهم الاجتهادية لمواجهة تحديات العصر -

إذ أكد الدكتور ادريس الفاسي الفهري⁴ ان من واجب المشتغلين بالفقه الإسلامي اليوم أن يشحذوا وسائلهم الاجتهادية، ومناهجهم الدراسية، لمواجهة تحديات عصرهم. وذلك ابتداء بترتيب البيت الفقهي، ونقض الغبار عن كنوزه، وضبط معطيات موارده ومصادره. والتفتح على ما جد من الدراسات الفلسفية والتاريخية، وما يظهر باستمرار من معطيات العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تعرف نهضة غير مسبوقة.

وقد بلغ اليوم تطور محركات البحث، ووسائل التواصل، أنها تضع بيد الباحث المعاصر ما كان إلى وقت قريب من قبيل الخوارق، فيمكنك اليوم أن توثق المعلومة قبل أن

¹ المساقاة لغة: مفاعلة من السقي وهو الري، شرعا: دفع شجر إلى من يعمل فيه بجزء من ثمره، وهو ملازم للطرفين، إذ يلتزم العامل بكل ما فيه صلاح الثمرة من حرث و سقي و تلقيح و يلتزم مالك الشجر بكل ما يصلحه كسد أو حفر بئر.

² المزارعة لغة: مفاعلة من الزرع وهو الإنبات، اصطلاحا: دفع الأرض لمن يزرعها و الزرع بينهما

³ عقد المغارسة هو عقد بين صاحب أرض وعامل ليغرس له أرضه بشجر معين من عنده على أن يكونا شريكين في الأرض والشجر بنسب معلومة كالنصف أو الثلث ونحوهما إذا بلغ الشجر قدراً معيناً من الماء قبل أن يثمر

⁴ أكاديمي مغربي، نائب رئيس جامعة القرويين

تقوم من مقامك، ويمكنك أن توصل المعلومة قبل أن يرتد إليك طرفك. وأما ما يرتقب من التطورات التي يعد بها البحث في الذكاء الصناعي، وما تجدد في مختلف العلوم التي ليست هذه إلا وسائلها؛ وما يتحدى الفقيه من جرائها فإنه أعجب من ذلك. كما لا يخفى على أحد اليوم أن الدراسات الفقهية وغيرها، تُلقى وتُداول في عالم مفتوح ثقافياً، لا يمكن لأحد أن يختص فيه بركن قاصٍ على من يشاركه قناعاته العقدية، وخلفياته الفكرية. فإن عولمة المعارف هي واقع لا يمكن الانفكاك عنه.

وقد ورد في الوصية النبوية «... فرب حامل فقه ليس بفقيه»¹، وهو ما ينطبق اليوم انطباق الكفين على ما أتاحته وأباحته الرقمنة والحوسبة.

وإن الفقه كلّ الفقه، في تنزيل الفقه على الواقع، مع اعتبار المتوقّع فيه، والفهم الدقيق لسياقه، والمخاطب به، وظهور وانضباط ومناسبة ما يُنَاطُ به، كظهور وانضباط ومناسبة ما يُعلَّل به. فليس بالفقيه من لا يبني الفقه على أصوله؛ ومن لا يعتبر التّظير فيه بنظيره؛ ومن لا يُقرّق المشتبه منه عما اشتبه به، ولا يعلم مؤرّد اشتباهه وأساس اختلافه. ولا من لا يفهم المنصوص فيه ضمن سياقه، وتاريخه، وملايساته... ولا من لا يعلم ما بقي منه على عمومه، وما هو مخصّص أو مقيدّ عقلاً، أو وضعاً، أو طبعاً، أو شرعاً... ولا من لا يدرك المقصود والغاية منه، ويراجع على أساسها رأيه واستنباطه...

وقد تطورت في واقع الناس اليوم بعض المفاهيم حتى صار مفهومها معكوساً، واختلفت أوضاع مفاهيم أخرى حتى صار الوضع فيها منكوساً، لاختلاف الأسباب، أو ارتفاع الموانع، أو توقف العلة، أو انتقال مناسبتها. لنخلص أنه من المنصوص في القرآن الكريم أن الماء مع التراب أصل الخلقة، وأن بالماء والتراب استمرار الحياة، وأن بالماء ثم التراب تحصل الطهارة المادية والحكيمة، العادية والتعبدية. فالماء نعمة تزداد بالحمد والشكر، وتذهب بالجحود والكفر،

¹ رواه الترمذي في السنن، رقم الحديث: 2656، وقال حديث حسن

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾¹.

وقد كان الماء لذلك ركن الحضارة الإسلامية الركين، ومظهرها مستمرا لأثر هذا الدين، في تاريخ الحضارة الإنسانية. وقد ظل الماء على الدوام أداة حيوية في تكوين الحضارات وانتشارها وازدهارها، كما كان نقص الماء سببا جوهريا في انتكاس حضارات أخرى وضمحلها.

ويستأثر الماء في حاضر الإنسانية كذلك بأهمية بالغة، بل لقد أصبح هم البيئة في عمق هموم العالم الكبرى، وتواتت التحذيرات التي يطلقها الباحثون والخبراء، والمهتمون بمجال البيئة عموما، بشأن المياه خصوصا.

وعلى هذا الأساس فقد انكبت الدورة الحالية على مجال فقه الماء، وانصببت في اتجاهات ثلاثة: الأحكام الشرعية، والآفاق الحضارية، والقضايا المعاصرة. فكانت هذه الندوة نقطة إثارة لاستمرار البحث في موضوع الماء².

ثالثا : وثيقة الماء :

هذه الوثيقة³ انبثقت عن ندوة تطور العلوم الفقهية الخامسة عشرة: (فقه الماء وأحكامه الشرعية وآفاقه الحضارية وقضايا المعاصرة) ، إذ تتجلى فيها علاقة الشريعة بالحياة، وتقرأ فيها الأحكام الفقهية قراءة تاريخية، وتقرأ فيها النصوص قراءة حضارية اجتماعية، ترسم خريطة متكاملة، وتتفاعل فيها علاقة الطبيعة بالإنسان، والدين بالعمران، والنظر بالعمل في سياق جدلية حاكمة لحضارة نابعة من دين، تربط نصوصه بين الماء والإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب.

1 المؤمنون: 18.

² ينظر على الشاذلة <https://www.omandaily.om> بتاريخ 2022/02/24

³ المصدر السابق

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾¹ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا ﴿٤٨﴾².

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾²

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلاء والنار)³ والقارئ المتأمل في القرآن، وفي أحكامه عبادات ومعاملات، وفي تفاسيره على تنوعها، وفي تراثنا الفقهي بنوازه ووثاقته يجد إجابات على أسئلة ما يزال الإنسان المعاصر حائرًا أمام فك رموزها، والاستفادة من فهم كنوزها.

وتنطلق ندوة العلوم الفقهية خلال سلسلتها الخامسة عشرة من مسألة أولية وجوهرية، تستوعب العلائق بين الماء والإنسان أحكاما وآفاقا وقضايا وهي: (لا حياة بغير ماء)، كما ذكرت الآية الكريمة. وتأتي هذه الندوة في موعدها زمانا ومكانا:

أما الزمان فهو حياتنا المعاصرة التي تنبئ بصراع حول الماء، لم تعد مخاطرة خافية على أحد، إننا على مشارف عصر حروب الماء إذا لم نكن قد دخلناها بالفعل، وأما المكان فهو سلطنة عمان، حيث علاقتها بالماء متجذرة في أفلاجها وبراعة هندستها ودقة أحكامها، فمنه ارتوت حضارتها عبر التاريخ، وامتدت علاقاتها مع الشعوب والأمم الأخرى فيما وراء البحار.

رابعا: آفاق الوثيقة

لقد رسمت الوثيقة معالم العلاقة بين فقه الماء وحياة الإنسان، فهي علاقة ضرورية وعلاقة وجود. إن الحياة الإنسانية - وقد أصبح واضحًا ارتباطها الوجودي «بالماء» الذي لا حياة

¹ الفرقان: 48-49.

² الأنبياء: 30.

³ أخرجه ابن حجر العسقلاني، تخريج مشكاة المصابيح، ج3/ ص214، وقال حديث حسن، وأخرجه أبو داود في السنن رقم الحديث 3477.

بدونه، ولا وجود بغيره، بل ولا سلام بدون توافق على قواعد التعامل معه – لا تستقيم إلا من خلال المبادئ والموضوعات الآتية التي يوصي العلماء وأهل الاختصاص بتبنيها ودراستها دراسة متعمقة ومقارنة :

1 - إن الماء نعمة ربانية وضرورة حياتية، فلا ينبغي النظر إليه باعتباره ملكية مشتركة فحسب، بل إنه حق من حقوق الإنسان، لذلك أكدت المواثيق الدولية المعاصرة على الحق في الماء.

2 - إن الصراع حول الماء هو صراع وجود وبقاء، فعلى الدول إصدار مدونة تشريعية عالمية، تضع الضوابط والأحكام الملزمة لحل مشكلات أي صراع مائي بما يتفق مع الشرع الشريف.

ويحكم البحار حاليا اتفاقية الأمم المتحدة لسنة 1982م لقانون البحار، ويتحدث الجزء الثاني عشر منها عن حماية البيئة والحفاظ عليها، كذلك تتحدث الاتفاقية عن أهم استخدامات البحار، خصوصا في الملاحة، واستخراج ثرواتها الطبيعية واستغلالها، وقد حلت هذه الاتفاقية محل اتفاقات جنيف الأربعة لعام 1985م الخاصة بالبحار.

3 - تفعيل معاهدات منع الاعتداء حول مصادر المياه، وتجريم تلويثها محليا وإقليميا وعالميا.

4 - الاستفادة من التجربة الإسلامية في التعامل مع قضايا الماء ملكية ومعاوضة ووفقا واحتكارا، وذلك بالرجوع إلى قواعد كتب الفقه والنوازل المتصلة بقضايا الماء.

5 - العمل على إصدار تشريعات وطنية، تجرم الاعتداء على الماء بأية صورة من الصور.

6 - وضع ضوابط تشريعية للمقاسمة في المياه، تقوم على مبادئ عادلة في توزيع الأنصبة والأعباء على حد سواء.

7 - توجيه المؤسسات الإعلامية، ومراكز صنع الرأي العام على إيجاد ثقافة إيجابية في التعامل مع الماء الذي قد تزيد قطراته في الأهمية على قطرات الدماء.

8 - توجيه المؤسسات التعليمية للعمل على تكوين بنية ثقافية تحمي الماء في مختلف مراحلها، وتعدّه القضية الأساسية في بقاء الحضارة الإنسانية، وربما كان مهماً أن تفكر الجامعات العربية والإسلامية في اعتماد الفقه الحضاري للمياه مقرراً دراسياً.

9 - تعميم ثقافة ترشيد المياه على كل إنسان سواء في إقامة عباداته، أو الالتزام بعبادته، أو محاولته التي لا تتوقف من أجل الاستفادة من المياه في مجالات الزراعة والري وفقه البيئة والنظافة والطهارة، وما تقتضيه الحياة المنزلية والدينية، ومجالات الرياضة المائية بكل صورها، وكذلك الفنون المائية بكل أشكالها.

ويمكن - في هذا الصدد- الاستعانة بالإعلام في هذا الترشيد عن طريق البرامج الجاذبة، والكتيبات المؤثرة التي تستلهم من تاريخ المياه ما يدعم رسالتها.

10 - إن فقه الماء باعتباره فقه الحياة يقتضي إقامة دورات وبرامج للوعاظ والمرشدين والدعاة والعاملين في مجال الفتوى والإعلام للعمل على تعميم هذه الثقافة ونشرها.

11 - إنشاء أقسام في كليات الهندسة والعلوم والآداب والحقوق والأكاديميات البحرية لدراسة قضايا الماء، فكلّيات الهندسة تعمل على تطوير آلات الاستفادة من المياه، وطرق مقاسمة المياه، ودور المياه في نشأة المدن وإعمارها. وكليات العلوم تدرس الأحياء المائية وما يتصل بها من معارف وعلوم بحرية أما كليات الآداب فتدرس تاريخ المياه وما دار حوله من حروب وصراعات ومعاهدات، عبر العلاقات بين الشرق والغرب. وأما الأكاديميات البحرية، فمن خلال مناهجها التي تستوعب علوم البحار وقواعد تسيير السفن وآداب السفر عبر البحار، والفنون البحرية.

وأما كليات الحقوق، فتقدم دراسة موضوعية حول قوانين الماء وتشريعاته، والمعاهدات والوثائق الدولية المتعلقة بها، خصوصاً القواعد القانونية المتعلقة بقضايا البحار في

الحرب والسلام، إضافة إلى مقرراتها المعتادة في المعاملات التجارية والنقل البحري. إن مما يتطلبه تفعيل هذه الوثيقة ما يلي:

1- تخصيص مجال في الجامعات والمراكز والمعاهد المعنية لأبحاث قضايا الماء لاستيعاب الأحكام الفقهية والنواحي الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بالمياه وآثارها الدولية.

2- الدعوة إلى معاهدة دولية عادلة تشمل جميع دول العالم حول القضايا المعاصرة عن الماء، تحوي آليات لحل النزاع، ووضع خطط التنمية ورسم خرائط التعاون بين العالمين العربي والإسلامي، وتبادل المعلومات والخبرات المتعلقة بها.

هكذا يتضح لنا كيف لامست هذه الوثيقة السبل الأساسية لإيجاد حلول ناجعة لمشكلات الماء وفق اجتهادات فقهية معاصرة.

خامسا: حكم الطهارة بمياه الصرف المعالجة المستفاد من كلام العلماء في هذه المسألة:

أن الماء كما يتنجس بما يغير طعمه أو لونه أو ريحه من نجاسة؛ فإنه كذلك يطهر بزوال ما غيره ابتداءً. وعليه: فإن تنقية ماء الصرف الصحي بوسائل التنقية الحديثة بحيث لا يبقى للنجاسة أثر في طعمه ولونه وريحه؛ تجعل هذه المياه طاهرةً يصح رفع الحدث بها وإزالة النجس .

إلقاء الكمامة الطبية في غير الأماكن المخصصة لها إلقاء الكمامة الطبية المستعملة في الطريق العام والتي تؤذي الآخرين بنقل العدوى إليهم؛ أمرٌ ممنوعٌ شرعاً ومُجرَّم قانوناً، ولا يجوز للإنسان أن يرتكب ما يضر بغيره ضرراً مباشراً؛ لا سيما مع حرص الجهات الصحية على التوعية من مخاطر إلقاء الكمامات في غير الموضع المخصص لها .

المطلب الثاني: مسائل في الحفاظ على الهواء:

كل من بحث في كتب النوازل الفقهية بصفة عامة، وتلك المرتبطة أساسا برعاية البيئة والحفاظ عليها ، سيدرك الدور العلمي للفقهاء ، ويتضح ذلك أساسا من خلال ما قاموا به من اجتهادات كإجابات شافية وكافية لما عرض عليهم من فتاوى و قضايا آنية، لا سيما ما يتعلق بالمحافظة على البيئة عموما، وعلى أحد أهم عناصرها الأساسية و هو الهواء الذي بدونه لا يمكن أن تستقيم الحياة وتستمر كما خلقها وأرادها المولى جل وعلا، بل حينما يقل الهواء ستهلك كل الكائنات الحية، وستتعطل جوانب مهمة من هذا الكون الفسيح¹.

وبالتالي فأى تلوث للهواء يُعتبر خرقاً للمنظومة البيئية، وجريمة خطيرة تؤثر سلبا على صحة الإنسان والحيوان والنبات و كل الكائنات الحية ، وما يعرفه العالم اليوم من أضرار ناتجة عن تلوث الهواء خير دليل على خروج الإنسان عن سنن الله الكونية التي دعت إلى الإصلاح بدل الإفساد، وفي هذا ينهى الحق سبحانه وتعالى عن الفساد بقوله تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾².

والثابت علميا أن تلوث الهواء من أشد المخاطر التي تهدد البيئة في مختلف تجلياتها، خاصة في زمننا الحالي الذي أصبح يوما بعد يوم تزداد فيه ملوثات الهواء التي تفسد كل شيء اختلطت به، ويعود ذلك أساسا لكثرة المصانع المتنوعة التي تؤثر سلبا على صحة الأفراد والمجتمعات، وتتعدى الحدود الجغرافية إلى بلدان أخرى.

إن أي تلوث للهواء يُعد خرقاً للمنظومة البيئية، وأمرًا خطيرا يؤثر على صحة الإنسان والحيوان والنبات، وما يشهده العالم من أخطار تلوث الهواء دليل على خروج الإنسان عن سنن الله الكونية التي أمرت بالإصلاح بدل الإفساد.

¹ مؤسسة الحسبة و أثرها في الحفاظ على البيئة ، دراسة في النوازل الفقهية المالكية ، قضايا و نماذج ، للدكتور مصطفى البزاوي 2020/11/01
البيئة والتنمية، العدد 61، قضايا فكرية، ملف البيئة 2217
²الأعراف: 56.

وتأسيساً على ما سبق، نجد فقهاء الغرب الإسلامي أبدعوا باجتهاداتهم في مجموعة من المسائل التي تحافظ على الهواء نقيًا، إيماناً منهم أن حمايته من الملوّثات. ومن وجهة المنظور الإسلامي، يعدّ فرض عين على كل مسلم ومسلمة، لما فيه من المحافظة على مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل. فكل باحث في كتب النوازل، سيقف لا محالة على عدة مسائل تدل على اهتمام فقهاءنا بالحفاظ على الهواء من التلوث، وتأكيدهم على أهمية المحافظة عليه وربطه بالمقاصد الشرعية وكمثال على ذلك سأتناول ما تعكسه "دور الدبغ"¹ وغيرها من الآثار السلبية وفق النحو الآتي:

أولاً : تلوث الهواء بدور الدبغ²

نص النازلة:

سئل ابن زيتون³ عن مسجد قديم الموضع مخرب ما حوله من الديار، فأحدثت بجوار المسجد دوراً للدبغ، ثم قام بعد زمان محتسب وقطعها ونقلها إلى خارج البلد، ثم أراد بعض أرباب الدور إعادتها للدبغ، فأنكر عليه من أراد الاحتساب في حق المسجد لما ينالهم من نتن الدبغ وتغيير مائه وما يخلفه من نجاسة مع تقدم بناء المسجد، وحدث ما ذكر أهل المسجد، فأجاب: ليس لهم إعادة الدور للدبغ، إذا كان ريح الدبغ وتننه مؤذياً لأهل المسجد، ولقد تقرر النهي من دخول المسجد لأكل الثوم على الريح المنتنة من الضرر.

موضوع النازلة: منع دور الدبغ بجوار المساجد لما ينتج عنها من أضرار وملوثات.

فقه النازلة: تشير النازلة إلى قضية من الأهمية بمكان، تتجلى في بعض المكونات الملوثة للهواء قديماً، وهي إحداث دور للدبغ بجوار المسجد.

¹ مرجع سابق ، مقال د. مصطفى البعراوي

² مرجع سابق

³ أبو القاسم بن أبي بكر الجيني المعروف بابن زيتون ، مفتي إفريقية و قاضيا في مدة الأمير أبي زكرياء الأول ، و ابنه محمد المستنصر ، ولد سنة 621 هـ و توفي سنة 691 هـ من أشهر تلاميذه الإمام المازيري

ولمركزية وحضور المهتمين بشأن البيئة، يقوم المحتسب بقطع ونقل معمل الدبغ خارج البلد، لأنها تؤذي الأهالي المجاورة لدار الدبغ بالروائح النتنة، خاصة رواد المسجد، تغليباً للمصلحة العامة على الخاصة، ومن القواعد المقاصدية التي راعاها مفتي النازلة واعتبرها مرجعاً شرعياً أنَّ (درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح).

ومن الأدلة الشرعية أيضاً التي وظفها هي القياس، حيث قاس الرائحة المنتنة على ريح الثوم، والتي نهى النبي صلى الله عليه وسلم أكلها من الاقتراب من المسجد. وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أكل من هذه الشجرة - أي الثوم - فلا يقربن مسجداً) ¹.

هنا يمكن أن نقيس حكم الخاص على العام، إذا كان النهي عن أكل الثوم لما يلحقه من ضرر معنوي على المصلين وفضاء المسجد على حد سواء، فمن الأولى منع أسباب ملوثات الهواء، كما هو الشأن بالنسبة لمعمل دار الدبغ وغيره من المعامل التي استحدثت في عصرنا الحالي ونتج عنها الكثير من الأضرار الناتجة عن التلوث.

ويمكن أن نقيس على المسجد أيضاً في عصرنا الحالي، حين يتعلق الأمر بوجود بعض المراكز الصحية والمدارس، وغيرها من التجمعات السكنية بجوار بعض المصانع التي تبتث الكثير من ملوثات الهواء، إذ يظهر ذلك جلياً على الجدران والأشجار وغيرها، وسيكون الضرر أشد وأعظم على الإنسان والحيوان، قال الإمام القرطبي رحمه الله: (فلا يقربن ولا يصلين معناه يدل على أن مجتمع الناس حيث كان لصلاة أو غيرها كمجالس العلم، والولائم وما أشبهها، لا يقربها من أكل الثوم، وما في معناه مما له رائحة كريهة تؤذي الناس) ².

¹ حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن عبيد الله، قال: حدثني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزوة خيبر: (من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يقربن مسجداً) حديث ورد في صحيح البخاري 828.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط1، 1426هـ، 2006م، مؤسسة الرسالة، ج12 / ص 268

وفي هذا الاتجاه، سئل مطرف¹، وابن الماجشون²، والأصبغ³، عن حكم شخص أقام مدبغة في بيته تنبعث منها الروائح الكريهة فتؤذي جيرانه وتسبب لهم الضرر، فأجمع كل الفقهاء الثلاثة على حق جيرانه في إيقافه، وحكموا بإغلاق مدبغته لما تسببه روائحها من ضرر للجيران.

ويمكن تطبيق ذلك حكماً على من حفر مرحاضاً أو مصرفاً غير مغطى، وكل ما تنبعث منه الروائح الكريهة، مما استجد وطراً في عصرنا الحالي. ومن أصناف تلوث الهواء قديماً، إحداث الحمام على البيوت، وجاء جواب النازلة متضمناً ما يلي:
إذا كان الأمر على ما ذكرته في ذلك، فله أن يمنع الباني للحمام من بنائه قبل أن يبينه وبعد أن يبينه⁴.

ولقد استعمل المفتي القياس كدليل شرعي حيث قاس الرائحة المنتنة على رائحة الثوم التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم من الاقتراب من المسجد، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أكل من هذه الشجرة أي الثوم - فلا يقربن مسجدنا).

وفي هذا الاتجاه سئل أبو حفص العطار⁶ عن فعل الحل في داره، فقال له الجيران، تؤذينا رائحته وتؤذي الحيطان.

فأجاب: إذا قال أهل الطب أن الرائحة تؤذي وقال أهل البناء إن ذلك يؤذي الجدران منع من ذلك إلا أن يبنى دون حيطانهم حائطاً يمنع الوصول إلى حيطانهم ولا يكون يؤذيهم¹.

¹ مطرف بن عبد الله بن سليمان بن يسار الهلالي ولد سنة 139 هـ، وتوفي سنة 220 هـ بالمدينة المنورة، روى عن مالك الموطأ وغيره، روى عنه البخاري والترمذي وابن ماجه. ينظر: كتاب إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك الإمام ابن ناصر الدين والذي صدر عن دار المقتبس في طبعته الأولى سنة 1439 هـ - 2018 م بتحقيق الدكتور إبراهيم حمود إبراهيم،

² العلامة الفقيه مفتي المدينة أبو مروان، عبد الملك بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي مولاهم المدني المالكي، تلميذ الإمام مالك توفي سنة 213 هـ (سير الأعلام)

³ أصبغ بن الفرج ابن سعيد بن نافع الشيخ الإمام الكبير مفتي الديار المصرية وعالمها أبو عبد الله الأموي المصري المالكي، ولد سنة 150 هـ، طلب العلم وهو شاب وفاته مالك والليث بن سعد، وحوى عما جأ، حدث عنه البخاري وأحمد بن الحسن الترمذي وبجي بن معين، توفي سنة 225 هـ. (سير الأعلام)

⁴ مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام، للقاضي عياض، ص: 91

⁵ أخرجه البخاري، باب صفة الصلاة، باب ما جاء في الثوم التيء، و البصل، و الكرات، رقم: 815.

⁶ أبو حفص العطار: أبو حفص عمر بن محمد التيمي، شهر بالعطار، (ت 408 هـ)، له تعليق على المدونة، ينظر، الشجرة لابن مخلوف، ص: 107.

تعصّد هذه النازلة منع المفتين لرائحة الخل التي تؤذي الجيران وتؤذي حيطانهم إلا أن بيني حائطا يمنع الوصول إلى حيطانهم استنادا إلى القاعدة الفقهية (الضرر يزال) بناء على أن الروائح الكريهة تسبب أمراضا جسمية ونفسية تفتك بالإنسان وغيره ولا شك أن ما تخلفه المصانع والمعامل من التلوث الناجم عنها وخاصة بالمدن الكبرى.

وللمحتسب دور في حماية الهواء من التلوث، فقد كان بحق قدوة يحتذى بها، فقد كان يهتم بأن ترفع أسقف حوانيت الحبازين، وأن تفتح أبوابها وأن يجعل في سقوف الأفران منافذ واسعة يخرج منها الدخان لكي لا يتضرر بذلك السكان².

و من هنا فإن تلوث الهواء يؤثر على صحة الإنسان و الحيوان و النبات، وهو خرق لسنن الله في كونه جلت قدرته. التي أمرت بالإصلاح بدل الإفساد كما جاء في العديد من الآيات القرآنية و من بينها قوله عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾³.

فقه النازلة :

قال فقهاء المالكية⁴ : (ووجه الضرر فيما ذكر، هو الدخان الذي يحصل من الفرن والحمام، فيدخل على الجيران في دورهم ويضرهم، وهو من الضرر الكبير المستدام، وما كان بهذه الصفة منع إحداثه على من يستضر به إذا شهدت البيئة بأنه من الضرر)⁵. وفي هذا المعنى أشار ابن عاصم⁶ - رحمه الله - في تحفة الأحكام¹ قائلا:

¹المعيار 8 / 412 .

² نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، عبد الرحمان بن نصر الشيرازي دار الثقافة بيروت سنة 1989.

³ الأعراف: 55.

⁴ الشيخ أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري، و غيره من فقهاء المالكية .

⁵ تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، للشيخ أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى 1406هـ-1986م. 258/2.

⁶ أبو بكر بن محمد عاصم صاحب التحفة ، ولد بغرناطة سنة 760 هـ و توفي بها 829 هـ ، جمع بين التبحر في الفقه و الأدب و النحو و بين المعرفة بالصنائع الجميلة كتجليد الكتب و تزويقها ، أخذ الفقيه عن أبي سعيد فرج بن قاسم مفتي غرناطة و قرأ الحديث و الأدب على أبي إسحاق الشاطبي

(ومحدث ما فيه للجار ضرر محقق يمنع من غير نظر، كالفرن والباب، ومثل الأندر²، أو ما له مضرة بالجدر، وما ينتن الريح يؤدي بمنع فاعله بالدفع مما يقع. وفي السياق نفسه ذهب الحنابلة والظاهرية، إلا أن فقهاء الحنفية قالوا: لا يمنع إلا إذا استمر في إجراء الدباغة في داره وتأذى الجيران من ذلك، أما إذا أجرى هذه الصنعة نادرًا فلا يمنع³)

وقد ورد عن الشافعية، أن إزالة الضرر عن هواء شوارع المسلمين مفوض للحاكم، قالوا: لأن الهواء لكافة المسلمين، فوجب تفويض أمره إلى نائبيهم وهو الحاكم لإزالة الضرر عنهم.

وتنزيلاً لقاعدة (ارتكاب أخف الضررين) قال بعض الفقهاء: إن أمكن قطع الدخان مع بقاء الفرن قطع الضرر، وذلك بأن يجعل أنبوبًا في أعلى الفرن يرتقي فيه الدخان ولا يضر بالجار.

وفي هذا جمع بين مصلحة صاحب العمل بالقيام بعمله، ومصلحة الجار بدفع الضرر عنه، والمقصود هو دفع الضرر عن الجار، فإذا ارتفع الضرر على الدوام، ولم يكن في إقامة الفرن أو المطبخ أو ما يشبههما ضرر على جيرانه من أهل الدور أو السوق -بأي طريقة كانت كالطريقة المتقدمة أو غيرها- لم يكن لأحد منع صاحب الفرن أو غيره من هذا العمل.

ورغم أن حق الملكية يبيع للأفراد الاستفادة والتصرف فيما يتقرر عليه حق الملكية، إلا أن ذلك مقيد بالانتفاع بما لا يخالف الشريعة والقوانين والأعراف.

المحدث، و من مؤلفاته: حقائق الأزهار في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر وهو مجموع يشتمل على أمثال عامية و نكت. الأرجوزة المعروفة عند من درس الشريعة الإسلامية وهي المعنونة بتحفة الحكام في نكت العقود والأحكام نقلًا عن مجلة المحاكم المغربية عدد: 67 ص: 277.

¹ تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام المؤلف: محمد بن محمد بن محمد، أبو بكر ابن عاصم القيسي الغرناطي (المتوفى: 829هـ) المحقق: محمد عبد السلام محمد الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م عدد الأجزاء: 1 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] متن هذه النسخة الإلكترونية روجع على: - شرح محمد بن يوسف الكافي التونسي، طبعة دار الفكر، ط1411هـ، 1991م (المتن مشكول) - شرح التناودي، طبعة دار الفكر، بهامش شرح التسولي، (المتن مشكول) - شرح التسولي، البهجة في شرح التحفة، طبعة دار الفكر، نقلًا عن المكتبة الشاملة ² الأندر: جمع الأندر وهي أكوام القمح

معنى اندر في قواميس ومعاجم اللغة العربية طر على الشابكة - ArabDict <https://www.arabdict.com> بتاريخ: 2020/12/13

³ تحفة المحتاج بشرح المحتاج لأحمد بن حجر الهيتمي، دار إحياء التراث، بيروت لبنان 199/5.

وبناءً على هذا، فإنه إذا ترتب على تصرف الجار في ملكه أذى أو ضرراً للجيران بتلويث الهواء بالدخان أو الروائح الكريهة، فإن الجار منع جاره حينئذ من هذا التصرف، وله الحق في رفع أمره للقضاء عند امتناعه من إزالة هذا الضرر، وإلزامه بالضمان لو تلف بسبب هذا التلوث المعتدي فيه، إنسان أو مال.

والملاحظ في موضوع هذه النوازل عمومًا، أنها من نوع التلوث الصناعي الذي ينتج عن فعل الإنسان ونشاطه أثناء ممارسته لأوجه حياته المختلفة، من الصناعة والزراعة وغيرها، وفي استخدامه المتزايد لمظاهر التقنية الحديثة ومبتكراتها المختلفة، بحيث يجد هذا النوع من التلوث مصدره فيما تنفته المصانع وعوادم السيارات والمبيدات، والضوضاء والفضلات الصناعية والزراعية المنزلية وغيرها.

وبذلك نخلص أنه يمنع شرعاً تواجد المصانع والمعامل بجوار الدور السكنية وجميع المرافق العمومية، بعد ثبوت إلحاق الضرر بالسكان بتلويث الهواء، ويمكن الاستناد في ذلك إلى القواعد الفقهية كمرجع شرعي صالح لكل زمان ومكان، ومن ذلك:

1- قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) المأخوذة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتعتبر هذه القاعدة من التدابير الوقائية الاحترازية في معالجة قضايا تلوث الهواء. والضرر¹ هو أن يدخل المرء على غيره ضرراً بما ينتفع هو به، كالغازات الكيماوية المنبعثة من المعامل المختصة بالمنتجات الكيماوية، والغبار الناتج عن مصانع الاسمنت. والضرر² أن يدخل على غيره ضرراً بلا منفعة له به.

يجب أن تقام المصانع وغيرها من المحلات المضرة بالصحة أو الخطرة أو المقلقة للراحة، بالمواصفات وعلى المسافات وداخل المناطق المنصوص عليها في القانون.

¹ يفتح الضاد والراء مصدر ضر، جمع أضرار، وهو المكروه. الخسارة والأذى ينظر على الشائكة، <https://almerja.com/reading.php?idm=74590> بتاريخ 2021/02/23

² الضرر أن تضر بالآخر دون أن تنتفع من ذلك.

وعليه، فالضرر والضرار منهي عنهما، وبالتالي فالقاعدة تمنع أي اعتداء على مكونات البيئة مما يسبب الاختلال البيئي، ويفوت المصالح المتوخاة والمنتظرة من الموارد الطبيعية. وهكذا نخلص إلى أن الإسلام يمنع كل أوجه تلويث البيئة واستنزاف مواردها، أو تعطيل الاستفادة منها¹، وقد رتب العلماء بناء على هذا الحديث قواعد جلية في ضبط الضرر وأهمها:

2 - قاعدة (الضرر يزال): ومن المسائل البيئية التي تندرج تحت هذه القاعدة والمتمثلة في تلويث الهواء أو الإزعاج بالصوت أو أخذ أكثر من نصيبه من الماء، ما ذكره ابن قدامة² في سياق ذكره لما يمنع المسلم من التصرف فيه إذا أحدث ضرراً لجيرانه، نحو أن يبني حماماً بين الدور، أو يفتح خبازاً بين العطارين، أو يجعل دكان قصارة (أي صناعة) يهز الحيطان ويخرّبها، أو يحفر بئراً إلى جانب بئر جاره يجتذب ماءها.

3 - قاعدة (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح): يمكن تطبيق هذه القاعدة للحفاظ على نظافة الهواء، فإذا كان للمالك أن يستخدم ويتصرف بملكه كما يشاء، فيجب ألا يؤدي ذلك إلى ضرر أو مفسدة لغيره؛ فمثلاً من يستخدم المبيدات الكيميائية لحماية محصولاته، أو يشغل مصنعاً تصدر عنه أصوات مزعجة، أو ينفث أبخرة أو غازات سامة، يجب أن يتم منعه من ذلك، أو اتخاذ تدابير تضمن عدم الإضرار بالغير³.

4 - (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)، للحفاظ على نقاوة الهواء وتمكين الساكنة من استنشاق هواء نظيف خال من الغازات السامة والدخان والغبار، يتم تنزيل هذه القاعدة، فممنع بذلك إقامة مصنع للإسمنت -مثلاً- وسط حي سكني، منعاً للضرر الذي يعود

¹ حاية البيئة الطبيعية في الشريعة الإسلامية، دراسة فقهية مقارنة، لصفاء موزة، دار النوادر، الطبعة الأولى، 1431هـ=2010م ص:280.

² الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب "المغني" مولده بمجاميع من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة في شعبان، سير أعلام النبلاء ص 166

³ مبادئ حاية البيئة في القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية، أحمد عبد الكريم سلامة، بحث منشور في مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق، جامعة المنصورة، العدد السابع عشر أبريل 1995م. ص: 38

على أهل هذا الحي¹. وغيره من المعامل الحديثة المخصصة للتجارة والحداثة وصناعة السيارات والمهن الأخرى التي تعكس آثاراً سلبية على صحة الإنسان.

5 - (يختار أهون الشرين أو أخف الضررين):

إن الشريعة جاءت لمنع المفسد، فإذا وقعت المفسد فيجب دفعها ما أمكن، وإذا تعذر درء الجميع لزم دفع الأكثر فساداً فالأكثر، لأن القصد تعطيل المفسد وتقليلها بحسب الإمكان، فإذا اضطر إنسان لارتكاب أحد الفعلين الضارين، دون تعيين أحدهما، مع تفاوتها في الضرر أو المفسدة، لزمه أن يختار أخفها ضرراً ومفسدة. لأن مباشرة المحذور لا تجوز إلا للضرورة، ولا ضرورة في حق الزيادة، والضرورة تقدر بقدرها، ومراعاة أعظم الضررين بإزالته، لأن المفسد تراعى نفيًا، والمصالح تراعى إثباتاً².

فمثلاً إذا تعذر نقل النفايات المنزلية إلى مناطق غير مأهولة بالسكان، وأريد حرقها للتخلص منها، فيمكن أن يجرى ذلك قرب المناطق البعيدة نسبياً ذات التعداد السكاني الأقل، بدلاً من حرقها في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية³ وفي هذا الإطار، جاء النص القانوني المغربي يواكب رؤية الشريعة الإسلامية، حيث ورد فيه ما يلي:

(يجب أن تقام المصانع وغيرها من المحلات المضرّة بالصحة أو الخطرة أو المقلقة للراحة، بالمواصفات وعلى المسافات وداخل المناطق المنصوص عليها في القانون، كما يجب على مالكيها اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على البيئة والحيلولة دون الإضرار بأي أحد، مع مراعاة القوانين الجاري بها العمل في هذا الباب)⁴.

¹ الإسلام وحماية البيئة، للدكتور محمود صالح العادلي، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الرياض، العدد 23، السنة السادسة، ص: 34.

² القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة محمد مصطفى الزحيلي، المكتبة الشاملة الحديثة ص 226

³ منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، للدكتور عدنان أحمد الصادي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة السابعة عشرة، العدد: 51، ص: 331.

⁴ مدونة الحقوق العينية، المادة 77

وهذه التدابير، تؤدي وظيفة جيدة في الحفاظ على البيئة وعلى أساسها الإنسان، لأن تلوث الهواء يحمل الكثير من الفيروسات والبكتيريا والفطريات الخطيرة، التي تلحق بالإنسان العديد من الأمراض الجسدية والنفسية. ومن خلال ما تقدم نخلص إلى ما يلي:

كان لعلماء الشريعة رؤية مبكرة تجاه الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث، وجعلوا ذلك من واجبات الدين وفرائضه.

لم يكن اهتمام علماء الشريعة بملوثات الهواء العظمى، التي تعتبر طامات كبرى، والتي إذا فتكت فإنها تفتك أمماً لا جماعات فحسب، بل كان اهتمامهم بما يؤدي إلى مجرد ضرر بسيط لا يتعدى فرداً أو مجموعة أفراد، فهم لم يبحثوا موضوع التلوث بعدما استفحل الأمر وصار مشكلة إنسانية، وإنما عالجوا الأمر في أبسط صورته وفي أقل مراتبه.

ومن هنا يتبين أن الفقهاء قديماً منعوا في فتاويهم وأقضيته، إقامة دور الدبغ، والحمامات، وما شاكلها من المصانع الأخرى التي تلحق الضرر بتلوث الهواء. والأدوار التي كان يقوم بها المحتسب -كما مر توضيحه- في مقاومة كل ما يلوث البيئة عموماً، خاصة ما يتعلق بالهواء، إضافة إلى ذلك دور الأطباء وعلماء الاجتماع الذين أسهموا بدورهم في الحفاظ على الهواء، من خلال آرائهم الجيدة التي تكمل الصورة الإيجابية في الحفاظ على الهواء، فما أحوجنا اليوم من اتخاذ تدابير وقائية، خاصة أمام ما تشهده المصانع والمعامل من انتشار كبير، تفقد للهواء ميزته الإيجابية، وتحوله للأسف إلى مشاكل خطيرة تقتل الإنسان بالدرجة الأولى وباقي الكائنات الأخرى.

ثانيا : أقوال الفقهاء في تلوث الهواء¹ :

لقد كان عصر صدر الإسلام - ثم عصور نهضته العلمية فيما بعد - لا يعاني من مشكلة تلوث الهواء التي نبتت ونشأت مع التقدم العلمي الغربي وانحطاط المسلمين، ولهذا فلا تثريب علي أجدادنا العلماء والفقهاء إذا لم يكتبوا شيئا في هذا الموضوع، ولا ريب أنه من الكسل والتكلف معا أن نطالب قوما بحل مشكلات لم يعرفونها.

ويبقى على جيلنا أن ينظر في النصوص والأصول العامة، وأن يستنبط من الكليات جزئيات وأحكاما في مسألة تلوث البيئة، وتلوث الهواء فرع منها.

إلا أن إعادة استقراء النصوص الشرعية، والتنقيب في كتب الفقه والتاريخ تأبى إلا أن تدهشنا مرة أخرى، إذ نجد منها نصوصا واضحة ظاهرة في هذه المسألة، وتطبيقها يضع مبادئ وأصول معالجة مشكلة تلوث الهواء، فأما نصوص الوحي فهي بطبيعتها نصوص معجزة يفهم منها أهل كل زمن ما يناسب أزمانهم وفي حدود مشكلاتهم، وأما نصوص العلماء التي دارت حول نصوص الوحي بالشرح والفهم فتفتح مسار التفكير والتدبر وإن انصبت على مشكلات أزمانهم بطبيعة الحال ولطبيعتهم البشرية، فهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا أفذاذا عابرة.

وفي إطار الحديث عن أقوال الفقهاء المتعلقة بتلوث الهواء، لابد من الوقوف على أقوالهم الخاصة بحرق قش الأرز وحطب القطن؛ خاصة وأن ذلك سينتج عنه لأمحالة أدخنة كثية وتلوث للهواء.

¹ موقع رابطة العلماء السوريين، ينظر على الشابكة http://islamsyria.com/site/show_consult/928 موقع رقم الفتوى : 928

بتاريخ الاثنين 12 جادى الآخرة 1437 - 21 مارس 2016

ثالثاً: حكم حرق قش الأرز وحطب القطن¹:

هذا التصرف حرام شرعاً، وفاعله آثم؛ لأنه من المقرر في المقاصد الشرعية أنه لا ضرر ولا ضرار، أي أنه لا يجوز للإنسان أن يضر نفسه ولا أن يسعى في إيصال الضرر لغيره؛ كما أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والمصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصة، فليس للمزارع أن يتخلص من بقايا محاصيله بطريقة تجرّ الضرر إلى الناس؛ حيث أثبتت الأبحاث العلمية الطبية أنّ الأطفال هم أكثر الفئات تأثراً بتلوث الهواء الذي تسببه هذه الأفعال وغيرها؛ فيصابون بضيق التنفس، وأمراض الشعب الهوائية، وزيادة احتمال الإصابة بالربو، والتهابات العين، التي تسبب عدم وضوح الرؤية، وخفض مناعة الجسم، ومن أكبر مكروبات هذه السحابة غاز أول أكسيد الكربون الذي يسبب أضراراً بخلايا المخ، ويؤثر في الدورة الدموية والجهاز العصبي، وعنصر الرصاص الذي يسبب أمراض الكلى، وزيادة التخلف العقلي.

وإذا كانت هذه الحرائق سبباً في كل هذه الأضرار الصحية -كما أثبتته الأبحاث العلمية- فإن القيام بها والتسبب فيها يعدّ إفساداً في الأرض وبعياً بغير الحق، وهذا من الكبائر التي نص الله تعالى على تحريمها بل وقرنها بالشرك به إذ يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾².

وفي هذا الإطار، سنتعرف على بعض القرارات التي اتخذتها المجمع الفقهي، والتي ساهمت بشكل أساسي في الحفاظ على البيئة.

¹ ينظر على الشبكة موسوعة الفتاوى <http://www.fatawa.com/view/15238> بتاريخ 2022/01/11

² الأعراف: 33.

المطلب الثالث: نماذج من قرارات المجامع الفقهية الإسلامية للحفاظ على البيئة:

أولاً: الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي¹:

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته التاسعة عشرة في إمارة الشارقة. وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يأتي:

1- تحريم إلقاء أية نفايات ضارة على أي بقعة من بقاع العالم والزام الدول المنتجة لهذه النفايات بالتصرف بها في بلادها.

2- وعلى نحو لا يضر بالبيئة، مع التزام الدول الإسلامية بالامتناع عن جعل بلادها مكاناً لتلقي أو دفن هذه النفايات.

3- تحريم كافة الأفعال والتصرفات التي تحمل أية أضرار بالبيئة أو إساءة إليها مثل الأفعال والتصرفات التي تؤدي إلى اختلال التوازن البيئي، أو تستهدف الموارد أو تستخدمها استخداماً جائراً لا يراعي مصالح الأجيال المستقبلية، عملاً بالقواعد الشرعية الخاصة بضرورة إزالة الضرر.

4- وجوب نزع أسلحة الدمار الشامل على مستوى جميع الدول، وحظر كل ما يؤدي إلى تسرب غازات تساعد في توسيع ثقب طبقة الأوزون وتلويث البيئة، استناداً إلى القواعد الفقهية الخاصة بمنع الضرر. ويوصي بما يلي:

■ تشجيع الوقف على حماية البيئة بمختلف عناصرها الأرضية والمائية والفضائية.

¹ قرار رقم: 185 (11/19) الصادر بالشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة) من 1 إلى 5 جادى الأولى 1430 هـ، الموافق 26-30 نيسان (أبريل) 2009م،
ينظر على الشبكة <https://iifa-aifi.org/ar/2316.html> بتاريخ 2021/12/13

- إنشاء لجنة لدراسات البيئة من منظور إسلامي بمجمع الفقه الإسلامي الدولي تختص برصد كافة الدراسات والاتفاقيات والمشكلات المتصلة بالبيئة.
- التعاون مع المجتمع الدولي بمختلف الصور في سبيل حماية البيئة ومنع تلويثها، والانضمام إلى الاتفاقيات والعهود الدولية التي تعقدها الدول لمنع التلوث والإضرار بالبيئة، شريطة ألا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية أو تحمل أضراراً بالدول الإسلامية.
- حث الدول الإسلامية على تفعيل المنظمات البيئية التي أوجدتها منظمة المؤتمر الإسلامي والهيئات التابعة لها، مع ضرورة التعاون الوثيق مع مجلس التعاون العربي الخاص بالبيئة، وكذلك مجلس التعاون الخليجي المهتم بها.
- الإكثار من الصناعات (صديقة البيئة) ودعمها بكافة الطرق الممكنة.
- حث الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي على الاستمرار في إصدار التشريعات والقوانين المنظمة للبيئة والممانعة من تلويثها، مع الاستعانة بسلطة القانون الجنائي بتوقيع العقوبات على الإضرار بالبيئة، وتشديد أجهزة الرقابة على مختلف التصرفات والأفعال التي قد تحمل الإضرار بأي عنصر من عناصر البيئة: المياه أو الهواء أو التربة.
- مطالبة المؤسسات المعنية بالشؤون الدينية في الدول الإسلامية بتزويد الأئمة والدعاة بالمعلومات البيئية، ونشر الأبحاث والدراسات المتعلقة بالبيئة ووسائل الحفاظ عليها.
- نشر الثقافة البيئية بمختلف الوسائل التي تؤدي إلى نظافة البيئة وحمايتها من كافة المخاطر عن طريق:

- أ - البث المنظم لمخاطر البيئة في وسائل الإعلام.
- ب - التربية السوية، سواء داخل المنازل أو في مناهج الدراسة بمختلف مراحلها.
- ج - الاهتمام بفقه البيئة من دراسات الفقه الإسلامي بكلليات الشريعة والدراسات الإسلامية.

وفي إطار الحديث عن قرارات الجامع الفقهية المتعلقة بحماية البيئة، لابد من التأكيد أن هناك مشاكل متعلقة بالتغيرات المناخية بالكوكب الأرضي.

إذ لا يخفى على أحد أن الأزمة الجديدة التي تضرب عالمنا هي التغير المناخي، وأطلقت صيحات الخطر للعمل على التصدي لهذه الظاهرة، وأذكر إجماع الفلاسفة عن أن المسؤول عن هذه الكوارث هو الإنسان، كما أن موقف الإسلام من هذه الأزمة شديد الوضوح في تقرير وجوب احترام البيئة احتراماً شرعياً جانباً من تصريحات فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، خلال مؤتمر جامعة الأزهر عن المناخ، والذي كان أولى فعاليات المؤسسات في أعقاب إعلان استضافة مصر مؤتمر الأطراف لاتفاقية الأمم المتحدة لتغير المناخ القادم COP27 بشرم الشيخ في 2022، حيث يعد هذا فصل جديد من ريادة مصر في قيادة المنطقة في العمل المناخي إلى توحيد جهود العالم في مواجهة آثار تغير المناخ تستضيف مصر رسمياً مؤتمر الأطراف لاتفاقية الأمم المتحدة لتغير المناخ القادم COP27 بشرم الشيخ في 2022، وذلك بعد أن تم إعلان اختيار مصر لاستضافة الدورة القادمة من المؤتمر. وفي هذا التقرير نستعرض أبرز الفتاوى المتعلقة بالبيئة والصادرة من دار الإفتاء المصرية :

تكوين الأشجار على هيئة إنسان أو حيوان تهذيب أشجار الزينة على أشكال تحاكي صور الحيوانات أو الشخصيات الكرتونية، ليس من التصوير المنهي عنه في شيء؛ بل هو جائز شرعاً؛ لانتفاء علة عبادتها وتقديسها، مع تحقق المصلحة؛ فإن في تزيين الحدائق بهذه الأشكال ما يُسعد الأطفال ويدخل السرور عليهم وعلى أسرهم، ولأجل ذلك جعلت الحدائق العامة.

ثانياً: الحد من التلوث¹:

إن الله سبحانه وتعالى وفر للإنسان في هذا العالم - منذ أن خلقه - كل أسباب الراحة والسعادة، وبالرغم من أنه توجد في هذا الكون بجانب وسائل الخيرات هذه أشياء تسبب تلوث البيئة، إلا أنه تعالى قد خلق أيضاً وسائل تزيل هذا التلوث، وتحمي الإنسان من أضراره، وتقلب ماهيته، وتجعله مفيداً لنظام الكون الطبيعي. والحق أنه إن كانت الثورة الصناعية قد وقرت لنا كثيراً من وسائل مفيدة ومساعدة لحياة البشر في جانب، ففي جانب آخر إنها قد أدت إلى زيادة التلوث الجوي والمائي والصوتي أيضاً، الأمر الذي قد أثر على توازن الطقس سلبياً، وتسبب في تولد العديد من الأمراض الجديدة. ولذا يرى علماء الطبيعة أنه لو لم يتم التغلب على التلوث فستتعرض الإنسانية لعواقب وخيمة وفتاكة، ولقد اهتدى العلم الحديث إلى الوسائل التي تقوم بإزالة أنواع التلوث، ولكن أصحاب الصناعات لا يستخدمونها؛ لأنه لا هم لهم إلا زيادة المنتجات وبأقل التكاليف مهما كانت أضرارها البيئية، وهو سلوك لا يرضاه الإسلام ولا تقبله الإنسانية، وبهذا الخصوص قررت الندوة ما يلي:

الأول : إذا قام أصحاب الصناعات بإنشاء صناعات تسبب التلوث فيجب عليهم أن يستخدموا وسائل تقوم بإزالة هذا التلوث حتى لا تتضرر البيئة، ومن خلالها الحياة البشرية.

الثاني: تشكل ظاهرة اختيار الشركات الدولية للهند كسوق عالمي بعداً إيجابياً حيث أنها تخلق جواً للمنافسة البناءة، وبفضلها تتوفر المنتجات ذات الجودة العالية للمستهلكين، ولكن الأمر الذي يلفت النظر هو أن هذه الشركات الصناعية تأتي بركامات هائلة من النفايات الصناعية وأنواع التلوث البيئي، وعليه فإن الندوة تطالب حكومة الهند بأن تقوم بسنّ قوانين تضمن حماية البيئة من أضرار التلوث بأنواعه، وتقوم بتطبيقها على كافة الشركات محلية كانت أو دولية.

¹ ينظر على الشابكة مكتبة الجامع الفقهية <https://fatawacouncils.in> بتاريخ 2022/05/12 قرار رقم 2 الندوة الفقهية الثامنة عشرة

الثالث: إن ما يواجهه العالم من الولايات التي جرّها التلوث البيئي ما من مصدر لها إلا الدول الراقية؛ لأن هذه الدول لم تراعى تلاؤم الصناعة مع البيئة، وذلك بغية الحصول على أرباح أكثر بتصنيع منتجات أرخص. فهذه الدول لم تستخدم وسائل مكافحة التلوث، وبعد أن أصبح التلوث مشكلة غاية في الخطورة بدأت تماطل في تحمل مسؤولياتها نحوه. وتطالب الندوة هذه الشركات بأن تغير موقفها من الإنسانية، كما تناشد حكومة الهند أن تقوم بدورها كإحدى كبريات دول العالم الديمقراطية في إقناع الدول الراقية بمسؤولياتها في هذا الصدد.

الرابع: توصي الندوة مواطني البلاد بالاهتمام بنظافة البيئة، وتجنب كافة ما يسبب التلوث والإضرار بالآخرين مثل بناء المجاري المفتوحة، وإلقاء المهملات والقاذورات على الطرقات والشوارع والأماكن العامة، وتلويث المياه لكي يمكن تفادي خطر الأمراض الفتاكة والأضرار الأخرى التي تسببها أنواع التلوث البيئي.

ثالثاً: الحفاظ على الماء¹:

أولاً: إن استعمال المياه في أمور مسموح باستعمالها شرعاً من غير حاجة أو فوق الحاجة الفعلية يعدّ إسرافاً منهيّاً عنه.

ثانياً: الإسراف في المياه الموقوفة حرام، وفي المياه المملوكة والمباحة مكروه.

ثالثاً: إن أحكام الشريعة عن الماء ليست مقصورة على تطهير وتنقية المياه فحسب، بل وتتعدى إلى صيانتها من التلوث، فلا بد من رعاية هذا الجانب أيضاً.

رابعاً: يجوز للحكومات أن تفرض الحظر على بعض صور استعمال المياه حماية للمصالح العامة المشتركة، ويجب العمل بذلك، شريطة أن لا يقف الامتنال لهذا الأمر عائقاً في تلبية حاجات شرعية أو طبيعية.

¹ ينظر: على الشاذلي: موارد المياه وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية - مكتبة الجامع الفقهية <https://fatawacouncils.info> بتاريخ 2021/07/15 موارد المياه وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية - مكتبة الجامع الفقهية

خامسًا: المياه الجوفية الموجودة تحت الأرض، حتى ولو كانت الأرض مملوكة لأحد؛ مباحة الأصل، وليست مملوكة لأحد، وللحكومة أن تفرض الحظر على حفر الآبار السطحية إذا اقتضته المصلحة العامة.

سادسًا: صيانة المياه وتخزينها من مسئوليات الحكومات، ولكن يجوز شرعًا أن يعهد بهذه المسؤولية إلى الأفراد، ويكلفوا باتخاذ وسائل لازمة لاستبقاء المياه الجوفية على المستوى المناسب، ويساعدوا في ذلك الحكومات.

سابعًا: يجوز شرعًا نقل السكان إذا كانت الحاجة ماسة إلى إنشاء السدود والمنشآت المائية، ولكن بشرط أن يدفع منه نقلهم تعويضاً عادلاً يكفيهم في تفادي الخسائر المترتبة على النقل وإعادة الإعمار.

ثامنًا: ويجب توفير الحماية للسكان عند إصابتهم بالفيضانات سواء كانوا في العوالي أو المنخفضات، ويتخذ لذلك من التدابير ما يكون أقل خسارة وأهون ضررًا.

تاسعًا: يجوز للإنسان أن يفي بحاجاته المسموح بها شرعًا من دون إضرار بالآخرين. عاشرًا: يجوز الانتفاع بالأنهار بقدر الضرورة، شريطة أن لا يعود بذلك ضرر لا على الأنهار ولا على الأفراد.

حادي عشر: تثبت الملكية بإحراز الماء في الظروف والأواني قصدًا، سواء كانت صغيرة أم كبيرة، إلا أن إحراز الماء بطريق يتضرر به العامة لا يجوز.

ثاني عشر: يجوز الاتجار في المياه في جميع الحالات التي يتم فيها الملكية، إذا لم يؤثر ذلك على المصالح العامة، فلا يجوز لأحد أن يدخر الماء من الحنفيات والمضخات العامة والقنوات المائية الأخرى أكثر من حقه على حساب الآخرين، ثم يتجر فيه.

ثالث عشر: لا يجوز قطع الأراضي في المنخفضات (التي تخزن فيها المياه النقية أو القدرة أو تصرف إليها المياه) وبيعها وإعمارها، إذا لحق به ضرر عام، سواء سمحت به الحكومة أو لم تسمح به أو منعت.

رابع عشر: توفير المياه لكل مواطن من مسؤوليات الحكومة الأساسية، ولها أن تحدد الرسوم على هذه الخدمة، ولها أن تمنع المياه عن القادرين على أداء الرسوم عند عدم دفعها.

خامس عشر: من مسؤوليات الدولة تكوين نظام مناسب لإخراج المياه المستعملة من خلال المجاري والجداول المائية، وتوفير الرعاية الصحية للأفراد، وعلى الجماهير أن يحترموا النظام والقانون المتبع في هذا الصدد.

رابعاً: الحفاظ على حقوق الحيوان¹:

لقد توصلت لجنة صياغة القرارات إلى ما يلي:

الإسلام دين الرأفة والرحمة، يأمر الناس بالإحسان إلى الحيوانات وحسن التصرف فيها والعطف عليها كما يأمر بالرحمة على الفقراء والمساكين، والمنكوبين والبائسين وغيرهم من بني جنسهم، لاشك أن الله خلقها لخدمة البشر، ولهم فيها منافع ومشارب، ولكن حدود الانتفاع بها مقررة في الشريعة، يجب الالتزام بها، فلا يجوز لإنسان أن يتعامل معها بطريقة تتم عن القسوة والجفاء، وانطلاقاً من هذا المبدأ توصل المجمع إلى ما يلي:

1. ينبغي أن يوقر لكل حيوان غذاء يوافق طبيعته، ويجوز تغذية الحيوانات بمكونات تشتمل على أجزاء لحمية إذا لم تكن الأغذية نجسة وضارة بها.
2. يجوز حقن الحيوانات بالإبر الطبية لتكثير اللبن واللحم إذا لم تكن مضرّة بصحة الإنسان والحيوان؛ مع الأخذ في الاعتبار صحة الحيوان وطفله في عملية الحلب.

¹ ينظر على الشاذة <https://fatawacouncils.info> رقم 1 الندوة الفقهية السابعة والعشرون 2017 حقوق الحيوانات وأحكامها - مكتبة المجمع الفقهية بتاريخ 2022/09/11

3. إذا حدث تزاوج بين حيوانين أحدهما مأكول والآخر غير مأكول فالولد المتولد بينهما يتبع الأم.

4. يسوغ حبس الحيوانات في القفص وغيره للزينة مع توفير الأكل والشرب على النحو اللائق بها.

5. لا يجوز اقتناء الحيوانات الضارية والمؤذية لمجرد تحقيق الرغبة والهواية.

6. يجوز إجراء الفحوص والتجارب الطبية على الحيوانات لصالح الإنسان.

7. يجوز إخراج عضو من أعضاء الحيوان أو وضع جهاز في جسمه بعد إغائه وتنويمه، شريطة أن لا تكون هذه العملية مؤذية إلى الوجود والألم مدى الحياة.

إذا كان هناك قانون صدر من الحكومة يحظر صيد حيوان من أجل حماية نسل الحيوانات أو الحفاظ على البيئة أو لغرض من الأغراض المشروعة فينبغي مراعاة ذلك القانون والالتزام به.

لا ينبغي تحريم حيوان مأكول اللحم خشية أن يؤدي ذبحه إلى تعريض الانسجام الطائفي للخطر، كما لا يليق بالمجتمع الهندي المتسامح والمتكافئ أن يصدر قانونا يفرض الحظر على ذبحه، ويوصي المسلمون بأن يأخذوا حذرهم عند ذبح مثل هذا الحيوان.

إذا صدر قانون رسمي يحظر صيد الحيوانات أو الطيور الوحشية فينبغي مراعاته والالتزام به تحقيقاً للصالح العام. يسوغ قتل الحيوانات المصابة بالأمراض المعدية، إلا أن إحراقها أو دفنها حية لا يجوز شرعاً. يجوز قتل الحيوانات المؤذية بغية تجنب الضرر، شريطة أن يخشى ضررها.

خامسا : الحفاظ على النظافة¹ :

إن الحياة الصحية تتطلب بيئة طيبة نظيفة؛ ولكن التقنيات الحديثة رغم فوائدها الحمة تأتي بما يعرض الحياة للأخطار، فقد توصل المشاركون في الندوة بغية الحفاظ على البيئة الطبيعية إلى قرارات وتوصيات حسب التالي:

1. يستخدم من الوقود أقله تلويثاً للبيئة حسب المستطاع في جميع الحوارج، ويحتنب استخدام الوقود الذي يكثر التلوث منه قدر الاستطاعة.
2. يُفضّل في السيارات استخدام وقود قليل التلوث، ويلتزم بالإرشادات الحكومية في هذا الصدد.
3. الوسائل التي تستخدم للإضاءة وغيرها من المقاصد يفضل فيها استخدام وقود قليل التلوث، ويلتزم بالإرشادات الحكومية في هذا الصدد.
4. يستحسن استعمال الطاقة الشمسية في المناطق التي يسهل فيها الحصول عليها ويفيد.
5. لا بد من الالتزام بالقوانين التي رسمتها الحكومة للتغلب على دخان وغازات المصانع والمعامل الملوثة للبيئة، إلا أنه من واجب الحكومة أن توفر لمكافحتها التسهيلات الملائمة.
6. يتخذ لأجزاء الحيوان غير القابلة للاستعمال تدابير لا تتسبب في التلوث البيئي والعفن الناتج منه.
7. يحتنب استخدام أكياس البلاستيك دون حاجة إليها، ويرجح استعمال الوسائل البديلة لها.
8. يحتنب استخدام التبناك والأشياء المصنوعة منه، ولا سيما في الأماكن العامة.
9. لا يجوز قضاء الحاجة في أماكن عامة، كما يحتنب تسهيل مخلفات البيئة من النفايات والفضلات في مسائل المياه المكشوفة حسب المستطاع .
10. يكره البصق ويستنكر في أماكن عامة، ويلتزم بالإرشادات الحكومية في هذا الصدد.

¹ قرار رقم 2 الندوة الفقهية السادسة والعشرون 2017 لتلوث البيئي والصوتي - مكتبة الجامع الفقهية ، <https://fatawacouncils.info>

11. تُجْتَنَّب من الأجهزة الإلكترونية التي تنبعث منها الأشعة (نحو الثلاجات، والغسالات، والجوالات، والمكيفات الهوائية) فوق الحاجة.
12. إن غرس الأشجار له أهمية كبيرة في الإسلام، فيجتنب قطع الغابات والأشجار المورقة الخضراء. التلوث الصوتي.
13. التلوث الصوتي من أهم القضايا المعاصرة، وعدم الاتزان الذي يوجد في المجتمعات بهذا الصدد منافع للتعاليم الإسلامية، ومن ثم توصي هذه الندوة بالتالي:
14. لا يجوز إطلاق أبواق السيارات دون حاجة، أو تنصيب البوق الحامل الأصوات الصاخبة، ويلتزم بالإرشادات الحكومية في هذا الصدد.
15. لا يجوز شرعاً تشغيل الأغاني المسجلة باستخدام دي جيه DJ وغيره، وعلاوة على ذلك يؤثر صوته على الصحة البشرية، فلا يجوز استخدامها من أجل ذلك أيضاً.
16. لا يصح استخدام مكبرات الصوت في الاجتماعات العامة والأمسيات الشعرية العامة، وينبغي الالتزام بالقوانين الواردة بهذا الخصوص.

سادساً : الحفاظ على الأمن الغذائي¹ :

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الرابعة والعشرين بدبي، وبعد اطلاعه على البحوث المقدمة إلى المجمع بخصوص موضوع تحقيق الأمن الغذائي والمائي وأهم المشكلات التي تواجهها الدول الإسلامية وآثاره على التحديات المستقبلية للأمة الإسلامية، وبعد استماعه إلى المناقشات الموسعة التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولاً: الأمن المائي: وذلك بتوفير المياه الصالحة للاستخدام البشري، بما يكفي لتلبية متطلبات البلاد، في الكم والنوع، واستمرار ذلك دون تأثر.

¹ ينظر قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم 5 الدورة الرابعة والعشرون 2019 ، 07-09 ربيع أول 1441هـ، الموافق : 04 - 06 نوفمبر 2019م.
<https://iifa-aifi.org/ar/5158.html>.

ثانياً: الأمن الغذائي: ويتمثل ذلك في توفير الغذاء الصحي السليم للأفراد مع ضمان الحد الأدنى من الحاجات الغذائية لجميع أفراد المجتمع.

وحيث إن الإسلام يدعو إلى المحافظة والاقتصاد في الماء والغذاء وينهى عن الاسراف والتبذير في كل شيء وعن كل ما يلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات يوصي المجلس بما يلي:

ثالثاً التوصيات:

✓ على حكومات الدول الإسلامية، وضع قضية الأمن المائي والغذائي في مقدمة اهتماماتها ووضع سياسات وبرامج لترشيد الاستهلاك في مجال الماء والغذاء.

✓ على المسلمين شرعاً، الاقتصاد في استهلاك الماء والغذاء، وعدم إهدارهما.

✓ على العلماء المختصين في علوم الماء والزراعة والبيئة، الاجتهاد لإيجاد الحلول والوسائل، التي تساعد على تحقيق الأمن المائي والغذائي، والاستفادة من تقنيات الثورة الصناعية الرابعة في مجالات تدوير المياه والاستفادة منها ضمن ضوابط وأحكام الشريعة الإسلامية.

✓ على الدول الإسلامية، المسارعة إلى التعاون فيما بينها لمواجهة مشكلتي نقص الماء والغذاء بوضع السياسات والخطط المناسبة بما يضمن تنمية الموارد المائية وتحقيق الأمن الغذائي، وكذلك التعاون مع المنظمات الإقليمية والدولية المتخصصة في مجال الماء والغذاء.

✓ استخدام التقنيات الحديثة في إنتاج البنود وتحسين وسائل التنمية الزراعية لضمان رفع معدلات الإنتاج وتحقيق الامن الغذائي.

✓ على الدول الإسلامية، العمل على الاستفادة مما جاءت به الشريعة الإسلامية لتنمية الموارد الزراعية من خلال العمل بمبدأ إحياء الموات بضوابطه الشرعية، وإزالة العقبات التي تحول دون تحقيق ذلك.

المطلب الرابع : ندوات إسلامية للحفاظ على البيئة :

خلال هذا المطلب حاولت الوقوف على بعض الندوات الإسلامية التي أطرها علماء وفقهاء ورجال قانون ، والتي جعلت قضية البيئة أهم محاورها ، ويمكن اعتبار القرارات التي تم التوصل إليها والمتميزة بكونها ذات مرجعية شرعية، مواكبة للمستجدات المعاصرة المتعلقة بقضايا البيئة ، كما أن القرارات التي تم التوصل إليها بمثابة اجتهادات في القضايا المعاصرة للبيئة ، وذلك بعدما صادق عليها من يتصفون بصفة المجتهد وأهل الاختصاص .

أولا : المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة بجدة¹:

عقد هذا المؤتمر يومي 10 و 12 يونيو 2002 بجدة، ناقش مجموعة من التقارير والدراسات أعدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وحضره وزراء البيئة وناقش المواضيع التالية:

- 1- جهود تنسيق التحضير للقمة العالمية الثانية حول التنمية المستدامة وتنفيذ الأجندة 2020- 2021 .
- 2- جهود الإيسيسكو وتصورها المستقبلي حول تدبير الموارد المائية في العالم الإسلامي.
- 3 - جهود الإيسيسكو في مجال التربية البيئية والصحية والسكانية .
- 4 - التنمية المستدامة من منظور القيم السلمية وخصوصيات العالم السلمي .
- 5 - التحديات البيئية في العالم السلمي.
- 6 - البيئة والتنمية المستدامة في العالم السلمي رؤية إسلامية للتنمية المستدامة.

¹ للمؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة جدة، 12، 10/2019 ينظر على الشبكة > uploads > <http://www.icesco.org> بتاريخ 2021/12/05

7 - الإعلان السلمي حول التنمية المستدامة .

كما تابع المؤتمر مجموعة من التقارير قدمها بعض رؤساء الوفود حول جهود حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة في دولهم واستمع المؤتمر إلى كلمات ألقاها عدد كبير من رؤساء الوفود، تناولت موضوعات المؤتمر وقضاياها واعتمد المؤتمر الوثيقة الخاصة بجهود تنسيق التحضير للقمة العالمية حول التنمية المستدامة وتنفيذ الأجندة 21 والإطار العام لبرنامج العمل السلمي للتنمية المستدامة، ودعا الدول الأعضاء إلى تكثيف التنسيق والتشاور للمشاركة الفعالة في مؤتمر القمة العالمية حول التنمية المستدامة والحرص على رفع التمثيل إلى أعلى المستويات والعمل على إبراز المنظور السلمي للتنمية المستدامة في أعمال القمة ونتائج أشغالها وقراراتها وتوصياتها .

ودعا المؤتمر القمة العالمية للتنمية المستدامة إلى تفعيل الصندوق العالمي للتضامن الذي أقرته الأمم المتحدة وهيأتها المتخصصة باعتباره أداة لمكافحة الفقر في الدول الأكثر احتياجاً، وحث الدول المتقدمة والمناخ على تعبئة موارد جديدة وإضافية الدول الأكثر احتياجاً، وحث الدول المتقدمة والمناخ على تعبئة موارد جديدة وإضافية من خلل إعادة جدولة ديون الدول الفقيرة وتخصيصها لفائدة المشاريع البيئية

وكلف أعضاء مكتب المؤتمر بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر السلمي والمنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة، بالعمل على تفعيل جهود الدول الأعضاء في مجال التنمية المستدامة وتنسيقها وتقديم الخبرة والمشورة بشأن الخطط والسياسات والمشاريع الخاصة بالنهوض بآليات التنمية المستدامة، وتنسيق مشاركة الدول الأعضاء في القمة العالمية حول التنمية المستدامة.

ودعا الهيآت الحكومية وغير الحكومية الوطنية والإقليمية والمنظمات السلمية المتخصصة في مجالات التنمية المستدامة، إلى المشاركة الفعالة في مؤتمر القمة العالمية حول التنمية المستدامة، بالتنسيق مع الدول الأعضاء والأمانة العامة لمنظمة المؤتمر السلمي .

وأخذ المؤتمر علماً بالتقارير الوطنية للدول الأعضاء في مجال البيئة والتنمية المستدامة في العالم السلمي، ودعاها إلى مواصلة الجهود وتطبيق قرارات المؤتمر السلمي الأول لوزراء البيئة وفق احتياجات كل دولة، وبما يناسب سياساتها العامة .

واعتمد المؤتمر الوثيقة الخاصة بجهود الإيسيسكو وتصورها المستقبلي حول تدبير الموارد المائية في العالم السلمي مع الأخذ بعين الاعتبار الجوانب القانونية والتشريعية في هذا المجال واحتياجات الدول الأعضاء الخاصة بالمياه الصالحة للشرب وتحليتها .

ودعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى تكثيف التنسيق مع المنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة لتعزيز الجهود في مجال تدبير الموارد المائية في العالم السلمي وتطوير البرامج والأنشطة والمشاريع الموجهة لهذا الغرض، وحث الهيئات الوطنية والإقليمية الحكومية وغير الحكومية والمنظمات السلمية والعربية والدولية والإقليمية على التعاون مع المنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة من أجل تنفيذ أكبر عدد ممكن من المشاريع والبرامج الخاصة بتطوير أساليب الحفاظ على المياه وترشيد استخدامها في العالم السلمي .ودعا المؤتمر المنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة إلى مواصلة إعداد استراتيجية لترشيد استخدام المياه في العالم السلمي وآلياتها التنفيذية، وعرضها على اللجان والمؤتمرات السلمية المتخصصة لاعتمادها وتقديمها للدورة الثانية للمؤتمر السلمي لوزراء البيئة للمصادقة عليها .

كما اعتمد المؤتمر الوثيقة الخاصة بجهود الإيسيسكو في مجال التربية البيئية والصحية والسكانية، ودعا الدول الأعضاء والمنظمات والهيئات المتخصصة المعنية إلى التعاون مع المنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة ودعم نشاطاتها في مجالات التربية البيئية والصحية والسكانية .

ودعا المؤتمر المنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة إلى مواصلة جهودها في مجالات التربية البيئية والصحية والسكانية، من خلال المشاركة في تنظيم ورعاية المؤتمرات السلمية والدولية وعقد الندوات واجتماعات الخبراء وإعداد الدراسات والمناهج والمقررات التربوية ذات

الصلة، كما دعا المدير العام للمنظمة السلمية إلى تقديم تقرير عن جهود الايسيسكو في مجال التربية البيئية والصحية والسكانية إلى الدورة الثانية للمؤتمر السلمي لوزراء البيئة .

واعتمد المؤتمر الدراسة المتعلقة بالتنمية المستدامة من منظور القيم السلمية وخصوصيات العالم السلمي، وأكد على أن تكون القيم السلمية والخصوصيات الثقافية السلمية لقضايا البيئة أساسا للمنظور العام للتنمية المستدامة في الدول الأعضاء، ومرتكزا لخطوطها وسياساتها وتوجهاتها في مجالات التنمية المستدامة، ودعا الدول الأعضاء والمنظمات والهيئات المعنية، إلى إعداد دراسات ميدانية وبرامج عمل متخصصة، للتعريف بالمنظور السلمي للتنمية المستدامة وخصوصيات العالم السلمي ذات الصلة، وإدماجها في البرامج التربوية والمناهج التعليمية للدول الأعضاء .

وكلف المؤتمر المنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة بإعداد مشروع ميثاق أخلاقي إسلامي للتنمية المستدامة، وذلك انطلاقا من المبادئ والقيم والمفاهيم السلمية وتراث الأمة السلمية التاريخي ورصيد الحضاري، وعرض المشروع على اللجان والمؤتمرات السلمية لاعتماده، وعلى الدورة المقبلة للمؤتمر السلمي لوزراء البيئة، للمصادقة عليه، وذلك بالتنسيق مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر السلمي .

واعتمد المؤتمر الدراسة المتعلقة بالتحديات البيئية في العالم الإسلامي، ودعا الدول الأعضاء إلى المزيد من التنسيق والتشاور لتحديد سبل مواجهة التحديات التي تواجه العالم الإسلامي في مجال التنمية المستدامة، وذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات المتخصصة، وإعداد الدراسات الميدانية والبيانات الإحصائية والتقارير المرجعية في هذا الشأن. وأكد على ضرورة مضاعفة الجهود في مجال تأهيل الموارد البشرية القادرة على المساهمة الفعالة في النهوض ببرامج التنمية المستدامة، وتنفيذ الخطط وإنجاز المشاريع، وإدارة المبادرات الجماعية، وذلك من خلال رسم سياسات تربوية وتعليمية تركز على التكوين المهني المتخصص والتأهيل المستمر في مجالات التنمية المستدامة .

وحث الدول الأعضاء على تقديم المزيد من الدعم المادي والفني للارتقاء بآليات المحافظة على البيئة، من خلال معالجة شمولية للموضوع تضمن ضبط النظم والقوانين واللوائح والتشريعات الملزمة لمختلف القطاعات الإنتاجية والصناعية والاستثمارية، وتفتح المجال أمام المبادرات الأهلية والجماعية، وتشجع تفعيل دور الهيئات الحكومية وغير الحكومية والهيئات والجمعيات والمؤسسات الأهلية في هذا المجال من خلال منظومة تشريعية وطنية خاصة بحماية البيئة في كل دولة عضو . ودعا المنظمات السلمية والدولية والهيئات الوطنية والإقليمية الحكومية وغير الحكومية، إلى تقديم المشورة الضرورية والخبرة اللازمة للدول الأعضاء لمواجهة التحديات البيئية للعالم السلمي على الاتفاقيات والمواثيق الدولية، كما دعا المؤتمر الدول الأعضاء التي لم توقع بعد على الاتفاقيات والمواثيق الدولية الخاصة بحماية البيئة اتفاقيات التنوع الحيوي ومكافحة التصحر والتغيرات المناخية ، إلى التوقيع عليها، بما لا يتعارض مع التعاليم والقيم الإسلامية ومع القانون الوطني في كل دولة عضو، وتكليف الإيسيسكو بمتابعة الموضوع، وذلك بالتنسيق مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلام. واعتمد المؤتمر الدراسة المتعلقة بالبيئة والتنمية المستدامة في العالم الإسلامي، وأكد على اعتبار الرؤية السلمية للتنمية المستدامة مركزاً الاستراتيجيات الدول الأعضاء في هذا الميدان، انطلاقاً من ثوابت المنظومة الخلقية السلمية في مجال البيئة، باعتبارها تمثل الرؤية السلمية للتنمية المستدامة .

ودعا الدول الأعضاء إلى إيلاء المزيد من العناية لتطوير أساليب النتاج وتحسين وسائل التدبير العام وتوجيه السلوك الاجتماعي، وذلك من أجل ضمان التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وبين البعد البيئي، والعمل على تلبية احتياجات التنمية المرحلية، دون إهدار حق الأجيال القادمة في الاستفادة من ثمرات التنمية، وإيجاد الآليات اللازمة والظروف المناسبة لتحقيق التنمية المستدامة . وأكد على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الخصائص العامة المشتركة للعالم السلمي والخصوصيات المحلية على المستويين الوطني والإقليمي عند وضع السياسات والخطط والدراسات الاستراتيجية الخاصة بالتنمية المستدامة في العالم

الإسلامي، مع الحرص على إدماج هذه السياسات والخطط ضمن الرؤية الشمولية للمعطيات والتو في مجال التنمية المستدامة .

وشدد المؤتمر على تفعيل دور المنظمات الإقليمية والدولية والهيآت الحكومية وغير الحكومية في مجال خدمة التنمية المستدامة وتعزيز التكامل بين جهودها وجهود الحكومات والدول في الميادين ذات الصلة بالتنمية المستدامة .

ودعا الدول الأعضاء إلى التفكير في طبيعة الإصلاحات الاقتصادية والقانونية والاجتماعية التي يجب اتخاذها، سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي أو الاسلامي، لمواكبة المستجدات في مجالات التنمية المستدامة، مع الاسترشاد والاستئارة بالتعاليم والقيم الإسلامية والحفاظ على الذاتية الثقافية السلمية .

وحث الدول الأعضاء على إيلاء المزيد من الاهتمام بالمواصفات القياسية وإدماجها في آليات الانتاج الصناعي، ودعا الدول المتقدمة والمناخنة لتقديم الدعم المادي والفني لعداد مواصفات قياسية خاصة بالدول الأعضاء وتحديثها. وكلف المؤتمر المنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة بوضع استراتيجية إسلامية للتنمية المستدامة وآلياتها التنفيذية، بالتنسيق مع الدول الأعضاء، وبالتشاور مع المنظمات السلمية والعربية والدولية، وعرضها على اللجان والمؤتمرات السلمية المتخصصة لاعتمادها وتقديمها للدورة الثانية للمؤتمر السلمي لوزراء البيئة للمصادقة عليها، وذلك بالتنسيق مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر السلمي .

واعتمد المؤتمر الإعلان الإسلامي للتنمية المستدامة وقرر رفع الإعلان إلى مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة وتكليف أعضاء مكتب المؤتمر بمتابعة بنوده والعمل على إدماجها في وثائق عمل مؤتمر القمة العالمي، وذلك بالتشاور مع الدول الأعضاء والتنسيق مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر السلمي والمنظمة السلمية للتربية والعلوم والثقافة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة.

ثانيا: ندوة الدوحة: الحق في البيئة أكدته الشريعة الإسلامية¹:

عقدت هذه الندوة بالعاصمة القطرية يوم 2012/11/27 وذلك بتزامن مع مؤتمر الأمم المتحدة الثامن للتغير المناخي، وذلك بتنظيم من اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، تم التأكيد خلال هذه الندوة أن من أهم دلائل المحافظة على الأمانة التي استخلفنا الله فيها هو الحرص على وجود الإنسان في بيئة صالحة آمنة ونقية، كما تم التأكيد أن الحق في الحفاظ على البيئة هو الركيزة الأساسية للحق في الحياة، كما أن التادي في إفساد البيئة الصالحة هو أمر أشبه بالإبادة الجماعية، فالبيئة الصالحة مجال الحياة للإنسان وكافة الكائنات الحية، وقد خلق الله البيئة متكاملة العناصر متوازنة المقادير صالحة للحياة من هواء نقي وحرارة متناسبة ومياه طاهرة. وتم التنبيه أن التوازن البيئي قد اختل حينما تلوث الماء والهواء والترية وارتفعت حرارة الأرض وتعرضت الحياة فيها للخطر بسبب التلوث، ونتج عن ذلك أمراض مختلفة تدهورت الصحة واختفت أعداد كبيرة من الحيوانات والنباتات وتضاعفت الأراضي الجافة والقاحلة، وتم التأكيد كذلك أن حق الإنسان في بيئة نظيفة من خلال الشريعة الإسلامية يأتي من خلال تحقيق استخلاف الله للإنسان في الأرض.

ثالثا: ندوة حول دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة في عجلون²:

نظمت مؤسسة أصدقاء كوكب الأرض بمركز شابات عجلون ندوة تثقيفية عن دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة بحضور مشرفات وأعضاء ومنتسبات المركز، حيث تم التأكيد على أهمية الحفاظ على البيئة وأن كل خلل في التوازن البيئي سببه الإنسان، إذ أوصى الإسلام بالمحافظة على البيئة المائية وحمايتها من التلوث، كما أن المفهوم الإسلامي للبيئة هو مفهوم شامل للأرض والسماء والجبال والإنسان، هذه الشمولية جعلته يضم كل مخلوقات الله تجعله يتميز بنظرة أعمق وأوسع للبيئة. كما تم التأكيد خلال هذه الندوة أن الإسلام أوصى بنظافة البيئة

¹ ينظر اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان بقطر <https://nhrc-qa.org> بتاريخ 2022/01/12

² ينظر على الشابكة <https://orobanews.com> عقدت هذه الندوة يوم 24 مايو 2014 بتاريخ 2022/01/13

باعتبارها المحل الذي يقيم فيه الانسان، ويحصل منه على احتياجاته ويمارس فيه عباداته وكل أعماله التي تعينه على مواجهة متطلبات الحياة.

رابعا: ندوة الإسلام والعلم بالأردن¹:

في 5 مايو 2016، جمعت العاصمة الأردنية عمان خبراء من العالم الإسلامي شاركوا في فعاليات الندوة الدولية حول الإسلام والعلم التي حملت عنوان «أسئلة علمية كبرى من منظور إسلامي» وعقدت في الجمعية العلمية الملكية. وقد ناقشت الندوة عدداً من القضايا ومنها الإسلام والعلم الحديث، وعلم الكون والتطور، والعلاقة بين الإسلام والعلم: الطريق إلى الأمام.

وقد استند موضوع الندوة إلى تقرير حول الإسلام والعلوم أطلق خلالها، وضعه فريق عمل الإسلام والعلم، وقد عقدت الندوة تحت رعاية سمو الأميرة سمية بنت الحسن، رئيسة الجمعية العلمية الملكية، بتنظيم ودعم مشترك من أكاديمية العالم الإسلامي للعلوم، ومركز الإسكوا للتكنولوجيا، ومؤسسة جون تابلتون، ومبادرة العالم الإسلامي للعلوم، والجمعية التركية لتاريخ العلوم، والمنظمة الإسلامية الدولية للتربية والثقافة والعلوم.

وفي كلمتها بالمناسبة، قالت الأميرة سمية بنت الحسن إنه من الملح أن تُعالج القضايا التي ناقشتها الندوة بشكل مستمر، فرغم أنها صعبة وغالباً ما تثير الجدل غير أنها ضرورية دائماً لتحقيق المصالحة السلمية بين التقدم والإيمان.

كما أكدت أن هناك قدراً من الاحتكاك بين الإيمان والتنمية في المستقبل من خلال العلم والابتكار، ومع ذلك، فإن الطريقة التي يدار ويعالج بها هذا الاحتكاك ستحدد كيف سيكون التقدم في المستقبل وإلى أي مدى سيكون شاملاً ومدرّساً وناجحاً. وأضافت أنه لو أردنا أن نكون أوفياء لثراثنا وإيماننا فعلينا أن نقرّ بحقيقة لا تقبل التأويل وهي أنه يجب أن تتاح المعرفة بشكل حرّ، كما يجب البحث عنها بصدق وتحليلها بوعي وحكمة.

¹ ينظر على الشابكة <http://www.muslim-science.com/Islam-and-Science-Report> بتاريخ 2022/01/14

وأشار أظهر أسامة بدوره إلى شخ الحوار والتباحث حول العلوم في العالم الإسلامي، لافتا إلى أن مثل هذه الندوات محاولة لتحفيز هذا الحوار، لينشأ من الداخل بدلا من فرضه من الخارج.

ونج عن الندوة عدد من التوصيات ومنها:

- جمع وتكييف قيم عن ريادة الأعمال في مجال التكنولوجيا تناسب الشباب المسلم، وتطوير تقنيات مناسبة لقياس أثر التكنولوجيا والابتكار العلمي على التنمية المستدامة في البلدان العربية والإسلامية.
- استخلاص مواد تعليمية من مناقشات الندوة والعروض التي قدمت خلالها وذلك من أجل تقديمها إلى تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات.
- تعزيز كافة الجهود الرامية إلى مدّ الجسور مع مجلس وزراء التربية والتعليم في البلدان الإسلامية من أجل نشر الوعي ورسالة السياسات العلمية من تقرير الإسلام والعلم الذي تم إطلاقه خلال الندوة .

خامسا: حماية البيئة في الإسلام ندوة علمية بالرباط¹

تحت إشراف الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى في المغرب نظم المجلس العلمي المحلي للرباط، ندوة علمية حول موضوع (حماية البيئة في الإسلام) وذلك مواكبة لتنظيم المغرب للمؤتمر 22 للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة حول التغيرات المناخية.

أكدت فاطمة خديد، العالمة والواعظة بالمجلس العلمي المحلي للرباط، أن حماية البيئة تعد مقصدا شرعيا أساسيا في الإسلام.

¹ ينظر موقع الاجتهاد ، فقه الصحة و حفظ البيئة www.ijtihadnet.net

وأوضحت خديد، خلال الندوة أن الفقه الإسلامي يتضمن قواعد كثيرة لها صلة وثيقة بالبيئة، بما فيها القواعد التي تمنع الضرر والإضرار ونشر الفساد والإفساد في الأرض.

وأبرزت أن الفقه الإسلامي إجمالا، قرآنا وسنة وفقها ومقاصدا، اعتنى بالبيئة وحمايتها والحفاظ عليها، إذ نجد في هذا الفقه أبوابا وأحكاما تتطرق لهذا الموضوع ونصوصا فيها من التفصيل والحض على الحفاظ على البيئة.

وأشارت المتخصصة في فقه الاجتهاد والتطورات المعاصرة، في هذا الصدد، على الخصوص، إلى أبواب الطهارة وما تتضمنه من حث على الحفاظ على الموارد المائية والاقتصاد في الماء، إضافة إلى أبواب الصلاة، عندما جعل الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الأرض مسجدا طهورا، وصعيدا طيبا وأمر بالحفاظ على طهارتها والتعامل معها تعاملًا خاصا.

وتطرقت أيضا إلى أبواب المساقاة والمزارعة والمغاسرة والحفاظ عليها من خلال الحث على التكثير من الغرس والزرع، وكذا في باب الجهاد حيث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إتلاف ما يتعلق بالبيئة من خلال عدم إحراق واجتثاث الأشجار وعدم قتل الحيوانات، فضلا عن ما ورد في باب الحج، إذ جعل الله سبحانه البلد الحرام كمحمية لا ينبغي أن يقطع شجرها ولا يقتل حيوانها ولا يصطاد من طرف المحرم وغير المحرم، وما حض عليه الإسلام في الوقف والصدقات والبيوع من قبيل بيع الماء والنار والكلأ.

ومن جهته، أكد العربي المودن، عضو المجلس العلمي المحلي للرباط، أن الإسلام سبق جميع المواثيق الدولية في الأمر بالمحافظة على البيئة بقول الله عز وجل: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ

﴿٦٦﴾

﴿١﴾

واعتبر أن هذا الأمر بالإصلاح هو دليل على أن البيئة، سواء المكانية أو الزمانية، خلقها الله صالحة ويجب على الإنسان الذي يتمتع بخيراتها أن يحافظ على صلاحها والنظر لهذا المستوى الرفيع والهام للبيئة، يضيف المودن، فإن لها حقوقاً، من بينها استثمار الأرض وتعميرها استثماراً جيداً في الزمان والمكان حتى يدوم عطاؤها، وصيانة موارد البيئة لكي لا يلحقها الفساد والإفساد، فضلاً عن القيام بحق الاستخلاف في الأرض، من خلال التحلي بسلوكات حميدة تجاهها من قبيل الامتناع عن تلويث الطرقات والمياه وقطع الأشجار.

وبدوره أكد عبد الله أكديرة، رئيس المجلس العلمي المحلي للرباط، أن تنظيم هذه الندوة يأتي انطلاقاً من اهتمام العالم بأكمله بموضوع البيئة والحفاظ عليها لما بدا من الظواهر غير السليمة التي تسبب فيها الإنسان من إسراف واعتماد على الكسب المادي دون الحفاظ على مصدر هذا الكسب.

وأضاف أن هذا اللقاء العلمي يأتي مواكبة لتنظيم المغرب للمؤتمر 22 للدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطار حول التغيرات المناخية (كوب 22)، في محاولة لتوعية الناس بأسباب عقد هذا المؤتمر والأهداف والغايات المتوخاة منه، والعمل على القضاء على أسباب كل ما يدمر البيئة.

وسجل أن برنامج المجلس الخاص بمواكبة هذه التظاهرة العالمية يتضمن سلسلة ندوات ولقاءات ومحاضرات، مشيراً إلى أن هذه الندوة الأولى ستخرج بتوصيات مهمة لا محالة، كما سيصدر عنها كتاب شامل لجميع المحاضرات التي ألقاها بهذه المناسبة علماء ذوو اختصاصات مختلفة.

سادساً: مؤتمر البيئة والمياه من منظور الشريعة الإسلامية والعالم المعاصر¹:

بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية عقد مؤتمر البيئة والمياه من منظور الشريعة الإسلامية والعالم المعاصر، وذلك بتعاون مع مركز الدراسات الإسلامية والتربية الدينية بجامعة

¹ ينظر على الشابكة <http://ju.edu.jo> > Lists > DispForm بتاريخ 2022/01/15

مؤنستر الألمانية، والوكالة الألمانية للتعاون الدولي، وذلك يومي 23 و 2 أبريل 2017 حيث تم الاتفاق على إبراز ما تملكه شريعتنا السمحاء من نظم قيمية وإيمانية متكاملة صالحة لإحداث تغيير إيجابي، لذلك وجب التأكيد خلال هذا المؤتمر على إبراز موقف شريعة الإسلام من البيئة ومشاكلها والتركيز أساساً على قضايا المياه. فنتج عن ذلك استدعاء منظومة متكاملة لتساهم في محاولة تعديل سلوكيات الأفراد والمجتمع تجاه البيئة بصفة عامة من أجل المحافظة على بيئة صالحة للأجيال القادمة

وقد تم تحديد أهداف هذا المؤتمر في الأهداف الآتية:

- 1- إبراز مكانة البيئة والمياه في الإسلام بنصوصه وأحكامه ومقاصده وقيمه بما يكشف عن رؤية الشريعة ورسالتها نحو البيئة في عالمنا المعاصر.
- 2- خلق شراكة بين علماء الشريعة الإسلامية وهيئاتهم العلمية مع الجهات المهمة في قضايا البيئة تحقيقاً لمفهوم التكامل المعرفي والعلمية في خدمة البيئة والمحافظة عليها.
- 3- تقاسم أفكار وتجارب حول قضايا البيئة، وذلك على المستوى المحلي والعالمي.

سابعاً: مؤتمر القانون والبيئة بجامعة طنطا¹

انعقد هذا المؤتمر يومي 23 و 24 أبريل 2018، وناقش ثلاثة محاور رئيسية:

- المحور الأول: دور التشريعات في مكافحة التلوث والحفاظ على البيئة، ضم العديد من المواضيع منها: انعكاسات قوانين البيئة على قضايا التلوث البيئي ودور الإعلام في الوعي بقضايا البيئة والتلوث، والتلوث العابر للحدود ومشكلاته.
- المحور الثاني: الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في قضايا البيئة، وفيه مواضيع التغيرات المناخية والتصحر والجفاف، ومشاكل النفايات الخطرة والحماية منها، والطاقة البديلة والتلوث الناجم عن التكنولوجيا الحديثة وغيرها.

¹ ينظر <http://ufds.uofallujah.edu.iq> › handle

■ المسؤولية عن التلوث من خلال مناقشة عدد من المواضيع منها: التلوث بسبب التفجيرات والأعمال الإرهابية والتلوث الناجم عن أعمال النزاع المسلح والحروب الأهلية، ودور الاتفاقيات الدولية في حماية البيئة، وقضايا البيئة في الفقه الإسلامي.

ثامنا: المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة بالرباط:

عقد هذا المؤتمر يومي 2 و 3 أكتوبر 2019 م بالرباط تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس - حفظه الله - تحت شعار: " دور العوامل الثقافية و الدينية في حماية البيئة و التنمية المستدامة . "

وقد اعتمد المؤتمر الإسلامي الثامن لوزراء البيئة في ختام أعماله مشروع إعلان الرباط حول دور العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة والتنمية المستدامة ، إذ أكد المشاركون في المؤتمر على أهمية تجديد الدول الأعضاء التزامها السياسي بدعم الأجندة العالمية للتنمية المستدامة، طبقاً للمبادئ والمرجعيات المتوافق عليها دولياً، وتسخير كل الجهود الوطنية والدولية لتحقيق التنمية المستدامة، مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والطبيعية وتفعيل الإرادة السياسية، بوصف ذلك شرطاً أساساً لأي نجاح في هذا المجال، بجانب الوفاء بالالتزامات المالية والفنية، وإشراك منظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص اعتباراً لدورها المهم في هذا المجال. كما حثوا المجتمع الدولي على اتخاذ خطوات ملموسة بهدف إلغاء الديون، وتيسير الوصول إلى الأسواق ونقل التكنولوجيا وبناء القدرات.

ودعوا إلى تضافر جهود المجتمع الدولي للعمل على إنهاء الحروب الداخلية والاحتلال والصراعات التي حدثت في بعض الدول الأعضاء، وما يترتب عن ذلك من تدمير للبيئة والبنيات التحتية للتنمية المستدامة، ورفع من عدد اللاجئين، وتخطيم للمآثر التاريخية وللتراث الثقافي والحضاري، وذلك على أسس عادلة في العمل المشترك وفقاً للمبدأ 23 لإعلان ريو الذي ينص على الحفاظ على البيئة الطبيعية والثقافية للمجتمعات في ظل الحروب والنزاعات، مع العلم باستحالة تحقيق التنمية في غياب الأمن والسلام والاستقرار.

سجل المؤتمر أن الدول الأعضاء، نظرًا إلى طبيعة مواردها الطبيعية وموقعها الجغرافي، تعاني من آثار الظواهر المناخية المتطرفة وما يتبعها من تحديات جمة، أهمها نزوب المياه، وانخفاض إنتاج الغذاء، وارتفاع مستويات مياه البحار، وموجات الجفاف، ما يستدعي اتخاذ التدابير الضرورية للتخفيف من خطر وآثار الكوارث من زلازل وفيضانات وجفاف وأعاصير وغيرها.

وذلك من خلال الاستعداد لمواجهةها بالإنذار المبكر وإدماج استراتيجيات الحد من خطر الكوارث في سياسات التنمية المستدامة على مختلف المستويات، وتشجيع الاستثمار في مجال الحد من خطر الكوارث. كما أكدوا على تفعيل الاتفاقيات الدولية ذات الصلة، وخاصة توصيات مؤتمرات الأطراف حول التغيرات المناخية في باريس 2015 ومراكش 2016 وما بعدها، وطلبوا تفعيل دور المرفق العالمي للحد من الكوارث، وبنوك التنمية والمناخين والصناديق الدولية، في دعم خطة العمل التنفيذية لتطبيق «الاستراتيجية الإسلامية للحد من خطر الكوارث وتديرها»، في إطار التكافل بين الشمال والجنوب لمواجهة آثار هذه الظواهر.

وأكد المشاركون في المؤتمر على تفعيل مضامين "الوثيقة التوجيهية بشأن المدن الخضراء ودورها في تحقيق التنمية المستدامة" الصادرة من المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء البيئة، وقد تم إطلاق «برنامج الاحتفاء بالعواصم الإسلامية الصديقة للبيئة» الذي تشرف عليه الإيسيسكو، وفق خطة مدروسة تغطي مدناً متميزة من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، بجانب تكريم المدن الخضراء الفائزة بالفرع الخامس حول «المدينة الخضراء الإسلامية» ضمن جائزة المملكة العربية السعودية للإدارة البيئية في العالم الإسلامي، والتي تتولى الإيسيسكو أمانتها العامة.

وأشاروا إلى الدور المهم للاقتصاد الأخضر في خلق فرص جديدة من «الوظائف الخضراء» في قطاعات اقتصادية متعددة، مثل توليد الطاقة المتجددة والنجاعة الطاقية وإعادة تأهيل النظام البيئي وحمايته والسياحة البيئية، وإدارة النفايات، وغيرها من المجالات التي يمكن

أن تساهم في حل معضلة البطالة في أوساط الشباب، ما يستدعي بلورة سياسات لدعم المقاولات الصغيرة والمتوسطة ومساعدتها على التكيف مع متطلبات الاقتصاد الأخضر.

جدد المؤتمرون الالتزام بتحسين وضعية المياه في الدول الأعضاء، واتخاذ المزيد من الإجراءات التقنية والقانونية في إطار استراتيجية تدير الموارد المائية في البلدان الإسلامية وخطط المرتبطة بها، ورؤية منظمة التعاون الإسلامي للمياه لعام 2025، وبرامج عمل مجلس منظمة التعاون الإسلامي للمياه، المنبثق من المؤتمر الإسلامي للوزراء المكلفين بالمياه. وأوصوا بتطبيق اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر في البلدان التي تعاني من الجفاف الشديد و/أو من التصحر، وأكدوا على أن قضية المياه لا تنفصل عن الأمن الغذائي، والذي يمثل قضية محورية في معظم البلدان الإسلامية.

كما أكدوا على ضرورة تعزيز الوعي بأهمية المنظمات الأهلية والطاقات الشابة الكامنة في المجتمعات، وتعزيز دور المرأة في تفعيل آليات الإنتاج والتكافل الاجتماعي والقضاء على الفقر لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، والتزموا بالعمل على تفعيل ذلك عبر الإشراف وبناء القدرات وتأهيل الموارد البشرية من خلال التعليم والتدريب وتنمية المهارات، إلى جانب اختيار أنسب التطبيقات والمشاريع اللازمة، من الناحية الاقتصادية والتقنية، للقضاء على الإقصاء الاجتماعي بكل مظاهره، إلى جانب تشجيع التعاون بين جميع الجهات المعنية في الدول الأعضاء ومع غيرها لتنفيذ برامج مندمجة في إطار أهداف التنمية المستدامة 2030.

أخذ المشاركون في المؤتمر بعين الاعتبار ما تعرفه الساحة الدولية من عودة لاسترجاع الدور المهم للأديان والثقافات والمعتقدات والأعراف المحلية في دعم الحفاظ على البيئة وتحقيق أهداف التنمية 2030 وما بعدها، والذي عرف، إضافة إلى ما أنجز في العالم الإسلامي، خاصة منذ «البيان الإسلامي حول التنمية المستدامة» الصادر من المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة المنعقد في جدة سنة 2002، صدور البيان البابوي «بيتنا المشترك» سنة 2015، وظهور «استراتيجية الأمم المتحدة للشراكة مع المنظمات ذات الطابع الديني في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة» في 2018، بجانب انطلاق «بادرة الأديان من أجل الأرض» لدى برنامج

الأمم المتحدة للبيئة سنة 2019، ومضامين «وثيقة مكة المكرمة» 2019، وتوصيات ملتقى المدينة المنورة حول «دور الخطاب الديني في حماية البيئة» 2018، سعيًا إلى أساليب مبتكرة للانخراط والشاركة مع المنظمات والمؤسسات ذات الصلة في كل أرجاء العالم، كل هذا بجانب ما عرفته الإيسيسكو وغيرها من أنشطة وتجارب في هذا المجال.

وأكدوا على أن التحديات البيئية رغم كونها موضوعًا جديدًا في فهم الإنسان واهتماماته العلمية، فإنها تتناسب مع الإجابات الأساسية ذات الصلة حول تحديات الحفاظ على البيئة في النصوص الدينية ومبادئ التربية والتنشئة الاجتماعية في كل المعتقدات والثقافات على اختلافها. والتزموا بالعمل على تعزيز الفهم والقدرة على التواصل البيئي لدى المفتين والعلماء وكذلك الأئمة والدعاة والخطباء ورجال الوعظ الديني، والفاعلين في الجمعيات ذات الصلة. وذلك من خلال الندوات وورش العمل القصيرة وغيرها من الوسائل الإعلامية، لتبسيط معالم الأزمة البيئية وقضية التنمية المستدامة من زاوية علمية ودينية وثقافية وتبيان آثارها الاجتماعية والاقتصادية على مستقبل المجتمعات، بجانب تشجيع البحث الأكاديمي في الموضوع.

وأوصوا بتبني أفضل الممارسات القائمة في العالم الإسلامي أو خارجه في مجال العمل مع المؤسسات ذات الطابع الديني في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة، وذلك من خلال جرد نماذج وخصوصيات تجارب العالم الإسلامي من جهة، وتكاملاً مع استراتيجية الأمم المتحدة وبرامجها التنفيذية في المجال، مثل «بادرة الأديان من أجل الأرض»، بجانب المنظمات الدولية الأخرى، كالاتحاد الدولي لصون الطبيعة، وكذا المؤسسات الدينية العاملة في المجال، كالفاتيكان مثلاً، والاستفادة من تجارب المؤسسات الوطنية والجمعيات العلمية والميدانية في العمل البيئي والثقافي ذي الاهتمام عند المسلمين وغيرهم من الديانات داخل الدول الأعضاء.

واعتبر المشاركون في المؤتمر اعتماد «استراتيجية تفعيل العوامل الثقافية والدينية في حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة في العالم الإسلامي» بجانب الدعوة إلى تأسيس «الشبكة الإسلامية للعمل البيئي والتنمية المستدامة» وسيلة لضم الجهود وتبادل التجارب من داخل العالم الإسلامي ومن خارجه، مع المنظمات الدولية والجهوية والوطنية ومع المنظمات الأهلية على

اختلاف أديانها وثقافتها في مجتمعات الدول الأعضاء وخارجها، وتشجيع البحث العلمي في الموضوع، وتأطير الدعم المطلوب للمؤسسات ذات الطابع الديني العاملة في مجال حفظ البيئة والتنمية المستدامة.

وأكدوا على أهمية التربية البيئية، والحاجة إلى تفعيل حضورها في المدارس الدينية والمدارس النظامية الحكومية أو الخاصة وفي وسائل الإعلام. ويحتاج المعلمون أنفسهم تنويرًا لتقوية البرامج البيئية القائمة في المدارس، مع إعطاء أمثلة على الإجراءات البيئية بقصد الرفع من وتيرة الحوافز الذاتية عند الطلاب في الحفاظ على البيئة. والتزموا بالعمل على تأطير الحوافز عبر الدعم المدروس أو إقامة مسابقات وجوائز للجمعيات البيئية والأنشطة المدارس الخضراء، بالاستناد إلى المؤشرات القائمة على إجراءات ملموسة بشأن الرعاية البيئية مثل توفير الطاقة، إدارة النفايات، زراعة الأشجار، الحفاظ على النظافة والصرف الصحي، إعادة تدوير النفايات، إلى جانب توفير المادة التعليمية المنفتحة على البعد الثقافي والديني حول أهمية حماية البيئة وإدماجها في المناهج الدراسية الحالية. ويمكن للمنظمات غير الحكومية القائمة على المعتقدات الدينية الاستعانة بالصافيين من أجل استخدام وسائل الإعلام لنشر الممارسات والمعارف الجيدة القائمة على الاعتدال في فهم النصوص وتفعيل معانيها.

واعتبر المؤتمرون أن مبادئ الاقتصاد الإسلامي وأسس التكافل الاجتماعي في شعائر الإسلام، تقوم على تحقيق مقاصد الشريعة في الحفاظ على الأسس الخمس لتوازن واستمرار الحياة الإنسانية، وبالتالي فإن الاقتصاد أداة فعالة في توجيه إدارة الموارد الطبيعية في التنمية الاقتصادية، وذلك بسبب اعتماد المالية الإسلامية على القطاع الحقيقي الواقعي، الذي يحظر الربا ويشجع على أخذ المبادرة باتخاذ إجراءات ملموسة، بهدف رفاهية الإنسان من خلال تنظيم استثمار موارد الأرض على أساس التعاون والمشاركة، كإرث مستدام يجب أن تتمتع به الأجيال المقبلة.

ودعوا إلى حشد جهود التمويل الإسلامي، بما في ذلك الوقف والزكاة وتنظيم عمل الإحسان والصدقات، لتحقيق الأهداف المتعلقة بالفقر والهشاشة، خاصة في القطاعات

الاجتماعية كالتعليم والصحة وفقاً لأهداف التنمية المستدامة. وأوصوا بأن تكون الأوقاف أكثر إبداعاً في تنفيذ واختيار مشاريعها، مثل توفير المياه النظيفة، أو تدبير المحميات الطبيعية، أو الحفاظ على الأراضي العامة لتستعمل كمناطق للزراعة وغرس الأشجار المثمرة أو الغابوية أو تطوير مناطق الرعي.

كما دعوا الجهات المختصة في الدول الأعضاء ورئاسة المؤتمر والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - إلى متابعة تنفيذ هذه الالتزامات والتوجهات والتوصيات، بالتعاون والتنسيق مع الجهات ذات الصلة¹.

تاسعا : ندوة الإسلام والبيئة بتركيا² :

اختتمت في إسطنبول ندوة علمية دولية بعنوان: (رؤية إسلامية لإيقاظ البيئة العالمية) ناقشت رؤية الإسلام لقضايا البيئة وتركزت المداولات على تقديم خطة عمل إسلامية ترمي لإيقاظ البيئة العالمية من مشاكلها الحالية والمستقبلية. وصدر بيان ختامي عن اعتماد جماعي لتلك الخطة. وشارك في هذه الندوة 150 متخصصاً من تركيا والعالم.

وقال البروفيسور طارق توفيق من كلية التخطيط العمراني بجامعة القاهرة إن تلك الخطة إقرار عام لخطوط عمل عريضة في حين أن المشروعات الحقيقية سيقوم بها المجتمع المدني. وأضاف في حديث للجزيرة أن مقررات الخطة تتكامل وتساند كل الجهود القائمة من الوزارات المختلفة بالدول الإسلامية. وقال: «نحن لا نبدأ من الصفر وهي رسالة للمجتمعات المختلفة تنبه للحفاظ على البيئة على أساس أنه جزء من التعبد لله، وبتغيير السلوكيات القائمة ندعم البرامج بتواضع شديد».

أما رئيس مركز (شركاء الأرض) بلندن محمود عاكف فقال: «إن التفكير بالخطة بدأ قبل سنة في سياق مشروع للأمم المتحدة يركز على توظيف الأديان لمعالجة مشاكل البيئة

¹ ينظر على الشابكة <https://elaph.com/Web/News/2019/10/1266962.html> بتاريخ 2022/12/21

² ينظر على الشابكة الجزيرة نت ندوة الإسلام والبيئة بتركيا بتاريخ 2022/12/21

وإصدار خطة مدتها سبع سنوات بالتعاون مع الأديان الرئيسية بالعالم، موضحاً أن مركزه اختير لتمثيل المسلمين».

وأشار في حديث للجزيرة نت إلى أن عدة اجتماعات جرت في الكويت وقطر وبريطانيا واليابان لإعداد مسودة تلك الخطة. وأضاف أن لقاء إسطنبول جمع مجموعة من علماء المسلمين لاعتماد الخطة وإعلانها حيث لاقت القبول من الجميع.

ومن جهته قال نائب رئيس جامعة فاتح إسطنبول طالب ألب للجزيرة نت: «إن الندوة هي الأولى من نوعها والهدف منها الحفاظ على البيئة والحد من الأضرار الواقعة عليها».

وأضاف: «ستتقود الخطة مشروعات عملية وبما أن تركيا تشارك في مؤتمرات البيئة مع الاتحاد الأوروبي فهي مهتمة وسيقع على عاتقها تنفيذ بعض المشروعات طبقاً للخطة مثل كل البلاد الإسلامية».

وكان رئيس اتحاد علماء المسلمين الدولي الشيخ يوسف القرضاوي - رحمه الله - قد أكد في كلمته خلال الندوة أن الإسلام وضع الحلول الشرعية لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته و«ليس من العجب أن يكون لكل مشكلة حل في الإسلام لأنه الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده وهذا هو تقدير الله لا دخل للمسلمين فيه».

وأشار القرضاوي لثمانية مرتكزات إسلامية تتعلق برعاية وحماية البيئة وردت بكتابه (رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية) تستند إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. في حين تحدثت الدكتورة نور آذان - وهي أستاذة جامعية وعضوة جمعية الإصلاح بإندونيسيا - عن دور المرأة الماليزية في مواجهة مشاكل البيئة، ودعت لإعطاء الأم دوراً لأنها تربي الأجيال.

واعتبر مستشار عمدة إسطنبول للبيئة إبراهيم دмир أن البيئة والدنيا أمانة لا يجب إهمالها ويلزم تسليم الأمانة للأجيال القادمة بوضعية سليمة.

وقال عضو اتحاد البرلمانيين المسلمين عبد المجيد مناصرة: «إن البلاد الإسلامية ضحية المستعمر المفسد للبيئة ومع هذا سيساهم الإسلام في المعالجة لوجود تصور قرآني لدينا، فالقضية إنسانية».

يذكر أن مسودة خطة العمل الإسلامية السباعية المكونة من 13 محورا نوقشت على مدار يومين بإسطنبول وتتضمن رؤية الإسلام لمشاكل البيئة وموقفه منها. وجرت على مدار يومين مناقشة محتوياتها وإقرارها ووضعها في صيغتها النهائية لكي تعرض على العالم في إطار مشروعات الأمم المتحدة وتحالف الأديان لحماية البيئة من المخاطر القائمة والمستقبلية.

عاشرا: ندوة وطنية حول موضوع: دور التكنولوجيا في الحد من التلوث الهوائي¹:

عقدت هذه الندوة بتونس يوم 2019/06/12 وذلك في إطار الاحتفال باليوم الوطني والعالمي للبيئة، وقد انتظمت هذه الندوة بمبادرة من مركز تونس الدولي لتكنولوجيا البيئة وبتعاون مع الوكالة الوطنية لحماية المحيط، وقد حضر خبراء وفنيون وممثلون عن المجتمع المدني، وتم تقديم أهم المستجدات التكنولوجية التي من شأنها المساهمة في مقاومة التلوث الهوائي. وتأكيد من مدير المركز فقد تم وضع خطة وطنية تشمل وضع شبكة من المحطات الثابتة والمختبرات المتنقلة لمتابعة نوعية الوسط الهوائي ومراقبة مصادر التلوث، وبين كذلك أن هذه الشبكة تعد منظومة متكاملة وتمثل همزة وصل بين كل المتدخلين في مجال نوعية الهواء. وستقوم هذه المنظمة بالعديد من المهام من أبرزها المتابعة المستمرة لتطور نوعية الهواء وتحديد نوعية تلوث الهواء، وتقديم المعلومات اللازمة للباحثين لدعم البحث العلمي في مجال مقاومة التلوث الهوائي.

¹ ينظر على الشائكة <http://www.citet.nat.tn.AGENDA> بتاريخ 2022/12/13

أحد عشر: ندوة " مشكلات البيئة ورهانات التنمية المستدامة " ¹

عقدت هذه الندوة يوم الأربعاء 19 دجنبر 2019 برحاب كلية أصول الدين، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، ركزت جلساتها العلمية على العديد من المواضيع التي حولت أن تلامس المشاكل البيئية ورهانات التنمية المستدامة، ومن أهم تلك العناوين:

□ الأحكام الشرعية للاعتراض والمزاولة والمساقاة وامتداداتها الفقهية ومقاصدها البيئية المتكاملة مع الكليات التشريعية.

□ السياسة البيئية بالمغرب، الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، تم الحديث عن الآفاق والاستراتيجيات التنموية التي تسعى لضمان رهان مستقبل آمن.

اثنا عشر: ندوة فيروس كورونا المستجد وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية ²

:

عقد مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي ندوة الطبية الفقهية الثانية عبر تقنية مؤتمرات الفيديو يوم 2020/04/16 وأصدر التوصيات التالية:

1- التعريف بكوفيد 19: هو التهاب في الجهاز التنفسي أعلنت عنه منظمة الصحة العالمية واعتبرته جائحة عالمية في 11 مارس 2020 م. ويعتقد أن الفيروس حيواني المنشأ، إلا أن الحيوان الخازن غير معروف حتى الآن بشكل مؤكد هناك احتمالات حول الخفاش واكل النمل، وأما انتقاله من إنسان لآخر فقد تأكد أنه واسع الانتشار، وتتراوح العدوى بين حامل الفيروس من دون أعراض إلى أعراض شديدة، تشمل الحمى والسعال وضيق التنفس، ومن الممكن أن يتطور خلال أسبوع أو أكثر من معتدل إلى حاد، ونسبة كبيرة من الحالات المرضية تحتاج إلى عناية سريرية مركزة، ومعدل الوفيات بين الحالات المشخصة بشكل عام حوالي 2% إلى 3 %، وقد تختلف حسب البلد وشدة الحالة، ولحد الساعة لا يتوفر لقاح متاح لمنع هذه العدوى ،

¹ مجلة ذخائر ، العدد السابع ، ذو القعدة 1441 هـ / 2020 م

² ينظر على الشبكة صفحة مجمع الفقه الإسلامي الدولي ... <https://iifa-aifi.org> بتاريخ 2022/11/11

وتبقى تدابير مكافحة العدوى هي الدعامة الأساسية للوقاية وذلك بغسل اليد وكظم السعال، والتباعد الجسدي للذين يشرفون على المرضى المصابين، إضافة إلى التباعد الاجتماعي بين الناس .

2- تمتاز الشريعة الإسلامية بصفات عديدة من أهمها : رفع الحرج و السباحة والتيسير و دفع المشقة وقلة التكليف وإذا وجد ما يصعب فعله ووصل الأمر إلى درجة الضرورة، فقد شرع الله تعالى رخصاً تبيح للمكلفين ما حرم عليهم، وتسقط عنهم ما وجب عليهم فعله حتى تزول الضرورة ، وذلك رحمة من الله بعباده وتفضلاً وكرماً، إذ تضمن الفقه الإسلامي قواعد فقهية حاکمة لأوقات الأزمات من أهمها : قاعدة رفع الحرج والسباحة، وقاعدة المشقة تجلب التيسير، و إذا ضاق الأمر اتسع ، وقاعدة الأخذ بالرخص أولى من العزيمة حفظاً للنفوس، وقاعدة لا ضرر ولا ضرار، وقاعدة التصرف على الرعية منوط بالمصلحة وقاعدة للإمام تقييد المباح في حدود اختصاصه مراعاة للمصلحة العامة .

3- ضرورة حماية النفس وصحة الإنسان توجب على المسلمين المحافظة على أنفسهم بقدر المستطاع من مختلف الأمراض، لتقرر الشريعة الإسلامية ضرورة إنقاذ الأرواح والأنفس من الهلاك ، ليكون إنقاذ النفس حق لكل فرد ، و ذلك بالوقاية من الأمراض و الأسقام قبل وقوعها و باستعمال بعد حدوثها و في ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء ، إلا داء واحداً الهرم)¹، كما أن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس ضمن الضروريات الخمس، إذ يقول سبحانه : ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ

¹ في روايات متقاربة عند البخاري و مسلم و أحمد و أبي داود و الترمذي و النسائي و البيهقي .

34 ﴿وَمَا تَقْتَضِيهِ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ أَنَّ الْمَرَضَ وَالشِّفَاءَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِذَا يُجِبُ الْأَخْذُ
بِالْأَسْبَابِ الْمُتَمَثِّلِ فِي التَّدَاوِي وَالْعِلَاجِ حَتَّى لَا يَسْتَسْلِمَ الْإِنْسَانُ لِلْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ مِنْ
رُوحِ اللَّهِ ² .

4- يجوز للدول فرض تقييدات على الحريات الفردية رغبة في تحقيق المصلحة العامة سواء من حيث منع الدخول إلى المدن والخروج منها، حظر التجول أو الحجر على أحياء محددة، أو المنع من السفر وتعليق الأعمال والدراسة وإغلاق الأسواق، وفرض التباعد الاجتماعي، كل ذلك من أجل تطويق الفيروس والحد من انتشاره. فتصرفات الإمام منوطة بمصلحة الرعية³.

5- أقرت شريعة الإسلام أن النظافة عبادة يتقرب بها العبد من ربه، والأدلة على ذلك كثرة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ⁴﴾ وقال سبحانه: ﴿وَسَتَلَوْنَاكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأُذُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ⁵﴾ وقال سبحانه: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ ⁶﴾

﴿⁶﴾، كما قال معلم البشرية صلى الله عليه وسلم: (الطهور شرط الإيمان)⁷، وانطلاقاً مما سبق ذكره يتضح لنا ضرورة الالتزام بأحكام النظافة الشخصية والعامة مع ضرورة

¹ المائدة: 34.

² قرار المجمع الفقهي 67 (5/7) في شأن العلاج الطبي، البقرة السابعة

³ قاعدة فقهية: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة.

⁴ المائدة: 7-8.

⁵ البقرة: 222.

⁶ المدثر: 4.

⁷ عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ - تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها) حديث صحيح، أخرجه مسلم (223) و الترمذي (3517) و النسائي في الكبرى (9996) و أحمد (342/5، 343، 344) و الدارمي (653) و البيهقي في السنن الكبرى (42 / 1).

الأخذ بالاحتياطات الخاصة بهذه الجائحة ومنها : غسل اليدين بالماء والصابون ولبس الكمامات والقفازات والامتثال للتوجيهات والتعليمات الصحية الصادرة عن الجهات المسؤولة، باعتبار ذلك واجب شرعي للوقاية من الفيروس، كما يجوز استخدام المعقمات المشتملة على الكحول في تعقيم الأيدي وتعقيم الأسطح و المقابض ، ذلك باعتبار " مادة الكحول غير نجسة شرعا " ¹ .

6- التأكيد على أن عزل المريض المصاب بالفيروس واجب شرعي ، في حين يجب على المشتبه بحمله للفيروس أو ظهرت عليه أعراض المرض أثناء الحجر المنزلي التقيد بإجراءات التباعد الاجتماعي ، كما أن الذي ظهرت عليه أعراض المرض لا يجوز عليه أن يخفي ذلك عن السلطات الطبية المختصة و كذلك عن المحيطين له، كما أن الذي يعرف مصابا يخفي إصابته بالفيروس، عليه أن يخبر السلطات المختصة، وبموازاة مع ذلك يجب على السلطات المختصة أن تعزز من أصيب بهذا المرض وأخفاه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ² ، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ³ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض و أتم فيها فلا تخرجوا منها) ⁴، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار) ⁵، و صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (فليس من رجل يقع الطاعون فيمكث في بيته صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له مثل أجر الشهيد) ⁶ .

¹ قرار المجمع رقم 210 (22/6) في دورته الثانية والعشرين بالكويت .

² البقرة: 195.

³ النساء : 29

⁴ أخرجه البخاري (5728) و مسلم (2218) ، صحيح

⁵ البيهقي (ت458)، السنن الصغير للبيهقي 303/2 ، مرسل و روي موصولا ، أخرجه الشافعي في الأم (8/639) و مالك في الموطأ (2/745) و البيهقي (11718) .

⁶ إسناده صحيح على شرط البخاري ، أخرجه البخاري (3474) و السنن الكبرى (5727) و أحمد (26139)

7- أكد الأطباء والمختصون أن جميع التجمعات تؤدي إلى الإصابة بفيروس كورونا ولذلك لابد من الأخذ بالأسباب والابتعاد عن التجمعات بجميع أشكالها وصورها، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ وَفِرُوا بِحِمَىٰ ۖ﴾¹ ، ويشمل ذلك جواز إغلاق المساجد ومنع صلوات الجماعة والجمعة، وتعليق أداء المسلمين للحج والعمرة، ومنع التجول والتنقل وإغلاق المدارس والجامعات والعمل بمبدأ التعليم عن بعد.

8- وعند تعطيل المساجد في الجمع والجماعات مع الإبقاء على رفع الأذان لأنه من شعائر الإسلام. ويصلي الناس صلاة الجمعة ظهرا في البيوت. كما يجوز للعاملين في المجالات الصحية والأمنية في هذه الجائحة الأخذ برخصة الجمع بين الصلوات.

تطبيق أحكام النوازل²:

أكد الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين أن جائحة وباء كورونا المستجد (كوفيد - 19) تهدد جميع بني البشر دون اعتبار لمواقعهم أو ألوانهم أو جنسهم أو معتقداتهم، لافتا إلى أن المرض الذي عصفت بالاقتصاد العالمي، ومختلف المجالات الاجتماعية امتد أثره كذلك إلى الطريقة التي نمارس بها الشعائر الدينية. جاء ذلك في الندوة الطبية الفقهية الثانية التي يعقدها مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، حول موضوع "انتشار الإصابة بفيروس كوفيد - 19 كورونا المستجد"، اليوم الخميس 16 ابريل 2020، وذلك عبر تقنية مؤتمرات الفيديو. وشارك في الندوة عدد من الأطباء والخبراء الشرعيين، وناقشت الأحكام المتعلقة بالجائحة خاصة في ظل اقتراب شهر رمضان الكريم.

¹النساء: 71.

² ينظر على الشبكة صفحة منظمة التعاون الإسلامي topic ، <https://oic-oci.org> ، تاريخ 2022/12/21

وأضاف العثيمين أن انعقاد الندوة يأتي في الوقت المناسب حيث تتاح الفرصة للتوفيق بين آراء العلماء والخبراء في ميادين الطب والشرعية بشأن تفشي المرض، بغية صياغة موقف متناغم يسهم في دعم جهود صناع القرار في الدول الأعضاء من أجل التصدي لانتشار المرض والتخفيف من آثاره السلبية.

وأردف الأمين العام قائلاً: إن من مقاصد الشريعة، حفظ النفس باعتباره واحداً من الضرورات الخمس خاصة في مواجهة عدو غير مرئي، حيث يلتزم جميع مكونات المجتمع بمحاربه. وشدد على أن المشاركين في الندوة أمام مسؤولية شرعية وإنسانية عظيمة تكمن في بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بكيفية التعامل مع هذا الوباء، ورفع الوعي بخطورته وبيان الرخص والضرورات التي دعت إليها الدراسات في فقه النوازل، فضلاً عن حث الجميع على الالتزام بالإجراءات الوقائية اللازمة التي تتخذها الحكومات في مجابهة هذا الوباء. يذكر أن ندوة مجمع الفقه الإسلامي الدولي تأتي إثر الاجتماع الطارئ للجنة التوجيهية المعنية بالصحة بشأن جائحة كورونا المستجد، حيث دعا الاجتماع، الفقهاء والدعاة إلى أخذ دورهم في حث المسلمين على تتبع العادات التي ينادي بها الدين الإسلامي الحنيف من نظافة والتزام الإجراءات الوقائية المطلوبة للحماية من المرض. وناقشت الندوة، من خلال الاجتماع الافتراضي أحكام عزل المريض بالفيروس وعزل المريض المشتبه بحمله للفيروس عن أسرته أو ما يسمى بالتباعد الاجتماعي، والأحكام المرتبطة بالعبادات فيما يتعلق بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصوم رمضان، وأحكام النظافة الشخصية والاحتياطات اللازمة وبخاصة الالتزام بالتوجيهات الصحية الصادرة من الجهات المسؤولة.

المبحث الثاني: المحافظة على البيئة في بعض الفتاوى المعاصرة:

خلال هذا المبحث سأقوم بعرض بعض الفتاوى المعاصرة التي عالجت موضوع حماية البيئة مع مناقشتها، وأثناء استقراء هذه الفتاوى التي عالجت موضوع حماية البيئة اتضح لي أنه يمكن تقسيمها الى مواضيع متنوعة قسمتها على ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: نظرة الشريعة الإسلامية للمحافظة على البيئة:

- الفتوى الأولى¹:

السؤال: ما هو دور الإسلام في صيانة البيئة؟

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د. عبد الله الفقيه².

يجيب د. عبد الله الفقيه، بأن الإسلام حافظ على البيئة بالنهي عن الإضرار بها، والأمر بالمحافظة عليها، ومن الأمور التي نهى الله عنها حفظ البيئة، الإفساد في الأرض عموماً، وإهلاك الحرث والنسل، ويشير إلى منهج الإسلام الشمولي في حمايته للبيئة، بدءاً من تشجيع المسلمين على الزراعة، وإحياء الموات، وما يترتب عن ذلك من أجر وثواب أخروي، وحرص الإسلام على نظافة الطرق، والحفاظ عليها من كل ما يؤذي، وجعل ذلك من شعب الإيمان، كما وعني الإسلام بالمحافظة على مصادر المياه وعدم تلويثها.

نلاحظ أن هذه الفتوى أكثر شمولية من الفتاوى السابقة، من حيث إبرازها الجوانب المتعددة للشريعة الإسلامية في حمايتها للبيئة.

¹ ينظر <http://www.islamweb.net/ver2fatwa.php?lanc>. تاريخ الفتوى : 27 / 07 / 2002 م

² عبد الله بن محمد بن الفقيه الحنكبي الشنقيطي ، ولد بموريتانيا عام 1964م. تعلم مبادئ العلوم العقدية والفقهية واللغوية في بيت والده وهو لا يزال في سن مبكرة. ثم انتقل إلى محظرة أهل بحظيه بن عبد الودود -أكبر وأشهر وأغرق محظرة عرفت في تاريخ محاطر شنقيط ، بعد ذهابه إلى السودان ، حاز على درجة الماجستير والدكتوراه من جامعة القرآن الكريم للعلوم الإسلامية بالسودان ، وعمل مدرّساً جامعياً في بلده موريتانيا والسودان ما يقارب سبع سنين ، وهو الآن رئيس فريق الفتوى بالشبكة الإسلامية بدولة قطر . ينظر <https://midad.com/scholar/36191/> بتاريخ 2021/02/23

- الفتوى الثانية¹ :

السؤال: ماهي نظرة الإسلام إلى البيئة؟

المفتي: د. عبد الله الفقيه

يجيب المفتي قائلا: بأن الإسلام ينظر إلى البيئة باعتبارها خلقا من خلق الله، ينظر فيها المتأمل ليتأمل في قدرة الله وعظيم آياته الباهرة، ليهتدي بالتأمل فيها، ويستفيد منها العبد باعتبار أن الله خلق البيئة له لينتفع بها وبمكوناتها، ويشكر الله على ذلك بالانقياد والخضوع له، ويحرص العبد على أن يتعامل معها وفقا لشرع الله تعالى، فلا يستعمل حراما، ولا يسيء لعناصرها، ويحرص على التأمل في خضوع الكائنات الجامدة والمتحركة لربها وتسبيحها بحمده، لذا فليحرص العبد على سبقها في الخضوع لله.

يؤكد المفتي في هذه الفتوى على ضرورة تعامل الانسان مع بيئته بالرحمة والاعتماد في ذلك على الشرائع الإلهية، وإشراك البيئة مع الانسان في العبودية لله، والتسبيح له، والانقياد لأمره والإذعان لسننته، وبهذا الشكل فإن تعامل الانسان مع البيئة يحفز الدافع الديني العقائدي الذي يوجب التعامل الرحيم مع البيئة.

- الفتوى الثالثة² :

السؤال: كيف عالج القرآن الكريم والسنة المطهرة موضوع المحافظة على البيئة؟

المفتي: العلامة الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي.

يجيب القرضاوي: إن من دلائل اهتمام القرآن الكريم بالبيئة، أن نجد عددا من سوره يسمى بأسماء الحيوانات كسور: البقرة، الأنعام، الفيل، العاديات، أي الخيل، والنباتات، كسور التين، والحشرات، كسور: النحل، العنكبوت، والظواهر الطبيعية، كسور الرعد، الذاريات،

¹ <http://Islamweb.net/ver2fatwa.php?lang> تاريخ الفتوى : 2005/04/19 م

² تاريخ الفتوى : 2006/11/21 م ينظر على الشائكة www.islamonline.net/servlet/satellite?pagename=islamonline-arabic

ask-solar بتاريخ 2021/03/12

وهي الرياح التي تذرو الأشياء، فهذه التسميات للسور القرآنية لها دلالتها وإجاؤها في نفس الإنسان المسلم وربطه بالبيئة من حوله، بحيث لا يكون في عزلة أو غفلة عنها.

كما ويتجلى اهتمام السنة النبوية بالبيئة ومكوناتها وذلك من خلال اطلاعنا على الأحاديث النبوية بدءاً من الطهارة ومروراً بسائر العبادات والمعاملات وحث المسلمين على الغرس والزرع، ونيل أصحابها الصدقة والثواب في الآخرة، هذا بالإضافة إلى أن الصحابة قد انتهجوا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، في تشجيعهم للمسلمين على العناية بالنبات من خلال الغرس والتشجير، ويستشهد القضاوي بالحديث النبوي الذي يدل على تشجيع الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم والصحابة بأهمية الغرس والزراعة، فعن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: قال: سمعت رسول الله يقول: "من نصب شجرة، فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى تثمر، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل"¹.

تفيد هذه الفتوى اهتمام الشريعة الإسلامية برعاية البيئة من الناحية النظرية وذلك من خلال تسمية بعض السور القرآنية بأسماء بعض الحيوانات والنباتات والحشرات والظواهر الطبيعية، كما تبين هذه الفتوى دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة من الناحية العملية التطبيقية، اعتماداً على حث الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة للمسلمين على الزراعة والتشجير، لما في ذلك من أجر وثواب في الدنيا والآخرة.

¹ البيهقي، شعب الإيمان، ج 3 ص 265

الفتوى الرابعة¹:

المفتي: الدكتور نصر فريد واصل²

يجيب فضيلة الدكتور: إن الإسلام باعتباره الدين الخاتم لكل الأديان جاء ليحث الناس أجمعين على المحافظة على البيئة ويدعوهم إلى عدم تلويثها أو إفسادها، وذلك استناداً للقاعدة الفقهية " لا ضرر ولا ضرار " التي وضع أساسها الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حرم الإسلام على المسلمين وغيرهم التبول أو التبرز أو إلقاء القاذورات أو جثث الحيوانات أو مخلفات المصانع في مجرى المياه، خشية تلويثها، فيضر ذلك الإنسان والحيوان وغيرهما من مخلوقات الله، ويضيف بأن على المسلم أن يكون حريصاً كل الحرص على تنفيذ تعاليم دينه الحنيف، وأن يدرك إدراكاً كاملاً أهمية المحافظة على نظافة البيئة وحرمة إفسادها لأي سبب من الأسباب وأن يكون غيوراً على دينه، وأن يحافظ على نظافة البيئة التي يعيش فيها، لتبقى خالية من وسائل الأمراض التي تضر بالأفراد والجماعات.

تبين هذه الفتوى إحدى مبادئ الشريعة الإسلامية النظرية في حمايتها للبيئة، معتمدة في ذلك على القاعدة الفقهية " لا ضرر ولا ضرار "، التي تمنع إلحاق الضرر ابتداءً، ومقابلته بالضرار كرد فعل للضرر، وكذلك تعزز الفتوى على الجانب الوقائي، وذلك شريطة أن يحافظ المسلم على بيئته ويتجنب تلويث عناصرها الهامة، كتلويث الماء بالببول، والبراز ومخلفات المصانع مما يؤدي إلى تفشي الأمراض التي تشكل خطراً على حياة الجنس البشري.

- الفتوى الخامسة:

السؤال: تستفسر مجموعة من المستثمرين بشأن إنشاءهما جهازاً لتوفير المياه المستخدمة في الصنابير بنسبة تصل إلى خمسين بالمائة، وتسعى لإمداده في المساجد والمدارس، ومراكز الشباب والنوادي والإدارات، والوزارات والمصالح الحكومية مجاناً، فيسألون ما موقف الإسلام من هذا العمل، ومن كيفية استهلاك المياه؟

¹ ينظر على الشايكة www.islamonline.net/servlet/satellite?pagename=islamonline-arabic-scolar/fatwa تاريخ الفتوى :

2006/06/07

² رئيس قسم الفقه المقارن بجامعة الأزهر، وعين مفتي الديار المصرية عام 1996، وظل بهذا المنصب حتى عام 2003.

المفتي: د. علي جمعة¹ - مفتي الديار المصرية سابقا -

يجيب فضيلة د. علي جمعة: يعد هذا المشروع من المشاريع القيمة التي تساعد على نشر القيم الحضارية والوعي الأخلاقي بين الناس، بالإضافة إلى دورها الاقتصادي الفعال، وعدم الإسراف هو بحد ذاته قيمة أخلاقية قبل أن يكون عملا اقتصاديا مهما في ترشيد الاستهلاك.

ولهذه النظرة الاقتصادية في استهلاك المياه جذور في الإسلام من خلال توجيهات رسول الله عليه أفضل وأزكى التسليم، للمسلمين في عدم إسراف المياه أثناء وضوئهم، فقد مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل وهو يتوضأ، فقال: ما هذا السرف؟، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار².

وتتجلى النظرة الاقتصادية في استخدام المياه من خلال حرص الرسول على استخدام المياه بشكل مقتصد، فعن جابر قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع"³ إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد⁴.

وبإبرك المفتي جهود القائمين على هذا المشروع، ويتمنى التوفيق لهم، معتبرا أن الاقتصاد في استخدام المياه هو واجب ديني، وسيجزي كل شخص بالأجر والثواب على فعل ذلك⁵.

تفيد هذه الفتوى بأسبقية تعاليم الشريعة الإسلامية في حث المسلمين على الاقتصاد في استهلاك المياه، وذلك من خلال توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم، للمسلمين بعدم الإسراف في استغلال المياه، وتعد هذه النظرة الاقتصادية في استخدام المياه من إحدى الأخلاقيات البيئية التي تعني بالمحافظة على الثروة المائية.

¹ علي جمعة محمد عبد الوهاب الشهير بـ علي جمعة - عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف - هو عالم دين صوفي أزهرى مصري الجنسية، من مواليد 3 مارس 1952 بمحافظة بني سويف. شغل منصب مفتي الديار المصرية خلال الفترة من 2003 إلى 2013؛

² ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، (887م/275 هـ) ، سنن ابن ماجه ، القاهرة ، دار الحديث ، ج 1 ص 299 .

³ الصاع : إزاء يتسع خمسة أطلال وثلثا ، ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج 1 ص 381 .

⁴ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج 1 ص 144 .

⁵ أحمد عبد العزيز ، الاقتصاد في استخدام المياه واجب ديني ، اللواء الإسلامي عدد 9 سنة 2006

- الفتوى السادسة¹:

السؤال: نُهيننا عن الإسراف في الماء ولو كنا على نهر جار، ونصيب الفرد من الماء في تناقص مستمر، ونجد كثيرا من الناس يرشون المياه النقية أكثر من مرة في اليوم الواحد أمام محلاتهم وبيوتهم، فما حكم الدين في ذلك وهل يعد هذا من الإسراف المحرم؟
المفتي: رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

يجيب المفتي بأن الإسراف حرام، سواء كان في الماء أو غيره، قال سبحانه: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾². وبين سبحانه وتعالى أن المبذرين يأسرفهم وتبذيرهم أصبحوا إخوة الشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِمْ كَقُورًا﴾³، وبما أن المولى جل وعلا، نهانا عن الإسراف والتبذير في الأكل والشرب، فأولى بنا ألا نسرف في استعمال المياه، سواء في الوضوء أو الغسل أو الري أو رش الشوارع لأن هذا مضيعة لثروة المياه، وبالنسبة لرش الشوارع لا يصح إلا في الضرورة القصوى ولا يكون بالمياه النقية وإنما بالمياه المستعملة في الوضوء وغسل الملابس ونحوها⁴.
تدل هذه الفتوى على مدى اهتمام الإسلام بالثروة المائية، ونهيه عن الإسراف والتبذير بها لأي غرض من الأغراض، حتى إن توفرت بكثرة، وذلك لوعي الإسلام وإدراكه لأهمية الماء في حياة الجنس .

¹ ينظر على الشاكلة <https://islamqa.info/ar/answers> بتاريخ 2021/04/03

² الأعراف: 31.

³ الإسراء: 27.

⁴ جمال كساب ، أنت تسأل و الإسلام يجيب ، الأزهر عدد 74 سنة 2001 م .

المطلب الثاني : أحكام إزالة الأضرار للحفاظ على البيئة :

الفتوى الأولى¹:

السؤال: قد ثبت علميا أن مرض البلهارسيا (البول الدموي) والانتكستوما (الرهقان) وغيرها ينقل من مريض لآخر، بواسطة المياه الملوثة من بول وغائط المريض، وهذه الأمراض مضعفة للقوى، ومهلكة للأنفس، وتصيب خلقا كثيرين، ويصحح المرضى بها عديمي القوى نحال الجسم، فما حكم الشرع الشريف فيمن يتبول أو يتغوط في المياه المستعملة للشرب و للاستحمام أو بالقرب منها، إذا كانت الضرر بصحة الغير ؟

المفتي: فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة².

يجيب فضيلة الشيخ، بأنه يحرم التبول والتغوط في الماء الراكد، أو بالقرب منه، ويكره التبول والتغوط في الماء الجاري أو بالقرب منه كراهة تنزيهية، مستندا بذلك على الأحاديث النبوية التي تنهى عن التبول والبراز في الموارد، ولما فيها من إيذاء للناس جراء الروائح الكريهة، وتلويث للبيئة نتيجة تفشي الأمراض، فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يبال في الماء الراكد، وقول رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وفي الظل، وفي طرق الناس)³، ولهذا يجب على المسلم اجتناب كل ما هو مؤذ ومنهي عنه شرعا⁴.

تبين هذه الفتوى توجيهات الشريعة الإسلامية الوقائية في نهيا عن التبول أو التغوط في موارد المياه، لما في ذلك من تأثير سلبي على صحة الإنسان والمجتمع وتلويث للبيئة على حد سواء .

¹ ينظر على الشاكلة <http://www.fatawa.com/view/9788> بتاريخ 2021/02/21

² عمل مدرسا في الأزهر ، و شغل منصب مفتي الديار من 1921 إلى 1928 م ، و توفي سنة 1358 هـ / 1939 م

³ النووي ، رياض الصالحين ، ص 429

⁴ السجستاني ، سنن أبي داود ، ج 1 ص 19

- الفتوى الثانية¹:

السؤال:

أن مسجدا بني من مدة تنوف عن عشر سنين ولا يوجد بالبلد مسجد ينتفع به سواه، وقد أحدث أحد الجيران بجواره وابورا للطحين يبعد عنه بثلاثة أمتار فقط، ونتيجة لذلك فإن الوابور محدث للتشويش، والاضطرابات الشديدة، والغواء، وروائح كريهة من أرواث الدواب وبولها، فضلا عما يترتب عليه من الخلل في البنيان وضياح حرمة المسجد، فهل يجوز هذا شرعا؟ وهل يحق لصاحب المسجد منع صاحب الوابور من الإدارة؟

المفتي: فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم² (شيخ الأزهر منذ عام 1950 م ومفتي الديار المصرية عام 1954، توفي عام 1958 م / 1374 هـ).

يجيب فضيلة الشيخ: لا يحق للمالك التصرف في خالص ملكه مادام يضر بغيره ضرارا بينا واستنادا على ذلك، لا يجوز شرعا إحداث هذا الوابور، ولصاحب المسجد منع صاحبه من الإدارة بالطريق المشروع، أي بالطريق القضائي، وذلك كان الوابور يصدر ضوضاء شديدة وروائح كريهة نتيجة أرواث الدواب وبولها ويترتب عليه خلل في البنيان وضياح حرمة المسجد³.

تشير هذه الفتوى إلى منهجية الشريعة الإسلامية في إزالتها للأضرار، متخذة بعين الاعتبار أن درء المفسد أهم وأولى من جلب المنافع، علما أن الوابور كمصلحة ذاتية للمالك، يسبب أضرارا للبيئة والمصلين، نتيجة لأرواث الدواب وبولها، هذا فضلا عن الضوضاء التي تؤثر سلبا على المصلين أثناء الصلاة.

¹ ينظر على الشائكة <http://www.islamic-council.com> بتاريخ 2021/01/13

² شيخ الأزهر منذ عام 1950 م ومفتي الديار المصرية عام 1954، توفي عام 1958 م / 1374 هـ

³ جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، الفتاوى الإسلامية، دار الإفتاء المصرية، القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى

الفتوى الثالثة¹:

السؤال: بجوار منزلنا سدرة مؤذية، حيث أن الورق يتساقط داخل المنزل، والأغصان تدخل داخل المنزل، والحشرات تؤذينا، فهل يجوز قص الشجرة؟

المفتي: اللجنة العلمية الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

تجيب لجنة الإفتاء، بأنه لا بأس من قص الشجرة المؤذية أو إزالتها لقول النبي صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار"، و إذا تواجدت الشجرة في ملك خاص فلا بد من استئذان صاحبها لإزالتها، أما المتدلي منها في الملك العام كالطريق، وهو مؤذ فلا حاجة إلى الاستئذان في إزالة المتدلي و المؤذي في الطريق².

تعكس هذه الفتوى أهمية ومكانة الإنسان في الشريعة الإسلامية، مفضلة بذلك صحة الإنسان وسلامته، وعدم تعرضه للهلاك، على عنصر النبات، معتمدة في ذلك على إزالة الضرر، حتى وإن كان محظورا، استنادا على القاعدة الفقهية "الضرورات تبيح المحظورات"، حيث تجيز الشريعة الإسلامية قطع الشجرة لأنها تشكل مصدر خطر على حياة الإنسان والبيئة بالإضافة إلى أنها تشكل مرتعا خصبا للحشرات التي تنقل الجراثيم والفيروسات المسببة للأمراض والأوبئة، وبالتالي تؤدي هذه الأمراض إلى تلويث البيئة وتعريض حياة الإنسان إلى الهلاك.

¹ ينظر على الشاكلة <http://www.fatawa.com/view/31946> بتاريخ 2021/05/11

المطلب الثالث: أسلوب شريعة الإسلام في المحافظة على البيئة:

الفتوى الأولى¹:

نسمع هذه الأيام عن انتشار بعض الفواكه والخضار التي يقال إنها معالجة بالهرمونات التي تجعل شكلها جميلا وحجمها كبيرا، وقد يستعمل البعض لمقاومة الآفات التي تهدد تلك الفواكه والخضراوات مبيدات غير آمنة على صحة البشر، حيث تبقى آثارها على تلك الأطعمة إلى حين وصولها إلى يد المستهلكين وأمعائهم فتحدث في أبدانهم وصحتهم من الفتك، والتدمير ما يصعب مواجمته، وتلاقي خطره فما هو الأثر الشرعي المترتب عليها؟ وهل تعتبر جريمة، وما هو نوعها؟ وما هي العقوبة المقررة لها؟

المفتي: لجنة البحوث الشرعية التابعة لمجلة اللواء الإسلامي.

تجيب لجنة الفتاوى الشرعية، حسب ما هو مقرر شرعا أن الحق سبحانه وتعالى قد أحل لعباده الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَكَاءَ طَيِّبَاتٍ وَأَشْكُرُوا ۚ يَعْمَتَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ إِتَاءَةً تَعْبُدُونَ ﴾ ^{١١٥} ٢ والطيب من الطعام والشراب هو ما يشتاق إليه الطبع، وتميل إليه النفس ويسري أثره في البدن صحة وعافية، بل إن ما يحدثه الطعام والشراب في نفس يتناوله من صحة وعافية هو المعول عليه في اعتباره طيبا أو غير طيب. وإذا كانت الأطعمة خبيثة وفاسدة كالفواكه والخضراوات، سواء المعالجة بالمبيدات لمقاومة الآفات، أو المعالجة بالسموم والهرمونات، فهي تؤدي إلى إهلاك النفس، وهلاك البدن لأنها تحتوي على سموم تؤثر سلبا على أحد الأجهزة الحيوية بالجسم كالكلبي أو الكبد أو الأمعاء أو الدم أو غير ذلك مما تحدثه من اضطرابات معوية، واهتزازات عصبية، وضيق تنفسي، ولذلك يصاب الإنسان بعجز تدريجي إلى أن يلقي حتفه.

¹ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية و الإفتاء ، معالجة الفواكه و الخضار بالسموم ، و الهرمونات ، إتلاف للصحة و شروع في القتل الجماعي ، اللواء الإسلامي 1226 (2005) 7
² النحل: 114.

وتعد معالجة الفواكه والخضار بالسموم والهرمونات لجعلها كبيرة الحجم ومغرية من أجل ترويجها وبيعها بسهولة للناس نوعا من الغش المقترن بالتدليس، وتعتبر جريمة عمدية تعكس في فاعلها خطورة إجرامية تؤدي إلى إتلاف الصحة العامة لأفراد المجتمع وإحداث العاهات المستديمة التي يفقد الضحايا فيها أجزاء حيوية من أبدانهم التي تؤدي بهم في النهاية إلى فقد الحياة، وإحداث مثل تلك الآثار الخطيرة يمثل شروعا في قتل جماعي والقضاء على مستقبل أمة بأسرها، والحكم عليها بالفقر والعوز والعجز عن مجابهة المخاطر، وتضيف لجنة البحوث الشرعية بأن هذا النوع من الجرائم لم يرد فيها عقاب محدد يلائم خطرها ويواجه تدميرها لذلك يمكن اعتبارها من ضمن طائفة الجرائم التعزيرية التي يقرر لها المجتمع ما يراه من العقوبات الملائمة لها¹.

هذه الفتوى تفصل لنا رؤية النظام الإسلامي الثابتة في محافظته على البيئة وعدم تلويثها، وذلك من خلال نهيه عن استعمال المبيدات غير الآمنة التي تؤدي إلى تلويث الهواء وتهديد صحة البشر، بسبب آثارها المتبقية على الفواكه والخضراوات مما يشكل خطورة على صحة الإنسان، وكذلك تنهى الشريعة الإسلامية عن معالجة الفواكه والخضراوات بالسموم والهرمونات من أجل ترويجها وتسويقها بسهولة، لاعتبار هذا الأمر نوعا من الغش والتدليس وتهديدا لصحة المجتمع البشري، وفي كلتا الحالتين تعتبر هذه العملية من الجرائم التعزيرية التي يعاقب فاعلها لغشه وتدليسه وإتلافه لصحة البشر .

بيان منهجية الشريعة الإسلامية في المحافظة على البيئة في وقت الحرب مقارنة مع دور الاتفاقيات والمعاهدات الدولية بخصوص هذا الشأن:

¹ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، معالجة الفواكه و الخضار بالسموم، والهرمونات، إتلاف للصحة و شروع في القتل الجماعي، اللواء الإسلامي 1226 (2005) 7

الفتوى الثانية¹:

السؤال: ماهي منهجية الشريعة الإسلامية للمحافظة على البيئة في وقت الحرب، مقارنة مع التشريعات الدولية حيال تلك القضية؟

المفتي: د. محمد السيد الدسوقي، مفتي مصري ومحاضر في جامعة قطر، حصل على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية عام 1972م.

يجيب المفتي: إن الحرب الإسلامية هي حرب حماية ووقاية، وحرب فضيلة وتعمير، فالشريعة لم تتخذ من الحرب وسيلة للقهر والإعنات والإبادة، وإنما أبحاثها عند الضرورة علاجا لمرض لم تجد معه محاولات السلام، فكان لا مفر من مواجهة الباطل بقوة الحق، لتظل كلمة الله هي العليا، وتحرص الشريعة الإسلامية على حماية البيئة وعناصرها المختلفة حتى في الحرب، ويمكن استنباط ذلك حسب الأسس والمبادئ التالية:

أولا: تضيق دائرة المعارك الحربية، وقصرها على الأهداف العسكرية دون التعرض للبيئة وعناصرها المختلفة، وكذلك البيئة المشيدة وخاصة ما يتعلق منها بوسائل الحياة كالزراع والحيوانات، والمياه، والمصانع التي تنتج الغذاء والكساء والدواء وما إلى ذلك، لأسباب التخريب أو التلوث والإفساد، فهي بمنأى عن أن توجه إليها أسلحة تحدث بها ضررا أو دمارا وإذا اقتضت الضرورة الدفاعية أن يلحق بالبيئة بعض الأضرار، فإن ذلك يكون محدودا ومفيدا بالضرورة، فلا يترتب عليه غالبا إفساد عام أو تدمير شامل.

ثانيا: النهي عن الإسراف في إزهاق الأرواح ومراعاة حرمة الميت، والأمر بسرعة دفن القتلى وعدم ترك الجثث في العراء دون مواراة، ونتيجة ذلك تحمي الشريعة الإسلامية من بعض مصادر التلوث البيئي، بسبب الجثث التي تنبعث منها الروائح الكريهة وتصاب بالتعفن وتلوث الهواء، وتفسد التربة إذا لم يتم دفنها.

¹ ينظر على الشاشة www.islamonline.net/servlet/satelite?pagename=islamonline-ask-scolar بتاريخ 2021/02/11

ثالثاً: اشتملت الشريعة الإسلامية على تشريعات ووصايا، مراعية بذلك حماية العناصر البيئية المختلفة، ومن أهم هذه الوصايا ما أوصى به الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أمير أول بعثة حربية في عهده، وهو أسامة بن زيد، قال له: " لا تخونوا ولا تعثوا ولا تغدروا ولا تملثوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون على قوم فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له "

وأما بالنسبة للنظم والقوانين الوضعية، فقد عنيت هي الأخرى بحماية العناصر البيئية أثناء الحرب، فقد نصت اتفاقية جنيف المؤرخة في 21 غشت 1949 م في بعض موادها على حماية الأشخاص المدنيين والجرحى والمرضى من المحاربين وغيرهم، وكذلك الأطفال والنساء المسنين، والمرافق الصحية، كالمستشفيات ونحوها، وجاء في المادة الرابعة والخمسين من ملحق هذه الاتفاقية بشأن حماية البيئة، بأنه يحظر تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب الحرب وكذلك تحظر مهاجمة أو تدمير أو تعطيل الأعيان المهمة، مثل المواد الغذائية، والمناطق الزراعية والمحاصيل والماشية ومرافق مياه الشرب وأشغال الري، وتشير المادة الخامسة والخمسون إلى أنه يجب أن يراعى أثناء القتال حماية البيئة الطبيعية من الأضرار البالغة، و واسعة الانتشار وطويلة الأمد، وقد خطر بموجب هذه المادة استخدام أساليب أو وسائل القتال التي يقصد بها أو يتوقع منها أن تسبب أضراراً بالبيئة، ومن ثم تضر بصحة أو بقاء السكان المدنيين.

تبين الفتوى السابقة منهجية الشريعة الإسلامية بخصوص حماية العناصر البيئية المختلفة في وقت الحرب مقارنة مع تشريعات المعاهدات الدولية ويتمثل حرص الشريعة الإسلامية على العناصر البيئية بمنعها من إهلاك الحرث، والنبات، وابتعادها عن المدنيين، ومراعاتها حرمة الميت من خلال دفنه، اتقاء من تعفن الجثث وتلويثها للبيئة، كما وتحافظ على البيئة المشيدة وخاصة ما يتعلق منها بوسائل الحياة كالزراع والمرافق العامة والمؤسسات والمصانع.

وتكشف الوصية التي أوصاها الخليفة أبو بكر الصديق لقواده عن المعاملة الشمولية الرحمة لعناصر البيئة المختلفة، فهي بمثابة دستور يلخص أدب الجهاد في الإسلام.

أما بالنسبة للاتفاقيات والمعاهدات الدولية، فقد اشتملت على تشريعات، تمنع الإبادة وتحفظ للشعوب مقدراتها، وللبيئة حمايتها، ولكن مثل هذه الاتفاقيات، فعلى الرغم من جدواها نظريا، إلا أنها غير ملزمة عمليا، فمارلنا نشاهد المخالفات التي ترتكبها لجيوش في صراعها العسكري بحق الناس المدنيين، والعناصر البيئية، فهذا الأمر يبرز الهوة الشاسعة بين تعاليم الشريعة السمحة الخالدة التي سبقت القوانين الوضعية في حماية البيئة وقت الحرب، وجعلت هذه الحماية جزءا من عقيدة المسلم وفريضة مكتوبة عليه، فهو بهذا يلتزم بما دعت إليه الشريعة وأمرت به التزاما صادقا، لأنه يعي أنه محاسب إن فرط أو قصر.

نستنتج مما تقدم سابقا أن للفتوى دورا مهما في معالجة القضايا البيئية، وقد سلط بعضها الأضواء على دور الشريعة الإسلامية - نظريا وعمليا - في حماية البيئة ومن خلال ذلك تكشفت لنا منهجية الشريعة الإسلامية - الشمولية - في حمايتها للبيئة، ففي الجانب النظري نهت الشريعة الإسلامية عن الإضرار بعناصر البيئة، كالحرث والنسل وتلويث الطرق ومنعت الإسراف في المياه، لأن تعامل الإنسان مع البيئة مدفوع بالوازع الديني العقائدي و وفقا لشرائع الله سبحانه وتعالى، اللذين يوجبان التعامل الرحيم مع البيئة وتطبيقا شجعت الشريعة الإسلامية المسلمين على الزراعة والتشجير وإحياء الموات، لما في ذلك من أجر دنيوي وأخروي .

بينت بعض الفتاوى أحكام الشريعة الإسلامية في إزالتها للأضرار، مبرزة بذلك اعتبارات الشريعة الإسلامية في إزالتها للأضرار وفقا للقاعدتين الفقهييتين: " درء المفاسد أولى من جلب المنافع " و " الضرورات تبيح المحظورات " وذلك من خلال إزالة الواور الذي يصدر ضوضاء شديدة، وروائح كريهة نتيجة أرواث الدواب، وتفضيل سلامة وصحة الكائن البشري على عنصر النبات، هذا فضلا إلى بيان الجانب الوقائي في أحكام الشريعة الإسلامية عند إزالتها للأضرار، وذلك من خلال نهيا عن التبول أو التغوط في موارد المياه لما في ذلك

من خطورة على صحة الانسان نتيجة الأمراض و تلويث البيئة، ونرى نفس التعامل من خلال منعها استعمال المبيدات غير الآمنة التي تؤدي إلى تلويث الهواء، والهرمونات التي تهدد صحة البشر بسبب آثارها المتبقية على الخضر والفواكه .

كما أشارت الفتوى الأخيرة إلى أفضلية وأسبقية الشريعة الإسلامية في حمايتها للبيئة وعناصرها، سواء الطبيعية أو المشيدة، حتى في حالة الحرب، مقارنة مع تشريعات المعاهدات الدولية، واعتبرت الشريعة الإسلامية حماية العناصر البيئية جزءاً من عقيدة المسلم وفريضة مكتوبة عليه، ولذلك يحافظ المسلمون على عناصر البيئة بشكل تطبيقي، بينما تهمل تشريعات المعاهدات الدولية بشأن حماية البيئة في حال الحرب، بسبب عدم تطبيقها فعلياً.

لاحظنا اعتماد المفتين على مصادر التشريع الإسلامي في إصدار فتاواهم مثل القرآن الكريم والأحاديث النبوية والقواعد الفقهية والمصادر الطبية، وذلك عند إشارة لجنة البحوث الشرعية إلى تأثير الفواكه والخضراوات المعالجة بالسموم والهرمونات على الأجهزة الحيوية عند الانسان كالكلبي والكبد والأمعاء وما تحدثه من اضطرابات معوية واهتزازات عصبية وضيق تنفس. لنخلص بذلك إلى ما يلي:

ترتكز الشريعة الإسلامية في حمايتها للبيئة على محورين أساسيين : نظري وتطبيقي، وبالنسبة للأول فقد تكشف لنا عن أخلاقيات بيئية تعنى بالدرجة الأولى بالإنسان بشكله المتكامل وإكسابه ذخيرة مميزة من القيم : الأخلاقية والأخروية والعقدية والجمالية وكل هذه القيم تلخص نموذج النظرية الإسلامية عن البيئة التي يجب أن يمثّل بها المسلمون للمحافظة على بيئتهم والحد من آفاتهما واكتساب الأجرين الدنيوي والأخروي.

يتمثل الجانب التطبيقي باهتمام النظام الإسلامي بالعناصر البيئية المختلفة كالنبات والماء والهواء وحمايتها¹. وبالنسبة لعنصر النبات، فقد أنشأ النظام الإسلامي أنظمة المساقاة والمزارعة وإحياء الموات، بغية تحييب أهمية الزراعة والغرس في نفوس المسلمين، ولما في ذلك من أجر

¹ اقترنت على هذه العناصر لإبراز منهجية الشريعة الإسلامية في حمايتها للبيئة من الناحية التطبيقية .

وثواب يكتسبه المسلمون في الحياة الدنيا والآخرة، بالإضافة إلى إنشائه نظامي الحمى والحرم من أجل صون التنوع الإحيائي من حيوان ونبات والمحافظة عليها من الاستغلال غير المنظم الذي يؤدي إلى الاختلال بالانزبان البيئي.

ولم يقف الإسلام عند حد التوجيه والارشاد والمكافآت، بل فرض عقوبات صارمة على المخالفين، ومن هذه العقوبات: أخذ الأراضي من أصحابها الذين يعطلونها دون إحيائها وزراعتها وتمليكها لمن يعمرها ويزرعها، وفرض المؤبدات التأديبية المتمثلة في فرض الغرامة المالية لمن يؤدي إلى إهلاك الأرض وذلك من خلال زراعتها بما لا تصلح له.

ودعت كذلك الشريعة الإسلامية إلى حماية الماء وعدم تلويثه معتمدة في ذلك على الجانب الوقائي قبل تفشي الأمراض، كما ونظمت الأحكام الفقهية نظام استغلال نظام موارد المياه، ووضعت قواعد للمحافظة عليها وإصلاحها بما يحقق المنفعة ويمنع الضرر، اعتماداً على نظام حريم الآبار، أما بالنسبة لعنصر الهواء فقد اهتم به الفقهاء في الجانب القانوني، فوضعوا أحكاماً وقواعد قانونية ليسترشد بها القضاة للحكم في قضايا الملوثات والحد منها، مستندين في ذلك على القواعد الفقهية التي تختص بمنع الأضرار وإزالتها.

ويتمثل الجانب التطبيقي العملي في تجنيد النظام الإسلامي للمؤسسات العامة كمؤسسة الخلافة ومؤسسة القضاء ومؤسسة الحسبة ومؤسسة الوقف، لرعاية البيئة والمحافظة عليها. فقد ساهمت مؤسسة الخلافة في معالجة القضايا البيئية ويتجلى ذلك باهتمام الخلفاء الراشدين بأمور الزراعة والتشجير وإحياء الموات، واتباع نظامي الحمى والحرم، للمحافظة على العناصر البيئية وتشجيع ولائهم وأعوانهم للامتثال لهذه الأمور، هذا فضلاً عن اهتمامها بتخطيط المدن وانتقاء الشروط الجيدة عند اختيار موقع المدينة، معتبرة في ذلك توفير هم الاحتياجات المادية والاجتماعية والسياسية والدينية، والابعاد البيئية المتمثلة في توفير المياه العذبة وطيب الهواء وجودته لانتقاء الآفات والأمراض، ولعبت مؤسسة القضاء دوراً هاماً في حماية البيئة ومنع ملوثاتها بشتى مصادرها، فقد وضع القضاة أحكاماً خاصة تهدف إلى منع الملوثات والأضرار المتعلقة بحقوق الناس الخاصة، كأن تضر مياه الميازيب بحقوق الجيران، أو

كالتى تضر بالحق العام كإلغائها في الأماكن العامة، هذا فضلا إلى التعزيرات التي نغدها القضاة تجاه المسيئين بحق البيئة، وبالنسبة لمؤسسة الحسبة، فكان لها مكانة أساسية في رعاية الشؤون البيئية فقد عني المحتسب بنظافة الشوارع والطرق ومنح حلولاً بديلة للأشخاص المسيئين في التلوث، واهتم أيضاً بنظافة الأسواق ، ووضع اعتبارات منطقية للفصل بين أصحاب المهن الذين يعتمدون على الوقود في صناعاتهم لتفادي الملوثات والأضرار البيئية . ولمؤسسة الوقف دور هام في حماية البيئة ودفع صور التلوث عن عناصرها الطبيعية، كحصار المياه والأشجار وعناصرها المشيدة، كالمرافق والمنشآت العامة.

أكدت لنا الفتاوى المعاصرة منهجية الشريعة الإسلامية -النظرية والتطبيقية- في حمايتها للعناصر البيئية المختلفة، حيث اعتمد المفتون على مصادر التشريع الإسلامي في إصدار فتاواه.

وهكذا تتضح أفضلية المنهج الإسلامي في حمايته للبيئة منذ فجر الرسالة، وانطلاقاً من العقيدة و الشريعة كما سبق القول، لاعتماده على الجانب النظري التأسيسي، والجانب العملي التطبيقي وحرصه على إيجاد نظام متكامل لحماية البيئة بدءاً من ترغيب وتشجيع المسلمين على الاعتناء والمحافظة على العناصر البيئية، واكتساب الأجر المادي في الدنيا والمعنوي في حماية البيئة، وإنشاء أجهزة التحكم والرقابة على التلوث، وتقديم الإجراءات العملية اللازمة من خلال المؤسسات الحضارية الإسلامية العامة التي تستند على مصادر التشريع الإسلامي في أحكامها

أصدر مجلس علماء إندونيسيا فتوى دينية بشأن حرق الأراضي والغابات في محاولة لوقف الضباب الدخاني الذي يغطي البلاد كل سنة، وإثناء الشركات الزراعية والمزارعين عن استخدام أساليب القطع والحرق في دولة اقتصادية قوية الأكبر بجنوب شرق آسيا.

وحسب تصريح لوزير البيئة الإندونيسي نوفي زال تاهر لوكالة الأنباء الدولية رويترز قال أن "عقد اجتماع بين وزير البيئة ومجلس علماء إندونيسيا الذي أصدر الفتوى رقم 30 لعام 2016 بشأن قانون حرق الغابات والأراضي. وأضاف المسألة هي أن الحرق الذي يلحق ضرراً بالبيئة وفقاً لقرار المجلس لا يجوز شرعاً"، وتجدر الإشارة إلى أنه في كل عام تواجه إندونيسيا

انتقادات من جارتها سنغافورة وماليزيا بشأن الضباب الدخاني وعدم تمكنها من منع إشعال الحرائق، حيث شهدت إندونيسيا حرائق السنة الماضية بين الأسوأ في تاريخ المنطقة تسببت في أضرار بليغة للبيئة تقدر بمليارات الدولارات وأثرت على حركة الطيران وانتظام الدراسة لأسابيع بينما عانى الآلاف من أمراض تنفسية حادة.

المبحث الثالث: عناية المملكة المغربية بالبيئة:

تعتبر المملكة المغربية من بين الدول الإسلامية التي قطعت أشواطاً متقدمة في حماية البيئة، سواء من الناحية القانونية أو الدينية، إذ سنت مجموعة من التشريعات القانونية التي تنص على حماية البيئة، نتج عن ذلك تأسيس مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة، التي لعبت أدواراً طلائعية في أداء المهمة الموكلة لها، هذا بالإضافة إلى المرجعية الدينية المعتمدة في حماية البيئة، لذلك ساقسم هذا المبحث إلى مطلبين: الأول: سأخصه للتعريف بمؤسسة محمد السادس لحماية البيئة، والإحاطة بالشق القانوني لحماية البيئة، أما المطلب الثاني: فسأبرز فيه مساهمة الشأن الديني في حماية البيئة بالمملكة المغربية.

المطلب الأول: مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة:

1 - مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة، الماهية والنشأة:

تعتبر هذه المؤسسة من أهم المؤسسات التي تعنى بحماية البيئة بالمملكة المغربية، إذ كانت البداية حينما أسند المغفور له الحسن الثاني لصاحبة السمو الملكي الأميرة لالة حسناء المهمة الأولى المتمثلة في السهر على الشواطئ السياحية الأكثر تأثراً بأنشطة الإنسان المختلفة، وذلك سنة 1999م، فانطلقت عملية تحت شعار: (لنجعل شواطئنا تبتسم)، التي عرفت نجاحاً كبيراً من طرف المواطنين.

وعيا من صاحب الجلالة الملك محمد السادس بالرهانات البيئية الكبيرة والإرث الإيكولوجي الثمين الذي يزخر به المغرب، أهدى بلده مؤسسة لحماية البيئة وكلف صاحبة السمو الملكي الأميرة لالة حسناء بالسهر على تسييرها، وذلك بتعيينها رئيسة لهذه المؤسسة سنة 2001م.

يسهر على إدارة مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة مجلس إدارة ترأسه صاحبة السمو الملكي الأميرة لالة حسناء. ويضم المجلس فاعلين من القطاعين العام والخاص. كما تتوفر

¹ ينظر على الشابكة <https://tropheeslittoral.ma/ar/apropos> بتاريخ 2021/04/23

المؤسسة على هيكل تنظيمي وظيفي ورئيس منتدب الذي عينه صاحب الجلالة الملك محمد السادس في يونيو 2001

تطورت مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة، منذ نشأتها وتمثل ذلك من خلال تعبئة والتزام الشركاء العموميين والخواص ببرامج ومشاريع جديدة (جودة الهواء، المدن المزهرة...) وأدخلت للمغرب أربعة برامج لمؤسسة التربية البيئية (اللواء الأزرق، الصحفيون الشباب من أجل البيئة، المدارس الإيكولوجية، والمفتاح الأخضر).

2 - الإطار المؤسسي للبيئة:

- يتكلف قطاع البيئة بتنسيق مع جميع الوزارات المعنية بإعداد وتطبيق السياسة الوطنية في مجال البيئة والتنمية المستدامة
- يقوم بوضع آليات وإجراءات وإنجاز أنشطة وبرامج لتنفيذ مهامه.
- يبني ثقافة التنسيق لضمان تتبع العمل الحكومي في مجال بني ثقافة التنسيق لضمان تتبع العمل الحكومي في مجال تدبير البيئة.
- يطور مقاربة تشاركية من أجل تنسيق الجهود وترشيد الإمكانيات.

3 - الشراكة بين مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة و مؤسسة التربية البيئية:

و بعد مرور سنة على إنشائها، انخرطت مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة في يوليو 2002 في مؤسسة التربية البيئية (FEE) الموجودة بكونهاكن بالدارناك. هذا الإنخراط الذي أرادت من خلاله صاحبة السمو الملكي لالة حسناء أن تجعل من حماية البيئة "قضية الجميع"، وانطلاقا من هذه الشراكة تحددت مهمة مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة في الإسراع في التوعية والتحسيس بآثار الأنشطة البشرية على البيئة التي ستسمح للجميع بالتخلي بتصرفات وسلوكيات ضرورية من أجل التنمية المستدامة. فمهمة مؤسسة التربية البيئية مرتبطة بكل بلد عضو فيها من خلال منظمة غير حكومية التي ستكون الفاعل المنفذ والمكلف بإنجاز مختلف

البرامج، فأصبحت مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة تمثل مؤسسة التربية البيئية بالمملكة المغربية.

إذا كانت حماية البيئة في وقتنا الحاضر محركا للنمو بالنسبة لجميع بلدان العالم، فإنها كذلك بالنسبة للمغرب على وجه الخصوص، باعتباره خزاناً للثروات الطبيعية، فحمايتها تجعل قطاع السياحة أحد دعائم الاقتصاد الوطني.

ووعيا منها بأن جزءا من الموروث البيئي للبلاد مهدد وأن الجميع في حاجة إلى مواجهة تحد لا مثيل له، لتفادي إثقال التنمية المستقبلية، بادرت مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة تحت الرئاسة الفعلية لصاحبة السمو الملكي لالة حسناء، بالقيام بخطوة لإيقاظ الوعي والمسؤولية المشتركة تشرك جميع الفاعلين المقنعين بفكرة التغيير تحت شعار: (جميعا من أجل بيئتنا)، وقد اعتمدت هذه الخطوة على ثلاث دعائم:

- تقاسم الالتزام
- استراتيجية من أجل التنمية المستدامة
- تربية الأطفال
- وسعت إلى تحقيق الأهداف التالية:
- إشراك الفاعلين (المنظمات غير الحكومية والشركاء الإقتصاديين والجماعات المحلية والإدارات العمومية)
- تعبئة جميع طبقات المجتمع
- إبقاء جميع الأعمال المنطلق بها على المدى الطويل

وتندرج أعمال مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة في إطار الشراكة التعاقدية مع مجموع المتدخلين من القطاعين العام والخاص في إطار استراتيجية التنمية المستدامة وقضية تربية

الأطفال إذ نظمت مناظرة في 03-04 نونبر 2000 تحت عنوان "مدن وقرى وغابات وشواطئ نظيفة"، أشارت صاحبة السمو الملكي الأميرة الجليلة لالة حسناء إلى أن:

(حماية البيئة هي أيضا قضية سلوك، لذلك، يجب أن تقوم التربية بدور مهم من أجل المساعدة على إيقاظ الوعي).

وتهدف جميع الأعمال التربوية لمؤسسة محمد السادس لحماية البيئة إلى تحسيس الأطفال بأهمية البيئة لنجعل من مواطني القرن الواحد والعشرين وطني البيئة.

يجب أن يكبر أطفالنا وهم يؤمنون أن الثروات البيئية تشكل مصدرا ناذرا وباهض الثمن. هذا الثمن ما هو إلا راحتنا وصحتنا وتطورنا الاقتصادي المستقبلي. وقد تم التركيز على التفكير في المستقبل، قبل الشروع في إنجاز أي عمل، وستتحقق هذه المقاربة عن طريق الأبحاث والمناظرات والشراكات والاتفاقيات الدولية وتبادل الخبرات والتجارب والتحقيقات. ولضمان استمرار هذه المقاربة يتم إعداد عدة برامج مصحوبة بمؤشرات النتائج.

وفي إطار توسيع التصور الوحيد الممكن من أجل التنمية البشرية المتمثل في المقاربة البيئية للتنمية، تعمل المؤسسة على وضع معطيات جديدة للمحاسبة الاقتصادية والاجتماعية. وستضفي هذه الأدوات الاقتصادية لموازنة إكراهات النمو وحماية البيئة قيمة على الثروات الطبيعية العمومية. وسيشمل هذا التصور الجديد مستقبلا مساهمة الأنظمة البيئية المحلية في النشاط الاقتصادي وراحة الساكنة سواء عن طريق مواردها المباشرة أو صفاتها الطبيعية والسياحية، وذلك بحماية الموارد الطبيعية المتمثلة في الإرث الساحلي والغابوي والحفاظ عليها.

ومن أجل تشجيع تنمية الموارد البديلة من ماء وطاقة وتجديد المنتجات والصناعات النظيفة، تشرك مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة الفاعلين المحليين للتعريف والبرمجة وإنجاز المشاريع البيئية التي لها تأثير مباشر على حياة الساكنة.

تعددت العوامل التي دفعت المغرب للانخراط في مسلسل التنمية المستدامة والهادفة إلى خلق توازن بين النمو الاقتصادي و العدالة الاجتماعية سعيا للحفاظ على البيئة التي أصبحت مهددة بشكل خطير وذلك للأسباب التالية:

- التكاثر السكاني وارتفاع مستوى التحضر.
- النمو الاقتصادي وتزايد عدد المنشآت الصناعية.
- التغيرات المناخية، وتوالي ظاهرة الجفاف.

لهذه العوامل وغيرها، نتج عن ذلك ارتفاع انتاج النفايات المنزلية السائلة والصلبة، وكذلك تنامي مشكل تلوث الهواء، إضافة إلى مشكل التصحر وتدهور المجال الغابوي والتنوع الفلاحي وندرة الموارد المائية، وتلوث المياه البحرية ... كل ذلك كان كفيلا بأن يجعل البيئة من بين أهم الأولويات في كل البرامج الحكومية وغير الحكومية ورغبة في تعزيز المقاربة الشمولية لحماية البيئة، نص الدستور المغربي الجديد على:

- الحق لكل مواطن في بيئة سليمة كما نص على تحقيق التنمية المستدامة.
- إحداث المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي كآلية دستورية تجمع كل الفعاليات السياسية، الاقتصادية، القانونية، المهنية وممثلي المجتمع المدني والقطاع الخاص لتتبع وكذلك لوضع مقترحات لكل ما يمكن أن يساهم في التنمية المستدامة على المستوى الوطني.

4 - الإطار المؤسسي للبيئة:

- يتكلف قطاع البيئة بتنسيق مع جميع الوزارات المعنية بإعداد وتطبيق السياسة الوطنية في مجال البيئة والتنمية المستدامة.
- يقوم بوضع آليات وإجراءات وإنجاز أنشطة وبرامج لتنفيذ مهامه.

- يبنى ثقافة التنسيق لضمان تتبع العمل الحكومي في مجال يبنى ثقافة التنسيق لضمان
تتبع العمل الحكومي في مجال تدبير البيئة.
- يطور مقارنة تشاركية من أجل تنسيق الجهود وترشيد الإمكانيات.

5 - الاستراتيجيات التي وضعها المغرب لحماية البيئة:

- استراتيجية 2020 وتهم المخطط الأخضر الذي يهتم الفلاحة
- المخطط الوطني للتنمية (PANE)
- مشروع التنمية لحوض سبو 2005
- البرنامج الوطني للنفايات الصلبة
- الاستراتيجيات الوطنية للحفاظ على التنوع البيولوجي
- استراتيجية تدبير الموارد المائية بالمغرب
- استراتيجية البرنامج الوطني للبيئة

تم إنشاء المرصد الوطني والمرصد الجهوية للبيئة. وفي إطار سياسة القرب واللامركزية التي ينفذها المغرب فقد أسندت لهم مهمة:

بمتابعة مؤشرات التنمية المستدامة. ويقوم كذلك بتجميع المعطيات ومعالجتها. كما يهتم بمراقبة وتتبع حالة البيئة بالمغرب، وإنجاز دراسات وبحوث في الموضوع

- وينشط المرصد الوطني للبيئة شبكة المراصد الجهوية الموزعة على جهات المملكة، والتي تقوم بنفس المهمة على المستوى الجهوي والمحلي بتنسيق مع مختلف الشركاء من إدارات وجمعيات المجتمع المدني، وذلك وفق استراتيجيات التي وضعها المغرب لتحقيق الأهداف التالية:

- الرفع من مستوى الربط بشبكة تطهير السائل إلى 80% بحلول سنة 2020 وإلى 90% بحلول سنة 2030.
- الرفع من عملية جمع النفايات والنظافة بالحواضر إلى مستوى 90% بدلا من 70%.
- إنجاز مطارح مراقبة للنفايات المنزلية والمائلة لكل المراكز الحضرية بنسبة 100 % لفائدة 350 مدينة ومركز حضري.
- محاربة تلوث الهواء
- محاربة تلوث الهواء والنباتات. المحافظة على التنوع البيولوجي لتدبير مستدام للموارد الطبيعية والنباتات
- المحافظة على الأنواع المهددة بالانقراض، وخصوصا المستوطنة والنادرة والنظم الإيكولوجية والأنواع المستغلة

6 - الإطار القانوني للبيئة¹:

عرف المغرب خلال العشرية الأخيرة تطورا ملموسا على المستوى التشريعي في المجال البيئي وذلك نظرا لعدد القوانين صدرت خلال هذه المدة كوسيلة لتعزيز حماية البيئة ودعم الجهود الرامية للنهوض بهذا القطاع، فأصدرت كتابة الدولة المكلفة بالماء والبيئة مصنفا يضم قوانين تتعلق بالمحافظة على البيئة، حيث تم إعداد هذا الكتاب لإبراز القفزة النوعية التي عرفت بها الترسانة القانونية الخاصة بالمجال البيئي، ونتج عن ذلك إرساء مبادئ وقواعد تجعلها تتسم مع الأهداف المسطرة في مجال المحافظة على البيئة.

- حماية البيئة ومحاربة التلوث
- قطاع الطاقة

¹ ظهير شريف رقم 1-95-154 صادر في 16 غشت 1995 بتنفيذ القانون رقم 10-95 المتعلق بالماء

- المناطق المحمية
 - البلاستيك
 - تنمية مناطق الواحات وشجرة الأركان
 - مصنف قوانين تتعلق بالمحافظة على البيئة، إصدارات كتابة الدولة المكلفة بالماء
البيئة – البيئة¹، وقد ضم مراسيم خاصة بمعايير جودة المياه ودرجات تلوث
المياه.
 - ظهير شريف رقم 1-03-59 صادر في 12 ماي 2003، بتنفيذ القانون رقم
11-03 المتعلق بحماية واستصلاح البيئة².
 - ظهير شريف رقم 1-03-60 صادر في 12 ماي 2003، بتنفيذ القانون 03-
12 الخاص بدراسات التأثير على البيئة³.
 - ظهير شريف رقم 1-03-61 صادر في 12 ماي 2003 ، بتنفيذ القانون رقم
13-03 الخاص بمحاربة تلوث الهواء⁴.
- وكما سبق وأن ذكرت، فالظواهر والقوانين الخاصة بحماية البيئة عديدة وتختلف بحسب
عناصر ومكونات البيئة منها:

أ - قوانين حماية البيئة ومحاربة التلوث:

- قانون 03. 11 يضع المبادئ والقواعد المرجعية لحماية واستصلاح البيئة
- قانون 12.03 استحدث آلية عملية للوقاية من التلوث وهي دراسة التأثير على
البيئة

¹ ظهير شريف رقم 1-95-154 صادر في 16 غشت 1995 بتنفيذ القانون رقم 10-95 المتعلق بالماء، ص 5

² المصدر السابق ص 33

³ المصدر السابق ص 43

⁴ المصدر السابق ص 59

● قانون 13.03 يحدد قواعد وميكانيزمات وقاية الإنسان والبيئة بشكل عام من الأضرار الناجمة عن تلوث الهواء

● قانون 28.00 يحدد قواعد تدبير إيكولوجي للنفايات بجميع أشكالها بهدف حماية الإنسان والبيئة بشكل عام من الآثار الضارة الناتجة عن سوء تدبير النفايات.

ب - قوانين خاصة بمجال الطاقة:

● القانون 13.09 الخاص بالطاقات المتجددة يحدد الإطار القانوني لإنتاج وتسويق وتصدير الطاقة المنتجة من مصادر متجددة.

● القانون 16.09 الخاص بإحداث الوكالة الوطنية المنتجة من مصادر متجددة. الإطار القانوني لإنتاج وتسويق وتصدير الطاقة لتنمية الطاقات المتجددة والنجاعة الطاقية باعتبارها فاعلا مؤسساتيا عموميا مكلفا بالنهوض بالطاقات المتجددة وبرامج تنمية النجاعة الطاقية على المستوى الوطني.

● القانون 57.09 المحدث للوكالة المغربية للطاقة الشمسية بهدف تنمية الطاقة الشمسية يهدف للوصول إلى إنتاج 2000 ميكاواط في أفق 2020 قوانين متعلقة بالمحميات، البلاستيك، البلاستيك وشجرة الأركان

■ المناطق المحمية:

قانون 22-07 باعتباره إطارا قانونيا جديدا للمحافظة على الموارد الطبيعية والأنظمة البيئية والإيكولوجية والمنزهات.

■ قطاع البلاستيك:

قانون 22-10 يتعلق باستعمال الأكياس واللفيفات من البلاستيك القابل للتحلل أو القابل للتحلل بيولوجيا.

■ شجر الأركان:

قانون 06-10 المحدث للوكالة الوطنية لتنمية مناطق الواحات وشجر الأركان الذي يهدف إلى إعداد برنامج تنموي شامل ومستدام على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمجال الجغرافي لشجر الأركان. البيئي والبشري يتعلق بمناطق الواحات والمجال الجغرافي لشجر الأركان.

6 - المشاريع الخمسة التي قام بها المغرب لحماية البيئة¹:

عرف المغرب بانخراطه الكبير في مجال الحفاظ على البيئة وحمايتها من تأثير التغيرات المناخية سواء على المستوى القاري أو العالمي، في هذا الإطار أشاد البنك الدولي بمجهودات المغرب في هذا المجال، مشيراً عبر موقعه الرسمي أنه يمكن تلخيص مجهودات المملكة في خمس مشاريع أساسية وتتمثل في:

■ **محطة نور للطاقة الشمسية:** الذي يسعى من خلاله المغرب إلى تأمين نسبة 52 في المائة من حاجياته الكهربائية بحلول سنة 2030 عن طريق الطاقة الشمسية، وهو مشروع مكون من 4 مراحل، نور 1، نور 2، نور 3، ونور 4، كما يعد أنه أكبر مشروع في العالم لإنتاج الطاقة الشمسية.

■ **رفع الدعم عن أسواق الوقود:** حيث قررت الحكومة المغربية تخليها عن دعم أسعار البنزين، السولار والفيول، وذلك من أجل تشجيع المستهلكين على الوعي بأهمية تدبير استهلاك الطاقة، إلى جانب تشجيع الاستثمار نحو ما يسمى بالاقتصاد الأخضر.

■ **مخطط المغرب الأخضر:** وهو المخطط الذي يسعى من خلاله المغرب إلى جعل الفلاحة المحرك الرئيسي لنمو الاقتصاد الوطني خلال الـ 15 سنة القادمة وذلك بالرفع من الناتج الداخلي الخام وخلق فرص للشغل ومحاربة الفقر وتطوير الصادرات.

¹ ينظر على الشابكة <https://2m.ma> > news بتاريخ 2021/11/12

■ **التزام المغرب بحماية المحيطات:** عرف المغرب بوعيه بأهمية الحفاظ على المحيطات وحمايتها من التلوث، حيث كان قد دعا في وقت سابق في شخص الوزير المنتدبة المكلفة بالبيئة حكيمة الحيطي إلى ضرورة اللجوء إلى شراكة عالمية لوضع استراتيجية لحماية المحيطات.

■ **الحفاظ على المياه الجوفية:** حيث يبذل المغرب جهودا كبيرة من أجل الحفاظ على مياحه الجوفية، باعتبارها مصدرا طبيعيا للمياه العذبة، وثروة مهمة ينبغي الحفاظ عليها للأجيال الحالية والمستقبلية.

لنخلص بذلك إلى ان المملكة المغربية قد قطعت أشواطاً متقدمة في مجال الحفاظ على البيئة من الناحية القانونية. خلال الطلب الثاني، سأحاول الوقوف على نماذج من الدروس الحسنية لإظهار مساهمة علماء وفقهاء المغرب في الحفاظ على البيئة من الناحية الدينية.

المطلب الثاني: البيئة في الدروس الحسنية:

لم تغفل الدروس الحسنية عن طرح القضايا البيئية المعاصرة، والتأكيد على أن الشريعة الإسلامية كانت السباقة في الدعوة للحفاظ على البيئة ورعايتها، حيث ألقى العديد من علماء وفقهاء المسلمين دروساً بين يدي المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه، وأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وقد اختلفت عناوين ومضامين هذه الدروس وإن كانت تسعى لتحقيق هدف واحد، وهو المساهمة في التأكيد على أهمية الحفاظ على البيئة في ديننا الإسلامي الحنيف، وسنعرض لذلك نموذجين من هاته الدروس وهي:

أولاً: أخلاق المحافظة على البيئة في الإسلام¹:

قال قطب الريسوني الأستاذ بجامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة إن الله عز وجل: (صنع هذه البيئة وجعل الاستقرار في أحضانها قدراً، موضحاً خلال الدرس الحسني

¹ ينظر موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دروس حسنية <https://habous.gov.ma/tv/2009/2386-15090.html> البرس الحسني الخامس ، و ينظر التجديد يوم 11 - 09 - 2009 <https://www.maghress.com/attajdid/52692>

الخامس الذي ألقاه مساء الأربعاء 9 شتنبر 2009 في موضوع أخلاق المحافظة على البيئة في الإسلام، أن الطبيعة تصطبغ بثلاث سمات أولاها وظيفية، إذ البيئة تسخر في تلبية مصالح الإنسان وقضاء حوائجه، وثانيها سمة تفاعلية، بحيث توجد عناصر البيئة في تكامل موصول غير مقطوع. والسمة الثالثة هي السمة الجمالية، وتستوفي غرض الترويح والترفيه عن الإنسان، ذلك أن الراحة النفسية مطلب شرعي).

وبعد أن أشار إلى ما حبا به الله تعالى المغرب من طبيعة وتربة معطاء وبيئة جوادة، بين الريسوني أن الله عز وجل خلق عناصر البيئة بمقادير معلومة على نحو يوطئ للناس أكناف الحياة. وقال إن حقيقة الاتزان البيئي تتجلى في قوله تعالى إن كل شيء خلقناه بقدر

ولدى حديثه عن البيئة والمقصد الاستخلافي في القرآن الكريم قال إن من عناصر الاستخلاف تعمير الكون، وعمارة الأرض تتأني بالغرس والتشجير والتخضير ومن قام بذلك فهو جدير بلقب الخليفة.

وأضاف المحاضر أن الحضارة المادية صارت مصيرا مشتركا للبشر جميعا، مبينا أن دور المسلمين يتمثل في تصحيح مسار هذه الحضارة دون معاداتها معاداة النقيض.

وفي سياق كلامه عن هدي السنة النبوية في المحافظة على البيئة، أبرز أن هناك ثلاث توجيهات نبوية للمحافظة على البيئة هي الحفاظ على الثروة المائية من التلوث والضياع والإفساد، والحفاظ على النوع النباتي ورعايته وصونه من العبث، ثم الحفاظ على الجنس الحيواني وصونه من الانقراض والفناء، وذلك أن الله تعالى لم يخلق كل جنس حيواني إلا لحكمة إلهية.

أما فيما يتعلق بالقواعد الفقهية وأثرها في ترسيخ الحفاظ على البيئة، أشار الريسوني إلى عدد من هذه القواعد منها أن الضرر يزال، مبينا أنها قاعدة نبراس لاجتثاث المفسد، فلا تمييز هنا بين ضرر مقصود وضرر غير مقصود.

والقاعدة الفقهية الثانية - يضيف الريسوني- هي (أن الضرر لا يزال بالضرر)، مشيراً على سبيل المثال في هذا الصدد إلى أن التخلص من المواد المشعة ضرورة لا غنى عنها لكنه يجب أن يتم بطريقة آمنة.

أما القاعدة الثالثة فهي اختيار أخف الضررين، والرابعة هي تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، والخامسة درء المفاسد أولى من جلب المصالح، والسادسة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة، بحيث إن كل تصرف جاء على خلاف ما يراد به مصلحة فهو باطل.

وأكد قطب الريسوني أن العلاقة بين البيئة والإسلام ينبغي أن تساق في مساق علاقة الإنسان مع ربه، فالعلاقة ثلاثية بين الله وعبيده وموجوداته.

وخلص الأستاذ الريسوني إلى القول إن الإسلام حين اتخذ شعار النظافة من الإيمان كان يرمي إلى نقاء الظاهر والباطن، موضحاً أن البيئة لن تنعم بعنفوانها إلا إذا تهتدت الحضارة بالقيم الدينية.

ثانياً: البيئة والإنسان في رعاية الشريعة الغراء¹

ألقى الأستاذ محمد اليوسفي²، درساً حسنيا تناول فيه بالتحليل موضوع: "البيئة والإنسان في رعاية الشريعة الغراء"، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ 202 وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ 203﴾³، وقد قدم الأستاذ محمد اليوسفي درساً في موضوع: "البيئة والإنسان في رعاية الشريعة الغراء"، حيث أكد أن هذه الدروس الحسنية الرائقة التي مهما قيل فيها من إشادة فإنها لا تستقصي فوائدها ومحاسنها،

¹ الثلاثاء 15 رمضان 1437 (21 يونيو 2016) بين يدي أمير المؤمنين الدرس الرابع من سلسلة الدروس الحسنية الرمضانية لعام 1437/2016 ينظر موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دروس حسنية <https://habous.gov.ma/tv/2009/2390-15094.html> بتاريخ 2022/11/14

² الأستاذ محمد اليوسفي، أستاذ بكلية اللغة العربية وعضو المجلس العلمي المحلي بمراكش
³البقرة: 202-203.

فهي مجالس علمية رائدة ساهمت وتساهم في ترسيخ درجة عالية من الوعي الديني الناهض على فضائل الوسطية والاعتدال، ومعايير الاجتهاد المتنور الأصيل.

إذ خطا المغرب خطوات حكيمة في سبيل ترسيخ وعي حقيقي فاعل بالقضايا والإشكالات البيئية، فكان البعد البيئي حاضرا بقوة في العديد من الخطب السامية لصاحب الجلالة، والأعمال الوطنية الجليلة، المتمثلة في المبادرة إلى إطلاق سياسة تربية جديدة منفتحة على الطاقات المتجددة، والتنمية النظيفة، ولا ريب أن الميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة الذي تمت صياغته، يشكل أرضية أساسية لمختلف الرؤى التصحيحية، والمشاريع الميدانية التي من شأنها إحداث ثورة بيئية وطنية تتصدى لخطر التلوث والتصحر والهشاشة، وتحمي المخزون المائي وجودته، والمساهمة إلى اتخاذ المبادرات الاستباقية في وجه التحديات البيئية، علاوة على إنشاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، وغاية ذلك كله تحصين البيئة المغربية وتأهيلها لمواكبة مغرب التطورات والتحديات.

ولا ريب أن استضافة المغرب لقمة المناخ العالمية كوب 22 شهر نونبر القادم بمراكش تشكل شاهدا ميدانيا على أن هذا البلد الأمين حاضر بامتياز في قلب الاهتمام بالبيئة الكونية، وقد بشر صاحبة الجلالة في خطابه من طنجة بأن قمتي باريس ومراكش ستشكلان بداية تحول وانعطاف جديد في مجال مناخ العالم.

وهكذا أصبح واقع البيئة الكونية ومستقبلها يشكل هاجسا مؤرقا بالنسبة لسائر الدول والمنظمات والجمعيات المهتمة، خاصة وأن ناقوس الخطر أخذ يدق وينذر بغد طاف بالقلق والتوجس.

وإذا كان عصرنا يعاني مما يصطلح على تسميته بمشكلات العصر، فلا شك أن في صدارتها معضلة التدمير البيئي المتمثلة في الانبعاث الحراري، وذوبان الجبال الجليدية، وانقراض الأنواع الحيوية، وتقويض التوازن المناخي، وندرة المياه ونقصان جودتها، وتلاشي الرصيد الغابوي بشكل ملحوظ، وغير ذلك مما تثيره وتناقشه اليوم المنتديات العلمية المختصة، والدوائر

المعنية، ويمكن القول: إن مشكل التلوث أضفى ضاغطا أكثر من غيره، لأنه يمس الفضاء الذي نتساكن داخله، علما بأن الكون أصبح عالما صغيرا تتداعى سائر مناكبه بما يحدث في أي ركن من أركانه.

وإذا كانت الشرائع السماوية قد أولت عناية خاصة للقضايا البيئية نظرا لأبعادها العقدية والأخلاقية والإنسانية؛ فإن شريعتنا تمتلك تصورا حضاريا متميزا لهذه القضية.

وإذا كان من واجب علماء المسلمين أن يبينوا لأهلهم وللناس كافة رأي الإسلام وهديه في مجال البيئة، فإن هذا الدرس يحاول إعطاء ملامح وجيزة عن هذه المبادئ والتوجيهات، وسنسوق إن شاء الله ملامحها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واجتهادات الفقهاء، مع الإشارة إلى بعض ملامح سلوك السلف الصالح بخصوص هذا الموضوع .

➤ البيئة في القرآن الكريم

العنصر الأول: الكون في منظور القرآن الكريم

لقد أثار القرآن الحكيم انتباه الإنسان إلى الدقة المعجزة المنتهية التي تم بها إبداع الكون أرضا وسما، وما يلاحظ من تفاعل وانصهار بين مكوناته، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝¹﴾ إن هذا التوجيه إلى السير والنظر في مختلف المشاهد الكونية يوجه العقل الإنساني إلى أهمية هذه المعرفة الميدانية، لأن ذلك سيقود حتما إلى تقديرها، وتقدير صانعها، ومن آيات تقديرها حمايتها وصيانتها لئلا تسكنها ساكنة بما يساعده على تحقيق وظيفة الاستخلاف الناهضة على ترسيخ التوحيد، وإبداع الحضارة، ثم التشوف إلى الحسنى وزيادة.

¹ العنكبوت: 19.

يقول ابن عطية في (المحرر الوجيز): (والنظر هنا بالعين تقديرا ووزنا، وبالقلب عبرة وفكرا):

العنصر الثاني: الكون محكوم بقوانين معجزة:

بعد توجيه العقل المتأمل إلى استكناه بدايات الخلق الكوني؛ تأتي محطة أخرى من التفكير والاستغراق أكثر إثارة، إنه الاستعراض العجيب لمجموعة من القوانين والضوابط الدقيقة التي تحكم الإبداع الكوني، والقرآن الكريم زاخر بهذه الإحالات التي تحفز العقل المتدبر إلى تسخير طاقته القصوى في التتبع والترصد والاستنتاج، وتبعا لذلك تنتفض الطاقة الروحية للإنسان، فتنعم بنشوتها الكبرى، يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونًا¹﴾، يقول الفخر الرازي "في مفاتيح الغيب": "الله سبحانه وتعالى قدرها على وجه مخصوص بقدرته وعلمه وحكمته، فكأنه تعالى وزنها بميزان الحكمة حتى حصلت هذه الأنواع."

العنصر الثالث: توجيه العقل والوجدان إلى جماليات الكون:

كشف الكتاب العزيز عن نخبة من المظاهر الجمالية الكونية التي تثير العقل، وتحرك الوجدان من أجل الإبانة عن ذلك الوجه المشرق في آيات الصنع الكوني، وهكذا يجد المتأمل نفسه في رحلة شائقة بين آيات الجمال المنبعثة من الظواهر الفلكية والطبيعية مصوعة في نظم بياني وجمالي معجز، فكم يثيرنا ذلك التجسيد الحركي لهيئة الأرض وهي تراوح بين الهمود والاهتزاز والربوة في الآية الكريمة: "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج" ثم يأتي التعقيب على هذه الصورة الفنية التي جمعت بين طرفي الجلال والجمال بقبس من نور التوحيد فيقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ²﴾، وهذا إكبار عجيب لمظاهر الطبيعة.

¹ الحجر: 19.

² الحج: 6.

العنصر الرابع: التسخير الكوني وحكمة التدبير

لقد أكد القرآن الحكيم أن جميع ما يحضنه الكون من نعم طبيعية، وخيرات مختلفة مسخرة للإنسان بالفطرة، مما يحكم نعمة التسخير بميزة الاستقرار وعدم الانقطاع، وآيات التسخير مكثفة في الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ۖ﴾¹، يقول المفسر الورع أبو الحسن الحرالي المراكشي في العروة: (ولما كان الإنسان مخلوقاً من صفاة كل شيء، توسع له جهات الانتفاع بكل شيء إلا ما استثني منه لحوف الحرام ووجهه)².

ومن أبرز مظاهر حكمة النص القرآني الكريم، ورعايته لحاجيات الإنسان حرصه على توفير كل ما يساعد هذا الخليفة المكرّم على التساكن مع الكون، وهكذا نسجل امتنان الجواد الكريم بنعمة الكفاية الغذائية مقرونة ومطرزة بالكفاية الأمنية، وكأنها توأمان تحضنها الرحم الفطرية الأصيلة للحياة ﴿لَئِنْ أَطَعْتَهُمْ مِّنْ جُوعٍ ۖ﴾³.

العنصر الخامس: توصية القرآن بعدم إفساد صنع الله

لقد شدد القرآن على التحذير من الإفساد في عشرات الآيات، لأنه صنيع مخالف للفطرة، مناقض للسلوك السوي، وإذا كان هذا النهي شاملاً لمختلف صور وأشكال الفساد المادية والأخلاقية؛ فإن التنصيص على إفساد خيرات الأرض، والإجهاز عليها بمختلف أشكال التدمير والعدوان قد وقع النكير على مقترفيه بجلاء، وبصيغ بيانية صارمة، وهكذا ندد القرآن الحكيم - حسب الرواية الشهيرة- بالفعل الوضع للأخنس بن شريق من قبيلة بني ثقيف - وكان يُظهر الإيمان ويُضمر الكفر- وذلك حين انصرف من بدر ببني زهرة راجعاً إلى مكة -

¹ القان: 19.

² أبو الحسن الحرالي المراكشي، عروة المفتاح، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الحياطي، الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط، ط 1 1418 هـ/ 1997 م، ص 86

³ قریش: 4.

وكان بينه وبين قومه خصومة-، فبيّتهم ليلاً، فأهلك مواشيهم، وأحرق زرعهم، فضرب المولى المثل به قصد التنديد والعبرة فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ 202 وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَمُهْلِكَ أَكْزَرَ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ 203﴾¹.

لقد تناسى الأخنس - ومن هم على شاكلته - أن كل صيانة للخواص الفطرية والمنتجة للأرض هي صيانة لحاضر ومستقبل الإنسان، ولا تقف هذه العملية عند جيل معين، وإنما تتجاوز ذلك إلى الأجيال اللاحقة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

➤ البيئة في السنة المشرفة

تشكل السنة المطهرة مصدراً خصيباً غنياً بالتنسيقات والإشارات البيئية والجمالية التي غُنيت بمختلف المظاهر الكونية والاجتماعية والإنسانية، وإن الباحث لينهر أمام الرصيد الصحيح للنصوص البيئية داخل المدونات الحديثة خاصة في كتب الطب والحراثة والغراسة والرقائق والفتن وغيرها، كما نجد لها حاضرة بقوة داخل مشاهد السيرة العطرة، وهي كافية - في هيكلها العام - لترشيد وتقويم أبرز المجالات البيئية الحيوية.

وإذا تأملنا جملة من المحطات التي وحمت الرسول الأعظم داخل البلاغ القرآني والحديثي والسيري؛ فإننا نجد التأثير البيئي حاضراً وهذه صور موجزة منها:

لقد كان أشرف العرب يحرسون على إرسال أبنائهم إلى المناطق البدوية المتميزة بفطرتها الأصيلة أملاً في تشبعهم بالسليقة اللغوية، علاوة على امتلاك المؤهلات البدنية والذهنية والنفسية السليمة، ويررر الإمام أبو القاسم السهيلي ذلك في: "الروض الأنف" فيقول: (وقد يكون ذلك منهم لينشأ الطفل في الأعراب، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لجسمه.... وقد قال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه حين قال له: "ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال: "وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد" ولعل هذا من بين ما أهل الرسول

¹البقرة: 202-203.

الفصيح لتلقي الكتاب المعجز الذي نزل بلسان عربي مبين، وليكون الخصوص بجوامع الكلم التي حققت شأوا بعيدا في الإيجاز والبيان وعمق النظر)¹.

وإذا تأملنا بعض الخصائص الإعجازية النبوية - وهو بحر علم خصائصه زاخرة لا تكدره الدلاء- كما يقول القاضي عياض في "الشفاء"؛ فإننا نكتشف ظلال البيئة المطهرة حاضرة، ففي حادث شق الصدر، نجد عنصر الماء حاضرا، يقول الإمام السهيلي: "فغسله روح القدس بماء زمزم التي هي هَرَمَةُ القدس، وهَرَمَةُ عقبه لأبيه إسماعيل عليه السلام." وهذه نماذج منتقاة من السجل البيئي النبوي المشرق.

أ. الغرسة وتجلياتها البيئية

نسجل أن من مظاهر عناية شريعتنا بجمالية البيئة توصيتها بغرس الأرض، وعدم تركها جرداء قاحلة، لأن في زرعها نفعا للزراع، ونفعا للفضاء البيئي، تلطف أجواءه، وتعديل طقسه، وتنثر عليه ظلال السكينة والدعة.

يقول عليه الصلاة والسلام: "ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أُكِلَ له منه صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكل الطير فهو صدقة، ولا يَرْزُؤُهُ أحد (أي لا يصيب منه أو ينتقص) إلا كان له صدقة"².

لعل أقرب تصور لنتائج الغرس هو التأكيد على المردودية النفعية المادية، ولكن هذا النص الشريف يرتقي بالنتائج إلى ما هو أسمى، إنه الأجر الذي ينعكس إيجابا على حياة الغارس دنيا وأخرى، بل يتجاوز عياله وذوي قرياه إلى السبع والطير والغاصب، نظرنا إلى السبع والغاصب نظرة متوجسة.. وهي هنا نظرة استدرار للصدقات. كل ذلك لصالح البيئة.

¹ عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، المحقق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، الناشر: دار الكتب العلمية، 56/1

² أخرجه البخاري (2320) ومسلم (1553) باختلاف يسير، الألباني غاية المرام 157 صحيح

بل إننا نكاد نجزم بأن شريعتنا قد تفردت بحرصها على زراعة الأرض إلى حد التوصية بذلك ولو قامت الساعة، يقول عليه السلام: "إن قامت الساعة وبيد أحكم فسيلة (أي نبتة صغيرة منفردة من النخلة)، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل." وهذا يعني أهمية القياس على هذه الصورة في مختلف الأوضاع الطارئة.

ب. الماء في المنظور النبوي

اعتبرت الشريعة المطهرة الماء الشريان الحيوي للبيئة بمختلف مكوناتها (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وإن وروده في القرآن ثلاثاً وستين مرة غطى من خلالها مختلف وظائفه ومنافعه ليشكل حجة بالغة على أهميته، لذا لا عجب إذا أحاطته السنة - وهي بيان القرآن- بعناية ملحوظة. خاصة وأن له بُعد الروحي المؤثر إذ هو حاضر بقوة في نخبة من الأحكام التعبدية أظهرها الوضوء الذي لا تحل الصلاة إلا به... وهو الذي اثبت الدرس العلمي التجريبي آثاره الصحية والنفسية والجمالية البالغة من منظور علم النقاط الانعكاسية....

ومع ذلك اعتبرت السنة المشرفة الإسراف في ماء الوضوء اعتداءً، وقدمت الأسوة في ذلك من الرسول الأكرم، فعن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد"¹. والمد يساوي ثلاثة أرباع اللتر، والصاع يساوي ثلاثة لترات.

وإذا تصورنا احترام المتوضئين لكرهية الإسراف وعدم الاقتصاد في الوضوء؛ وإذا تصورنا تبعاً لذلك -اقتصاد نصف لتر من الماء في كل وضوء؛ فإننا سنرجع -بعد المتوضئين- ملايين اللترات من الماء الذي سيوظف في مختلف الاحتياجات الضرورية ومن توصيات صاحب الخلق العظيم حول نعمة الماء ما رواه أبو هريرة: (لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلاء)²

¹ الإمام البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقم: محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
² صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم فضل الماء، متفق عليه

إن هذا النهي النبوي حكيم بامتياز، لأن الأصل أن الماء قسمة بين الناس، لذا يصبح منع المحتاجين إلى فضل الماء منعا للكلال... فتنجم عن ذلك كارثة بيئية مزدوجة: عدم زرع الأرض بالكلال مما يندر بالجفاف والتصحر، وعدم رعي الماشية مما يفضي إلى هزالتها، وعدم استغلالها إيجابا وتغذية، وذلك كله يؤثر سلبا على البيئة.

وهذا يعني أن التوصية بعقلنة تدبير استعمالات الماء واجب ديني، وفضيلة أخلاقية وإنسانية، وإن توظيفها على مستوى أكبر وأبعد سيأتي مما قد يشتغل من صراعات مستقبلية حول الماء.

ج. لمحة عن الوسط البيئي النبوي:

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام حريصا على نقاء وصفاء وسطه البيئي الخصوصي، لا يחדشه أي منظر مثير يمكن أن يعكر صفو المقام النبوي الشريف الذي يشكل النموذج المثالي الخليق بالأسوة. وما أرق وصف حسان بن ثابت لهذا النبي الطاهر الزكي:

وأحسنُ منك لم تر قط عيني * وأجملُ منك لم تلد النساء¹**

فعندما نتأمل بعض الشرائع النبوية الخصوصية فإننا نجد البعد الجمالي البيئي حاضرا بجلاء. وقد استفادت عنايته عليه الصلاة والسلام بالعطر، حتى جعله من سنن المرسلين في قوله: (أربع من سنن المرسلين: العطر والنكاح والسواك والحياء)². بمعنى أن التعطر قاسم جمالي مشترك بين سائر الرسائل السماوية، الأمر الذي يطبعه بالصيغة الإنسانية التي تتجاوز الجنس والعرق واللون واللسان.

وقد كان الرسول حريصا على أن تبقى البيئة سليمة، معافاة، وكان يقدر خطورة العدوى، وما ينتشر بسببها من علل وأسقام في أوساط الأصحاء.

¹ ديوان الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم
² سنن الترمذي 383/3، (1080)، المعجم الكبير للطبراني 186/11، (11445)

فعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: (كان في وفد ثقيف رجل مجذوم جاء للبيعة فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: إنا بايعناك فارجع)¹

فإذا تأملنا أدب الرسول وحكمته البالغة؛ فإننا نجد أنه قد استبق الأمر قبل وقوعه، وبلغ المبتلى أمنيته التي جاء من أجلها وهي البيعة، وشرفه عليه السلام بأن جعله المبايع. وقدم ذلك على أمره له بالرجوع، لأن الاستهلال بالأمر قد يوقع المريض المبتلى، لذا آتاه وطمأنه، ولا غرو فقد وصفت خلال الشريفة الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾² 129

وتلك رسالة توجيهية نفيسة إلى الطبيب، أمامه المبتلى، والمأزوم، والمصاب. وقد ذهب الرسول عليه السلام بعيدا في تمثل المواصفات البيئية المنشودة؛ فاعتبر جماليات الإنسان في ذاته، وفي علاقاته الإنسانية، فيما يكمل بعضها بعضا، حتى إذا أضفنا إليها القيم البيئية الطبيعية، برزت تلك الصورة المهيبة النيرة التي رصعت هذا النص الشريف: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)³، قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس).

لذا لا غرابة إذا اعتبر الرسول عليه السلام الطريق ملكاً مشتركاً يجب أن نغار عليه، ونحرص على صفائه ونظافته، لأنه البساط الذي يجمعنا، وأي توصية مأجورة غالية تعدل قول النبي الأمين صلى الله عليه وسلم: (واماطة الأذى عن الطريق صدقة)⁴.

➤ اهتمام فقهاءنا المغاربة بالبيئة:

لقد حظيت قضايا البيئة باهتمام ملحوظ في تراثنا الفقهي الإسلامي، تشهد على ذلك الخزائن العامرة التي تحضن من مصادر فقه النوازل، والفتاوى والحسبة، وكتب الوثائق

¹ أخرجه مسلم (2231)، والنسائي (4182)، وابن ماجه (3544) واللفظ له، وأحمد (19474)، صححه الألباني

² التوبة: 129.

³ صحيح مسلم 91، صحيح

⁴ الألباني، السلسلة الصحيحة، (1558)، يرى المحدث الألباني أنه صحيح على شرط الإمام مسلم

والشروط ما يزدهي به الباحث، وإذا كان علماء المشرق قد أغنوا هذا الحقل بعطاءاتهم، فإن علماء الغرب الإسلامي - وفي صدارتهم فقهاء المغرب والأندلس - قد أثروا هذا المجال بحس اجتهادي وحضاري متفرد، وقد كان لفقهاء المالكية الأثر العميق في هذا العطاء العلمي الزاخر الذي كشف لنا الكثير من دقائق التقاليد والسنن التي جرى القضاء بها في المغرب، كما كشف الكثير من دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ويؤكد المؤرخون أن التاريخ الإسلامي لم يعرف بلدا كانت المالكية فيه عصب الحياة كما كانت في المغرب والأندلس، ولا زال الأمر ساريا في المغرب والله الحمد، وقد حفظت لنا موسوعات فقهية قيمة قسطا كبيرا من هذا التراث الفقهي الأصيل كالمعيار المغرب لأبي العباس الونشريسي (ت 914هـ)، والمعيار الجديد للعلامة المغربي المتنور المهدي الوزاني (ت: 1932م) الذي كانت له فتاوى بيئية وصحية جريئة، منها انتصاره للتلقيح ضد الجدري ودعوة المواطنين إليه خلافا لبعض الأصوات المحافظة.

وقد تميزت اجتهادات علمائنا في المجال البيئي بقدرتهم على التأصيل، والقياس الموضوعي، وشددوا على احترام الحقوق البيئية، واعتبروها شرطا ملزما في الجوار والبناء والمشارك من المنافع من هواء وشمس وماء، ومن أبرز ما وظف في هذا الحقل قاعدة الاحتياط التي يلجأ إليها حالة النظر في مفسدة واقعة أو متوقعة، ومن الفقهاء من اعتبرها رديفة لقاعدة سد الذرائع، وهناك قواعد فقهية تحكم نخبة من المقاصد الشرعية التي يمكن أن تشكل ضوابط أساسية لقاعدة الاحتياط ونذكر منها:

-الضرر يزال / الضرر لا يزال بالضرر / الضرورات تبيح المحظورات / درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة/ ويمكن الاحتكام إلى هذه القواعد بشكل مفتوح في مجال التقنين للبيئة بغية الحفاظ عليها، وبذلك تكتسب الإجراءات المسطرية والزجرية قوتها المستمدة من القواعد الشرعية.

وقد أكدت دواوين أصول الفقه، وكتب الخلاف العالي على أن سائر الملل والنحل قد أجمعت على المحافظة على مصالح الإنسان الضرورية والتي أُتست من أجلها مصالح الأمن ومحكم القضاء، وهي مصالح الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ولا شك أن صيانة المجال

البيئي هي الضامن الأساس لتفعيل الحفاظ على هذه الضرورات. ذلك أن الحفاظ على حرمة النفس والعرض لا يترسخ إلا داخل بيئة مصونة توحى بالانضباط وصيانة حرمة الفطرة الكونية، كما أن العقل لا يمكن أن يتوقد ويُسْعَلَ قدراته القصوى إلا في ظلال البيئة الطبيعية التي لا تصيبها هزات ونكسات، ويلاحظ أن كثيرا من مظاهر فقدان التوازن النفسي الشائعة اليوم راجعة إلى التقلبات والمعضلات البيئية.

➤ نماذج من احتياط السلف في المجال البيئي

لقد ظل سلفنا الصالح غيورا على البيئة المغربية، فتجسد ذلك داخل محيطه وبيوتاته، توجهه روحه الإيمانية، ووعيه الكبير، فحرصا على نظافة المساجد وعدم السماح بارتياحها إلا لمن توفرت فيه شروط الصيانة؛ يلاحظ في كثير من مدننا العتيقة كفاس ومراكش وتطوان تخصيص باب للحفاة مرصوص بحجارة خاصة يغسل فيه الحفاة أرجلهم قبل دخول المساجد، وقد نوهت بذلك كثير من المصادر.

كما نسجل حضور الوعي الصحي بخطورة وجود بعض المهن التي تشكل بعض مركباتها مواد تساهم في تلويث البيئة الحضرية، لذا وقع الحرص على تخصيص أماكن محددة لها بدقة، وإذا أخذنا مراكش نموذجا فإننا سنلاحظ أن مهن الدباغين، والفخارين، والجيارين وما يشبهها من المهن الملوثة توجد مصانعها التقليدية خارج سور المدينة في موقعها الشرقي لأن مراكش تتعرض عادة للرياح القادمة من الجهة الغربية فتعمل على إبعاد جميع الأدخنة الملوثة خارج المدينة ويترجم هذا الإجراء الحكيم حرص الوعاة من أهل التدبير على مدينة نظيفة سليمة. إنه احتياط حكيم حري بالمراعاة في حقولنا الصناعية الحديثة.

ومن أبرز وسائل الاحتياط الوقائية المبادرة الحكيمة التي قضت بوضع ذوي العاهات المعدية كالجدى وأضرابهم خارج أسوار المدينة، علما بأن التعقيم لم يكن موجودا، كما أن وسائل الوقاية من انتشار الأوبئة كانت متواضعة، ويؤمل من عملية العزل هذه عدم نقل العدوى إلى داخل المدينة وقد سميت هذه الأماكن بالحارات، يقول ابن الزيات التادلي في "التشوف" عن

أبي يعقوب يوسف بن علي المبتلى - وهو معدود من رجال مراكش السبعة- كان في حارة الجذماء... سقط بعض جسده في بعض الأوقات فصنع طعاما كثيرا للفقراء شكرا لله تعالى على ذلك."

ومن الاحتياطات التي درج عليها الأسلاف، إنشاء الجنان داخل المدن ومحيطها، وهي المعروفة بالبحائر، وهي من المظاهر الجمالية التي تزخر بها الثقافة البيئية المغربية، وقد احتضنت المدن العتيقة نماذج بديعة لها كعصرات فاس ومكناس وحدائق الأوداية بالرباط وأكادال مراكش التاريخية، وإذا كانت هذه المنتزهات قد تميزت بصنوف من الأشجار والنباتات التي غرست وفق تخطيط فني بديع يدل على ما بلغت هذه الصناعة في العدوتين من ارتقاء، فإن زراعة الأزهار والورود، كانت من الظواهر المثيرة بدورها، وقد كانت عصارتها توظف في صناعة الحلويات وعصير الفواكه كما تتميز بقطراتها الندية التي تستخرج بطريقة خاصة تستعمل في نضح الضيوف بها.

كما لعب شيوخ كثير من الزوايا الصوفية المغربية أدوارا بيئية رائدة خففت كثيرا من المتاعب الناجمة عن فترات المجاعة والأوبئة وهكذا انخرطت نخبة منهم في مجال إحياء الأرض، وحفر الآبار، وشق السواقي، ومنهم الشيخ عبد الله الغزواني (ت: 1035هـ) صاحب كتاب "النقطة" والشيخ أبو عمرو القسطللي، وغيرهما كثير في المغرب، بل إن منهم من حول العالم البيئي بكل مكوناته الطبيعية والجمالية إلى مادة محببة ومليحة لإبداع تصليات نبوية مؤثرة كالشيخ المعطى بن صالح مصيِّف: "ذخيرة المحتاج"¹.

➤ منابر لحماية البيئة

لا شك أن المخاطر التي تحدق بالبيئة تجعل مسؤوليتها جسيمة ومشتركة، يلعب فيها المجتمع المدني دورا مؤثرا، ومن أهم المنابر المرشحة دوما للمساهمة في تعميق وتفعيل الوعي البيئي مايلي:

¹ يحتوي على 56 مجلدا من أعظم ما صنف في الشرائل والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

1 -المنبر الروحي: وهو الذي يعنى في مختلف أنشطته المسؤولية بالتحسيس بالمسؤولية العقدية والأخلاقية اتجاه البيئة، وذلك بتوظيف مختلف الآليات الإعلامية والتثقيفية والميدانية.

2 -المنبر التربوي: وهو الذي يعنى بمساهمة جميع المناهج والنشاطات المدرسية في التوعية البيئية، وذلك من خلال تمكين الفئات المتعلمة من المفاهيم والحقائق العلمية، وكذا تحقيق إشباع بأهمية القيم التربوية البيئية.

3 -المنبر الجامعي: ويعنى بتعميق البحث العلمي في المجال البيئي عبر المراكز البيئية، وفق برامج ممنهجة مدعمة تعنى بالحاجيات المحلية والوطنية، وتنفذ على المناهج والاجتهادات الدولية.

4 -المنبر التشريعي: ويعنى بالجانب الحقوقي البيئي وذلك بإغناء الاجتهادات القانونية والحقوقية المواكبة للطوارئ والمستجدات.

5 -المنبر العمراني: وهو الذي يؤمل منه المحافظة على البيئة في جميع التصاميم والمشاريع من مستوى التخطيط للمدن الجديدة إلى التخطيط للجهات السكنية المشتركة والفردية.

وقبل هذا وذاك فإننا عندما نبرم مع الوطن ميثاق الحب والوفاء الذي لا يقبل نسخا أو مراجعة فإن من جملة بنود ذلك الميثاق الغليظ أن للوطن حقا مقدسا يطوق به مواطنيه جميعا، ذلكم هو حق رعاية البيئة الذي يشكل مع حقوق أخرى اللحمة القادرة على الجمع بين مختلف الأطياف والفئات الاجتماعية، وصهر همومها جميعا في بوتقة واحدة، هي بوتقة حب الوطن، وإن خلايانا وأعماقنا لثُرجع في كل حين الحكمة المؤثرة: "حب الوطن من الإيمان".

هذه الحكمة تحفز كل مواطن مغربي، للحفاظ على كل الاواصر التي تجمع بين مكونات هذا الوطن، ومن البديهي ان يكون الحفاظ على البيئة هو حفاظ على هذا الوطن.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تنزل البركات، والصلاة والسلام على معلم البشرية وأفضل المخلوقات المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

نخلص بذلك إلى أنه على الرغم مما عرفه الفقه الذي يهتم بالبيئة من ثراء وتنوع في الآراء الفقهية واجتهادات متعلقة بالبيئة، فقد لوحظ تراجعاً لدى الفقهاء المعاصرين، وكذلك في أعمال المجامع الفقهية بصفة عامة، بل بلغ هذا التراجع أدنى مستوى له حينما تم الاكتصار على مسائل محدودة تتعلق باستعمال المياه في الطهارة (الوضوء، الغسل، النظافة بشكل عام)، وبعد التأكد من أن شريعة الإسلام صالحة لكل ومكان، إذ لم تترك خيراً إلا ورغبت فيه، ولم تغفل عن شر إلا وحذرت منه، لذا وجب على أهل الاختصاص من علماء وفقهاء أن يثبتوا حضور الشريعة الإسلامية في حياة الإنسان اليومية وقضايا البشرية المعاصرة و خاصة موضوعنا المحوري، وهو الحفاظ على البيئة في شريعة الإسلام، ومساهمة الاجتهاد الإسلامي المعاصر في ذلك .

وبعد وصولي لحاتمة هذا البحث، سأختصر فيها ما تضمنته من نتائج وفوائد، كانت حصيلة لاجتهادات وقضايا كثيرة، من ذلك:

1. بعد الاطلاع على التعريفات العديدة للبيئة، واختلاف وجهات النظر فيها، تبعاً للدراسة المراد إنجازها، تبين أن أقرب معنى للبيئة: هو الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، وما يحتويه من مظاهر طبيعية، خلقها المولى جل وعلا، بحيث يكون الإنسان مؤثراً فيها ومتأثراً بها.

2. اتضح أن الاهتمام بالبيئة قديم قدم الإنسان، إلى أن أصبح في عصرنا الحالي يحظى بالصدارة في العديد من الأبحاث والدراسات وعقد العديد من الندوات والمؤتمرات التي تنبع عنها توقيع اتفاقيات ومعاهدات للحفاظ على البيئة كقضية من القضايا المعاصرة، وبموازاة مع ذلك اتضح اهتمام شريعة الإسلام وعلمائها بالبيئة ومكوناتها.

3. قررت شريعة الإسلام وجوب فرض الحجر الصحي على أهل البلد، بعد الاستشارة مع الأطباء والمختصين وتأكيدهم على إمكانية انتشار الوباء بين الناس بفعل المجاورة والاختلاط، وذلك ما تم بعد جائحة كوفيد 19 التي ضربت العالم بأسره.
4. للحفاظ على النباتات والأشجار والحد من الاستنزاف والندرة والانقراض الذي يهددها، يجوز لولي الأمر أن يضع محميات في عدة أماكن من البلد.
5. من المكونات الأساسية للبيئة نجد النباتات، ولأهميتها ولاحتياج الكثير من الأحياء لها، فقد ورد ذكر النباتات في العديد من الآيات القرآنية، إثباتاً من الحق سبحانه لمخلوقاته لما امتن به على عبده، وليبيان قدرته وحكمته سبحانه.
6. حث شريعة الإسلام وترغيبها في الغرس والزرع، وضمت لفاعل ذلك الأجر والثواب، بل واعتبر العديد من الفقهاء أن الاشتغال بالزراعة من أفضل المكاسب وأزكاها وأعظمها مثوبة، حينما تجرى على الوجه الشرعي.
7. نهت شريعة الإسلام عن تلويث المياه وتقويت منافعها واعتبرت ذلك من الفساد المنهي عنه، وحينما يزداد الفساد ويعظم ضرره، حتماً سيزداد خطر التلوث، من بين أنواع التلوث هناك بعض الاستخدامات البشرية الصناعية التي ينتج عنها مواد حمضية تسبب في تلويث الأمطار، إضافة إلى ما نعرفه في زمننا الحاضر من استخدام المصادر المائية كمجاري لتصريف النفايات والفضلات البشرية وجميع المخلفات الصناعية والزراعية.
8. نهت شريعة الإسلام عن الإسراف في استعمال الماء وحثت على وجوب الاقتصاد فيه حتى في الطهارة، وذلك للتأكيد على وجوب رعاية نعمة الماء المصدر الأساسي للحياة وأحد أهم مكونات البيئة.

9. اهتمت شريعة الإسلام بحقوق الجار، ومنعت على الجار أن يؤذي جيرانه بالدخان الملوث أو الروائح الكريهة، فإن فعل ذلك فيحق للجيران المطالبة بمنع جاره من ذلك العمل، وفي إطار المحافظة على الهواء من التلوث يجب بناء المعامل والمصانع التي يصدر منها غازات ضارة وأبخرة ملوثة بعيدة عن الأحياء السكنية، حتى لا يتأذى سكان تلك الأحياء من الروائح الكريهة والهواء الملوث، نفس الشيء ينطبق على أسواق الماشية والمسالخ وأماكن رمي المخلفات والنفايات، فهذه الأماكن و غيرها قد تكون سببا لصدور روائح كريهة و ملوثة للهواء .

10. إن الحيوانات من أهم مكونات البيئة التي تلعب دورا أساسيا في الحفاظ على التوازن البيئي، خلقها المولى جل وعلا لنفع الانسان وسخرها له لعمارة الأرض، فتواترت النصوص الشرعية التي تدعو لرعاية حقوق الحيوانات والعناية بها، بل وحرّم إلحاق الأذى بها والإساءة لها وبالمقابل وجب النفقة عليها. كما أجاز الشرع قتل بعض الحيوانات المؤذية كالقواصق الخمس والوزغ والكلب الأسود، وأكد على عدم جواز تكثير هذا النوع من الحيوانات .

11. إن المطالع لكتب الفقه الإسلامي سيدرك أن الفقه الإسلامي يمثل ثروة عظيمة، وموسوعة غنية وشاملة لمختلف مناحي الحياة، لكونه معين لا ينضب، يلجأ إليه العلماء والمجتهدون ويستمدون منه الأحكام الفقهية للقضايا المستجدة، والنوازل المعاصرة في كل مكان وزمان، وينطبق ذلك على حماية البيئة والقضايا المتعلقة بها.

12. يتضح وبالملموس شمولية الأحكام الشرعية وقدرتها على الوفاء بجميع متطلبات البشرية في كل مكان وزمان وذلك وفق تنظيم دقيق عادل ومتقن، وهذا يعتبر ردا بليغا على كل من ادعى قصور الأحكام الشرعية وعجزها عن مسايرة جميع القضايا والمستجدات المعاصرة كالحفاظ على البيئة.

13. وانطلاقاً مما سبق نخلص إلى أن الاجتهاد الإسلامي المعاصر ساهم ويساهم في إيجاد حلول للحفاظ على البيئة، لكونه يستمد مرجعيته من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وباقي مصادر التشريع الإسلامي، هذه المصادر صالحة لكل زمان ومكان، وقادرة على إيجاد حلول لجميع قضايا البشرية، إذ فقط فهمها وحسن تطبيقها. لذلك على البشرية أن تعترف بأن هذا النظام البيئي مخلوق لله تعالى وهو محكم الصنع، مسخر لمنفعة ابن آدم، وهو من نعم الخالق تعالى، يستحق من البشرية حمده والخضوع لسلطانه 0

14. لذا يجب توعية المواطنين بأن المحافظة على البيئة أمر تعبدنا الله تعالى به، وكل إضرار بهذا النظام يعد معصية وإثماً يعاقب عليها الشرع.

15. ضرورة الاهتمام بالدراسات والأبحاث المتعلقة بحماية البيئة والمحافظة عليها، وذلك في إطار شريعة الإسلام، وموازية مع ذلك على ولادة الأمور مضاعفة الاهتمام الميداني بما يحمي البيئة، إذ لا بد من تشكيل فريق عمل لمتابعة المتجاوزين لشروط المحافظة على البيئة وهو أمر ينسجم مع تعاليم ديننا الحنيف، وتكثيف الحضور الميداني يمكن تسجيل أهم الأمور الجديرة بالمتابعة والرقابة وتكريس الوعي بمدى أهمية المحافظة على البيئة.

ملحق 01: المؤتمرات والتقارير المتعلقة بالبيئة:

مع ارتفاع الكثافة السكانية على كوكب الأرض، و تزايد تطور الصناعة، و ما لذلك من آثار سلبية على البيئة بصفة عامة، تصاعدت صيحات على الصعيد العالمي تنذر بالخطر المحقق بالبيئة، ولكون مشكلة التلوث البيئي ليست محصورة في بلد أو منطقة معينة، بل يتعدى ضرر التلوث البيئي المصدر الأصلي لهذا التلوث إلى أماكن بعيدة مترامية الأطراف، بعد إدراك هذه الحقيقة، عقدت العديد من المؤتمرات لبحث المخاطر المحدقة بالبيئة، و أنشأت منظمات تعنى بالبيئة، و ساقف في هذا المطلب على أهم تلك المنظمات و المؤسسات و المؤتمرات الخاصة بالبيئة، لأقوم بحصر أهم الاتفاقيات التي صادقت عليها أهم حكومات العالم.

1- منظمات ومؤسسات مختصة بالبيئة:

- الاتحاد الدولي لصون الطبيعة (iucn) أنشئ سنة 1948 م في مدينة غلاند، سويسرا، وكان من أهم الأهداف التي يسعى لتحقيقها تشجيع وقاية الثروات الطبيعية، خاصة النوع الإحيائي منها.
- الصندوق الدولي للأحياء البرية (WWF)، ومقره في السويد، ويركز على حفظ الطبيعة وسير البيئة وتعزيز وسائل تخفيف التلوث، وسوء استغلال الثروة.
- برنامج الأغذية العالمي (WEP) يوجد مقره بروما إيطاليا.
- برنامج الأمم المتحدة للتنمية (UMED) تم إنشاؤه سنة 1965 م، كان يهدف لمساعدة الدول النامية لتمكينها من إنتاج ثرواتها الطبيعية والبشرية.
- برنامج الأمم المتحدة للتنمية (UMEP) أسس سنة 1972 م، في نيروبي بكينيا، بتوصية صادرة من الأمم المتحدة، لتشجيع التعاون الدولي خاصة فيما يتعلق بالبيئة والمحافظة عليها .
- صندوق الأغذية للأطفال الدولي (UNICEF) بنيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية.

- صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، أسس لجمع المعلومات وتقديم المساعدة للدول النامية يوجد مقره في نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية.
- مركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، يوجد مقره بنيروبي في كينيا.
- مركز التنسيق للبيئة والتنمية الدائمة (AGER).
- منظمة الأمم المتحدة لتطوير الصناعة (UNIDO)، تنحصر اهتماماتها في إدارة الطاقة والبيئة وتنمية الصناعات، كما تقدم مساعدات للدول النامية، يوجد مقرها في فيينا في النمسا.
- منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (FAO)، يوجد بها أقسام تهتم بشؤون البيئة، مقرها في روما بإيطاليا¹.

ومما يجب التنبيه له أن هذه المنظمات تتأثر بالشركات الكبرى، وتولي الاهتمام الأكبر بمشكلات الدول الغنية أكثر من الفقيرة، بل ولا تستطيع الضغط على الدول الغنية للالتزام بتنفيذ توصيات هذه المنظمات.

هناك كذلك منظمات إقليمية وعربية اهتمت بالبيئة وقضاياها منها:

- برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإغاثية (AGFUND)، تم إنشاؤه سنة 1981م يوجد مقره بالمنامة بالبحرين، يركز على التنمية المستدامة.
 - المنظمة الإقليمية لحماية البيئة البحرية، يوجد مقرها في الكويت، تهدف لحماية البيئة البحرية والساحلية.
- هذا بالإضافة إلى كل دولة أنشأت مؤسسات خاصة بالبيئة، ووزارة أو كتابة الدولة مكلفة بالبيئة.

¹ أحكام البيئة في الفقه الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 47

2 - اتفاقيات ومعاهدات حول البيئة:

بعد تأسيس هذه المنظمات والمؤسسات الخاصة بالبيئة، تجاوز عدد الاتفاقيات الموقعة حول البيئة 150 اتفاقية، دون احتساب الاتفاقيات المحلية والإقليمية، وذلك للحد من الأخطار المحدقة بالبيئة ومكوناتها، وبسبب عدم نجاح بعض تلك الاتفاقيات فقد طرأ عليها تعديل أو تطوير أو إضافة ملاحق، ومن أهم تلك الاتفاقيات:

- الاتفاقية الدولية لمنع تلوث البحار بالنفط:
- اتفاقية بشأن التحكم في نقل النفايات الخطرة، والتخلص منها عبر الحدود.
- اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة البيولوجية.
- الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي للعالم.
- اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار.
- معاهدة المبادئ المنظمة لاستكشاف واستخدام الفضاء الخارجي.
- معاهدة حظر الأسلحة النووية على قاع البحار وفي باطن الأرض.

3 - المؤتمرات العالمية المنعقدة حول البيئة:

من المؤكد أن الخطر الذي يهدد البشرية وكل مكونات البيئة، أدى إلى إنشاء عدد من المنظمات والمؤسسات المتخصصة في الحد من مشاكل البيئة، ذلك ما سيؤدي إلى عقد العديد من المؤتمرات لمناقشة قضايا البيئة المعاصرة، ومن هذه المؤتمرات:

- مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية، وقد عقد في استوكهولم سنة 1973 م، حضره ممثلون عن 113 دولة، وممثلون عن المنظمات الدولية والحكومية وغير الحكومية.
- مؤتمر الأمم المتحدة الخاص بالبيئة والتنمية، وقد عقد في مدينة ريوديجانيرو في البرازيل، عام 1992م، ويعد هذا المؤتمر أكبر تجمع دولي خاص بتدارس وضع الأرض والأخطار التي تهدد مستقبل ساكنيها، ومن القرارات والتوصيات التي توصل إليها المؤتمر، وهي إن لم تكن ملزمة لأي دولة، إلا أنها تعد خطوة أولى حول التعاون الدولي والاتفاق

المبدئي بين جميع دول العالم حول ضرورة إيجاد حلول للمشكلات البيئية، وتم التأكيد على ضرورة تعاون جميع شعوب العالم في ذلك وتساعد الدول الغنية الدول الفقيرة، في هذا المجال، و أطلق بذلك اسم قمة الأرض على هذا المؤتمر .

- مؤتمر قمة الأرض ريو + 5 ، وقد عقد بعد خمس سنوات من انعقاد قمة الأرض السابق أي في عام 1997 م، في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، و قد حضره أكثر من ستين رئيساً، وأكثر من 3000 شخصاً يمثلون 173 دولة، ومن أهم الأهداف التي ركز عليها هذا المؤتمر تدارس ما تم تطبيقه في المؤتمر السابق، و أجمع الحاضرون أن وضع البيئة أسوأ مما كان عليه قبل خمس سنوات، و لم تتخذ أية قرارات في هذا المؤتمر بفعل الضغط الأمريكي ومعارضته لأي قرار يدعو إلى خفض انبعاث الغازات ¹ .

- المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي، عقد ما بين 16 و 18 رجب 1421 هـ / 23 و 25 أكتوبر 2000 م، حضره مجموعة من الفقهاء والعلماء والمهتمين بمجال البيئة، إضافة إلى ممثلين للدول الإسلامية والمنظمات الإقليمية والدولية، و ذلك بناء على دعوة من مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمملكة العربية و السعودية، من أهم أهداف المنتدى: التأصيل الشرعي للبيئة، والتأكيد على أن قواعد وأحكام الدين الإسلامي تسعى لإسعاد الإنسان والمحافظة على صحته².

- مؤتمر مراكش بشأن الاحتباس الحراري ويعرف اختصاراً ب COP22 هو اجتماع قمة جرى عقده في مراكش خلال الفترة ما بين 7 و 18 نونبر 2016 م، ويعد هذا المؤتمر النسخة 22 من مؤتمر الأطراف COP22 حسب اتفاقية الأمم المتحدة المبدئية بشأن التغير المناخي وشاركت فيه 196 دولة³.

- مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخي 2021 م المعروف باسم COP26 هو مؤتمر الأمم المتحدة السادس والعشرون للتغير المناخي ، عقد في مدينة غلاسكو بين 31 أكتوبر و 12 نونبر 2021 م برئاسة المملكة المتحدة ، و قد ضم هذا المؤتمر اتفاقية الأمم المتحدة

¹ البيئة والتنمية ، ص 48

² برنامج المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي ، 3

³ <https://www.aljazeera.net>

الإطار بشأن التغير المناخي (UNFCCC) و الاجتماع السادس عشر للأطراف
في اتفاقية كيوتو (CMP16) و الاجتماع الثالث لأطراف اتفاقية باريس (CMA3)

1

هكذا إذن يتضح لنا بجلء أن عقلاء العالم قد أدركوا الأخطار المحدقة بالبيئة وكل
قضايا البيئة المعاصرة، نتج عن ذلك تأسيس منظمات ومؤسسات تهتم بالبيئة، وعقدت بعد
ذلك عدة مؤتمرات وندوات تناقش هذه القضايا، للبحث عن حلول لها، نتج عن ذلك عدة
توصيات وتوقيع عدة اتفاقيات، أغلبها لم يتصف بصفة الإلزامية، مما سينتج عنه الاستمرار في
سوء الوضع البيئي العالمي.

تسترشد أنشطة الأمم المتحدة في ميدان البيئة بالمؤتمرات والتقارير الرئيسية:

- مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية 1972 م
- اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية 1987 م.
- مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية 1992 م
- دورة الجمعية العامة الاستثنائية المكرسة للبيئة 1997 م
- مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة 2002 م
- مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة 2012 م

مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة البشرية 1972 م:

- أوصى قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي 1346 د45 المؤرخ في 30 / 07 / 1968م
الجمعية العامة بالنظر في عقد مؤتمر للأمم المتحدة بشأن مشكلات البيئة البشرية.
- عقد المؤتمر بموجب قرار الجمعية العامة 2398 د23 المؤرخ في 03 / 12 / 1968 م
- عقد في ستوكهولم في الفترة بين 05 و 16 / 06 / 1972 م

¹ ينظر على الشائكة <https://news.un.org.tags.cop26> بتاريخ 2022/02/13

- أدى إلى إنشاء برنامج الأمم المتحدة للبيئة.

اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية 1987 م :

- أنشأت بموجب قرار الجمعية العامة 38/161 المؤرخ في 19 / 12 / 1983

- أعدت تقريراً قدم للجمعية العامة عام 1987م

○ استند إلى دراسة استغرقت أربع سنوات.

○ أحيل بموجب الوثيقة A/42/427

○ حمل عنوان "مستقبلنا المشترك " ويعرف أيضاً باسم تقرير

بروتلاند

○ تضمن تطويراً لموضوع التنمية المستدامة.

مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية 1992 م :

- عقد بموجب قرار الجمعية العامة 44/228 المؤرخ في 20 / 12 / 1988م

- عقد في ريو دي جانيرو في الفترة ما بين 3 إلى 14 / 06 / 1992 م

- عرف وقتها باسم قمة الأرض

- أطلق عليه بعد ذلك مؤتمر ريو

- أدى إلى إنشاء لجنة التنمية المستدامة

- صدرت الوثيقة الختامية في ثلاثة مجلدات

دورة الجمعية العامة الاستثنائية المكرسة للبيئة 1997 م:

- دعت الجمعية العامة إلى عقدها في قرارها 47/190 و 51/181

- تعرف باسم قمة الأرض + 5

- دورة الجمعية العامة الاستثنائية التاسعة عشرة

- عقدت في نيويورك ما بين 23 إلى 27 / 06 / 1997 م
- مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة 2002 م :
- عقدت بموجب قرار الجمعية العامة 55/199 بتاريخ 20 / 12 / 2000 م
- تعرف أيضا باسم ريو + 10
- عقد في جوهاننسبرغ بين 26 غشت إلى 4 شتنبر 2002 م
- استعرض التقدم المحرز في تنفيذ جدول أعمال القرن 21 منذ اعتماده عام 1992 م
- مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة 2012 م :
- دعت الجمعية العامة إلى عقده في قرارها 66 / 197
- عرف باسم ريو + 20
- عقد في ريو دي جانيرو ما بين 20 إلى 22 يونيو 2012م

الملحق الثاني: عناية علماء الصحراء المغربية بالبيئة:

زرت العديد من المدارس العتيقة وفقهاء أهل الصحراء المغربية، بحثا عن ضالتي،
لعلي أجد فتاوى أو كتابات أو مصنفات تتحدث عن حماية البيئة عند علماء الصحراء المغربية،
إلا أنني لم أتمكن من الوقوف سوى على قصيدتين تتحدثان عن العناية بالبيئة والمحافظة عليها،
سأحاول أن أنقل القصيدتين وأقوم بتحليل كل قصيدة على حدى.

1-العناية بالبيئة واجب شرعي:

بعد التعريف بنفسه، أكد الشيخ أعمار على ضرورة العناية بالبيئة، ثم حدد مكونات
البيئة، وضرورة فهم المعنى الحقيقي لتسخير الكون للإنسان و اختياره ليكون خليفة له، مع
التأكيد على أهمية العناية بالبيئة، وفي مقابل ذلك نهى عن الفساد في الأرض و دعا للإصلاح،
امتثالا لأمر الخالق، كما ربط بين استخلاف الانسان و عمارته للأرض، واعتبر ذلك عبادة
يتقرب بها الانسان لربه، ثم يؤكد كذلك أن شريعة الإسلام لها السبق في سن شرائع لحماية
البيئة، إذ حرم الفساد بكل أشكاله و أصنافه مثل حرق الأشجار و البول في الماء الراكد

يقول مضطرا لرحمة العلي *** أعمار¹راج عفو ربه الولي
ابن محمد الأمين الجكاني *** في شأن بيته بها قد نعتني
الحمد لله الذي السما خلق *** وخلق الأرض وللكون فلق
وخلق الانسان ثم اختاره *** خليفة أنعم بها بشاره
وخلق الخلق له وسخره *** وبالعناية به قد أمره
نشهد أن الله لا شريك له *** كلا ولا ند ولا مثيل له
أرسل خير المرسلين أحمدا *** لنا بدين واضح تجددا
هذا وإن الله قد أوصانا *** بالاعتناء بيته لإيقانا
أي أنه نهى عن الإفساد *** أمر بالصلاح والسداد
أنشأنا من الثرى واستعمرا *** أجيالنا فيها لكي تستغفرا
واستخلف البشر فيها وأمر *** كلا بتعمير لها ولا مفر
لنا فإن الأمر بالعبادة *** جاء مع الطلب بالعمارة
وهو معنى كوننا مستخلفين *** أي مصلحين لم نكن بالمفسدين
وهيأ الله لنا الأسبابا *** وبين القانون لا اضطرابا
ليضمن استقامة الأحوال *** في عاجل وآجل والحال
فألله سخر لنا البحر كما *** سخر ما في الكون كلا فاعلما
ما في السماوات وما في الأرض *** جميعها في طولها والعرض
فلينظر الانسان قال جل الله *** إلى طعامه على الأمر تدل
جل

¹ الشيخ أعمار بن محمد الأمين الجكاني ، شيخ محاضرة محمد الأمين الجكاني ، من شيوخ قبيلة تجمكانت ، المعروف بعلمه وورعه ، و قدرته على نظم قصيدة تضم العديد من الآيات في وقت وجيز ، تتلمذ على يد والده الشيخ محمد الأمين الجكاني رحمه الله و الشيخ ودبعة الله الكتناوي مؤسس محاضرة قصر البركة بضواحي اقا طاطا ، يدير الآن محاضرة لتعليم العلوم الشرعية باب الصحراء ، وادنون كلمهم .

أي أمر الاكتشاف للقانون *** مع اختراع جملة الشؤون
 بما به لإصلاح الأرض و العما *** رة لها و ذاك أمر علما
 وقول مولانا لنا لا تفسدوا *** في الأرض برهان أتى يؤكد
 بأننا نحن لنا السبق على *** الأمم الأخرى ذاك أمر انجلا
 الإصلاح معنى شامل لكلما *** به تحضر البرية اعلمنا
 وعكسه الفساد وهو هدر ما *** فيها من الخيرات كلا فافهمنا
 وذلك الله له قد حرما *** وشدد التحريم فيه فاجزما
 فحرم النبي حرق الشجر *** وقطعه بغير حق مسفر
 والبول في الماء الذي قد ركدا *** حرمة خيرا للأنام فاعددا
 وقتلنا للطير أو الحيوان *** دون احتياج فحرام ذا استبان
 في البر والبحر الفساد قد ظهر *** وذاك تخريب مناخ مستقر
 إن المناخ وكذا البيئة في *** أعناقنا أمانة لا تخفني
 وحفظنا عليها يحفظنا *** في كوكب الأرض وذا تبينا
 والمصطفى خير الأنام أكدا *** على العناية ببيئة مدى
 حياتنا وقد نهى عن اللعب *** بالكائن الحي وذا الأمر وجب
 فكلما يضر بالحياة في *** كوكبنا عنه نهى الله اعرف
 فالمصطفى بالصاع حقا اعتسل *** نعم وبالمدة توضحاً فاعتدل
 والمد حفنة وصاع أربع *** من حفات الماء فاسمعوا و عوا
 فالماء ثروة عظيمة ولا *** يعرف قدرها سوى الله علا
 فالله طيب تعالى وهو لا *** يحب إلا طيبا وذا انجلا
 وهو نظيف والنظافة أحب *** فالطيب والتنظيف بالشرع وجب

يضع وسبعون اعلمن شعب *** الإيمان أعلاها الذي يحب
 كلمة الهيلة المشـرفه *** الأدنى إمطة الأذى فلتعرفه
 ثم الحياء شعبة من شعبه *** وهو من أعظمها فلتنتبه
 والزرع والغرس به خير الورى *** أمرنا نعم و وصى لا أمتر
 وذاك من أقوى وجوه الاعتناء *** بيئة وبالمناخ فافطنا
 وبالبيئة التي علينا يجب *** بها اعتناؤنا نعم ويندب
 تشمل الأرض والفضا والأنهار *** ثم النبات والهوا والأشجار
 والزرع والبحار أي والحيوان *** ثم الطيور كل ذا شرعا يسان
 والله قد أمر بالتعمير *** حقا وقد نهى عن التدمير
 نعم وقد أمر بالبناء *** ناه عن الهدم بلا استثناء
 أمر بالغرس والتشجير *** نهى عن الإسراف والتبذير
 والمقدرات ربنا أمر *** أن نحفظ الكل من أرض وبشر
 وقصة الهرة في النار بها *** دخل من قام بتعذيب لها
 ودخلت في جنة من قد سقت *** كلبا لأجل عطش به ثبت
 محي أموات الأرض أجره كبير *** بالغرس والزرع فضله كبير
 فاعل ذلك أجره لا يحصر *** بالأكل منه من أتاه يؤجر
 كل بهيمة وطير أكلا *** منه وانسان به الأجر علا
 فكلما عافية قد تاكل *** فذاك قل صدقة لا تجهل
 والله قد مكننا في الأرض *** وجعل المعاش فيها المرضى
 ومقتضى التمكين أن يفرح به *** ويحسن استثماره فلتنتبه
 لا تفسدوا في الأرض قال الله جل *** لا تعتدوا قد قالها الله أجل
 وذاك معناه وجوب حافظا *** لبيئة فذاك أفضل لنا

معنى الفساد شامل فيه العبث ***
 وعبث أي بالطبيعة نعم ***
 وقوله جل الفساد قد ظهر ***
 أي هو إفساد الطبيعة التي ***
 وحاصل القول فاعلي مقصد ***
 إصلاح الانسان وما سخر له ***
 فالله ما حرم إلا ما يضر ***
 والذين كله على الإصلاح ***
 فالخر قد حرمها الله الما ***
 ثم الزنا حرمه الله لما ***
 والكفر كله إلى الإفساد ***
 لأن ذا الكفر لا يفيد ***
 ينير ذهنه بكل خير ***
 لذاك لم تقده إلا شهوته ***
 وصاحب الدين دليله كتاب ***
 وأغلب العبث بالطبيعة ***
 وعبث الانسان بالطبيعة ***
 لذاك فالواجب للإنسان ***
 أن يحفظ البيئة والطبيعة ***
 فقد رأينا ما بدا في الأوزون ***
 إذ صار صيفنا شتاء أو انقلاب ***
 و عمنا التصحر الكبير ***
 بجمله المناخ إذ لا تكثر ***
 وبيئة فكل ذلك حرم ***
 في البر والبحر المراد معتبر ***
 من حولنا بعبث مشئت ***
 لديننا بأسره فاجتهد ***
 وحفظ كلياته فالكل له ***
 وما أحل غير ذي نفع ظهر ***
 يقوم لا الإفساد باتضاح ***
 فيها من الضرر باد فاعلما ***
 فيه من الضرر باد فاعلما ***
 في الأرض يدعو دونما ارتداد ***
 بأي نص إن ققاه يرشد ***
 نعم ويبعد جميع الضرر ***
 ولو بها قطعاً بدت مضرته ***
 رب الورى وسنة بلا ارتياب ***
 جاء من أهل الكفر دون مرية ***
 مفض إلى الخراب دون مرية ***
 المسلم المملوء بالإيمان ***
 مما يعد فعله شنيعة ***
 في ثقبه من البلاء المخزون ***
 شتاؤنا صيفا بحال مضطرب ***
 وهو والله لنا ميير ***

وانعدم الماء نعم وجفا ***	وغاصت العيون ذا لا يخفى
وصار مليار من الأنعام ***	من تحت سقف الفقر في انتظام
لولا تغير المناخ ما وقع ***	ذاك لهم وعنهم الفقر اندفع
وجفت الوديان والأنهار ***	وماتت الزروع والأشجار
وزحفت على الجليد الصحرا ***	فصيرت فضاء مغبرا
كم حيوان فاخر اقرضا ***	من فوق ظهر الأرض لما مرضا
بسبب التغير الذي أصاب ***	مناخنا بيدنا بلا ارتياب
لذلك واجب جميع المسلمين ***	الإصلاح في الأرض وذا أمر مبين
وعدم العبث بالمقدرات ***	فذاك كله حرام يا ثقافة
وأن يحافظوا على سلامة ***	يبتئهم من علة وآفة
فإن ذاك أمر رب العزة ***	يجب أن يطاع دون مريّة
وأمر خير المرسلين أحدا ***	صلى عليه الله ما شاد شدا
وأمر كل المصلحين المؤمنين ***	بوحدة الكوكب ذا أمر
	مبين
ووحدة المصير للإنسان ***	وكوكب الأرض مدى الأزمان
لنا نهيب بجميع المسلمين ***	أن يقلعوا عن الفساد
	المستئين
صلى إلّنا على خير الورى ***	وإله الشم الهداة الكبرا
وزوجه وصحبه والتابعين ***	آثارهم من سابق واللاحقين

نظم شريعة الأرض في مجال القضاء: نماذج من شعر سيدي محمد الكصري¹

يعتبر التراث الحساني مرآة لإنتاج صحراوي أرخ لمحات بارزة، وجوانب مهمة من حياة الإنسان الصحراوي، ذلك الإنسان البدوي الذي بات يستظل بساء الصحراء وتقله أرضها الشاسعة بعيدا عن كل تحديد جغرافي، وأسوار مدينة عاتية تقيد الحرية وبعد النزر، فالذاكرة الحسانية الشعبية فكرة وثقافة أنتجت البيئة الصحراوية بمختلف تلاوينها.

وعليه فهذه الذاكرة الحسانية الشعبية حبل بالكثير من الأنواع الأدبية والأخلاقية المترابطة ارتباطا عضويا بحياة الصحراويين - مجتمع البيضان² - والمعبرة عن وجدانهم وأحاسيسهم وتوجيهاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

ورغبة مني في الكشف عن روعة وثناء هذا التراث، ارتأيت ان أنبش في أحد مكوناته، وهو الشعر الحساني من خلال استعراض أهم الأبعاد والمجالات الدينية التي أبدع فيها شعراء هذا المجتمع العربي بأصالته الإسلامية، ووعيا بكل هذه الأمور و من أجل لفت الانتباه وتحريك الهمم النقدية والثقافية، وبالتالي معالجة بعض جوانب هذا الزخم الكبير من التراث الحساني الذي من شأنه معرفة مقومات هذا المجتمع، وأم العلاقات التي تضبط تماسكه الاجتماعي، ومن شأنه أيضا نيل استفادة منه، باعتباره مجالا حيويا له ارتباط وثيق بالحياة اليومية للسكان.

ولذلك فمسؤولية النهوض بهذا التراث الثقافي والحضاري تطرح على كاهل كل منا بذل الجهد لإبعاد الاستلاب الذي يسهل به مخطط التغريب والمحق الثقافي الراعي إلى طمس معالم الأصالة والهوية والتراث.

¹ سيدي محمد ولد الكصري وهو شاعر وأديب وفقى من أولاد سيدي حبيبل، أحد بطون قبيلة كنتة، ولد حوالي سنة 1852م، في منطقة بوتلميت بولاية اترارزه، لأبيه باب أحمد بن الشيخ بن المختار، ولأمه الشريفة فاطمة بنت سيدي محمد الشريف، والمختار جده هو الملقب الكصري (نسبة إلى كصر البركة) الموطن الأصلي لهذه الأسرة.

² الكنتي الكتناوي، بحث لنيل الإجازة: "البعد الديني في الشعر الحساني" ص 3

والغاية المثلّي والهدف النبيل هو ربط الفرع بالأصل، واستغلال هذا الانتاج الأصيل في معركة التغيير الهادف إلى بناء مجتمع متحرر ذي ثقافة أصيلة ومحافظة بموازاة مع انسجامه مع التطور المعاصر الذي تفرضه العولمة.

تلقى ولد الكصري تعليمه الأولي (مبادئ النحو والعربية والفقه) على يد والده باب احمد ولد الشيخ، ثم اتصل بالعلامة بابا ولد الشيخ سيديا فأخذ عنه قسطا وافرا من العلوم التي كانت تزخر بها محظرة العلامة باب.

عاش ولد الكصري - رحمه الله - فترة من عمره في الحل والترحال بين بوتلميت حيث أشياخه الذين أحبهم وتعلق بهم، وبين تكانت حيث أهله الذين أحبهم أيضا واعتز باتمائه إليهم، إلى أن استقر في تكانت بداية القرن الماضي، إلا أنه مع ذلك ظل وفيا لمنطقة الكبله وأشياخه هناك؛ حيث ظل على صلة وثيقة بأشياخه، وكان ولد الكصري سيدا قائدا، وحكما حاذقا، وقد ظهرت عليه أمارات ذلك وهو لا يزال حديث السن، حيث نبغ في مجال الأدب الحساني فاحتل مرتبة متقدمة في مصاف كبار الأدباء بحكم قدرته وتمكنه في هذا المجال؛ حيث كان شعره متماسكا لا تكلف فيه ولا تنافر.

لم يؤثر عن صاحبنا شعر عربي فصيح، رغم معرفته الواسعة باللغة العربية وعلومها وآدابها، ولعل مرد ذلك إلى أنه رأى التعبير في الأدب الحساني أكثر جدوائية ووضوحا منه في الفصيح، حيث أن الأغلبية لم يرزقها الله بنصيب من الثقافة العامة، فهي تفهم الحسانية أكثر مما تفهم الفصحى، فنظم بشعر الحسانية الكثير من المسائل خاصة تلك المسائل التي لم تحظ بالعناية الكافية من طرف نظام الفصحى، مثل منظومته الحسانية حول أحكام الأرض والتي تعتبر عند أهل الاختصاص من أهم مكونات البيئة، و بالحفاظ عليها و تجنب الإفساد فيها يتم الحفاظ على البيئة و على الانسان خليفة الله في الأرض، حيث يقول فيها:

شَرِيعَةُ الْأَرْضِ أَرَاغِيهَ ***** نَنْظُمُهُ لَلِّي يَنْبَغِيهَ
أُنْعَزِرُكَ الْكَائِلُ فِيهِ ***** عَزُّو أَصْحِيحْ أَمِنْ أَكْلَامِ اللَّهِ
أُكْوِلُ أَمِيهِ؛ أَلَا تُخْلِيهِ ***** مَنْ كَوَّلَ الْعِلْمَ؛ مَا نَسَاهُ
وَالْعَوَايِدُ نَعْمَلُ بِهِهَ ***** ذَاكَ أَمْرُ الشَّرِيعَةِ تَرْعَاهُ

يقول فيها أن حكم تملك الأرض وما له علاقة بذلك هاهو سأنظمه لمن يرغب في

معرفته.

وأعزي ما قلت فيها عزوا صحيحا لما ورد في كلام الله عز وجل.
وكذلك أعزو إلى قول نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا أستثني من هذا العزو أقوال
العلماء في هذا الشأن، وكذا آخذ وأعمل بالعرف والعادات، لأن الشريعة تراعيها في مثل هذه
القضايا.

هي الأرض أجعلها كسّام ***** الأزراق الخلق؛ مَعطى عام
كَلَّ أَلْهَمَ عَنْ بَاطِ أَخْرَام ***** حَدَّ يَخْصُصُ نَفْسَ بِيَه
كَسَمَهَا رَسُولُ تَكْسَام ***** أَمَكَلَّ لَكَلَامِ أَعْلِيَه
مَنْ حَدَّ أَمَحَرَّصَ فَالْتَكْسَام ***** لَطَرِيكَ اللهُ أَرْضِيَه
كَلَّ أَنْ أَثْرَابَ أَخْلَكَ لَكَلَام ***** فَأَخْبَرَهَا: لَلَّ حَايِيَه
وَاللَّ مَاتَتْ كَدَّ اللَّ كَام ***** وَأَخَرَّ يَمْلِكُهُ يَخِيَه
وَأَتَمَّ إِدَاوَلَهَا الْإِيَام ***** مَنْ حَدَّ أَلَحْدُ إِحْلِيَه

فالأرض أعطاها الله قاسم الأزراق لخلق عطيّة عامة، وأنه لا يليق اختصاص شخص
بها دون وجه حق، فقد قسمها الرسول صلى الله عليه وسلم، تقسيما واضحا مختصرا. لمن أراد
مراعاة طريق الله فيها ومرضاته، وأن أي أرض وقع فيها تنازع وكثر الكلام حولها؛ فإن تملكها
لمن أحيها.

وإذا ترك وهجرت الأرض حتى ماتت¹ - أي اختفت معالم إحيائها - فمن أراد تملكها
وجب عليه إحيائها. وهكذا تتداول بين الأشخاص يوما بعد يوم، يتركها بعضهم للبعض الآخر.

أُحْكَمُ أَكْبِيلَ فَتَرَابُ أَعَاث ***** أَعْلِيَه تَنْصَافُ اللَّبَاسَات
تُسَمَّى بِيَه كَانِ أَثَلَات ***** النَّاسُ أَبْحَدُ أَتَسَوِيَه
عَنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُسَاوَات ***** فِيَه وَالْعُرْفُ أَمْسَاوِيَه
فِيَه وَالْمَسْلَ بِالتَّبَات ***** جَمْعُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَمَهِّيَه

¹ أي اختفت معالم إحيائها

مَا دَارَ لِلشَّيْخِ الْقُصَاةِ ***** أَلَا لَكُثُوبٌ أَخْرِجَ فِيهِ
وحكم قبيلة استوطنت أرضاً ردحا من الزمان تركها فيها الآباء والأجداد، وأصبحت
تسمى بها عند مَنْ يعرفها من الناس، فإنها بذلك تنسب لها أصالة وبلا منازع. فهي أضحت
ملكها وتتصرف فيها.

ويقول أهل العلم وما جرى به العرف أن ملكية هذه الأرض مشاعة لمن ينتسب لهذه
القبيلة من كان يسكنها، والمسألة محسومة عندهم في هذا الباب. فلا يوجد في فتاوى القضاة
ولا في كتب الفقهاء ما يخالف هذا الحكم.

أَكْأَلُوا عَنْ حَكْمِ أَمْنَادَمْ زَادَ ***** أَدْعَى خُصُوصَ أَفْلَإَدَ
عَنْ غَوْمٍ؛ وَاللَّ مِنْ الْأَجْدَادِ ***** خُصُوصِي مَدْعِيهِ
مَا يَثْبُتُ لَوْ بِشِ دُونَ أَشْهَادٍ ***** أَعْدُولُ إِخْصُوهُ أَجْبِيَهُ
مَنْ الْأَفْعَالِ أَتَجَرَّ التَّفَرَادُ ***** بِالْمَلِكِ أَحَدَ أَمْوَاسِيَهُ
كَيْفَ أَرْضَ أَخْيَاةِ وَاللَّ زَادَ ***** مَاهُ حَايِيهِ؛ شَارِيَهُ
مَنْ مَالِكِ صَحِيحٍ، أَسْوَعَاذُ ***** بَايَعُهَا وَأَسْوَعَاطِيهِ
غَيْرَ إِلَّا أَنْ شَيْخَ الْبِلَادِ ***** تَمْلِكُهَا دُونَ أَهَالِيهِ
هَذِي حُجَّةٌ بَاطِلٌ مَا كَاذُ ***** قَاضِي الْإِسْلَامِ إِمَصِيهِ
أَلَا يَجْبِرُهُ زَادَ التَّلَوَاذُ ***** فَكُثُوبُ الْعِلْمِ أَرَاغِيهِ

وقالوا أن حكم من ادعى اختصاصه بملكية أرض دون قومه؛ وحتى لو كان من
أسلاف القوم وأجدادهم، لا تثبت دعواه إلا بإشهاد عدول على وجه من أوجه التفرد بملكيتها له
بناء على حجة ثابتة، كإحيائه لها، أو شرائها من صحت ملكيته لها ببيع أو عطية.

أما أن يدعي شيخ أو زعيم أو وجيه أسبقيته في تملك أرض دون غيره، بناء على
مكانته الاعتبارية أو نفوذه أو سلطته؛ فهذه حجة باطلة، ولا يستطيع أي قاضٍ مسلم إمضاءها
والحكم بها. كما أنها - الحجة الباطلة - لن يهتدى لها بالبحث المكثف في كتب العلم الموجودة،
لأنها لا تصح إطلاقاً.

وَأَحْذَرُ يَلِّلُ خَاثَرُ نَجَاةٍ ***** نَفْسُكَ فَآخَرَتُكَ مَنْ تَصْنَعُ

الْحَدِّ إِنْ كُنْ أَمَّا الْمَوَاتُ **** مَا يَحْلِي بَلَدَ حَايِيَّةِ
 حَدِّ أَفْذَاكَ الدَّهْرُ أَلَّا فَاتُ، **** عَنْ حَدِّ أَتَحَمُّمَ يَحْيِيَّةِ
 مَا وَارِثُ ذَلِكَ أَلَّا مَاثُ **** إِنْ عُوذُ أَلَّا مَتَعَدِّيَّةِ
 هَذَا مَا حَكَّ أَلَّا جَاثُ **** بِبِيَةِ الشَّرِيعِ مَنْ جِيَّةِ
 واحذر يا من تريد نجاة نفسك في الآخرة من تصديق من يقول أن الموات لا يسلب
 ملكية أرض أحيائها أحد في زمن مضى وبعد.

وأن من أراد إحياءها لاحقاً، وهو ليس من ورثة الذي أحيائها سابقاً - وماتت بعده
 وهجرت - يُعتبر هذا القادم معتدٍ عليها، فهذا الرأي لا يصح ولم تأت به الشريعة الإسلامية. بل
 العكس فالأرض تُملك بالإحياء وتسلب بالموات - بشروط لا يتسع المقام لذكرها.
 غَيْرَ أَصْ بَلَدَهُ لَهَا **** خَصْمُ أَمْعَ أَلَّا كُطُ أَحْيَاهَا
 وَأَخْتَصَمُوا سَابِكُ يَغْشَاهَا **** لَخَصِمُ أَبْشَعَالَهُ تَحْيِيَّةِ
 ذِيكَ أَصْ زَادَ الْمُؤَلَاهَا **** قَطْعًا يَغْطِيهِ قَاضِيَّةِ
 غير أنه لو جاء شخص لأرض موات يريد لها، فتنازع مع من أحيائها سابقاً وتركها، فهي
 قطعاً للأول الذي أحيائها يُقضى له بملكيتها. ما لم يكن الآخر القادم قد أحيائها فعلاً.

غَيْرَ أَصْ كَاغَ أَبْلَدُ تَبْغِيَّةِ **** مَا يَحْلِيهِ الْمَوَاتُ أَشْرِيَّةِ
 وَاللَّ وَرَثُ لَكَ مَنْ شَارِيَّةِ **** الْأَرْضُ الشَّرَائِي إِهْيِيَّةِ
 وَأَعْمَالُ يَأْلَمَالُكَ شَبِيَّةِ **** عِنْدَكَ مَقْبُولُ وَاسِيَّةِ
 وأما أوثق طرق منع سلب الأرض الموات فهي شراؤها، أو إرثها من إشتراها، لأن
 الشراء يضمن ملكيتها.

بلسان صحراوي أصيل، حاول هذا الفقيه أن يتحدث عن البيئة وفق النقاط التالية:

- التأكيد على ضرورة الاهتمام بالأرض ورعايتها، في إطار رعاية عنصر أساسي من عناصر البيئة.
- التأكيد على أن إحياء الأرض وعمارتها ضرورة أساسية لاستمرار الحياة على الأرض.

■ التحذير من آفات الفساد في الأرض.

ويختتم شاعرنا وفقهنا طلعتة بدعاء الله تعالى أن يجعل أعماله مقبولة عنده في سجل حسناته.

شريعة الأرض أراعيها ***	نظمها اللي يبغيها
أو نعزي كد الكايل فيها ***	عزو اصحيح امن اكلام الله
أو كول انبيه أولا نخللها ***	من كول العلم ما ننساه
و العوايد نعمل بيها ***	ذاك أمر الشريعة ترعاه
هي الأرض اجعلها كسام ***	الارزاق الخلقو معطى عام
كال اهم لكم عاد احرام ***	حد ايخص نفسو بيه
كسمها رسول تكسام ***	امكل الكـلام اعليه
من حد مخرص فالتسكام ***	لطريك الله أو راضيه
كال ان اتراب اخلك لكلام ***	فاخبرها : اللي حاويه
و الى ماتت كد اللي كام ***	و اختر يملكه يحويه
و اتم اداولها الأيام ***	من حد الحد ايخليه
او حكم أكيلة فاتراب او عات ***	اعليه تنضاف ال لبات
او تسمى بيها كان اتهامات ***	الناس ابجد اتسميه
عند أهل العلم المساوات ***	فيها و العرف امساويه
فيه و المسله بالثبات ***	جمع أهل العلم امهنيه
ما داروا للشيخ القضاة ***	او لا الكذوب اخريجه فيه
او كالم عن حكم امنادم زاد ***	ادعى خصوص افلبلاذ
عن كومتو و الل من لجداد ***	خصوصيه مدعيه
ما يثبت لو شي دون اشهاد ***	عدول ايخصوه ايحيه

من الأفعال اتجر التفراد *** بالملك حد مواسيه
 كيف أرض اخياه و الل زاد *** ماه حاويه شاريه
 من مالك اسو عاد *** بايها و اسو عاطيه
 غير الا أن شيخ أو لبلاد *** نملكها دون أهاليه
 هاذي حجة باطل ما كاد *** قاضي الإسلام ايمضيه
 أو لا يجبره زاد التلواد *** فاكثوب العلم راعيه
 و اخذر يللي خاثر نجاه *** نفسك فاخرتك من تصنات
 الحد ايكول أن الموات *** ما يجلي بلده حاويه
 حد فذك الدهر الى فات *** او عن اتخمم يجييه
 ماه وارث ذاك الى مات *** ايعود الا متعديه
 هاذ ماهو حك أولا جات *** ييه الشريعة من جيه
 غير اص بلده لي جاها *** خصم امع الي حياها
 و اختصمو سابك يغشاها *** لخصم ابشغله تحييه
 ذيك اص زاد لمولانا *** يعطيه قاضيه
 غير اص كاع ابلد تبقيه *** ما يحلليه الموات اشريه
 و الل ورثوك من شاريه *** الأرض الشراي اهنيا
 و اعماله يا مالك الشية *** عندك مقبولة واسيها

فهرس المصادر و المراجع:

- ✍ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع ✍
✍ الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط 4، 1430 / 1997.
- ✍ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774 هـ) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، الطبعة الأولى - 1419 هـ، الناشر دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، المحقق: محمد حسين شمس الدين ✍ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000م، الناشر: مؤسسة الرسالة، المحقق: الدكتور أحمد محمد شاكر ✍ الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 - 261 هـ) ، صحيح مسلم، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ✍ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (المتوفى سنة 256 هـ) ، صحيح البخاري، الطبعة الأولى 1422 هـ ، الناشر : دار طرق النجاة ، المحقق : محمد زهير الناصر .
- ✍ ابن بطلال، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم (الرياض: مكتبة الرشد، ط 2، 1423هـ/2003 م ✍ ابن حبان ، محمد بن حبان البستي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق وتخرىج شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 8 1988 م . الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ✍ رضا رشيد ، تفسير المنار، دار الكتب العلمية ، بيروت ط 2 ، 1426هـ 2005م/

- ✍ الطبري ، أبو جعفر ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 1420 هـ / 2000 م
- ✍ القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ / 2003 م
- ✍ ابن حنبل ، أحمد بن محمد بن حنبل ، المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد و آخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1421 هـ / 2001 م .
- ✍ ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ، تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير و التنوير) ، تونس ، الدار التونسية ، ط 1984 م .
- ✍ ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد و آخرون ، دار الرسالة العالمية ، ط 1 ، 1430 هـ / 2009 م .
- ✍ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ط 3 ، 141 هـ
- ✍ أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، سنن أبي داود ، تحقيق شعيب الأرنؤوط محمد كامل قره بللي ، دار الرسالة العالمية ، ط 1 ، 1430 هـ / 2009 م .
- ✍ آل سعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، بهجة قلوب الأبرار و قرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخيار ، تحقيق عبد الكريم بن رسمي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1422 هـ / 2002 م .
- ✍ الألباني ، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح ، صحيح الجامع الصغير و زياداته .
- ✍ البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه و سلم و سننه و أيامه ، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ط 1 1422 هـ .

- الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، الجامع الكبير (سنن الترمذي) تحقيق بشار عواد معروف ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1998 م
- الحاكم ، محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1411 هـ / 1990 م .
- المحموي ، ياقوت بن عبد الله المحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ط 2 ، 1995 .
- الزرقاني ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ، شرح الزرقاني على موطأ مالك ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 1424 هـ / 2003 م .
- السكري ، علي علي ، البيئة من منظور إسلامي ، الإسكندرية ، منشأة معارف .
- الشحات ، إبراهيم محمد منصور ، البيئة في الإسلام ، دار النهضة العربية
- عبد الحليم ، ابتسام ، الطب الوقائي ، مقال منشور بمجلة منبر الإسلام سنة 1396 هـ .
- عبد المقصود ، زين الدين ، البيئة و الانسان علاقات و مشكلات ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ط 1 ، 1401 هـ / 1981 م .
- العسقلاني ، أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم كنبه و أبوابه و أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار المعرفة ، ط . 1379 هـ .
- عطية ضياء الدين محمد ، مواجهة الإسلام للتحديات المتصلة بالبيئة ، رابطة الجامعات الإسلامية .
- عياض ، ابن موسى بن عياض اليحصبي ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، المكتبة العتيقة و دار التراث .

- ✍ العيني ، محمود بن أحمد بن موسى ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- ✍ القاري، الملا علي بن سلطان ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، بيروت، دار الفكر، ط 1 ، 1422 هـ / 2002 م .
- ✍ القرضاوي ، يوسف ، دور القيم و الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ، مكتبة وهبة ، ط 1 ، 1415 هـ / 1995 م .
- ✍ مالك، بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي ، الموطأ ، برواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية ، ط 2 .
- ✍ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى ، احمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة .
- ✍ مرسي ، محمد ، الإسلام و البيئة ، الرياض ، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، 1420 هـ / 1999 م
- ✍ مسلم بن الحجاج ابن الحسن القشيري ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- ✍ النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي ، سنن النسائي ، بشرح السيوطي و حاشية السندي ، ضبط و تحقيق و ترقيم عبد الوارث محمد علي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1416 هـ / 1995 م .
- ✍ المقدسي ، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد ، الأحاديث المختارة دراسة و تحقيق أ . د . عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، بيروت دار حضر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 3 ، 1420 هـ / 2000 م .
- ✍ المانوي ، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط 1 ، 1356 هـ .

- ✍ النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط 2 ، 1392 هـ .
- ✍ الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد و منبع الفوائد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1408 هـ / 1988 م .
- ✍ الهيثمي ، علي بن أبي بكر ، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ، تحقيق حسين سليم أسد الدارني و عبده علي الكوشك ، دمشق دار الثقافة العربية ، ط 1 ، 141 هـ / 1990 م .
- ✍ ابن قيم ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، بيروت ، دار الفكر للطباعة و النشر .
- ✍ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي السلامة ، دار طيبة ، ط 1 ، 1412 هـ .
- ✍ ابن ماجه ، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ، السنن ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية ، 1419 هـ .
- ✍ أرناؤوط ، محمد السيد ، التلوث البيئي و أثره على صحة الانسان ، القاهرة مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ✍ الألباني ، محمد ناصر الدين ، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، السعودية ، مكتبة الدليل ، ط 3 ، 1417 هـ / 1996 م .
- ✍ الألباني ، محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الرياض ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، 1415 هـ .
- ✍ الألوسي ، محمود شهاب الدين الحسيني الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
- ✍ البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، الصحيح المسند ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية .

- ✍ الحمد ، رشيد ، و صباريني محمد سعيد ، البيئة ومشكلاتها ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1979 م .
- ✍ الجصاص ، أبوبكر أحمد بن علي الرازي ، أحكام القرآن ، بيروت ، دار الكتاب العربي.
- ✍ الحضير ، محمد أحمد ، القيم البيئية من منظور إسلامي ، مجلة الزرقاء للبحوث الإسلامية مجلد 9 عدد 2 ، ص 7190 ، 2009 م .
- ✍ الدغيثر ، عبد العزيز بن سعيد ، الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي ، الرياض ، كتيب المجلة العربية ، العدد 103 ، ط 6 ، 1426 هـ .
- ✍ رشوان ، د. محمد أحمد ، تلوث البيئة وكيف عالجها الإسلام ، الرياض مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط 1 ، 1414 هـ .
- ✍ السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية ، 1408 هـ .
- ✍ الشوكاني ، محمد بن علي ، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- ✍ الشوكاني ، محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، مصر ، شركة و مطبعة الحلبي .
- ✍ الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق د . عبد الله التركي ، القاهرة ، دار هجر ، ط 1 ، 1422 هـ .
- ✍ عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، استانبول ، تركيا ، المكتبة الإسلامية ، 1982 م .
- ✍ عبد اللطيف ، خالد محمود عبد اللطيف ، البيئة و التلوث من منظور إسلامي القاهرة ، دار الصحوة للنشر ، 1413 هـ
- ✍ عكام ، د . محمود عكام ، البيئة في منظور القرآن الكريم و السنة النبوية ، بحث منشور على الإنترنت في موقعه الشخصي .

- ✍ غانم ، د . حسين مصطفى ، الإسلام و حماية البيئة من التلوث ، مكة المكرمة ، مطبوعات جامعة أم القرى ، 1417 هـ .
- ✍ الفقي ، محمد عبد القادر الفقي ، البيئة ، مشاكلها وقضاياها و حمايتها من التلوث ، رؤية إسلامية ، القاهرة ، مكتبة ابن سينا .
- ✍ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط 1 ، 1412 هـ
- ✍ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، تصحيح أحمد البردوني ، بيروت ، دار الفكر للطباعة و النشر .
- ✍ مجموعة من العلماء ، د . إبراهيم أنيس وعدد من العلماء ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، ط 2 ، 1392 هـ .
- ✍ مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، الصحيح المسند ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية .
- ✍ المومني طلال محمد ، حماية البيئة من منظور إسلامي ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، مجلد 2 ، عدد 3 ، 1427 هـ .
- ✍ ابن حجر ، أحمد العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ط 1 ، 1407 هـ / 1992 م .
- ✍ البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ، تحقيق سمير الزهيري ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط 1 ، 1419 هـ ، 1988 م .
- ✍ الشوكاني ، محمد بن علي ، نيل الأوطار ، بيروت ، دار الجيل ، 1313 هـ / 1973 م .
- ✍ الفقي ، محمد بن عبد القادر ، البيئة ، مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث ، رؤية إسلامية ، القاهرة ، مكتبة ابن سينا ، 1993 م .
- ✍ الفقي ، محمد عبد القادر ، العمارة الإسلامية والبيئة للمهندس .

- مرسي، محمد، **الإسلام والبيئة**، مطبوعات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، 1420 هـ / 1999 م.
- النووي، يحيى بن شرف الدين، **شرح النووي على صحيح مسلم**، مكتبة الرياض الحديثة، دار الفكر للنشر والتوزيع 1400 هـ / 1990 م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، **الكافي في فقه أهل المدينة**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987 م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، **المحرر الوجيز**، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001 م.
- ابن فرحون، إبراهيم برهان الدين، **درة الفواص في محاضرة الخواص**، تحقيق محمد أبو الأجفان، عثمان بطيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985 م.
- دانيال هورنويج، بريناز بهادا - ناتا، و كريس كينيدي، **"يجب وقف نمو معدلات النفايات في هذا القرن"** مجلة NATURE - الطبيعة العربية - العدد 15، ديسمبر 2013 م.
- الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد، **الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذاهب الإمام مالك**، القاهرة، مطبعة عيسى الباي الحلبي.
- السرطاوي، فؤاد عبد اللطيف، **البيئة والبعد الإسلامي**، دار المسيرة 1999م.
- الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، القاهرة، مطابع أخبار اليوم.
- الصاوي، أحمد بن محمد المالكي، **حاشية على الشرح الصغير للدردير**، القاهرة، مطبعة عيسى الباي.
- عبد القادر بن عزوز، **مدى مشروعية الوقف على الحيوان في الفقه الإسلامي**، مجلة أوقاف، العدد 16، ماي 2009 م.
- الفاضل بن عاشور، محمد، **روح الحضارة الإسلامية**، الرياض، دار العالمية للكتاب، الإسلامي، 1992 م.

✍ العز، أبو محمد ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأناس، بيروت، مؤسسة الريان، 1968 م.

✍ القرافي، أحمد بن إدريس، أنوار البروق في أنواء الفروق، بيروت عالم الكتب.

✍ القرضاوي يوسف، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، القاهرة، دار الشروق 2001 م.

✍ مجلة NATURE – الطبيعة العربية – العدد 14 نونبر 2013 م.

✍ الونشريسي ، أحمد بن يحيى ، المعيار والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1981 م .

✍ البيهقي، شعب الإيمان، ج 3 ص 265

✍ مجلة ذخائر، العدد السابع، ذو القعدة 1441هـ / يونيو 2020م

✍ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، جمع أحمد الدويش

✍ موسوعة الفتاوى الموصلة لدار الإفتاء المصرية، المجلد الثاني لعام 1430 هـ – 2013 م

✍ مصطفى بن حمزة، الإسلام والبيئة، الطبعة الأولى 1438 هـ – 2016م، مطبعة الأمانة، منشورات المجلس العلمي الأعلى، الرباط

مواقع من الانترنت:

✍ www.dossierfamilial.com

✍ www.elysee.fr

✍ www.glbalcarbonproject.com

✍ www.lemonde.fr

✍ www.nature.com

- ✎ www.vedura.fr
- ✎ [http. //Islamweb.net/ver2fatwa.php](http://Islamweb.net/ver2fatwa.php) lang
- ✎ [www.islamonline.net/servlet/satellite?pagename=islamonline-arabic-ask-scolar.](http://www.islamonline.net/servlet/satellite?pagename=islamonline-arabic-ask-scolar)
- ✎ <https://habous.gov.ma/tv/2009/2390-15094.html>
- ✎ <https://www.maghress.com/attajdid/52692>
- ✎ صفحة منظمة التعاون الإسلامي <https://oic-oci.org> › topic

فهرس الآيات القرآنية

- ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ ﴾ [القمر: 49]
4.....[
- ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَتَّخِذُ وَلَدًا ﴾ [الفرقان: 2]
77-4.....[
- ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ ﴾ [الرعد: 8]
4.....[8]
- ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ [البقرة: 30]
4.....[.30]
- ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: 60]
4.....[60]
- ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ لَٰن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: 44]
5.....[
- ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝٢٩ ﴾ [الدخان: 29]
5.....[29]
- ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: 3]
7.....[3]
- ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥ ﴾ [الإسراء: 85]
13.....[85]
- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ۝٧٨ ﴾ [التوبة: 78-79]
15.....[79]

﴿قَالَ أَتَشْتَبِدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ يَأْتِيهِ هَوًى حَيْرٌ أَمْ يَطُوعًا مِصْرًا﴾ [البقرة 61].....19

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [العنكبوت 58-59].....19

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَ بِمِائِي وَائِمِكَ﴾ [المائدة 29].....19

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10].....22

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَوَعَدَ الْفَيْسَمَةُ إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ [60-61].....22-136

﴿وَبَابَهُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَخْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس 33-35].....23

﴿وَلَئِنْ قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة 11].....31

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة 2].....32

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود 61].....32

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ [الرحمن 1-15].....34

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم 19-20].....34

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي عَادَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْكُرِّيِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء 70].....35

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ۝﴾ [الفرقان 2].....35-

125-80

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝﴾ [القمر

49].....35

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝﴾ [الحجر

19].....35

﴿ثُمَّ أَسْرَجْنَا فِي السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعًا ۝﴾ [فصلت 11-

12].....35

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [النحل

49].....36

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [التغابن

1].....36

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝﴾ [الفرقان 63-

64].....36

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ۝﴾ [الدخان 29-

30].....36

﴿فَأَنزِلْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ ۝﴾ [الروم

30].....40

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًى وَأَنْهَارًا وَبَيْنَ كُلِّ أَمْعَةٍ جَعَلَ فِيهَا رُجُوعَيْنِ ۝﴾ [الرعد 3-

4].....41

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا ۝﴾ [السجدة

27].....48

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾
[المالك 30].....49

﴿ أَوْ كُظُمْتُ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ ﴾ [النور 40-41].....50

﴿ مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام 38].....50

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجنات 13].....50-287

﴿ وَلَقَدْ رَزَقْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْرِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [المالك 5].....50

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء 32-33].....50

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ﴾ [النمل 60].....51

﴿ إِنَّا رَزَقْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرِيْنَةٍ الْكَوْكَبِ ① ﴾ [الصفات 6].....51

﴿ وَأَخْتَلَفَ أَلَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْتَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْنِهَا ﴾ [الجنات 5].....51

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ② ﴾ [المالك 15].....52

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المؤمنون 18].....52-53
294-288

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكَبًا

﴿[الأعراف58].....53-52

﴿أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴿[الأنبياء30].....53-

289-287

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿ أَنزَلْنَاهُ مِنَ الْمَزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿[الواقعة68-

70].....82-53

-95

128-124

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴿[الروم41-

[.....75-54

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿ وَمَا لَا تُبْصَرُونَ ﴿[الحاقة38-

39].....54

﴿وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا فِي الْأَرْضِ بِعَدِّ مَوَاقِفِ ﴿[الجاثية

54].....54

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ

﴿[إبراهيم18].....55

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ

﴿[الأنعام99].....72-55

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَعَبَّارٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ

وَالزَّيْتَاطَ مُخْتَلَفًا ﴿[الأنعام141].....55

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجْسًا وَأَنْهَرْتُ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۚ

﴿[الرعد3].....56

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَرْتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٥٦﴾

﴿[يس80].....56

﴿ وَأَنْشَرْنَا أَنْشَاءَكُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿[الواقعة72].....56

﴿ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا مِّنَ الضَّالِّينَ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ حَرَمَ

﴿[الأنعام143].....56

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ

﴿[البقرة173].....57

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم

﴿بَسِيطٌ ﴿[الكهف18].....57

﴿ وَلِقِيلٌ وَالْيَمَالُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةٌ وَيَخْتَلِقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾

﴿[النحل8].....57

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَلَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿٥٩﴾

﴿[يوسف13]....57

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٠﴾[المائدة30-

31].....57

﴿ وَتَقَفَّذَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْقَائِمِينَ ﴿٦١﴾[المل19-

20].....57

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النُّعْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النُّعْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ

﴿[النمل18].....57

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿[الحج73].....58-57

﴿وَلَا حَلَكُمْ فَاَصْطَادُوا﴾[المائدة2

[.....58

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ

﴿[الروم41].....64

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[الأعراف56].....

202-71

-220

299-226

﴿أُولَٰئِكَ يَرْئِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا

﴿[الأنبياء30].....72

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ تَنْفِثَ بَيِّنَاتٍ يَدْعَىٰ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا لِّقَالَا

﴿[الأعراف57].....72

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

﴿[النحل65].....73

﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ

﴿[الحج5].....73

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ

﴿[النور45]..... 73

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿[ابراهيم33-

35]..... 76

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿[الحجر19].....

78-76

﴿وَرَأَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ

﴿[الفل88]..... 77

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

﴿[القمر49]..... 77

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا

﴿[المرسلات27]..... 78

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَلْطَلًّا سُبْحَانَكَ ﴿[ال

عمران191]..... 78

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا

﴿[ابراهيم34]..... 78

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿[البقرة204-

206]..... 80

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿[آل عمران11] أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿[الواقعة68-

72]..... 82

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾

﴿[الأنبياء30]..... 82

﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَالْحَيَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

﴿[البقرة164]..... 82

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَضْمِنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾

﴿[الأفال10]..... 83

﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾

﴿[الأفال11]..... 83

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدًى﴾ [ق

9]..... 83

﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾

﴿[المرسلات27]..... 83

﴿وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾

﴿[غافر7]..... 83

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٧﴾﴾

﴿[غافر13].. 84

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿[الأعراف31]..... 90

﴿وَأَنْتَ السَّيِّلُ وَلَا تُدْرِكُ تَبَذُّرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء26-

27]..... 90

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ٦٦ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٧﴾ [الواقعة-63]

[67] 93

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعَ وَنَحِيلٌ صَبَوَانٌ وَغَيْرُ

﴿ [الرعد4] 93

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ٦٨ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٧٠﴾ [عبس-24]

[32] 93

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ ٧١ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٧٢﴾ [الواقعة-68]

[73] 95

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

﴿ [الحج18] 95

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ

﴿ [الإسراء44] 95

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

﴿ [الرعد15] 95

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦٩﴾ [النحل-6]

[8] 102

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ ٧٣ [يس-71]

[73] 102

﴿ فَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴿ [المومنون-21]

[23] 102

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْآفَاقِ مَا تَكُونُونَ ١٣﴾

﴿[الزخرف14]..... 103

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُّوا وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا

﴿[المائدة95]..... 109

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا

﴿[الحج26]..... 111

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ

﴿[المائدة6]..... 115

﴿وَسَتَأْتُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ

﴿[البقرة222].... 118

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً

﴿[النور2]..... 122

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ

﴿[هود78]..... 123

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ

﴿[النور30]..... 123

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور31].....

124-123

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ

﴿[الأحزاب33]..... 124

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَا ۖ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ

﴿ [الفصص 25] 124

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [ال

عمران 191] 125

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ ﴾ [الحجرات 2-

3] 128

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا

﴿ [النحل 80] 130

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا

﴿ [يونس 67] 130

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ

﴿ [غافر 61] 130

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا

﴿ [الفل 86] 130

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِيَأْسَا وَلِتُتِمَّ سُبُحَاتُهَا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

﴿ [الفرقان 47] 130

﴿ وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِّيَأْسَا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ 10-

11] 130

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

﴿ [المؤمنون 115] 132

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

﴿ [الأحزاب72] 134

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ

﴿ [الأنعام165] 135

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

﴿ خَلِيفَةً ﴿ [البقرة30] 135

﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى

﴿ [ص26] 136

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

﴿ [البقرة143] 137

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفَاكِهِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

﴿ [البقرة231] 137

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَخْلًا مَخْتَلِفًا ﴿ [فاطر27-

28] 140

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴿ [طه53-

54] 142

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿ [الشعراء7-

8] 142

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴿ [الملك15-

18] 143

﴿وَأَيُّهُ لَهْمُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ

﴿[يس33-36]..... 143

149

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿[البقرة261]..... 146

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ٣٧

﴿[ق11]..... 149

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاهَا لَمَحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٨﴾ [فصلت38-

[39]..... 149

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْحَضُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ

﴿[الأنكبوت67]..... 154

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ

﴿[المائدة95]..... 156

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

﴿[البقرة201]..... 159

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١٧١﴾

﴿عمران104]..... 178

182-181

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة 71]. 179

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

﴾ [آل عمران 110]. 179

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

﴾ [آل عمران 104] .. 182

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

﴾ [الأعراف 32] 192

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ

﴾ [لقمان 20] 192

﴿فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ۝

﴾ [الحشر 2] 194

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِطُونَهُ

﴾ [النساء 83] 194

﴿وَأَقِصْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝

﴾ [لقمان 19] 199

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ اكْتَسَبُوا ۝

﴾ [الأحزاب 58] 209

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝

﴾ [النحل 9] 217

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^{٢٢٠}

﴿[ابراهيم7]..... 220

﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

﴿[النحل91]..... 220

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ

﴿[النساء5]..... 223

﴿ فِي مَقْعَدِ صَدِّقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٢٢٣

﴿[القمر55]..... 234

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

﴿[البقرة127]..... 234

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ

﴿[التغابن16]..... 244

﴿ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ

﴿[البقرة219]..... 255

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

﴿[الأنعام152]..... 262

﴿ * يٰبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا

﴿[الأعراف31]..... 274

﴿ إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧

﴿[الإسراء27]..... 274

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾

﴿[النحل114]..... 278

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ① ﴾

﴿[ق9]..... 287

﴿ * وَلَئِذْ أَسْرَفْنَا مَوْسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾[البقرة60]-

61..... 288

﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِهِمْ يَتَذَكَّرُ وَمَنْ يَدُلْ بِغَمَةٍ اللَّهُ

﴿[البقرة211]..... 288

تَعَالَى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَأَنْبَتْنَا فِي الْأَرْضِ

﴿[المؤمنون18]..... 294

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾[الفرقان48]-

49..... 295

﴿ أُولَئِكَ يَرْءُونَ كَفَرًا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا

﴿[الأنبياء30]..... 295

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ

﴿[الأعراف33]..... 309

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِتَانًا لِرَبِّكَ فِي سَفَاهَةٍ

﴿[الأعراف66]..... 329

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ

﴿[المائدة6]..... 341

﴿وَسَتَلُونَاكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ

﴿[المدثر 4]..... 341

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ﴿١٧٥﴾

﴿[البقرة 195]..... 342

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾

﴿[النساء 29]..... 342

﴿يَتَذَكَّرُ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَنَاتٍ أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾

﴿[النساء 71]..... 342

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَجْبَلْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾

[الحجر 19]..... 360

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿[الحج 6]..... 360

﴿وَالَّذِينَ أَطَقْتُم مِّنْ

جُوعٍ

﴿[الفرش 4]..... 361

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾[البقرة 202]-

203]... 361

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

﴿[التوبة 129]..... 365

فهرس الأحاديث النبوية

جهد

المقل.....

15

يا معشر الشباب من استطاع منكم

الباء.....20

من كذب علي متعمدا

فليتبوأ.....33

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك وأنا على عهدك و وعدك ما

استطعت.....33

أثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو

شهيدان.....36

فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أناه فالترمه فسكن

.....36

الناس شركاء في

ثلاث.....53

غطوا الإناء و أوكثوا السقاء.....85

أطقتوا المصابيح إذا رقدتم.....85

نهى أن يتنفس في الإناء.....86

نهى عن شرب من ثلثة

القدح.....86

إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في

الإناء.....86

كان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الإناء	
ثلاثا.....	86
اتقوا الملاعن	
الثلاث.....	87
لا يبولن أحدكم في	
الماء.....	87
لا يغسل أحدكم في الماء	
الدائم.....	91
هكذا الوضوء، فمن	
زاد.....	91
لا تقتلوا وليدا (طفلا)، ولا امرأة ولا شيخا كبيرا ولا تغورن	
عيننا.....	92
ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع	
زرعا.....	96
من غرس غرسا يأكل منه	
آدمي.....	96
ما من مسلم يغرس	
غرسا.....	96
من كانت له أرض	
فليغرسها.....	96
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما تصنعون بمحافلكم	
؟.....	96
أزرعوها أتم أو أعطوها	
لغيركم.....	97
أعطى خير اليهود على أن يعملوها	
ويزرعوها.....	97

إن قامت الساعة وفي يد أحدكم	
فسيلة.....	97
من قطع سدره في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم	
عشا.....	98
إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم	
فسيلة.....	101
الحية فاسقة والعقرب	
فاسق.....	103
من قتل حية فله سبع	
حسنات.....	103
بينما رجل يمشي فاشتد به العطش فوجد	
بئرا.....	104
تأتي الإبل على صاحبها على خير ما	
كانت.....	104
ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة	
يحملها.....	104
الراحمون يرحمهم الله تبارك	
وتعالى.....	104
إن الله تعالى كتب الإحسان على كل	
شيء.....	105
من رحم ولو ذبيحة	
عصفور.....	105
كان يصفى للهرة	
الإيلاء.....	105
الإبل عز لأهلها والغنم	
بركة.....	105

105.....	الجنة	اتخذوا الغنم فإنها بركة عليكم بالغنم فإنها من دواب
105.....	تطعمها	دخلت امرأة في هرة ربطتها فلم
106.....	فأحرقت	قرصت نملة نيبا من الأنبياء، فأمر بقرية من النمل
106.....	المعجزة	اتقوا الله في البهائم
106.....	حقها	ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير
106.....	غرضا	لا تتخذوا شيئا فيه الروح
106.....	مناير	إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم
106.....	الحلوب	إياك وذبح
106.....	در	لا تذبحن ذات
106.....	الضفادع	لا تقتلوا
107.....	الجراد	لا تقتلوا
107.....	الدواب	الجراد
107.....	والضفدع	نهى عن قتل أربع من
		نهى عن قتل الصرد

لا تسبوا الديك فإنه يوقظ	
للصلاة.....	107
خمس قتلهن حلال في	
الحرم.....	107
الوزغ	
فويسق.....	108
من قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة	
حسنة.....	108
إن هذا البلد حرام لا يعضد	
شوكه.....	109
يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات	
والأرض.....	110
إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول	
والخلاء.....	111
من دخل المسجد فبزق	
فيه.....	111
النخامة في المسجد خطيئة وكفارتها	
دفنها.....	112
أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقيم المسجد	
فمات.....	112
اتقوا الملاعن	
الثلاث.....	112
إذا وطئ الأذى	
بخفيه.....	113
الإيمان بضع وسبعون	
شعبة.....	113

- ابن آدم ستون وثلاثمائة مفصل على كل واحد
 منها..... 113
 من أخرج من طريق المسلمين شيئاً
 يؤذيهم..... 113
 من أمارأذى عن طريق
 المسلمين..... 113
 لقد رأيت رجلاً يتقلب في
 الجنة..... 113
 من أذى المسلمين في
 طرقهم..... 114
 طهروا أفئيتكم فإن اليهود لا تطهر
 أفئيتها..... 114
 طيبوا ساحاتكم فإن أئتن الساحات ساحات
 اليهود..... 114
 من اتخذ كلباً، إلا كلب زرع أو كلب
 صيد..... 114
 الكلب الأسود البهيم
 شيطان..... 114
 إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه
 كلب..... 114
 لولا أن الكلاب من الأمم لأمرت
 بقتلها..... 115
 حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه
 وجلده..... 117
 من نام وفي يده غمر و لم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا
 نفسه..... 117

إذا استيقظ أحدكم من	
نومه.....	117
إن الله تعالى طيب بحب	
الطيب.....	117
إذا سمعتم بالطاعون	
بأرض.....	118
إن هذا الطاعون رجز، وبقية	
عذاب.....	119
اتقوا	
المجنون.....	
	119
لا يوردن ممرض على مصح تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له	
دواء.....	119
لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء	
الداء.....	120
نعمتان مغبون فيهما كثير من	
الناس.....	120
من أصبح منكم آمناً في سريه ومعافى في	
جسمه.....	120
يا عباس عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا	
والآخرة.....	121
سل الله العفو والعافية في الدنيا	
والآخرة.....	121
سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدكم لم	
يعط.....	121

- المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف.....121
- لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل
صلاة.....122
- أفعميا وان أتما ألتما تبصرانه
؟.....123
- الريح تبعث عذابا لقوم ورحمة
لآخرين.....127
- لا تسبوا الريح فإنها من روح
الله.....127
- يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون
أصم.....129
- أطفئوا المصابيح إذا
رقدتم.....131
- الإيمان بضع و سبعون أو بضع و ستون
شعبة.....132
- لقد رأيت رجلا يتقلب في
الجنة.....134
- بيننا رجل يمشي في الطريق مر على حزم
شوك.....134
- لا ضرر ولا
ضرار.....138
- من كانت له أرض
فليزرعها.....143
- ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرا فيأكل
منه.....143

من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع	
فلسانه.....	179
من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو	
ماشية.....	190
هذا جبل يحبنا و	
نحبه.....	192
أكرموا عمّتكم	
النخلة.....	192
ابغني أحجارا أستنفض	
بها.....	196
اتقوا الملاعن	
الثلاث.....	197
أنه نهى أن يبال في الماء	
الراكد.....	197
من أكل البصل والثوم	
والكراث.....	199
هذا جبل يحبنا و	
نحبه.....	192
فلا تستنجوا بها؛ فإنها طعام	
إخوانكم.....	196
إن هذه النار عدو لكم، فإذا نتم فأطفئوها	
عنكم.....	198
إن المصلي يناجي ربه عز وجل فليُنظر بما	
يناجيه.....	199
إياكم ومحقرات الذنوب	
فإنهن.....	340-239

لا ضرر ولا	
ضرار.....	240
يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى	
يَهْلِكَنَّهُ.....	240
إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ مِنْ أَنْ يَعْبُدَ بِأَرْضِكُمْ	
هَذِهِ.....	240
يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنْ قَوْمَكَ حَدِيثُوا عَهْدَ بَجَاهِلِيَّةٍ لِأَمَرْتِ بِالْبَيْتِ	
فَهَدَمَ.....	255
مَنْ عَمَرَ أَرْضاً لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ	
بِهَا.....	265
مَنْ أَحْيَا أَرْضاً مَيِّتَةً فَهِيَ	
لَهُ.....	265
اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَفِي الظِّلِّ، وَفِي طَرِيقِ	
النَّاسِ.....	276
لَا ضَرَرَ وَلَا	
ضَرَارَ.....	287
الثَّالِثُ شُرَكَاءُ فِي	
ثَلَاثٍ.....	288
لَا يَغْتَسِلُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ النَّائِمِ وَهُوَ	
جُنُبٌ.....	288
عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا	
السِّقَاءَ.....	288

الفهرس

4	مقدمة
15	الباب الأول: المفاهيم الأساسية للموضوع
16	الفصل الأول: فصل تمهيدي
16	المبحث الأول: مدخل مفاهيمي
16	المطلب الأول: تعريف الاجتهاد
17	01 - الاجتهاد لغة
18	02 - الاجتهاد في الاصطلاح
19	المطلب الثاني: ماهية البيئة
19	01- البيئة لغة
22	02 - البيئة اصطلاحا
26	03 - المفهوم القانوني للبيئة
37	المطلب الثالث: المحافظة على البيئة في الاجتهاد الإسلامي
Erreur ! Signet non défini.	المطلب الرابع: مفهوم البيئة في المنظور الإسلامي
Erreur ! Signet non défini.	01: التأصيل الشرعي لمصطلح البيئة
Erreur ! Signet non défini.	02: مميزات البيئة
39	المطلب الخامس: علاقة البيئة ببعض المفاهيم
Erreur ! Signet non défini.	الفرع الأول: علاقة البيئة بالطبيعة
Erreur ! Signet non défini.	الفرع الثاني : علاقة البيئة بالتلوث و التنمية المستدامة
40	المطلب السادس: حماية البيئة والاهتمام بها في الإسلام
Erreur ! Signet non défini.	المطلب السابع: الاهتمام بالبيئة في عصرنا الحاضر

361	1- منظمات ومؤسسات مختصة بالبيئة:
363	2 - اتفاقيات ومعاهدات حول البيئة:
363	3 - المؤتمرات العالمية المنعقدة حول البيئة:
43	المبحث الثاني: البيئة بكل أبعادها:
	Erreur ! Signet non défini. مكونات البيئة وعناصرها:
44	1 - المياه العذبة:
45	2 - مياه البحار والمحيطات:
45	3 - المياه الجوفية:
30	المطلب الثاني: مكونات البيئة في القرآن الكريم:
30	1 - السماء:
31	2 - الأرض:
32	3 - الماء:
33	4 - الهواء:
	Erreur ! Signet non défini. 5 - النبات:
	Erreur ! Signet non défini. 6 - الحيوان:
	Erreur ! Signet non défini. 1 - البيئة الوراثية:
	Erreur ! Signet non défini. 2 - البيئة الاجتماعية:
	Erreur ! Signet non défini. 3 - البيئة الثقافية:
96	4 - البيئة الحضرية:
	Erreur ! Signet non défini. 5 - البيئة الريفية:
	Erreur ! Signet non défini. 6 - البيئة المناخية:
	Erreur ! Signet non défini. 7- البيئة الجمالية والخلقية:

8 - البيئة البحرية:	Erreur ! Signet non défini.
9 - البيئة البشرية:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب الثاني: النظام البيئي:	98
1 - دورة حياة النظام البيئي البري:	98
2 - دورة حياة النظام البيئي المائي:	99
المبحث الثالث: مشكلات البيئة:	100
المطلب الأول مشكلة التلوث:	104
1 - التلوث لغة:	104
2 - التلوث اصطلاحاً:	104
المطلب الثاني: أنواع التلوث:	110
1 - التلوث بالنظر إلى طبيعته ثلاثة أقسام:	110
2 - التلوث بالنظر إلى مصدره ينقسم إلى قسمين:	111
3 - التلوث بالنظر إلى نطاقه الجغرافي ومدى انتشاره وينقسم إلى قسمين:	111
4 - التلوث بالنظر إلى آثاره على البيئة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:	111
المطلب الثالث: مشكلة تلوث الهواء:	112
المطلب الرابع: مشكلة تلوث الماء:	114
المطلب الخامس: مشكلة الأوزون:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب السادس: مشكلة تلوث الصوت:	117
المطلب السابع: مشكلة التغيرات المناخية:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب الثامن: مشكلة اضطراب التوازن البيئي:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب التاسع: مشكلة التصحر:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب العاشر: مشكلة الاحتباس الحراري:	Erreur ! Signet non défini.

117	الفصل الثاني: المحافظة على البيئة في شريعة الإسلام:
117	المبحث الأول: الحفاظ على مكونات البيئة:
46	المطلب الأول: حماية الشريعة الإسلامية للثروة المائية:
48	الفرع الأول: النهي عن تلويث الماء:
53	الفرع الثاني: الحث على الاقتصاد في استخدام الماء:
55	الفرع الثالث: الحفاظ على مصادر المياه وقت الحرب :
56	المطلب الثاني: حماية الشريعة الإسلامية للثروة النباتية:
76	الفرع الأول: الترغيب في زراعة النبات والحث على العناية به:
79	الفرع الثاني : النهي عن التعدي على الأشجار :
82	المطلب الثالث: حماية الشريعة الإسلامية للثروة الحيوانية:
84	1 - المحافظة على الحيوان ورحمته:
87	2 - النهي عن تعذيب الحيوان والاعتداء عليه:
88	3 - قتل الضار من الحيوان والدواب:
117	المطلب الرابع : حماية شريعة الإسلام لنظافة بيوت الله و الأماكن العامة :
121	المطلب الخامس: حماية الإسلام للنظافة العامة والخاصة:
92	المطلب السادس: حماية شريعة الإسلام للهواء والغلاف الجوي:
130	المطلب السابع: حرص الإسلام على تحقيق الهدوء والسكينة:
133	المبحث الثاني: القيم البيئية في الشريعة الإسلامية لحماية البيئة:
133	المطلب الأول: القيم العقدية للبيئة :
133	1- الإحسان إلى البيئة جزء من عقيدة المسلم:
134	2- مبدأ التوحيد:
135	المطلب الثاني: القيم الأخروية للبيئة:

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية للبيئة:	136
المطلب الرابع: قيم جمالية:	141
المبحث الثالث: الإجراءات العملية لحماية البيئة في شريعة الإسلام :	142
المطلب الأول: المحافظة على النبات وحمايته في الشريعة الإسلامية:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب الثاني: حماية الماء من التلوث:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب الثالث: حماية الهواء من التلوث:	Erreur ! Signet non défini.
المطلب الرابع: دور المؤسسات الحضارية في حماية البيئة:	143
الباب الثاني: تطبيقات الاجتهاد الإسلامي في المحافظة على البيئة:	172
الفصل الأول: التقعيد الأصولي والفقهي وأهميته في المحافظة على البيئة:	172
المبحث الأول: المحافظة على البيئة بالاعتماد على التقعيد الأصولي:	173
المطلب الأول: دور القياس في رعاية البيئة:	173
المطلب الثاني: أهمية المصالح المرسلة في رعاية البيئة:	179
المطلب الثالث: سد الذرائع ورعاية البيئة:	188
المطلب الرابع : مقاصد الشريعة ورعاية البيئة :	194
المبحث الثاني: حماية البيئة من خلال التقعيد الفقهي:	203
أولاً: اهتمام الفقهاء بالقواعد الفقهية:	203
ثانياً: تعريف القواعد الفقهية:	209
المطلب الأول: قاعدة لا ضرر ولا ضرار:	212
المطلب الثاني: قاعدة يدفع الضرر بقدر الإمكان:	222
المطلب الثالث: يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام :	225
المطلب الرابع: قاعدة: درء المفسد أولى من جلب المصالح:	233
المطلب الخامس: قاعدة: إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفها:	236

المطلب السادس: قاعدة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة :	240
المطلب السابع: قاعدة الأمور بمقاصدها:	243
المطلب الثامن: قاعدة إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام:	243
المطلب التاسع: قاعدة " من أحيا أرضاً ميتة فهي له:	243
الفصل الثاني: المحافظة على البيئة في الاجتهاد الإسلامي المعاصر:	249
المبحث الأول: المحافظة على البيئة في الفتاوى المعاصرة:	312
المطلب الأول: نظرة الشريعة الإسلامية للمحافظة على البيئة:	312
المطلب الثاني : أحكام إزالة الأضرار للحفاظ على البيئة :	318
المطلب الثالث: أسلوب شريعة الإسلام في المحافظة على البيئة:	321
المبحث الثاني: نماذج من الاجتهاد الإسلامي المعاصر في الحفاظ على البيئة:	249
المطلب الأول: مسائل في الحفاظ على الماء:	250
المطلب الثاني: مسائل في الحفاظ على الهواء :	263
المطلب الثالث: نماذج من قرارات المجامع الفقهية الإسلامية للحفاظ على البيئة:	275
المطلب الرابع : ندوات إسلامية للحفاظ على البيئة :	286
المبحث الثالث: عناية المملكة المغربية بالبيئة:	330
المطلب الأول: مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة :	330
المطلب الثاني: البيئة في الدروس الحسنية:	340
المطلب الثالث: عناية علماء الصحراء المغربية بالبيئة:	Erreur ! Signet non défini.
الخاتمة:	356
فهرس المصادر و المراجع:	381
فهرس الآيات القرآنية:	391
فهرس الأحاديث النبوية:	409

